

# **المفصل**

## **في تخریج حدیث افتراق الأمة**

**إعداد**  
**الباحث في القرآن والسنة**  
**علي بن نايف الشحود**

**الطبعة الأولى**  
**١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م**  
**(( بهانج - دار المعمر ))**

**(( حقوق الطبع لكل مسلم ))**

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد قال النبي ﷺ: « أَفْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَأَفْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ قَالَ « الْجَمَاعَةُ »<sup>١</sup>.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَدَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي »<sup>٢</sup>.

وقد حدث هذا كما أخبر الصادق المصدوق ، وذلك بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ظلماً وعدواناً ، فحدثت فتنة الخوارج ثم الشيعة ، ثم القدرية ، ثم المرجئة ، ثم الجبرية، ثم المعتزلة.....

وبما أن هذا أمرٌ قد قدره الله تعالى ، فلا يمكن أن تترك الأمة في فتنة عمياء لا تعرف الحق من الباطل ، والمصلح من المفسد ، فبين النبي ﷺ لنا الميزان الذي نزن به هذه الفرق ، التي شذت وانحرفت عن منهج أهل السنة والجماعة ، وهي التي خالفت ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام ، وخرجت عن الجماعة .

<sup>١</sup> - سنن ابن ماجه- المكثر - ( ٤١٢٧ ) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ - صحيح لغيره  
<sup>٢</sup> - سنن الترمذی- المكثر - ( ٢٨٥٣ ) قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ مُفَسَّرٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

وهو ميزان دقيق جداً، ولكن لا بدّ لمعرفة من علماء مختصين ، وليس عامة الناس ، حتى يبينوا للناس ذلك ويوضحوه لكي لا يلتبس أمر هذه الفرق عليهم .  
وقد قام علماء الحديث والفقه والتفسير والأصول ببيان معنى هذا الحديث ، وألفت بعض الكتب فيه وأهمها كتاب الفرق بين الفرق ، وبيان الفرق الناجية لأبي منصور البغدادي ، وكل من كتب في الفرق قد تعرض له شرحاً وتحليلاً .  
ومن غاصوا إلى أعماقه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، والعالم الأصولي الشاطبي رحمه الله .

وفي عصرنا هذا كثرت الفتن ، والحن على المسلمين بعد أن تفرقوا أيدي سباً ، ومن ثمّ لزم بيان معنى هذا الحديث مرة أخرى ؛ وذلك لكثرة الفرق الضالة التي تدعوا الناس إلى سبيلها .

ولهذا الغرض فقد قمت بجمع شتات هذا الكتاب .

وقد سرت فيه وفق المباحث التالية :

المبحث الأول=تخريج الحديث مفصلاً من سائر كتب الحديث ..

المبحث الثاني=تواتر هذا الحديث

المبحث الثالث=الرد على من أنكر صحة الحديث

المبحث الرابع=هل يلزم من الدخول في النار الخلود بها ؟

المبحث الخامس=أقسام الاختلاف حسب وجهة نظر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

المبحث السادس=رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بحديث افتراق الأمة وفيه مطالب :

المطلب الأول-صفة الفرق المفارقة لأهل السنّة والجماعة

المطلب الثاني-أهل السنّة لا يتبعون إلا الرسول المعصوم

المطلب الثالث-ردّ ما تنازع فيه الناس من أمور الدين إلى الله ورسوله

المطلب الرابع-تفاوت درجات اختلاف المنتسبين إلى متبوعين في أصول الدين

والكلام

المطلب الخامس-القول المبتدع إذا لم يوالى ويعادى على أساسه فهو خطأ مغفور

المطلب السادس-أول من فارق جماعة المسلمين الخوارج  
المطلب السابع-أصولُ البدعِ أَرْبَعَةٌ : الرَّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ وَالْقَدَرِيَّةُ وَالْمُرْجِيَّةُ  
المطلب الثامن-أهل السنة لا يكفرون أهل البدع  
المطلب التاسع-الإيمان يزيد وينقص عند أهل السنة

المبحث السابع=قول الشاطبي في حديث اختلاف الأمة وفيه مطالب :

المطلب الأول-العلامة التفصيلية لكل فرقة  
المطلب الثاني-الكلام على رواية الثنتين والسبعين  
المطلب الثالث-زيادة فرقة في هذه الأمة على أهل الكتاب السابقين  
المطلب الرابع-لماذا استحققت الفرق المخالفة لأهل السنة النار ؟  
المطلب الخامس-هل الحق واحد لا يتعدد ؟  
المطلب السادس-لماذا لم يعين الحديث من الفرق إلا الفرقة الناجية ؟  
المطلب السابع-لَا يُعَدُّ مَنْ الْفَرَقِ إِلَّا الْمُخَالِفَ فِي أَمْرِ كُلِّيٍّ وَقَاعِدَةٍ عَامَّةٍ  
المطلب الثامن-تفسير معنى الجماعة في الحديث  
المطلب التاسع-الْعُلَمَاءُ هُمُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ  
المطلب العاشر-وجود فرق تخالف الجماعة ولا تفيء للحق لانطماس البصيرة عندها  
المطلب الحادي عشر-كلُّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ هُوَ مُتَّبِعٌ لِلْهَوَى  
المطلب الثاني عشر-أهل الأهواء نوعان: داعية وغير داعية  
المطلب الثالث عشر-هل الإشراب خاص ببعض البدع أم لا ؟  
المطلب الرابع عشر-وجه الشبه بين داء الكلب والبدعة  
المطلب الخامس عشر-لماذا لا يقبل لصاحب البدعة توبة ؟  
المطلب السادس عشر-قبول توبة من لا يشرب هوى البدعة  
المطلب السابع عشر-فتنة الذين يقيسون الأمور برأيهم الفاسد  
المطلب الثامن عشر-تعيين وصف الفرقة الناجية دون الموصوف  
المطلب التاسع عشر-معنى الصراط المستقيم الذي انحرفت عنه سبل أهل الابتداع

المبحث الثامن=الخلاصة في أحكام الفرق

المبحث التاسع=بعض أقوال أهل العلم وفيه أكثر من خمسين موضوعاً من الفتاوى والخطب والبحوث العلمية .

هذا وقد قمت بتخريج الأحاديث من مظاهرها والحكم عليها بما يناسبها إذا لم تكن في الصحيحين .

وقمت بشرح غريب الحديث .

وذكرت مصدر كل قول بذيله .

سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه والدال عليه وناشره في الدارين ، وأن يجعلنا وإياكم من أهل الفرقة الناجية ، والذايين عنها .

قال تعالى : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (١٥٣) سورة الأنعام

جمعه وأعدّه

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ الموافق ل ٧/٥/٢٠٠٩ م



## المبحث الأول

### تخريج الحديث مفصلاً

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَالتَّصَارَى مِثْلُ ذَلِكَ ، وَتَفَتَّرَقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً " المستدرك للحاكم <sup>٣</sup> وعَنْ أَبِي عَامِرٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ لُحَيٍّ ، قَالَ : حَجَجْنَا مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ ، أَخْبَرَ بِقَاصٍ يَقْصُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ مَوْلَى لِبْنِي فُرُوحٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فَقَالَ : أَمَرْتَ بِهِذِهِ الْقِصَصِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَقْصَّ بِغَيْرِ إِذْنٍ ، قَالَ : نُنَشِئُ عِلْمًا عَلَّمَنَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ لَقَطَعْتُ مِنْكَ طَائِفَةً ، ثُمَّ قَامَ حِينَ صَلَّى الظُّهْرَ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ تَفَرَّقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفَتَّرَقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ، وَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ ، وَاللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ لَغَيْرُ ذَلِكَ آخَرٌ أَنْ لَا تَقُومُوا بِهِ " المستدرك للحاكم <sup>٤</sup> وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ : أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ : " أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ : ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ " زَادَ ابْنُ يَحْيَى ، وَعَمَرُو فِي حَدِيثَيْهِمَا " وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ

<sup>٣</sup> - المستدرك للحاكم (٤٤٢) وسنن ابن ماجه - المكثر (٤١٢٦) صحيح

[ ش - ( وتفترق أمتي ) المراد أمة الإجابة . وهم أهل القبلة . فإن اسم الامة مضافا إليه صلى الله عليه و سلم يتبادر منه أمة الإجابة . والمراد تفرقهم في الأصول والعقائد لا الفروع والعمليات . ]

<sup>٤</sup> - المستدرك للحاكم (٤٤٣) صحيح لغيره

وَأَنَّ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ كَاتِبٍ حَزْمٍ يُضَعَّفُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ فَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَبِلُوهَا وَصَدَّقُوهَا . مجموع الفتاوى لابن تيمية - ( ١٦ / ٤٩١ )

، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ " وَقَالَ عَمْرُو : " الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ " سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ °

قال الخطابي رحمه الله تعالى: " (الكلب): داء يعرض للإنسان من عضه الكلب الكلب، وهو داء يصيب الكلب؛ كالجنون، وعلامة ذلك فيه: أن تحمر عيناه، وأن لا يزال يدخل ذنبه بين رجله، وإذا رأى إنسانا ساوره، فإذا عقر هذا الكلب إنسانا عرض له من ذلك أعراض رديئة، منها: أن يمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشا، ولا يزال يستسقي، حتى إذا سقي الماء لم يشربه. ويقال: إن هذه العلة إذا استحكمت بصاحبها فقعد للبول؛ خرج منه هنات مثل صور الكلاب؛ فالكلب داء عظيم؛ إذا تجارى بالإنسان تمادى وهلك ". انتهى.

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْأَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لُحَيٍّ أَبُو عَامِرٍ الْهَوَزَنِيُّ ، قَالَ : حَجَجْتُ مَعَ مُعَاوِيَةَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أُخْبِرَ أَنَّ بِهَا قَاصًّا يُحَدِّثُ بِأَشْيَاءَ تُنْكِرُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فَقَالَ : أُمِرْتَ بِهَذَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : عَلِمْتُ نَنْشُرُهُ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : لَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ لَفَعَلْتُ بِكَ ، انْطَلِقْ فَلَا أَسْمَعُ أَنَّكَ حَدَّثْتَ شَيْئًا فَلَمَّا صَلَّى الظُّهْرَ قَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ ، فَعَيَّرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أَحَرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ إِلَّا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا يَوْمًا فَقَالَ : " إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي الْأَهْوَاءَ - وَإِنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، - يَعْنِي الْأَهْوَاءَ - اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ فَاعْتَصِمُوا بِهَا فَاعْتَصِمُوا بِهَا "

وفي رواية عَنْ أَبِي عَامِرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لُحَيٍّ ، قَالَ : حَجَجْنَا مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ أُخْبِرَ بِرَجُلٍ ، يَقْصُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فَقَالَ : أُمِرْتَ بِهَذَا الْقَصَصِ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تَقْصَّ بَعِيرٍ إِذَنْ ؟ قَالَ : نَنْشُرُ عَلْمًا عَلَّمَنَاهُ اللَّهُ ، قَالَ : لَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ إِلَيْكَ قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ لَفَعَلْتُ ، ثُمَّ قَامَ حِينَ صَلَّى

° - سنن أبي داود - المكثر (٤٥٩٩) صحيح لغيره

الظُّهْرَ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي الْأَهْوَاءَ - كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ، وَاللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ إِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ لَعَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أُخْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ "السُّنَّةُ لِلْمَرْوَزِيِّ<sup>٦</sup>

وَعَنْ أَبِي عَامِرٍ الْهَوَزَنِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ ، يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ ، لَعَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أُخْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا يَوْمًا ، فَذَكَرَ " أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الْأَهْوَاءِ ، أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الْأَهْوَاءِ " السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ<sup>٧</sup> وَعَنْ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَلَنْ تَذْهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى تَفْتَرِقَ أُمَّتِي عَلَى مِثْلِهَا أَوْ قَالَ : عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ ، وَكُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ " الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ<sup>٨</sup>

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلًا بِمِثْلِ حَدِّهِمُ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ نَكَحَ أُمَّهُ عِلَانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مِثْلُهُ ، إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً ، فَقِيلَ لَهُ : مَا الْوَاحِدَةُ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي "المستدرک للحاکم<sup>٩</sup>

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ تَفَرَّقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، تَزِيدُ عَلَيْهِمْ وَاحِدَةً ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً " قَالُوا : مَنْ هَذِهِ الْمِلَّةُ الْوَاحِدَةُ ؟ قَالَ : " مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي " الْأَرْبَعُونَ حَدِيثًا لِلْأَجْرِيِّ

<sup>٦</sup> - السُّنَّةُ لِلْمَرْوَزِيِّ (٣٦- ٣٧) صحيح لغيره

<sup>٧</sup> - السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ (٥٨) صحيح لغيره

<sup>٨</sup> - الْإِبَانَةُ الْكُبْرَى لِابْنِ بَطَّة (٢٧٥) وَالشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ (٢٨) حسن لغيره

<sup>٩</sup> - المستدرک للحاکم (٤٤٤) وسنن الترمذی - المکثر (٢٨٥٣) صحيح لغيره



قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ : فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ يَجْتَهِدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذِهِ الْمِلَّةِ النَّاجِيَةِ بِاتِّبَاعِهِ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَسُنَنِ رَسُولِهِ ﷺ ، وَسُنَنِ أَصْحَابِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَسُنَنِ التَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، وَقَوْلِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ لَا يُسْتَوْحَشُ مِنْ ذِكْرِهِمْ ، مِثْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، وَالْأَوْزَاعِيِّ ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَالشَّافِعِيِّ ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَأَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ ، وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقِهِمْ مِنَ الشَّيْخِ ، فَمَا أَنْكَرُوهُ أَنْكَرْتَاهُ ، وَمَا قَبِلُوهُ وَقَالُوا بِهِ قَبِلْنَاهُ وَقُلْنَا بِهِ ، وَتَبَدَّنَا مَا سِوَى ذَلِكَ <sup>١٠</sup>

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِهِ ، فَقَالَ : لَتَسْلُكُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ حَدَوَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ ، وَلَتَأْخُذُنَّ مِثْلَ أَخَذِهِمْ إِنْ شَبْرًا فَشَبْرٌ ، وَإِنْ ذِرَاعًا فَذِرَاعٌ ، وَإِنْ بَاعًا فَبَاعٌ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ دَخَلْتُمْ فِيهِ ، أَلَا إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى مُوسَى عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَالَّةٌ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً الْإِسْلَامُ وَجَمَاعَتُهُمْ ، وَإِنَّهَا افْتَرَقَتْ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَالَّةٌ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً الْإِسْلَامُ وَجَمَاعَتُهُمْ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ يَكُونُونَ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَالَّةٌ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً الْإِسْلَامُ وَجَمَاعَتُهُمْ <sup>١١</sup> المستدرك للحاكم

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَاحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ " قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : " هُمُ الْجَمَاعَةُ " السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ <sup>١٢</sup> وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنْ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ " السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ <sup>١٣</sup> .

<sup>١٠</sup> - الْأَرَبِيُّ حَدِيثًا لِلْأَجَرِيِّ ( ١٣ ) حسن لغيره

<sup>١١</sup> - المستدرك للحاكم ( ٤٤٥ ) ضعيف

<sup>١٢</sup> - السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ ( ٥٣ ) والصحيحة ( ١٤٩٢ ) وصحيح الجامع ( ١٠٨٢ ) صحيح

<sup>١٣</sup> - السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ ( ٥٤ ) وشرح أصول الاعتقاد ( ١٢٩ ) صحيح

وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ " الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ ١٤

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، قَالُوا : وَمَا هِيَ تِلْكَ الْفِرْقَةُ ؟ قَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي "المعجم الصغير للطبراني" ١٥

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً " . فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هَذِهِ الْوَاحِدَةُ ؟ فَقَبِضَ يَدَهُ وَقَالَ : " الْجَمَاعَةُ ، فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا " شَرْحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ ١٦

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً تَزِيدُ عَلَيْهَا أُمَّتِي فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ " الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ ١٧

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : " افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، أَوْ قَالَ : اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَزِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِرْقَةً وَاحِدَةً ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ " . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا أُمَامَةَ مِنْ رَأْيِكَ أَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : إِنِّي إِذَا لَجَرِيءٌ ، بَلَّ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَةً " السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ ١٨

وَعَنْ أَبِي غَالِبٍ ، أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ ، أَخْبَرَهُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَهَذِهِ الْأُمَّةُ تَزِيدُ عَلَيْهَا وَاحِدَةً ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ، قُلْتُ : قَدْ تَعْلَمُ مَا فِي السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ

١٤ - الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ ( ٢٧ ) حسن

١٥ - المعجم الصغير للطبراني ( ٧٢٤ ) صحيح لغيره

١٦ - شَرْحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ ( ١٢٨ ) حسن لغيره

١٧ - الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ ( ٧٩٨٠ ) حسن

١٨ - السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ ( ٥٧ ) حسن

إِنِّي لَكَارِهِ لَأَعْمَالِهِمْ ، وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ خَيْرٌ  
مِنَ الْفُجُورِ وَالْمَعْصِيَةِ " السُّنَّةُ لِلْمَرْوَزِيِّ<sup>١٩</sup>

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " تَفَرَّقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى اثْنَتَيْنِ  
وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى مَا تَفَرَّقَتْ عَلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَزِيدُ فِرْقَةً ، كُلُّهَا فِي  
النَّارِ إِلَّا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ " قَالُوا : يَا أَبَا أُمَامَةَ ، أَلَيْسَ فِي السَّوَادِ الْأَعْظَمِ مَا فِيهِ . قَالَ :  
وَاللَّهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ مَا يَعْمَلُونَ . " أَخْبَارُ أَصْبَهَانَ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ<sup>٢٠</sup>

وَعَنْ أَبِي غَالِبٍ ، قَالَ : كُنْتُ بِدِمَشْقَ زَمَنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَجِئْتُ بِرُؤُوسِ الْخَوَارِجِ فَصَبَّتْ  
عَلَى أَعْوَادٍ ، فَجِئْتُ لَأَنْظُرَ فِيهَا ، فَإِذَا أَبُو أُمَامَةَ عِنْدَهَا فَذَنُوتُ فَظَنَرْتُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : "   
كِتَابُ النَّارِ " - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - " شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ ، وَمَنْ قَتَلُوهُ خَيْرُ قَتْلَى  
تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ " . قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ اسْتَبَكَيْ فَقُلْتُ : " يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا الَّذِي  
يُنْكِيكَ ؟ " ، قَالَ : " كَانُوا عَلَى دِينِنَا " . فَذَكَرَ مَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : " شَيْءٌ  
تَقُولُهُ بِرَأْيِكَ أَمْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ " قَالَ : إِنِّي إِذَا لَجَرِيءٌ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ  
- " لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا " - إِلَى السَّبْعِ - " لَمَا  
حَدَّثْتُكُمْوهُ ، أَمَا تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ : يَوْمَ تَبَيَضُ وَجُوهٌ وَتَسْوَدُ وَجُوهٌ إِلَى آخِرِ  
الْآيَةِ ، ثُمَّ قَالَ : " اخْتَلَفَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، سَبْعُونَ فِرْقَةً فِي النَّارِ  
وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَاخْتَلَفَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَاحِدَةٌ وَسَبْعُونَ فِي  
النَّارِ وَفِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَ : تَخْتَلِفُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، اثْنَتَانِ  
وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ " . قُلْنَا : انْعَمْتُمْ لَنَا قَالَ : " السَّوَادُ الْأَعْظَمُ " شَرُّ  
أُصُولِ الْإِعْتِقَادِ<sup>٢١</sup>

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ صُدْيُ بْنُ عَجْلَانَ ، وَكَانَ أَحَدَ بَاهِلَةٍ ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِحِمَصَ  
، فَالْتَقَيْتُ أَنَا وَهُوَ وَقَدْ جِئْتُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ رَأْسٍ مِنْ رُءُوسِ الْأَزَارِقَةِ ، فَصَبَّتْ عَلَى دَرَجٍ

<sup>١٩</sup> - السُّنَّةُ لِلْمَرْوَزِيِّ (٤٢) حسن

<sup>٢٠</sup> - أَخْبَارُ أَصْبَهَانَ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (١٠٧٧) حسن

<sup>٢١</sup> - شَرُّ أُصُولِ الْإِعْتِقَادِ (١٣١) حسن

الْمَسْجِدَ ، فَخَرَجَ ، فَلَمَّا رَأَى الرُّؤُوسَ ، قَالَ : " يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا يَعْمَلُ الشَّيْطَانُ بِأَهْلِ  
 الْإِسْلَامِ " . ثُمَّ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : " كِلَابُ النَّارِ ، كِلَابُ النَّارِ " . قُلْتُ : " يَا أَبَا  
 أُمَامَةَ هَؤُلَاءِ هُمْ ؟ " قَالَ : " نَعَمْ " . قُلْتُ : " شَيْءٌ تَقُولُهُ ، أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ  
 اللَّهِ ﷺ ؟ " قَالَ : " إِنِّي إِذَا لَجَرِيءٌ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " وَأَهْوَى بِأَصْبَعِهِ بِأُذُنَيْهِ ،  
 " لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا " ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَارٍ بِيَدِهِ ، " لَمَّا تَكَلَّمْتُ ،  
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " تَفَرَّقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ ، وَأُمَّتِي تَزِيدُ  
 عَلَيْهَا ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ " شَرَحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ ٢٢

وَعَنْ أَبِي خَلْفٍ الْمَكْفُوفِ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ  
 اللَّهِ ﷺ : " إِنْ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى الضَّلَالَةِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ الْإِخْتِلَافَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ  
 " شَرَحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ ٢٣

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يَجْمَعُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلَى ضَلَالَةٍ  
 أَبَدًا " . قَالَ : " يَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ ، فَاتَّبِعُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَدِّ شَدِّ فِي النَّارِ  
 " شَرَحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ ٢٤

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " افْتَرَقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ  
 وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، نَجَا مِنْهَا ثَلَاثٌ وَهَلَكَ سَائِرُهَا " السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ . ٢٥  
 وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ  
 وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، لَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا ثَلَاثٌ " السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ ٢٦

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ : " أَصُولُ الْبِدْعِ أَرْبَعٌ : الرِّوَاغُ ، وَالْخَوَارِجُ ، وَالْقَدَرِيَّةُ ،  
 وَالْمُرْجِيَّةُ ، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ طَائِفَةً ، فَتِلْكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً ، وَالثَّلَاثَةُ  
 وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنَّهَا النَّاجِيَةُ " الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ ٢٧

٢٢ - شَرَحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ ( ١٣٢ ) حَسَن

٢٣ - شَرَحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ ( ١٣٣ ) صَحِيحٌ لغيره

٢٤ - شَرَحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ ( ١٣٤ ) صَحِيحٌ

٢٥ - السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ ( ٥٩ ) صَحِيحٌ

٢٦ - السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ ( ٦٠ ) صَحِيحٌ لغيره

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا قَالَ فِيهِ : وَحَدَّثَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْأَمَمِ فَقَالَ : " تَفَرَّقَتْ أُمَّةٌ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، سَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَتَفَرَّقَتْ أُمَّةٌ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، إِحْدَى وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ " وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَتَعْلُوا أُمَّتِي عَلَى الْفِرَقَتَيْنِ جَمِيعًا بِمِلَّةٍ وَاحِدَةٍ ، اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي النَّارِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ " ، قَالُوا : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " الْجَمَاعَةُ " قَالَ يَعْقُوبُ بْنُ زَيْدٍ : فَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَلَا فِيهِ قُرْآنًا وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ثُمَّ ذَكَرَ أُمَّةَ عِيسَى فَقَرَأَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ، مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ قَالَ : ثُمَّ ذَكَرَ أُمَّتَنَا فَقَرَأَ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ " الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ<sup>٢٧</sup>

وَعَنْ مُحَمَّدٍ يَعْنِي ابْنَ سِيرِينَ قَالَ : كَانُوا يَقُولُونَ : " إِذَا كَانَ الرَّجُلُ عَلَى الْإِثْرِ فَهُوَ عَلَى الطَّرِيقِ " الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ<sup>٢٨</sup>

وَعَنْ الْحَسَنِ قَالَ : " سُنَّتُكُمْ - وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بَيْنَهُمَا : بَيْنَ الْعَالِي وَالْجَافِي ، فَاصْبِرُوا عَلَيْهَا رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ كَانُوا أَقَلَّ النَّاسِ فِيمَا مَضَى ، وَهُمْ أَقَلُّ النَّاسِ فِيمَا بَقِيَ : الَّذِينَ لَمْ يَذْهَبُوا مَعَ أَهْلِ الْإِثْرِافِ فِي إِثْرَافِهِمْ ، وَلَا مَعَ أَهْلِ الْبِدْعِ فِي بِدْعِهِمْ ، وَصَبِرُوا عَلَى سُنَّتِهِمْ حَتَّى لَقُوا رَبَّهُمْ فَكَذَّاكُم - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَكُونُوا " سُنَنِ الدَّارِمِيِّ<sup>٢٩</sup> وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَوَقَعَ حُبُّهُ فِي قَلْبِي ، فَلَزِمْتُهُ حَتَّى وَارَيْتُهُ فِي الثَّرَابِ بِالشَّامِ ، ثُمَّ لَزِمْتُ أَفْقَهُ النَّاسِ بَعْدَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، فَذَكَرَ يَوْمًا عِنْدَهُ تَأْخِيرُ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا ، فَقَالَ : " صَلُّوْهَا فِي بُيُوتِكُمْ ،

<sup>٢٧</sup> - الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ ( ٢٠ ) صحيح

<sup>٢٨</sup> - الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ ( ٢٥ ) فيه لين

<sup>٢٩</sup> - الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ ( ٣٠ ) صحيح - الأثر : هدي النبي والسلف الصالح

<sup>٣٠</sup> - سُنَنِ الدَّارِمِيِّ ( ٢٢٣ ) حسن مقطوع

وَاجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ سُبْحَةً " . قَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ : " فَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : " وَكَيْفَ لَنَا بِالْجَمَاعَةِ ؟ " فَقَالَ لِي : " يَا عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ ، إِنَّ جُمْهُورَ الْجَمَاعَةِ هِيَ الَّتِي تُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ ، إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ " شَرْحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ<sup>٣١</sup>

وَعَنْ عَمْرُو بْنِ مَيْمُونٍ ، قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْيَمَنِ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا ، إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ فَوَقَّعْتُ لَهُ فِي قَلْبِي مَحَبَّةً ، فَلَمْ أَفَارِقْهُ حَتَّى مَاتَ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بَكَيتُ ، فَقَالَ لِي : مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقُلْتُ : أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ أَبْكِي إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي يَذْهَبُ مَعَكَ ، قَالَ : إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ثَابِتَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَالْتَمِسِ الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةٍ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَإِنَّهُ عَاشِرُ عَشْرَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَلْمَانَ الْخَيْرِ ، وَعُؤَيْمِرُ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَلَحَقْتُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَأَمَرَنِي بِمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ " صَلِّ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلَتْهَا وَاجْعَلْ صَلَاتَهُمْ تَسْبِيحًا " فَذَكَرْتُ فَضِيلَةَ الْجَمَاعَةِ فَضَرَبَ عَلَيَّ فَخِذِي وَقَالَ : وَيْحَكَ إِنَّ الْجَمَاعَةَ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللَّهِ " مُسْنَدُ الشَّامِيِّ لِلطَّبْرَانِيِّ<sup>٣٢</sup>

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : " الْجَمَاعَةُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ ، وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ " وَفِي رَوَايَةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : الْجَمَاعَةُ أَهْلُ الْحَقِّ ، وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ " الْفَقِيهُ وَالْمُتَّفَقُ لِلْخَطِيبِ الْبُعْدَايِيِّ<sup>٣٣</sup>

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ : " الْجَمَاعَةُ : هُوَ الْحَقُّ ، وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ " الْفَقِيهُ وَالْمُتَّفَقُ لِلْخَطِيبِ الْبُعْدَايِيِّ<sup>٣٤</sup>

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ : " وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي كِتَابِ الْمَدْخَلِ وَغَيْرِهِ أَنَّ الْخِلَافَ الْمَذْمُومَ مَا خُولِفَ فِيهِ كِتَابٌ أَوْ سُنَّةٌ صَحِيحَةٌ أَوْ إِجْمَاعٌ ، أَوْ مَا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ وَذَلِكَ كَخِلَافِ

٣١ - شَرْحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ ( ١٣٩ ) حَسَنٌ لَغِيرِهِ

السَّبْحَةُ : صَلَاةُ النَّافِلَةِ وَمَا يَتَطَوَّعُ الْمُؤْمِنُ بِالْقِيَامِ بِهِ تَقَرُّبًا لِلَّهِ تَعَالَى

٣٢ - مُسْنَدُ الشَّامِيِّ لِلطَّبْرَانِيِّ ( ٢١٥ ) حَسَنٌ لَغِيرِهِ

٣٣ - الْفَقِيهُ وَالْمُتَّفَقُ لِلْخَطِيبِ الْبُعْدَايِيِّ ( ١١٧١ ) صَحِيحٌ

٣٤ - الْفَقِيهُ وَالْمُتَّفَقُ لِلْخَطِيبِ الْبُعْدَايِيِّ ( ١١٧٢ ) صَحِيحٌ

مَنْ خَالَفَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِيمَا أَشْرَنَّا إِلَيْهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَقَدْ جَاءَ الْكِتَابُ ثُمَّ السُّنَّةُ ثُمَّ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ بِإِثْبَاتِ مَا أُثْبِتْنَاهُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرُؤْيَيْهِ وَشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَمَنْ نَفَاهُ وَاخْتَلَفَ فِيهِ كَانَ ذَلِكَ اخْتِلَافًا بَعْدَ مَجِيءِ الْبَيِّنَةِ ، وَرَدُّ مَنْ رَدَّ مَا وَرَدَ فِيهِ مِنْ السُّنَّةِ الثَّابِتَةِ جِهَالَةً مِنْهُ بِلُزُومِهِ اتِّبَاعَ مَا بَلَغَهُ مِنْهُ ، وَتَأْوِيلُ مَنْ تَأَوَّلَ مَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْكِتَابِ غَيْرَ سَائِعٍ فِي الشَّرِيعَةِ ، فَلَا وَجْهَ لتركِ الظَّاهِرِ إِلَّا بِمِثْلِهِ أَوْ بِمَا هُوَ أَقْوَى مِنْهُ وَاللَّهُ يَعَصِمُنَا مِنْ ذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ ، وَيُسَبِّهُ أَنْ يَكُونَ اخْتِلَافُ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ أُرِيدَ بِمَا رُؤِينَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالَّذِي يُؤَكِّدُهُ مَا رُويَ فِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ : كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ . وَفِي حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ : إِلَّا وَاحِدَةً الْإِسْلَامُ وَجَمَاعَتُهُمْ . وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو : إِلَّا وَاحِدَةً ، مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي . وَإِنَّمَا اجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ عَلَى مَسَائِلِ الْأُصُولِ فَإِنَّهُ لَمْ يَرَوْا عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خِلَافَ مَا أَشْرَنَّا إِلَيْهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَأَمَّا مَسَائِلُ الْفُرُوعِ فَمَا لَيْسَ فِيهِ نَصٌّ كِتَابٍ وَلَا نَصٌّ سُنَّةٍ فَقَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى بَعْضِهِ وَاخْتَلَفُوا فِي بَعْضِهِ ، فَمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ لَيْسَ لِأَحَدٍ مُخَالَفَتُهُمْ فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ فَصَاحِبُ الشَّرْعِ هُوَ الَّذِي سَوَّغَ لَهُمْ هَذَا التَّنَوُّعَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ حَيْثُ أَمَرَهُمُ بِالِاسْتِنْبَاطِ وَبِالْاجْتِهَادِ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ ، وَجَعَلَ لِلْمُصِيبِ مِنْهُمْ أَجْرَيْنِ وَلِلْمُخْطِئِ مِنْهُمْ أَجْرًا وَاحِدًا ، وَذَلِكَ عَلَى مَا يُحْتَمَلُ مِنَ الْاجْتِهَادِ ، وَرَفَعَ عَنْهُ مَا أَخْطَأَ فِيهِ " ٣٥

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وكان محمد بن أسلم الطوسي الإمام المتفق على إمامته مع رتبته أتبع الناس للسنة في زمانه، حتى قال: ما بلغني سنة عن رسول الله ﷺ؛ إلا عملت بها، ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكبا فما مكنت من ذلك، فسئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذين جاء فيهم الحديث: «إذا اختلف الناس؛ فعليكم بالسواد الأعظم». فقال: محمد بن أسلم الطوسي هو السواد الأعظم".

٣٥ - الاعتقاد للبيهقي (٢١٦)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وصدق والله؛ فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسنة داع إليها؛ فهو الحجة وهو الإجماع وهو السواد الأعظم، وهو سبيل المؤمنين التي من فارقتها واتبع سواها ولاه الله ما تولى، وأصله جهنم وساءت مصيرا". انتهى<sup>٣٦</sup>.

وعن مُحَمَّد بن الْقَاسِم الطُّوسِيّ خَادِم مُحَمَّد بن أَسْلَم، سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بنَ رَاهُوِيَه يَقُولُ فِي حَدِيث: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ - عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْاِخْتِلَافَ، فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ).

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا يَعْقُوبَ، مَنْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ بنُ أَسْلَمٍ وَأَصْحَابُهُ، وَمَنْ تَبِعَهُ.

ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقُ: لَمْ أَسْمَعْ عَالِمًا مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً كَانَ أَشَدَّ تَمَسُّكًا بِآثَرِ النَّبِيِّ ﷺ - مِنْ مُحَمَّدٍ بنِ أَسْلَمٍ.

قَالَ مُحَمَّدٌ بنُ الْقَاسِمِ: وَسَمِعْتُ أَبَا يَعْقُوبَ المَرْوَزِيَّ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهُ: قَدْ صَحِبْتَ مُحَمَّدَ بنَ أَسْلَمٍ، وَأَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ، أَيُّهُمَا كَانَ أَرْجَحَ وَأَكْبَرَ وَأَبْصَرَ بِالْدِّينِ؟

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، لِمَ تَقُولُ هَذَا؟ إِذَا ذَكَرْتُ مُحَمَّدًا فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ، فَلَا تَقْرُنْ مَعَهُ أَحَدًا: الْبَصْرُ بِالْدِّينِ، وَاتِّبَاعُ الْأَثَرِ، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَفَصَاحَتُهُ بِالْقُرْآنِ وَالنَّحْوِ.<sup>٣٧</sup>

قَالَ مُحَمَّدٌ بنُ الْقَاسِمِ: وَدَخَلْتُ عَلَى ابْنِ أَسْلَمٍ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ بَنِيْسَابُورَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، تَعَالَ أَبَشِّرْكَ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ بِأَخِيكَ مِنَ الْخَيْرِ، قَدْ نَزَلَ بِي الْمَوْتُ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ أَنَّهُ مَا لِي دِرْهَمٌ يُحَاسِنُنِي اللَّهُ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: أَغْلِقِ الْبَابَ، وَلَا تَأْذَنْ لِأَحَدٍ حَتَّى أَمُوتَ، وَتَدْفِنُونِ كُنُيَّي، وَأَعْلَمُ أَنِّي أَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ أَدْعُ مِيرَاثًا غَيْرَ كِسَائِي وَلِبْدِي وَإِنَائِي الَّذِي أَتَوَضَّأُ فِيهِ وَكُنُيَّي هَذِهِ، فَلَا تُكَلِّفُوا النَّاسَ مُؤَنَّةً.

وَكَانَ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا نَحْوُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا، فَقَالَ: هَذَا لِابْنِي، أَهْدَاهُ قَرِيبٌ لِي، وَلَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَحَلَّ لِي مِنْهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ: (أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبْنِكَ).

وَقَالَ: (أَطِيبُ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ).

<sup>٣٦</sup> - موسوعة كتب ابن القيم - (٦٣ / ٥)

<sup>٣٧</sup> - سير أعلام النبلاء (١٩٧/١٢)



فَكَفَّنُونِي مِنْهَا، فَإِنْ أَصَبْتُمْ لِي بِعَشْرَةٍ مَا يَسْتُرْ عَوْرَتِي، فَلَا تَشْتَرُوا بِخَمْسَةِ عَشَرَ، وَابْسُطُوا عَلَى حِزَانَتِي لِبَدِي، وَغَطُّوا عَلَيْهَا كِسَائِي، وَأَعْطُوا إِنَائِي مِسْكِينًا.

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ كَتَبُوا رَأْيِي فُلَانٌ، وَكَتَبْتُ أَنَا الْآخَرُ، فَأَنَا عَنْدهُمْ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، وَهُمْ عِنْدِي عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، أَصِلُ الْفَرَائِضَ فِي حَرْفَيْنِ: مَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: افْعَلْ، فَهُوَ فَرِيضَةٌ، يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ، وَمَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: لَا تَفْعَلْ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُنْتَهَى عَنْهُ، وَتَرَكُهُ فَرِيضَةً. وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ، وَفِي فَرِيضَةِ النَّبِيِّ ﷺ - وَهُمْ يَقْرَأُونَهُ، وَلَكِنْ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ، قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا.

صَحِبْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً، لَمْ أَرَهُ يُصَلِّي حَيْثُ أَرَاهُ رَكَعَتَيْنِ مِنَ التَّطَوُّعِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

وَسَمِعْتُهُ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً يَحْلِفُ: لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَتَطَوَّعَ حَيْثُ لَا يَرَانِي مَلَكَائِي، لَفَعَلْتُ خَوْفًا مِنَ الرَّبِّاءِ. وَكَانَ يَدْخُلُ بَيْتًا لَهُ، وَيُعَلِّقُ بَابَهُ، وَلَمْ أَدْرِ مَا يَصْنَعُ، حَتَّى سَمِعْتُ ابْنًا لَهُ صَغِيرًا يَحْكِي بُكَاءَهُ، فَتَهْتَهُ أُمُّهُ، فَقُلْتُ لَهَا: مَا هَذَا؟

قَالَتْ: إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ يَدْخُلُ هَذَا الْبَيْتَ، فَيَقْرَأُ، وَيَبْكِي، فَيَسْمَعُهُ الصَّبِيُّ، فَيَحْكِيهِ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، غَسَلَ وَجْهَهُ، وَاکْتَحَلَ، فَلَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ الْبُكَاءِ.

وَكَانَ يَصِلُ قَوْمًا، وَيَكْسُوهُمْ، وَيَقُولُ لِلرَّسُولِ: انْظُرْ أَنْ لَا يَعْلَمُوا مَنْ بَعَثَهُ، وَلَا أَعْلَمُ - مِنْذُ صَحَبْتُهُ - وَصَلَ أَحَدًا بِأَقْلٍ مِنْ مِائَةِ دِرْهَمٍ، إِلَّا أَنْ لَا يُمَكِّنَهُ ذَلِكَ. وَكَانَ يَقُولُ لِي: اشْتَرِ لِي شَعِيرًا أَسْوَدَ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلَيَّ الْكَنِيفَ، وَلَا تَشْتَرِ لِي إِلَّا مَا يَكْفِينِي يَوْمًا بِيَوْمٍ.

وَاشْتَرَيْتُ لَهُ مَرَّةً شَعِيرًا أَبْيَضَ، وَنَقِيتُهُ، وَطَحْنْتُهُ، فَرَأَاهُ، فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَقَالَ: إِنْ كُنْتَ تَنَوَّقْتَ فِيهِ، فَأَطْعَمَهُ نَفْسَكَ، لَعَلَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَعْمَالًا تَحْتَمِلُ أَنْ تُطْعِمَ نَفْسَكَ النَّقِيَّ، وَأَمَّا أَنَا، فَقَدْ سَرْتُ فِي الْأَرْضِ، وَدُرْتُ فِيهَا، فَبِاللَّهِ مَا رَأَيْتُ نَفْسًا تُصَلِّي أَشَرَّ عِنْدِي مِنْ نَفْسِي، فِيمَا أَحْتَجُّ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ أَطْعَمْتُهَا النَّقِيَّ؟! خُذْ هَذَا الطَّعَامَ، وَاشْتَرِ لِي كُلَّ يَوْمٍ بِقِطْعَةٍ شَعِيرًا رَدِيئًا،

وَأَشْتَرِ لِي رَحَى، فَجَنَنْي بِهِ حَتَّى أَطْحَنَ يَدَيَّ وَأَكُلَهُ، لَعَلِّي أَبْلُغُ مَا كَانَ فِيهِ عَلَيَّ وَفَاطِمَةُ  
-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-<sup>٣٨</sup>.

وجزم البخاري في (كتاب الاعتصام) من "صحيحه" أن الجماعة التي أمر النبي ﷺ  
بلزومها هم أهل العلم<sup>٣٩</sup>.

وقال أبو شامة في كتاب "الباعث على إنكار البدع والحوادث": "وحيث جاء الأمر  
بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف  
كثيرا، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم  
ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم"<sup>٤٠</sup>.

وقد وصفت الفرقة الناجية في الأحاديث التي تقدم ذكرها بثلاث صفات:  
إحداها: أنهم الجماعة.

الثانية: أنهم السواد الأعظم.

الثالثة: أنهم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين،  
وهذه الصفة تبين المراد من الصفتين قبلها وتدل على أن أهل الحق هم الجماعة والسواد  
الأعظم من كانوا وأين كانوا، ولو كانوا من أقل الناس. والله أعلم.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ فِي أُمَّتِي لَنَيْفًا وَسَبْعِينَ ذَاعِيًا  
كُلُّهُمْ دَاعٍ إِلَى التَّارِ، لَوْ أَشَاءُ لَأَنْبَأْتُكُمْ بِأَبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ" مُسْنَدُ أَبِي يَعْلَى الْمُوصِلِيِّ<sup>٤١</sup>  
وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ: وَذَكَرَ فِي حَدِيثٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ  
لِيَجْمَعْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْإِخْتِلَافَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ" فَقَالَ رَجُلٌ  
: يَا أَبَا يَعْقُوبَ مِنَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ بْنُ أَسْلَمَ وَأَصْحَابُهُ وَمَنْ تَبِعَهُ، ثُمَّ قَالَ  
سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ الْمُبَارَكِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ؟ قَالَ: أَبُو حَمْزَةَ

<sup>٣٨</sup> = سير أعلام النبلاء (٢٠٠/١٢)

<sup>٣٩</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ١٠ - باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ  
عَلَى الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ » . وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ . ( ١١ )

<sup>٤٠</sup> - الباعث على إنكار البدع ص ٢٢

<sup>٤١</sup> - مُسْنَدُ أَبِي يَعْلَى الْمُوصِلِيِّ ( ٥٥٧٠ ) ضعيف

السُّكُونِي . ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَعْنِي أَبَا حَمْرَةَ ، وَفِي زَمَانِنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ وَمَنْ تَبِعَهُ . ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقُ : لَوْ سَأَلْتَ الْجُهَّالَ مِنَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ؟ قَالُوا : جَمَاعَةُ النَّاسِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْجَمَاعَةَ عَالِمٌ مُتَمَسِّكٌ بِأَثَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَطَرِيقِهِ ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ وَتَبِعَهُ فَهُوَ الْجَمَاعَةُ ، وَمَنْ خَالَفَهُ فِيهِ تَرَكَ الْجَمَاعَةَ . ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقُ : لَمْ أَسْمَعْ عَالِمًا مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَسَمِعْتُ أَبَا يَعْقُوبَ الْمُرُوزِيَّ بَعْدَ ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ صَحِبْتَ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ ، وَصَحِبْتَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ أَيُّ الرَّجُلَيْنِ كَانَ عِنْدَكَ أَرْجَحُ أَوْ أَكْثَرُ أَوْ أَبْصَرُ بِالَّذِينَ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لِمَ تَقُولُ هَذَا ، إِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فَلَا تَقْرُنْ مَعَهُ أَحَدًا : الْبَصْرُ بِالَّذِينَ ، وَاتِّبَاعُ أَثَرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنْيَا ، وَفَصَاحَةُ لِسَانِهِ بِالْقُرْآنِ وَالنَّحْوِ . ثُمَّ قَالَ لِي : نَظَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الَّذِي وَضَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ ، فَتَعَجَّبَ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا يَعْقُوبَ رَأَيْتُ عَيْنَاكَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ . فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ لَا يُعْلَظُ رَأْيُ مُحَمَّدٍ مِنْ أَسْتَاذِيهِ وَرِجَالِهِ مِثْلُهُ ، فَتَفَكَّرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : لَا قَدْ رَأَيْتُهُمْ وَعَرَفْتُهُمْ فَلَمْ أَرِ فِيهِمْ عَلَى صِفَةِ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : وَسَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى عَنْ سِتِّ مَسَائِلَ فَأَفْتَنِي فِيهَا ، وَقَدْ كُنْتُ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ أَفْتَى فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ اِحْتِجَّ فِيهَا بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَخْبَرْتُ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى بِفُتْيَا مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ فِيهَا ، فَقَالَ : يَا بَنِي أَطِيعُوا أَمْرَهُ وَخُذُوا بِقَوْلِهِ فَإِنَّهُ أَبْصَرُ مِنَّا . أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَحْتِجُّ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ ؟ وَلَيْسَ ذَاكَ عِنْدَنَا . قَالَ : سَمِعْتُ شَيْخًا ، مِنْ أَهْلِ مَرَوْ يُكْنَى بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ صَحِبْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ وَوَكَيْعًا وَكَانَ صَدِيقًا لِيَحْيَى بْنَ يَحْيَى وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ ، وَكَانَ صَاحِبَ عِلْمٍ فَأَخْبَرَنِي قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قَدْ رَأَيْتَ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ وَصَحِبْتَ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهُوَيْهِ فَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَبْصَرُ عِنْدَكَ وَأَرْجَحُ ؟ فَقُلْتُ : يَا أَبَا زَكَرِيَّا مَا لَكَ إِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ تَذْكُرُ مَعَهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ وَغَيْرَهُ ، قَدْ صَحِبْتُ وَكَيْعًا سَتَيْنِ وَأَشْهُرًا وَصَحِبْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ وَلَمْ أَرِ يَوْمًا وَاحِدًا لَهُمْ مِنَ الشَّمَائِلِ مَا لِمُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ . ثُمَّ قُلْتُ : إِنَّمَا يُعْرِفُ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ ، رَجُلٌ بَصِيرٌ بِالْعِلْمِ قَدْ عَرَفَ الْحَدِيثَ ، يَنْظُرُ فِي شَمَائِلِ هَذَا الرَّجُلِ فَيَعْلَمُ بِأَيِّ حَدِيثٍ يَعْمَلُ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ الْيَوْمَ ، غَرِيبٌ فِي

هَذَا الْخُلُقِ لِأَنَّهُ يَعْمَلُ بِمَا عَمِلَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مُنْكَرٌ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا أَحَدًا يَعْمَلُ بِهِ فَلَا يَعْرِفُهُ إِلَّا بَصِيرٌ . فَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى صَدَقْتَ هُوَ كَمَا تَقُولُ فَمَنْ مِثْلُهُ الْيَوْمَ . قَالَ : وَسَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهُويَةَ ذَاتَ يَوْمٍ رَوَى فِي تَرْجِيْعِ الْأَذَانِ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً ثُمَّ رَوَى حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، وَقَدْ أَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ النَّاسَ بِالْتَّرْجِيْعِ فَقُلْتُمْ هَذَا مُبْتَدِعٌ ، عَامَّةُ أَهْلِ هَذِهِ الْكُورَةِ غَوْغَاءُ ، ثُمَّ قَالَ : احْذَرُوا الْعَوْغَاءَ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَتَلْتَهُمُ الْعَوْغَاءُ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا يَعْقُوبَ ، حَدَّثْتَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كُلَّهَا فِي التَّرْجِيْعِ فَمَا لَكَ لَا تَأْمُرُ مُؤَدِّكَ ؟ قَالَ : يَا مُغْفَلُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قُلْتُ فِي الْعَوْغَاءِ لَأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ ، فَأَمَّا أَمْرُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْلَمَ فَإِنَّهُ يَتِمَادِي كُلَّمَا أَخَذَ فِي شَيْءٍ تَمَّ لَهُ وَنَحْنُ عِنْدَهُ نَمْلًا بُطُونًا لَا يَتِمُّ لَنَا أَمْرٌ نَأْخُذُ فِيهِ نَحْنُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْلَمَ مِثْلُ السَّرَّاقِ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَكَتَبَ إِلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْهِ بِحَالِ مُحَمَّدٍ بْنُ أَسْلَمَ فَإِنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ . قَالَ : وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ وَكَانَ رَحَلَ إِلَى صَدَقَةِ الْمَاوَرِدِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِمَصَدَقَةٍ : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ يَقُولُ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي ، فَقُلْتُ : إِنْ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ قَدْ وَضَعَ فِيهِ كِتَابًا . قَالَ : هُوَ مَعَكُمْ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : ائْتِنِي بِهِ . فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ قَالَ لَنَا : وَيَحْكُمُ كُنَّا نَظُنُّ أَنْ صَاحِبِكُمْ هَذَا صَبِيٌّ فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِذَا هُوَ قَدْ فَاقَ أَصْحَابَنَا ، قَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ لَوْ ضَرَبْتُ سَوَاطِينَ لَقُلْتُ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَوْ ضَرَبَ عُنُقِي لَمْ أَقُلْهُ . قَالَ : وَكُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ بْنِ نَيْسَابُورَ بَعْدَ مَا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ بِيَوْمٍ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ فِيهِمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ مَشَايِخُ وَشَبَابٌ ، وَقَالُوا : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ أَبِي النَّضْرِ وَهُوَ يَقْرَأُ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَجْتَمِعَ فَنُعَزِّيَ بَعْضَنَا بِمَوْتِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ نَعْرِفْ مِنْ عَهْدِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَجُلًا مِثْلَهُ . وَقِيلَ : لِأَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ أَلْفُ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَةُ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ ، يَقُولُ : صَالِحُهُمْ وَطَالِحُهُمْ لَمْ نَعْرِفْ لِهَذَا الرَّجُلِ نَظِيرًا ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ : يَا قَوْمُ أَصْلَحُوا سَرَائِرَكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ ، أَلَا تَرَوْنَ رَجُلًا دَخَلَ بَيْتَهُ بِطُوسٍ فَأَصْلَحَ سِرَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ، ثُمَّ نَقَلَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا فَأَصْلَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِائَةَ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ . قَالَ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَدَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ بَنِيَسَابُورَ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى أَبَشْرُكَ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ بِأَخِيكَ مِنَ الْخَيْرِ ، قَدْ نَزَلَ بِي الْمَوْتُ ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي دِرْهَمٌ يُحَاسِبُنِي اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ ضَعْفِي وَأَنِّي لَا أُطِيقُ الْحِسَابَ ، فَلَمْ يَدَعْ عِنْدِي شَيْئًا يُحَاسِبُنِي بِهِ اللَّهُ . ثُمَّ قَالَ : أَغْلِقِ الْبَابَ وَلَا تَأْذَنْ لِأَحَدٍ عَلَيَّ حَتَّى أَمُوتَ وَتَدْفِنُونِ كُتُبِي ، وَاعْلَمْ أَنِّي أَخْرَجُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ أَدْعُ مِيرَاثًا غَيْرَ كُتُبِي وَكِسَائِي وَلِبَدِي وَإِنَائِي الَّذِي أَتَوَضَّأُ مِنْهُ وَكُتُبِي هَذِهِ فَلَا تُكَلِّفُوا النَّاسَ مُؤَنَّةً . وَكَأَنَتْ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا نَحْوُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا ، فَقَالَ : هَذَا لِابْنِي أَهْدَاهُ إِلَيْهِ قَرِيبٌ لَهُ ، وَلَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَحِلَّ لِي مِنْهُ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ " . وَقَالَ : " أَطِيبُ مَا يَأْكُلُ الرَّجُلُ مِنْ كِسْبِهِ وَوَلَدُهُ مِنْ كِسْبِهِ " . فَكَفَّنُونِي فِيهَا : فَإِنْ أَصَبْتُمْ إِلَيَّ بَعْشَرَةَ دَرَاهِمٍ مَا يَسْتُرُ عَوْرَتِي فَلَا تَشْتَرُوا بِخَمْسَةِ عَشَرَ وَأَبْسِطُوا عَلَى جِنَازَتِي لِبَدِي وَغَطُّوا عَلَى جِنَازَتِي كِسَائِي ، وَلَا تُكَلِّفُوا أَحَدًا لِيَأْتِيَ جِنَازَتِي وَتَصَدَّقُوا بِإِنَائِي أَعْطُوهُ مَسْكِينًا يَتَوَضَّأُ مِنْهُ . ثُمَّ مَاتَ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ . فَعَجِبْتُ أَنْ قَالَ لِي ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَلَمَّا أَخْرَجَتْ جِنَازَتُهُ جَعَلَ النَّسَاءُ يَقْلَنَ مِنْ فَوْقِ السُّطُوحِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الْعَالَمُ الَّذِي خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَهَذَا مِيرَاثُهُ الَّذِي عَلَى جِنَازَتِهِ لَيْسَ مِثْلُ عُلَمَائِنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ عَبِيدُ بَطُونِهِمْ ، يَجْلِسُ أَحَدُهُمْ لِلْعِلْمِ سَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَيَشْتَرِي الضِّيَاعَ وَيَسْتَفِيدُ الْمَالَ . وَقَالَ لِي مُحَمَّدٌ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنَا مَعَكَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مَعِيَ فِي قَمِيصِي مَنْ يَشْهَدُ عَلَيَّ فَكَيْفَ يَتَّبِعِي لِي أَنْ أَتِيَ الذُّنُوبَ إِنَّمَا يَعْمَلُ الذُّنُوبَ جَاهِلٌ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى أَحَدًا فَيَقُولُ : لَيْسَ يَرَانِي أَحَدٌ أَذْهَبُ فَأُذْنِبُ . فَأَمَّا أَنَا كَيْفَ يُمَكِّنُنِي ذَلِكَ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ دَاخِلَ قَمِيصِي مَنْ يَشْهَدُ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا لِي وَلِهَذَا الْخُلُقِ ، كُنْتُ فِي صُلْبِ أَبِي وَحْدِي ، ثُمَّ صِرْتُ فِي بَطْنِ أُمِّي وَحْدِي ، ثُمَّ دَخَلْتُ الدُّنْيَا وَحْدِي ، ثُمَّ تُقْبِضُ رُوحِي وَحْدِي ، وَأَدْخُلُ فِي قَبْرِي وَحْدِي ، وَيَأْتِينِي مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فَيَسْأَلَانِي فِي قَبْرِي وَحْدِي ، فَإِنْ صِرْتُ إِلَى خَيْرٍ صِرْتُ وَحْدِي وَإِنْ صِرْتُ إِلَى شَرٍّ كُنْتُ وَحْدِي ، ثُمَّ أُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَحْدِي ، ثُمَّ يُوضَعُ عَمَلِي وَذُنُوبِي فِي الْمِيزَانِ وَحْدِي ، وَإِنْ بُعِثْتُ إِلَى الْجَنَّةِ بُعِثْتُ وَحْدِي ، وَإِنْ بُعِثْتُ إِلَى النَّارِ بُعِثْتُ وَحْدِي ، فَمَا لِي وَلِلنَّاسِ . ثُمَّ تَفَكَّرَ سَاعَةً فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ الرَّعْدَةُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُسْقَطَ ثُمَّ رَجَعَتْ

إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ كَتَبُوا رَأْيَ أَبِي حَنِيفَةَ وَكَتَبْتُ أَنَا الْأَثَرُ فَأَنَا عِنْدَهُمْ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ وَهُمْ عِنْدِي عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ . وَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَصْلُ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْفَرَائِضِ ، وَهَذِهِ الْفَرَائِضُ فِي حَرْفَيْنِ : مَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَفْعَلُ فَهُوَ فَرِيضَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يُفْعَلَ ، وَمَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَا تَفْعَلْ فَيَنْبَغِي أَنْ يُنْتَهَى عَنْهُ فَتَرْكُهُ فَرِيضَةٌ . وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ وَفِي فَرِيضَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ يَقْرَأُونَهُ وَلَكِنْ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ ، قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا . حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ، فَقَالَ : " هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ " ثُمَّ خَطَّ خَطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ : " هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ " ثُمَّ قَرَأَ : وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : " إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَأُمَّتِي تَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : " مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي " . فَرَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى وَاحِدٍ وَالسَّبِيلُ الَّذِي قَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَالَّذِي قَالَ : " مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي " فَدِينُ اللَّهِ فِي سَبِيلٍ وَاحِدٍ فَكُلُّ عَمَلٍ أَعْمَلُهُ أَعْرِضُهُ عَلَى هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ فَمَا وَافَقَهُمَا عَمَلُهُ وَمَا خَالَفَهُمَا تَرَكْتُهُ ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ فَعَلُوا لَكَانُوا عَلَى أَثَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَكِنَّهُمْ فَتَنَهُمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَشَهْوَةُ الْمَالِ ، وَلَوْ كَانَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الَّذِي قَالَ : " كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً " قَالَ : كُلُّهَا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا وَاحِدَةً لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْ بَيَّنَّ عَلَيْنَا فِي خُشُوعِنَا وَهُمُومِنَا وَجَمِيعِ أُمُورِنَا خَوْفًا أَنْ نَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْوَاحِدَةِ فَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ : " كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً " قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : صَحِبْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَسْلَمَ نَيْفًا وَعِشْرِينَ سَنَةً لَمْ أَرَهُ يُصَلِّي حَيْثُ أَرَاهُ رَكَعَتَيْنِ مِنَ التَّطَوُّعِ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَا يُسَبِّحُ وَلَا يَقْرَأُ حَيْثُ أَرَاهُ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدًا أَعْلَمُ بِسِرِّهِ وَعِلَانِيَتِهِ مِنِّي . وَسَمِعْتُهُ يَخْلِفُ كَذَا مَرَّةً أَنْ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَتَطَوَّعَ حَيْثُ لَا يَرَانِي مَلَكَائِي لَفَعَلْتُ وَلَكِنْ لَا أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ الرِّيَاءِ لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " الْيَسِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ شَرُّكَ " ثُمَّ أَخَذَ حَجْرًا صَغِيرًا فَوَضَعَهُ عَلَى كَفِّهِ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ هَذَا حَجْرًا ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : أَوْ لَيْسَ هَذَا الْجَبَلُ حَجْرًا ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : فَالِاسْمُ يَقَعُ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ أَنَّهُ حَجَرٌ

فَكَذَلِكَ الرَّيَاءُ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ شَرُّكَ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَدْخُلُ بَيْتًا وَيُعَلِّقُ بَابَهُ وَيَدْخُلُ مَعَهُ كُوزًا مِنْ مَاءٍ ، فَلَمْ أَدْرِ مَا يَصْنَعُ حَتَّى سَمِعْتُ ابْنًا لَهُ صَغِيرًا يَبْكِي بُكَاءَهُ فَتَهْتَهُ أُمُّهُ فَقُلْتُ لَهَا : مَا هَذَا الْبُكَاءُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ يَدْخُلُ هَذَا الْبَيْتَ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَبْكِي فَيَسْمَعُهُ الصَّبِيُّ فَيَحَاكِاهُ ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ غَسَلَ وَجْهَهُ وَاسْتَحَلَّ فَلَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَ الْبُكَاءِ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ يَصِلُ قَوْمًا وَيُعْطِيهِمْ وَيَكْسُوهُمْ فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ وَيَقُولُ لِلرَّسُولِ : انْظُرْ أَنْ لَا يَعْلَمُوا مَنْ بَعَثَهُ إِلَيْهِمْ فَيَأْتِيَهُمْ هُوَ بِاللَّيْلِ فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَيْهِمْ وَيُخْفِي نَفْسَهُ فَرَبَّمَا بَلَتْ ثِيَابُهُمْ وَنَفَدَ مَا عِنْدَهُمْ وَلَا يَدْرُونَ مَنْ الَّذِي أَعْطَاهُمْ ، وَلَا أَعْلَمُ مِنْذُ صَحْبَتِهِ وَصَلَ أَحَدًا بِأَقْلٍ مِنْ مِائَةِ دِرْهَمٍ إِلَّا أَنْ لَا يُمَكِّنُهُ ذَلِكَ . وَأَكَلْتُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ ذَاتَ يَوْمٍ ثَرِيدًا فِي بَرِيدٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ مَا لَكَ تَأْتِينِي بِثَرِيدٍ بَارِدٍ هَكَذَا تَأْكُلُهُ ؟ قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي إِنَّمَا طَلَبْتُ الْعِلْمَ لِأَعْمَلُ بِهِ وَقَدْ رَوَيْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : " لَيْسَ فِي الْحَارِّ بَرَكَهٌ " وَكُنْتُ أَخْبِرُ لَهُ فَمَا تَخَلَّتْ لَهُ دَقِيقًا قَطُّ إِلَّا أَنْ أَغْضَبَهُ وَكَانَ يَقُولُ اشْتَرِ لِي شَعِيرًا أَسْوَدَ قَدْ تَرَكَهُ النَّاسُ فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْكَنِيفِ وَلَا تَشْتَرِ لِي إِلَّا مَا يَكْفِينِي يَوْمًا يَوْمٍ . وَأَرَدْتُ أَنْ أَخْرَجَ إِلَى بَعْضِ الْقُرَى وَلَا أَرْجِعُ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَاشْتَرَيْتُ لَهُ عَدْلَ شَعِيرٍ أَبْيَضَ جَيِّدًا فَتَقَيُّهُ وَطَحَنْتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ بِهِ فَقُلْتُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرَجَ إِلَى بَعْضِ الْقُرَى فَأَغِيبَ فِيهِ وَاشْتَرَيْتُ لَكَ هَذَا الطَّعَامَ لِتَأْكُلَ مِنْهُ حَتَّى أَرْجِعَ . فَقَالَ لِي : تَقَيُّهُ لِي وَجَوَدَتُهُ لِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَقَالَ : إِنْ كُنْتَ تَقَيَّدْتَ فِيهِ وَتَقَيُّهُ فَأَطْعِمَهُ نَفْسَكَ فَلَعَلَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَعْمَالًا تَحْتَمِلُ أَنْ تُطْعِمَ نَفْسَكَ النَّقِيَّ ، فَأَمَّا أَنَا فَقَدْ سِرْتُ فِي الْأَرْضِ وَدُرْتُ فِيهَا فَبِالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا رَأَيْتُ نَفْسًا تُصَلِّيَ إِلَى الْقِبْلَةِ شَرًّا عِنْدِي مِنْ نَفْسِي ، فِيمَ أَحْتَجُّ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ أُطْعِمَهَا النَّقِيَّ ، خُذْ هَذَا الطَّعَامَ وَاشْتَرِ لِي بَدْلَهُ شَعِيرًا أَسْوَدَ رَدِيًّا فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَصِيرُ إِلَى الْكَنِيفِ . ثُمَّ قَالَ : وَيَحْكُمُ أَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَ الْكَنِيفَ لَا أَعْلَمُ فِيكُمْ مَنْ يُبْصِرُ بَقْلِهِ ، لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا كَانَ يَبِيعُ بَيْعًا فَجَاءَهُ رَجُلٌ بِدَرَاهِمٍ ، فَقَالَ : أَحِبُّ أَنْ تُعْطِيَنِي مِنْ جَيِّدٍ يَبِيعُكَ فَإِنِّي أُرِيدُهُ لِلْكَنِيفِ تَضَحَّكُونَ مِنْهُ وَتَقُولُونَ : هَذَا مَجْنُونٌ فَكَيْفَ لَا تَضْحَكُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَحْفَرُوا حَفْرًا وَاجْعَلُوا فِيهَا مَاءً وَطَعَامًا وَانْظُرُوا هَلْ يَنْتَنُ فِي شَهْرٍ وَأَنْتُمْ تَجْعَلُونَهُ فِي بُطُونِكُمْ فَيَنْتَنُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَالْكَنِيفُ هُوَ الْبُطْنُ . ثُمَّ قَالَ : أَخْرَجْ وَاشْتَرِ لِي رَحَى فَجَنِّ بِهَا وَاشْتَرِ لِي

شَعِيرًا رَدِيًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ حَتَّى أَطْحَنَهُ بِيَدِي فَأَكُلُهُ لَعَلِّي أَبْلُغُ مَا كَانَ فِيهِ عَلَيَّ  
وَفَاطِمَةُ فَإِنَّهُ كَانَ يَطْحَنُ بِيَدِهِ . وَوُلِدَ لَهُ ابْنٌ فَدَفَعَ إِلَيَّ دَرَاهِمَ وَقَالَ : اشْتَرِ كَبْشَيْنِ  
عَظِيمَيْنِ وَغَالِ بِهِمَا ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَانَ أَعْظَمَ كَانَ أَفْضَلَ . اشْتَرَيْتُ لَهُ وَأَعْطَانِي عَشْرَةَ  
دَرَاهِمَ ، فَقَالَ اشْتَرِ بِهِ دَقِيقًا وَاخْبِزْهُ فَنَخَلْتُ الدَّقِيقَ وَخَبَزْتُهُ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فَقَالَ : نَخَلْتُ  
هَذَا فَأَعْطَانِي عَشْرَةَ دَرَاهِمَ أُخَرَ وَقَالَ اشْتَرِ بِهِ دَقِيقًا وَلَا تَنخُلْهُ وَاخْبِزْهُ ، فَخَبَزْتُهُ وَحَمَلْتُهُ  
إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ الْعَقِيقَةَ سُنَّةٌ وَنَخْلُ الدَّقِيقِ بَدْعَةٌ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي  
السُّنَّةِ بَدْعٌ ، فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْخُبْزُ فِي بَيْتِي بَعْدَ أَنْ يَكُونَ بَدْعٌ .<sup>٤٢</sup>



<sup>٤٢</sup> - حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ ( ١٤١٨٦ )



## المبحث الثاني

### تواتر هذا الحديث

قلت :

لا شكَّ بتواتر هذا الخبر عن النبي ﷺ ، ففي نظم المتناثر في الحديث المتواتر :  
" ١٨ ) (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وتفرق أمي على ثلاث وسبعين فرقة).

أورده في الجامع بهذا اللفظ من حديث الأربعة (١) عن أبي هريرة زاد المناوي في التيسير بأسانيد جيدة. (قلت) وأخرجه أيضاً من حديث أحمد والحاكم وأورده فيه أيضاً من حديث الترمذي (٢) عن عبد الله ابن عمرو بن العاصي بلفظ ليأتين على أمي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمي من يصنع ذلك وأن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفرق أمي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ما أنا عليه وأصحابي وأخرجه أحمد وأبو داود من حديث (٣) معاوية بن أبي سفيان بلفظ إلا أن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وأخرجه عبد بن حميد في مسنده من حديث (٤) سعد بن أبي وقاص بلفظ افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين ملة ولن تذهب الليالي ولا الأيام حتى تفترق أمي على مثلها وكل فرقة منها في النار إلا واحدة وهي الجماعة.

وأخرج الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير عن (٥) كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن مالك عن أبيه عن جده مرفوعاً ألا أن بني إسرائيل افترقت على موسى سبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم ثم أنكم تكونون على ثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة الإسلام وجماعتهم.

وأخرج أحمد عن (٦) أنس مرفوعاً أن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلك سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة وأن أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة تملك إحدى وسبعون وتخلص فرقة قيل يا رسول الله من تلك الفرقة قال الجماعة الجماعة.

وأخرج ابن أبي عاصم (٧) عن علي قال تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة وأنتم على ثلاث وسبعين فرقة وأن من أضلها وأخبثها من يتشيع أو الشيعة وحكمه الرفع.

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن (٨) قتادة قال سأل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام على كم تفرقت بنو إسرائيل قال على واحدة أو اثنتين وسبعين فرقة قال وأمتي أيضاً ستفترق مثلهم أو يزيدون واحدة كلها في النار إلا واحدة فهذا حديث كما ترى وارد من عدة طرق بألفاظ مختلفة وله ألفاظ أخرى وقد أخرجه الحاكم من عدة طرق وقال هذه أسانيد تقوم بها الحجة وقال الزين العراقي أسانيد جياذ وفي فيض القدير أن السيوطي عده من المتواتر ولم أره في الأزهار وفي شرح عقيدة السفاريني ما نصه وأما الحديث الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار فروى من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي الدرداء ومعاوية وابن عباس وجابر وأبي أمامة ووائل وعوف بن مالك وعمرو ابن عوف المزني فكل هؤلاء قالوا واحدة في الجنة وهي الجماعة ولفظ حديث معاوية ما تقدم فهو الذي ينبغي أن يعول عليه دون الحديث المكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم اهـ

يريد به حديث العقيلي وابن عدي عن أنس تفترق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا فرقة واحدة قيل يا رسول الله من هم قال الزنادقة وهم القدرية وفي لفظ تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا فرقة واحدة وهي الزنادقة وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات في كتاب السنة وتبعه في اللآلئ وقال

ابن تيمية لا أصل له بل هو موضوع كذب باتفاق أهل العلم بالحديث انظر شرح العقيدة المذكورة. "٤٣

وقد ألف أبو منصور البغدادي كتاباً كبيراً لشرح هذا الحديث وهو (( الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ))

قال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي : إِنَّهُ ﷺ لَمْ يُرِدْ بِالْفِرَقِ الْمَذْمُومَةِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي فُرُوعِ الْفِقْهِ مِنْ أَبْوَابِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَإِنَّمَا قَصَدَ بِالذَّمِّ مَنْ خَالَفَ أَهْلَ الْحَقِّ فِي أَصْلِ التَّوْحِيدِ ، وَفِي تَقْدِيرِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَفِي شُرُوطِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ، وَفِي مُوَالَاةِ الصَّحَابَةِ وَمَا جَرَى مَجْرَى هَذِهِ الْأَبْوَابِ ، فَيَرْجِعُ تَأْوِيلَ الْحَدِيثِ فِي افْتِرَاقِ الْأُمَّةِ إِلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ . ٤٤



٤٣ - نظم المتناثر - ( ١ / ٤٥ )

٤٤ - الموسوعة الفقهية الكويتية - ( ٣٢ / ١٠٥ ) وتحفة الأحوذى ٧ / ٣٩٨ ، وعون المعبود في شرح سنن أبي داود ١٢ / ٣٤٠ .

### المبحث الثالث

#### الرد على من أنكر صحة الحديث

إنَّ إنكار بعض العلماء له لا يعول عليه أصلاً كابن حزم ومَن قلده ، وما قاله القرضاوي في كتابه الصحوة الإسلامية بين التفرق المشروع والتفرق المذموم :

" وهنا إشكال أي إشكال في الحكم بافتراق الأمة أكثر مما افترق اليهود والنصارى من ناحية، وبأن هذه الفرق كلها هالكة وفي النار إلا واحدة منها. وهو يفتح باباً لأن تدَّعي كلُّ فرقة أنها الناجية، وأن غيرها هو الهالك، وفي هذا ما فيه من تمزيق للأمة وطعن بعضها في بعض، مما يضعفها جميعاً، ويقوي عدوها عليها، ويغريه بها.

ولهذا طعن العلامة ابن الوزير في الحديث عامة، وفي هذه الزيادة خاصة، لما تؤدي إليه من تضليل الأمة بعضها لبعض، بل تكفيرها بعضها لبعض.

قال رحمه الله في "العواصم" وهو يتحدث عن فضل هذه الأمة، والحذر من التورط في تكفير أحد منها، قال: وإياك والاعتزاز بـ "كلها هالكة إلا واحدة" فإنها زيادة فاسدة، غير صحيحة القاعدة، ولا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة.

قال: وعن ابن حزم: إنها موضوعة، غير موقوفة ولا مرفوعة، وكذلك جميع ما ورد في ذم القدرية والمرجئة والأشعرية، فإنها أحاديث ضعيفة غير قوية.<sup>٤٥</sup>

قلت :

بعد صحة الخبر بيقين ، فلا يقبلُ هذا الكلام منه ، فأهل مكة أدرى بشعابها ، وعامة أهل الحديث على قبوله والاحتجاج به .

قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله :

" فقد تبين بوضوح أن الحديث ثابت لا شك فيه ، ولذلك تتابع العلماء خلفاً عن سلف على الاحتجاج به حتى قال الحاكم في أول كتابه " المستدرك " : " إنه حديث كبير في الأصول " ولا أعلم أحداً قد طعن فيه ، إلا بعض من لا يعتد بتفرده و شذوذه ، أمثال

<sup>٤٥</sup> - كتب القرضاوي - ( ١٠ / ٢٤ )

الكوثري الذي سبق أن أشرنا إلى شيء من تنطعه وتحامله على الطريق الأولى لهذا الحديث ، التي ليس فيها الزيادة المتقدمة : " كلها في النار " ، جاهلا بل متجاهلا حديث معاوية وأنس على كثرة طرقه عن أنس كما رأيت . وليته لم يقتصر على ذلك إذن لما التفتنا إليه كثيرا ، ولكنه دعم رأيه بالنقل عن بعض الأفاضل ، ألا وهو العلامة ابن الوزير اليمني ، وذكر أنه قال في كتابه : " العواصم والقواصم " ما نصه : " إياك أن تغتر بزيادة " كلها في النار إلا واحدة " فإنها زيادة فاسدة ، ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة . وقد قال ابن حزم : إن هذا الحديث لا يصح .

وقد وقفت على هذا التضعيف منذ سنوات . ثم أوقفني بعض الطلاب في " الجامعة الإسلامية " على قول الشوكاني في تفسيره " فتح القدير " : " قال ابن كثير في تفسيره وحديث افتراق الأمم إلى بضع وسبعين مروي من طرق عديدة ، وقد ذكرناه في موضع آخر . والله الحمد والمنة .. انتهى<sup>٤٦</sup> . قلت : أما زيادة كونها في النار إلا واحدة ، فقد ضعفها جماعة من المحدثين ، بل قال ابن حزم إنها : موضوعة . " <sup>٤٧</sup> .

ولا أدري من الذين أشار إليهم بقوله : " جماعة ... " فإني لا أعلم أحدا من المحدثين المتقدمين ضعف هذه الزيادة ، بل إن الجماعة قد صححوها وقد سبق ذكر أسمائهم ، وأما ابن حزم فلا أدري أين ذكر ذلك ، وأول ما يتبادر للذهن أنه في كتابه " الفصل في الملل والنحل " وقد رجعت إليه ، وقلبت مظانه فلم أعثر عليه ثم إن النقل عنه مختلف ، فابن الوزير قال عنه : " لا يصح " ، والشوكاني قال عنه : " إنها موضوعة " ، وشتان بين النقلين كما لا يخفى ، فإن صح ذلك عن ابن حزم ، فهو مردود من وجهين : الأول : أن النقد العلمي الحديثي قد دلَّ على صحة هذه الزيادة ، فلا عرة بقول من ضعفها .

<sup>٤٦</sup> - تفسير ابن كثير - دار طيبة - ( ٣ / ١٤٩ )

<sup>٤٧</sup> - فتح القدير للشوكاني - ( ٢ / ٣٣٤ ) التفاسير وفتح القدير ( ٢ / ٥٦ )

والآخر : أن الذين صححوها أكثر وأعلم بالحديث من ابن حزم ، لاسيما وهو معروف عند أهل العلم بتشدده في النقد ، فلا ينبغي أن يحتج به إذا تفرد عند عدم المخالفة فكيف إذا خالف ؟ !

وأما ابن الوزير ، فكلامه الذي نقله الكوثري يشعر بأنه لم يطعن في الزيادة من جهة إسنادها ، بل من حيث معناها ، وما كان كذلك فلا ينبغي الجزم بفساد المعنى لإمكان توجيهه وجهة صالحة ينتفي به الفساد الذي ادعاه . وكيف يستطاع الجزم بفساد معنى حديث تلقاه كبار الأئمة والعلماء من مختلف الطبقات بالقبول وصرحوا بصحته ، هذا يكاد يكون مستحيلا !

وإن مما يؤيد ما ذكرته أمرين :

الأول : أن ابن الوزير في كتاب آخر له قد صحح حديث معاوية هذا ، ألا وهو كتابه القيم : " الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم " فقد عقد فيه فصلا خاصا في الصحابة الذين طعن فيهم الشيعة وردوا أحاديثهم ، ومنهم معاوية رضي الله عنه ، فسرده ما له من الأحاديث في كتب السنة مع الشواهد من طريق جماعة آخرين من الصحابة لم تطعن فيه الشيعة ، فكان هذا الحديث منها !

الأمر الآخر : أن بعض المحققين من العلماء اليمانيين ممن نقطع أنه وقف على كتب ابن الوزير ، ألا وهو الشيخ صالح المقبل ، قد تكلم على هذا الحديث بكلام جيد من جهة ثبوته ومعناه ، وقد ذكر فيه أن بعضهم ضعف هذا الحديث فكأنه يشير بذلك إلى ابن الوزير . وأنت إذا تأملت كلامه وجدته يشير إلى أن التضعيف لم يكن من جهة السند ، وإنما من قبل استشكال معناه ، وأرى أن أنقل خلاصة كلامه المشار إليه لما فيه من الفوائد . قال رحمه الله تعالى في " العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشايخ " :

" حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، رواياته كثيرة يشد بعضها بعضا بحيث لا يبقى ريب في حاصل معناها . ( ثم ذكر حديث معاوية هذا ، وحديث ابن عمرو بن العاص الذي أشار إليه الحافظ العراقي وحسنه الترمذي ثم قال : والإشكال في قوله : " كلها في النار إلا ملة " ، فمن المعلوم أنهم خير الأمم ، وأن المرجو أن يكونوا نصف أهل

الجنة ، مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود حسبما صرحت به الأحاديث ، فكيف يتمشى هذا ؟ فبعض الناس تكلم في ضعف هذه الجملة ، وقال : هي زيادة غير ثابتة . وبعضهم تأول الكلام . قال : ومن المعلوم أن ليس المراد من الفرقة الناجية أن لا يقع منها أدنى اختلاف ، فإن ذلك قد كان في فضلاء الصحابة . إنما الكلام في مخالفة تصوير صاحبها فرقة مستقلة ابتدعها . وإذا حققت ذلك فهذه البدع الواقعة في مهمات المسائل ، وفيما يترتب عليه عظام المفسد لا تكاد تنحصر ، ولكنها لم تخص معينا من هذه الفرق التي قد تحزبت والتأم بعضهم إلى قوم وخالف آخرون بحسب مسائل عديدة .

ثم أجاب عن الإشكال بما خلاصته : " إن الناس عامة وخاصة ، فالعامة آخروهم كأولهم ، النساء والعبيد والفلاحين والسوقة ونحوهم ممن ليس من أمر الخاصة في شيء ، فلا شك في براءة آخروهم من الابتداع كأولهم .

وأما الخاصة ، فمنهم مبتدع اخترع البدعة وجعلها نصب عينيه ، وبلغ في تقويتها كل مبلغ ، وجعلها أصلا يرد إليها صرائح الكتاب والسنة ، ثم تبعه أقوام من نمطه في الفقه والتعصب ، وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها وحملوه ما لم يتحمله ، ولكنه إمامهم المقدم وهؤلاء هم المبتدعة حقا ، وهو شيء كبير { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا } (٩٠) سورة مريم ، كنفي حكمة الله تعالى ، ونفي إقداره المكلف ، وككونه يكلف ما لا يطاق ، ويفعل سائر القبائح ولا تقبح منه ، وأخواتهن ! ومنها ما هو دون ذلك ، وحقائقها جميعها عند الله تعالى ، ولا ندري بأيها يصير صاحبها من إحدى الثلاث وسبعين فرقة .

ومن الناس من تبع هؤلاء وناصرهم وقوى سوادهم بالتدريس والتصنيف ، ولكنه عند نفسه راجع إلى الحق ، وقد دس في تلك الأبحاث نقوضها في مواضع لكن على وجه خفي ، ولعله تخيل مصلحة دينية ، أو عظم عليه انخراط نفسه وإيذاؤهم له في عرضه وربما بلغت الأذية إلى نفسه . وعلى الجملة فالرجل قد عرف الحق من الباطل ، وتخطى في تصرفاته ، وحسابه على الله سبحانه ، إما أن يحشره مع من أحب بظاهر حاله ، أو يقبل عذره ، وما

تكاد تجد أحدا من هؤلاء النظار إلا قد فعل ذلك ، لكن شرهم والله كثير ، فلربما لم يقع خبرهم بمكان ، وذلك لأنه لا يفطن لتلك اللمحة الخفية التي دسوها إلا الأذكياء المحيطون بالبحث ، وقد أغناهم الله بعلمهم عن تلك اللمحة ، وليس بكبير فائدة أن يعلموا أن الرجل كان يعلم الحق ويخفيه . والله المستعان .

ومن الناس من ليس من أهل التحقيق ، ولا هيء للهجوم على الحقائق ، وقد تدرب في كلام الناس ، وعرف أوائل الأبحاث ، وحفظ كثيرا من غناء ما حصلوه ولكن أرواح الأبحاث بينه وبينها حائل . وقد يكون ذلك لقصور المهمة والاكتفاء والرضا عن السلف لوقعهم في النفوس . وهؤلاء هم الأكثرون عددا ، والأرذلون قدرا ، فإنهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة ، ولا أدركوا سلامة العامة . فالقسم الأول من الخاصة مبتدعة قطعاً . والثاني ظاهره الابتداع ، والثالث له حكم الابتداع .

ومن الخاصة قسم رابع ثلثة من الأولين ، وقليل من الآخرين ، أقبلوا على الكتاب والسنة وساروا بسيرها ، وسكتوا عما سكتا عنه ، وأقدموا وأحجموا بهما وتركوا تكلف مالا يعينهم ، وكان قههم السلامة ، وحياة السنّة أثر عندهم من حياة نفوسهم ، وقرة عين أحدهم تلاوة كتاب الله تعالى ، وفهم معانيه على السليقة العربية والتفسيرات المروية ، ومعرفة ثبوت حديث نبوي لفظاً وحكماً .

فهؤلاء هم السنية حقاً ، وهم الفرقة الناجية ، وإليهم العامة بأسرهم ، ومن شاء ربك من أقسام الخاصة الثلاثة المذكورين ، بحسب علمه بقدر بدعتهم ونياتهم .

إذا حققت جميع ما ذكرنا لك ، لم يلزمك السؤال المحذور وهو الهلاك على معظم الأمة ، لأن الأكثر عددا هم العامة قديماً وحديثاً ، وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة ، ولعل القسمين الأوسطين ، وكذا من خفت بدعته من الأول ، تنقذهم رحمة ربك من النظام في سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية ، ورحمة ربك أوسع لكل مسلم ، لكننا تكلمنا على مقتضى الحديث ومصادقه ، وأن أفراد الفرق المبتدعة وإن كثرت الفرق فلعله لا



يكون مجموع أفرادهم جزءاً من ألف جزء من سائر المسلمين : فتأمل هذا تسلّم من اعتقاد مناقضة الحديث لأحاديث فضائل الأمة المرحومة " ٤٨ .

قلت : وهذا آخر كلام الشيخ المقلبي رحمه الله ، وهو كلام متين يدلُّ على علم الرجل وفضله ودقة نظره ، ومنه تعلم سلامة الحديث من الإشكال الذي أظن أنه عمدة ابن الوزير رحمه الله في إعلاله إياه . والحمد لله على أن وفقنا للإبانة عن صحة هذا الحديث من حيث إسناده ، وإزالة الشبهة عنه من حيث متنه . وهو الموفق لا إله إلا هو . " ٤٩



---

<sup>٤٨</sup> - العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشايخ ( ص ٤١٤ )

<sup>٤٩</sup> - السلسلة الصحيحة - ( ١ / ٢٠٣ ) ( ٢٠٤ )

## المبحث الرابع

### هل يلزم من الدخول في النار الخلود بها ؟

قال القرضاوي أيضاً :

" ثم إن الحديث يدلُّ على أن هذه الفرق كلها جزء من أمته ﷺ أعني أمة الإجابة المنسوبة إليه، بدليل قوله: "تفترق أمتي" ومعنى هذا أنها — برغم بدعتها — لم تخرج عن الملة، ولم تفصل من جسم الأمة المسلمة.

وكونها (في النار) لا يعني الخلود فيها كما يخلد الكفار، بل يدخلونها كما يدخلها عصاة الموحدين.

وقد يشفع لهم شفيع مطاع من الأنبياء أو الملائكة أو آحاد المؤمنين وقد يكون لهم من الحسنات الماحية أو الحن والمصائب المكفرة، ما يدرأ عنهم العذاب.

وقد يعفو الله عنهم بفضله وكرمه، ولا سيما إذا كانوا قد بذلوا وسعهم في معرفة الحق، ولكنهم لم يوقفوا وأخطئوا الطريق، وقد وضع الله عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. <sup>٥٠</sup>

قلت : هذا الكلامُ صحيحٌ ، ما لم يكن من فارق الجماعة ارتكب مكفراً ، وأصرَّ عليه ، فهو عندئذ ليس من أمة محمد ﷺ أصلاً .

فقد اختلفت الفرق المذمومة في أمور من العقيدة ، أهمها : الصفات ، والقدر ، والعدل ، والوعد ، والوعيد ، والسمع ، والعقل ، وأسماء الله ، والرسالة ، والأمانة <sup>٥١</sup> .

" وذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة ، إلا من أنكر منهم أمراً معلوماً من الدين بالضرورة ، كنفي الصانع ، أو نفي ما هو ثابت بالإجماع من الصفات ، كالعلم ، والقدر ، وإثبات ما هو منفي عنه بالإجماع ، كحدوث الله سبحانه ، وقدم العالم ، أو اعتقد مذهب الحلول والتناسخ ، أو اعتقد ألوهية بعض أئمتهم ، أو أنكر

<sup>٥٠</sup> - كتب القرضاوي - ( ١٠ / ٢٦ )

<sup>٥١</sup> - الموسوعة الفقهية الكويتية - ( ٣٢ / ١٠٦ )

رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، كَوُجُوبِ الصَّلَاةِ ، وَالصَّوْمِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، أَوْ أَحَلَّ مَا  
 حَرَّمَ الْقُرْآنُ بِنَصٍّ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ كَالزَّنا ، وَنِكَاحِ الْبَنَاتِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي  
 تَحْرِيمِهِ أَوْ تَحْلِيلِهِ نَصٌّ صَرِيحٌ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ ، وَهَذَا الصَّنْفُ مِنَ الْفِرْقِ لَا يُعَدُّ مِنَ  
 الْمُسْلِمِينَ ، حُكْمُهُمْ حُكْمُ الْمُرْتَدِّينَ عَنِ الدِّينِ ، وَلَا تَحِلُّ ذَبَائِحُهُمْ وَلَا نِكَاحُ الْمَرْأَةِ  
 مِنْهُمْ ، وَلَا يُقَرُّ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ بِالْجَزِيَّةِ ، بَلْ يُسْتَتَابُ ، فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا وَحِبَّ قَتْلُهُمْ<sup>٥٢</sup>



<sup>٥٢</sup> - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣٢ / ١٠٦) ومغني المحتاج ٤ / ٤٣٤ - ٤٣٥ ، ونهاية المحتاج ٧ / ٤١٤ - ٤١٥ ،  
 وما بعده ، وشرح الزرقاني ٨ / ٦٣ - ٦٤ ، ومطالب أولي النهى ٦ / ٢٨١ - ٢٨٢ وما بعدها ، والفرق بين الفرق  
 ص ٣٥٦ - ٣٥٧ ، وحاشية ابن عابدين ١ / ٣٧٧ .

## المبحث الخامس

### أقسام الاختلاف حسب وجهة نظر ابن تيمية رحمه الله

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان : أحدهما : يذم ( الطائفتين جميعا ، كما في قوله : { وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } { إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ } (سورة هود : من الآيتين ١١٨ ، ١١٩ ) فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف ، وكذلك قوله تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } ( سورة البقرة : الآية ١٧٦ ) وكذلك قوله : { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ } (سورة آل عمران : الآية ١٩ ) وقوله : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } ( سورة آل عمران : الآية ١٠٥ ) وقوله : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } ( سورة آل عمران : الآية ١٥٩ ) .

وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله : { فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } (سورة المائدة : الآية ١٤ ) .  
ووصف اختلاف اليهود بقوله : { وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْفَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ } (سورة المائدة : الآية ٦٤ ) وقال : { فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } (سورة المؤمنون : الآية ٥٣ ) .

وكذلك النبي ﷺ لما وصف أن الأمة تفترق على ثلاث وسبعين فرقة ؛ قال : « كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » ، وفي الرواية الأخرى : « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

فبين : أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين ، إلا فرقة واحدة ، وهم أهل السنة والجماعة .

وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة : فساد النية ؛ لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض ، ونحو ذلك ، فيجب لذلك ذم قول غيرها ، أو

فعله ، أو غلبته ليطمئنه عليه ، أو يجب قول من يوافق في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة ، ونحو ذلك ، لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة ، وما أكثر هذا من بني آدم ، وهذا ظلم .

ويكون سببه - تارة - جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه ، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر ، أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق : في الحكم ، أو في الدليل ، وإن كان عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا .

والجهل والظلم : هما أصل كل شر ، كما قال سبحانه : { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } ( سورة الأحزاب : الآية ٧٢ ) .

أما أنواعه : فهو في الأصل قسمان : اختلاف تنوع واختلاف تضاد .  
واختلاف التنوع على وجوه : منه : ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا ، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة ، حتى زجرهم رسول الله ﷺ ، وقال : « كلا كما محسن » .

ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان ، والإقامة ، والاستفتاح ، والتشهدات ، وصلاة الخوف ، وتكبيرات العيد ، وتكبيرات الجنائز ، إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه ، وإن كان قد يقال إن بعض أنواعه أفضل .

ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ؛ ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيثارها ، ونحو ذلك ، وهذا عين المحرم ومن لم يبلغ هذا المبلغ ؛ فتجد كثيرا منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر أو النهي عنه ، ما دخل به فيما نهى عنه النبي ﷺ .

ومنه : ما يكون كل من القولين هو في معنى قول الآخر ؛ لكن العبارتان مختلفتان ، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود ، وصيغ الأدلة ، والتعبير عن المسميات ، وتقسيم الأحكام ، وغير ذلك ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقاتلين وذم الأخرى .

ومنه ما يكون المعنيان غيرين ( أي : متغايرين ) ، لكن لا يتنافيان ؛ فهذا قول صحيح ، وهذا قول صحيح ، وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر ، وهذا كثير في المنازعات جدا .

ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان ، ورجل أو قوم قد سلكوا هذه الطريق ، وآخرون قد سلكوا الأخرى ، وكلاهما حسن في الدين . ثم الجهل أو الظلم : يحمل على ذم إحداهما أو تفضيلها بلا قصد صالح ، أو بلا علم ، أو بلا نية وبلا علم .

وأما اختلاف التضاد فهو : القولان المتنافيان : إما في الأصول وإما في الفروع ، عند الجمهور الذين يقولون : " المصيب واحد " ، وإلا فمن قال : " كل مجتهد مصيب " فعنده : هو من باب اختلاف التنوع ، لا اختلاف التضاد فهذا الخطب فيه أشد ؛ لأن القولين يتنافيان ؛ لكن نجد كثيرا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما ، أو معه دليل يقتضي حقا ما ، فيرد الحق في الأصل هذا كله ، حتى يبقى هذا مبطلا في البعض ، كما كان الأول مبطلا في الأصل ، كما رأيته لكثير من أهل السنة في مسائل القدر والصفات والصحابة ، وغيرهم .

وأما أهل البدعة : فالأمر فيهم ظاهر<sup>٥٣</sup> وكما رأيته لكثير من الفقهاء ، أو لأكثر المتأخرين في مسائل الفقه ، وكذلك رأيته للاختلاف كثيرا بين بعض المتفقهة ، وبعض المتصوفة ، وبين فرق المتصوفة ، ونظائره كثيرة .

ومن جعل الله له هداية ونورا رأى من هذا ما يتبين له به منفعة ما جاء في الكتاب والسنة : من النهي عن هذا وأشباهه ، وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا ابتداء ، لكن نور على نور .

وهذا القسم - الذي سميناه : اختلاف التنوع - كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد ، لكن الذم واقع على من بغى على الآخر فيه ، وقد دل القرآن على حمد كل واحد

---

<sup>٥٣</sup> - أي أن أهل البدع ظاهر بطلان قولهم ونزاعهم ؛ لقيام الحجة عليهم بالكتاب والسنة ، وليس معهم من الحق ما يلزم الخصم بالاعتراف لهم بالحق .

من الطائفتين في مثل ذلك إذا لم يحصل بغي كما في قوله : { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ } (سورة الحشر : من الآية ٥) .

وقد كانوا يختلفوا في قطع الأشجار فقطع قوم وترك آخرون .

وكما في قوله : { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ } { وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا } ( سورة الأنبياء : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ ) فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالعلم والحكم .

وكما في إقرار النبي ﷺ - يوم بني قريظة<sup>٥٤</sup> - لمن صلى العصر في وقتها ، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة<sup>٥٥</sup> .

وكما في قوله ﷺ : « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ ، فَاجْتَهَدَ ، فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ »<sup>٥٦</sup> . ونظائره كثيرة .

وإذا جعلت هذا<sup>٥٧</sup> قسما آخر صار الاختلاف ثلاثة أقسام<sup>٥٨</sup> .

<sup>٥٤</sup> - بنو قريظة هم : حي من اليهود نزل قبل الإسلام حول المدينة، وهم حلفاء الأوس ولهم مزارع وقصور وحصون قرب المدينة . كانوا قد وادعهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أن لا يحاربوا ولا يمالئوا عليه عدوه، لكنهم نقضوا عهدهم يوم الأحزاب مع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وظاهروا الأحزاب من مشركي قريش وغطفان، فلما أفشل الله الأحزاب وأذهب ريمهم جاء جبريل عليه السلام بالأمر من الله بأن يتوجه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه إلى بني قريظة قبل أن يضعوا أسلحتهم، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » فحاصرهم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكم بأن : « تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم »، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « قضيت بحكم الله » . انظر القصة بطولها في : السيرة النبوية لابن كثير ( ٣ / ٢٢٣ - ٢٤٣ ) . وانظر : صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم . في فتح الباري ( ٧ / ٤٠٧ - ٤١٦ ) .

<sup>٥٥</sup> - وذلك إشارة للحديث المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو قوله : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة »، فبعض الصحابة صلى في الطريق الصلاة في وقتها، وآخرون أخروها حتى وصلوا إلى بني قريظة بعد فوات وقت العصر، فأقرهم الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم جميعا . وفي مسلم (الظهر) بدل العصر . انظر : البخاري، كتاب الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، في فتح الباري حديث رقم (٩٤٦)، (٢ / ٤٣٦)، وطرف الحديث رقم (٤١١٩)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب المبادرة بالغزو حديث رقم (١٧٧٠)، (٣ / ١٣٩١) .

<sup>٥٦</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١١ / ٤٤٦ ) ( ٥٠٦٠ ) صحيح

وأما القسم الثاني من الاختلاف المذكور في كتاب الله : فهو ما حمد فيه إحدى الطائفتين ، وهم المؤمنون ، واذم فيه الأخرى ، كما في قوله تعالى : { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مَّنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } (٢٥٣) سورة البقرة.

فقوله : { وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ } حمد لإحدى الطائفتين - وهم المؤمنون - واذم للآخرى ، وكذلك قوله : { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ } إلى قوله : { إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ( سورة الحج : من الآيات ١٩ - ٢٣ ) مع ما ثبت في الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه : " أنها نزلت في المقتلين يوم بدر : علي<sup>٥٩</sup> وحمزة<sup>٦٠</sup> وعبيدة<sup>٦١</sup> ، والذين بارزوهم من قريش وهم : عتبة وشيبة والوليد<sup>٦٢</sup> .

<sup>٥٧</sup> - الإشارة إلى الاختلاف التنوع الذي يكون كل واحد من المختلفين فيه مصيبا .

<sup>٥٨</sup> - وهذه الأقسام الثلاثة كما بينها المؤلف تكون هي : (أ) ما يذم فيه كلا الطائفتين المتنازعتين، وهو من اختلاف التنوع، وهو القسم الأول . (ب) ما يذم فيه إحدى الطائفتين المتنازعتين، وتحمد الأخرى، وهو من اختلاف التضاد، وهو القسم الثاني . (ج) ما يحمد فيه كلا الطائفتين المتنازعتين، ويكون هو القسم الثالث .

<sup>٥٩</sup> - هو الصحابي الجليل : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، أبو الحسن، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من أسلم بعد خديجة، وقيل : بعدها وبعد أبي بكر وهو صبي، وزوجه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابنته فاطمة، واستخلفه في فراشه يوم الهجرة على ودائع الناس، وحضر سائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبلى في الحرب والجهاد والمبارزة، وفتح الله على يديه خيبر، بويع بالخلافة بعد عثمان حتى قتله عبد الرحمن بن ملجم سنة (٤٠ هـ)، وكان أقصى الصحابة ومن أعلمهم رضي الله عنه . انظر : البداية والنهاية (٧ / ٣٢٤ - ٣٦٢)، وطبقات ابن سعد (٣ / ١٩ - ٤٠) .

<sup>٦٠</sup> - هو الصحابي الجليل : عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأخوه من الرضاعة : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أسلم في السنة الثانية من البعثة فقوي جانب المسلمين لأن حمزة من أعز قريش وأقواها شكيمة، وهاجر وشهد بدرا وأحدا وفيها قتل رضي الله عنه سنة (٣ هـ)، وكان يسمى أسد الله وأسد رسوله . انظر : (٢ / ٤٦ - ٥٠) ؛ وطبقات ابن سعد (٣ / ٨) .



وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول<sup>٦٣</sup>، وكذلك آل إلى سفك الدماء ، واستباحة الأموال ، والعداوة والبغضاء ؛ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل والأخرى كذلك .

وكذلك جعل الله مصدره البغي في قوله : { وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } ؛ ( سورة البقرة : من الآية ٢١٣ ) لأن البغي : مجاوزة الحد . وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة .

وقريب من هذا الباب : ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله - ﷺ - فقال « أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا » . فقال رجلٌ أَكُلَ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَكَمَا اسْتَطَعْتُمْ - ثُمَّ قَالَ - ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ »<sup>٦٤</sup> .

فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به معللا : بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ، ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية ، كما أخبرنا الله عن بني إسرائيل من مخالفتهم أمر موسى في الجهاد وغيره ، وفي كثرة سؤالهم عن صفات البقرة .

<sup>٦١</sup> - هو الصحابي الجليل : عبدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أسلم مبكرا في مكة ، ثم هاجر إلى المدينة ، وكان له منزلة عالية عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وعقد له أول لواء للمهاجرين ، وشهد بدرًا وبارز فيها عتبة من المشركين ، فاختلفا ضربتين فتوفي على إثرها رضي الله عنه . انظر أسد الغابة ( ٢ / ٣٥٦ ، ٣٥٧ ) .

<sup>٦٢</sup> - عتبة وشيبة هما ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيان ، كان من عتاة المشركين وأشدّهم على رسول الله وعلى المؤمنين حربا وإيذاء ، فكانا ممن دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأعيانهم . أما الوليد فهو ابن عتبة بن ربيعة المذكور ، وكان أيضا من عتاة قريش في مكة . انظر : البداية والنهاية ( ٣ / ٢٧٣ ) .

<sup>٦٣</sup> - وهو ما يذم فيه كلا الطائفتين المتنازعتين .

<sup>٦٤</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٣٣٢١ )

لكن هذا الاختلاف على الأنبياء : هو - والله أعلم - مخالفة الأنبياء ، كما يقول :  
اختلف الناس على الأمير إذا خالفوه .

والاختلاف الأول : مخالفة بعضهم بعضا وإن كان الأمران متلازمين أو أن الاختلاف عليه<sup>٦٥</sup> هو الاختلاف فيما بينهم ، فإن اللفظ يحتمله .

ثم الاختلاف كله قد يكون في التزليل والحروف ، كما في حديث ابن مسعود وقد يكون في التأويل كما يحتمله حديث عبد الله بن عمرو ، فإن حديث عمرو بن شعيب يدل على ذلك ، إن كانت هذه القصة قال أحمد في المسند : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ نَفَرًا كَانُوا جُلُوسًا بَبَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا ؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَخَرَجَ كَأَنَّمَا فُقِيَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ ، فَقَالَ : بِهِذَا أُمِرْتُمْ ؟ أَوْ بِهِذَا بُعِثْتُمْ ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ؟ إِنَّمَا ضَلَّتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا ، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ ، انْظُرُوا الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ ، فَاعْمَلُوا بِهِ ، وَالَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ ، فَانْتَهُوا .

وقال : حَدَّثَنَا يُونُسُ ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، وَمَطَرٍ الْوَرَّاقِ ، وَدَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدْرِ ، هَذَا يَنْزِعُ آيَةً ، وَهَذَا يَنْزِعُ آيَةً ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ<sup>٦٦</sup> .

وقال أحمد : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : لَقَدْ جَلَسْتُ أَنَا وَأَخِي مَجْلِسًا مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ أَقْبَلْتُ أَنَا وَأَخِي وَإِذَا مَشِيخَةٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُلُوسٌ عِنْدَ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ ، فَكَرِهْنَا أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ ، فَجَلَسْنَا حَجْرَةً ، إِذْ ذَكَرُوا آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ ، فَتَمَارَوْا فِيهَا ، حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُغْضَبًا ، قَدْ احْمَرَّتْ وَجْهُهُ ، يَرْمِيهِمُ بِالتُّرَابِ ، وَيَقُولُ :

<sup>٦٥</sup> - أي على الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

<sup>٦٦</sup> - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٦٦) ٦٨٤٥ و٦٨٤٦ - صحيح

مَهْلًا يَا قَوْمَ ، بِهَذَا أَهْلَكَتِ الْأُمَمَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، وَضَرْبِهِمُ الْكُتُبَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ، إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزَلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ ، فَاعْمَلُوا بِهِ ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ ، فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ. " ٦٧

وقال أحمد : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ ، قَالَ : وَكَأَنَّمَا تَفَقَّأَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْعُضْبِ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ؟ بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالَ : فَمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ أَشْهَدْهُ ، بِمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، أَنِّي لَمْ أَشْهَدْهُ. ٦٨

هذا حديث محفوظ عن عمرو بن شعيب رواه عنه الناس ، ورواه ابن ماجه في سننه من حديث أبي معاوية ، كما سقناه .

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : كَتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى إِلَى أَبِي يُخْبِرُهُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَرَنِي أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ كِتَابًا أَسْأَلُكَ مِنْ أَمْرِ الْقُرْآنِ لَا مَسْأَلَةَ امْتِحَانٍ وَلَكِنْ مَسْأَلَةَ مَعْرِفَةٍ وَبَصِيرَةٍ . فَأَمَلَى عَلَيَّ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى - وَخَدِي مَا مَعَنَا أَحَدٌ - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَكَ أَبَا الْحَسَنِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَدَفَعَ عَنْكَ مَكَارِهِ الدُّنْيَا بِرَحْمَتِهِ ، قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْكَ بِالَّذِي سَأَلَ عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ بِمَا حَضَرَنِي ، وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدَيِّمَ تَوْفِيقَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ كَانَ النَّاسُ فِي خَوْضٍ مِنَ الْبَاطِلِ وَاخْتِلَافٍ شَدِيدٍ يَغْتَمِسُونَ فِيهِ حَتَّى أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَفَى اللَّهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّ بَدْعَةٍ وَأَنْجَلَى عَنِ النَّاسِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الذُّلِّ وَضِيقِ الْمَجَالِسِ فَصَرَفَ اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ ، وَذَهَبَ بِهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَقَعَ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَوْقِعًا عَظِيمًا ، وَدَعَا اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسْتَجِيبَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَالِحَ الدُّعَاءِ ، وَأَنْ يُتِمَّ ذَلِكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ يَزِيدَ فِي بَيْتِهِ وَيُعِينَهُ عَلَى مَا

٦٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٣٧) - ٦٧٠٢ - صحيح

٦٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٣٠) - ٦٦٦٨ - صحيح

هُوَ عَلَيْهِ ، فَقَدْ ذَكَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ قَالَ : " لَا تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ  
بِبَعْضٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوقِعُ الشَّكَّ فِي قُلُوبِكُمْ " <sup>٦٩</sup>

وهذا لعلمه - رحمه الله - بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم .  
وقد روى هذا المعنى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال : " حديث حسن  
غريب " وقال : " وفي الباب عن عمر ، وعائشة ، وأنس " . وهذا باب واسع لم نقصد له  
ههنا ، وإنما الغرض التنبيه على ما يخاف على الأمة من موافقة الأمم قبلها <sup>٧٠</sup>



---

<sup>٦٩</sup> - حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ ( ١٤٠٧٨ ) صحيح

<sup>٧٠</sup> - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - ( ١ / ١٣٦ ) فما بعد

## المبحث السادس

### رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بحديث افتراق الأمة

سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - عَنْ قَوْلِهِ ﷺ " تَفْتَرِقُ أُمَّتِي ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ فِرْقَةً " . مَا الْفِرَقُ ؟ وَمَا مُعْتَقَدُ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْ هَذِهِ الصُّنُوفِ ؟ . فَأَجَابَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، الْحَدِيثُ صَحِيحٌ مَشْهُورٌ فِي السُّنَنِ وَالْمَسَانِدِ ؛ كَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَلَفْظُهُ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ أَهْلُ الْجَمَاعَةِ.<sup>٧١</sup>

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَوَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي »<sup>٧٢</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ

<sup>٧١</sup> - مسند الشاميين ٣٦٠ - ( ٢ / ١٠٠ ) ( ٩٨٨ ) صحيح

<sup>٧٢</sup> - سنن الترمذی - المكثر - ( ٢٨٥٣ ) صحيح لغيره

لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ « . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ قَالَ « الْجَمَاعَةُ »<sup>٧٣</sup> .

وَعَنْ عَرْفَجَةَ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " سَتَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَكَأَنَّمَا فَارَقَ بَيْنَ أُمَّتِي، فَافْتُلُوهُ كَأَنَّا مَنْ كَانَ، فَإِنْ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مُفَارَقَةِ الْجَمَاعَةِ يَرْكُضُ " <sup>٧٤</sup> . وَلِهَذَا وَصَفَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ بِأَنَّهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَهُمْ الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ .

=====

## المطلب الأول

### صفة الفرق المفارقة لأهل السنة والجماعة

وَأَمَّا الْفِرْقُ الْبَاقِيَةُ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الشُّذُوزِ وَالتَّفَرُّقِ وَالبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَلَا تَبْلُغُ الْفِرْقَةُ مِنْ هَؤُلَاءِ قَرِيبًا مِنْ مَبْلَغِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ بِقَدْرِهَا بَلْ قَدْ تَكُونُ الْفِرْقَةُ مِنْهَا فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ . وَشِعَارُ هَذِهِ الْفِرْقِ مُفَارَقَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ . فَمَنْ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ . وَأَمَّا تَعْيِينُ هَذِهِ الْفِرْقِ فَقَدْ صَنَّفَ النَّاسُ فِيهِمْ مُصَنَّفَاتٍ وَذَكَرُوهُمْ فِي كُتُبِ الْمَقَالَاتِ ؛ لَكِنَّ الْحَزْمَ بِأَنَّ هَذِهِ الْفِرْقَةَ الْمَوْصُوفَةَ هِيَ إِحْدَى الشَّتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْقَوْلَ بِمَا عَلِمَ عُمُومًا ؛ وَحَرَّمَ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِمَا عَلِمَ خُصُوصًا ؛ فَقَالَ تَعَالَى : { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا [الأعراف : ٣٣] } .

<sup>٧٣</sup> - سنن ابن ماجه - المكثر - (٤١٢٧) صحيح

<sup>٧٤</sup> - شعب الإيمان - (١٠ / ١٩) (٧١٠٦) وسنن النسائي - المكثر - (٤٠٣٧) صحيح - يركض : يتحرك

ويضطرب

هذه الروايات غالبها من عندي لأن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ذكرها بالمعنى

وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) [البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩] .

وَقَالَ تَعَالَى : { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا [الإسراء : ٣٦] } .

وَأَيْضًا فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُخْبِرُ عَنْ هَذِهِ الْفِرْقِ بِحُكْمِ الظَّنِّ وَالْهَوَى فَيَجْعَلُ طَائِفَتَهُ وَالْمُنْتَسِبَةَ إِلَى مَتَّبِعِهِ الْمُوَالِيَةَ لَهُ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ؛ وَيَجْعَلُ مَنْ خَالَفَهَا أَهْلُ الْبِدْعِ وَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ .

=====

## المطلب الثاني

### أهل السنة لا يتبعون إلا الرسول المعصوم

فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ لَا يَكُونُ مَتَّبِعُهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي لَا { يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) } إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى [النجم : ٣ ، ٤] .

فَهُوَ الَّذِي يَجِبُ تَصَدِيقُهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ ؛ وَطَاعَتُهُ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ لغيرِهِ مِنَ الْأُئِمَّةِ بَلْ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

فَمَنْ جَعَلَ شَخْصًا مِنَ الْأَشْخَاصِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحَبِّهِ وَوَافَقَهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَمَنْ خَالَفَهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفِرْقَةِ - كَمَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي الطَّوائِفِ مِنْ أَتْبَاعِ أُئِمَّةٍ فِي الْكَلَامِ فِي الدِّينِ وَغَيْرِ ذَلِكَ - كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ وَالتَّفَرُّقِ .

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِأَنْ تَكُونَ هِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ ؛ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَتَّبِعٌ يَتَعَصَّبُونَ لَهُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَقْوَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَأَعْظَمُهُمْ تَمَيُّزًا بَيْنَ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا، وَأَتْمَتُهُمْ فُقَهَاءُ فِيهَا وَأَهْلُ مَعْرِفَةِ بِمَعَانِيهَا وَأَتْبَاعًا لَهَا : تَصَدِيقًا وَعَمَلًا وَحُبًّا وَمُؤَالاةً لِمَنْ وَالَاهَا وَمُعَاداةً لِمَنْ عَادَاهَا الَّذِينَ يَرَوُونَ الْمَقَالَاتِ الْمُجْمَلَةَ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ؛ فَلَا يُنْصَبُونَ مَقَالَةً

وَيَجْعَلُونَهَا مِنْ أَصُولِ دِينِهِمْ وَجُمَلِ كَلَامِهِمْ إِنْ لَمْ تَكُنْ ثَابِتَةً فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ؛  
بَلْ يَجْعَلُونَ مَا بُعِثَ بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ  
وَيَعْتَمِدُونَهُ .

=====

### المطلب الثالث

#### ردُّ ما تنازع فيه الناس من أمور الدين إلى الله ورسوله

وَمَا تَنَازَعَ فِيهِ النَّاسُ مِنْ مَسَائِلِ الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ وَالْوَعِيدِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَرُدُّونَهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُفَسِّرُونَ الْأَلْفَافَ الْمُجْمَلَةَ الَّتِي  
تَنَازَعَ فِيهَا أَهْلُ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ ؛ فَمَا كَانَ مِنْ مَعَانِيهَا مُوَافِقًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَثْبَتُوهُ ؛  
وَمَا كَانَ مِنْهَا مُخَالَفًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَبْطَلُوهُ ؛ وَلَا يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ فَإِنْ  
اتَّبَعَ الظَّنُّ جَهْلٌ وَاتَّبَعَ هَوَى النَّفْسِ بَغْيٌ هُدًى مِنَ اللَّهِ ظُلْمٌ . وَجَمَاعُ الشَّرِّ الْجَهْلُ  
وَالظُّلْمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ  
يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } ( ٧٢ ) سورة الأحزاب .  
وَذَكَرَ التَّوْبَةَ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ لَا بُدَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ جَهْلٌ وَظُلْمٌ ثُمَّ  
يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ دَائِمًا يَتَبَيَّنُ لَهُ مِنَ الْحَقِّ مَا كَانَ جَاهِلًا بِهِ  
وَيَرْجِعُ عَنْ عَمَلٍ كَانَ ظَالِمًا فِيهِ . وَأَدْنَاهُ ظُلْمُهُ لِنَفْسِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ  
آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ  
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } ( ٢٥٧ ) سورة البقرة ، وَقَالَ  
تَعَالَى { هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ  
بِكُمْ لَرَوْوْفٌ رَحِيمٌ } ( ٩ ) سورة الحديد ، وَقَالَ تَعَالَى { الرِّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ  
النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } ( ١ ) سورة إبراهيم .

=====

### المطلب الرابع



## تفاوت درجات اختلاف المنتسبين إلى متبوعين في أصول الدين والكلام

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَيْضًا أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ الطَّوَائِفَ الْمُنتَسِبَةَ إِلَى مَتَّبَعَيْنِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَالْكَلَامِ : عَلَى دَرَجَاتٍ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ قَدْ خَالَفَ السُّنَّةَ فِي أُصُولٍ عَظِيمَةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِنَّمَا خَالَفَ السُّنَّةَ فِي أُمُورٍ دَقِيقَةٍ . وَمَنْ يَكُونُ قَدْ رَدَّ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الطَّوَائِفِ الَّذِينَ هُمْ أَبْعَدُ عَنِ السُّنَّةِ مِنْهُ ؛ فَيَكُونُ مَحْمُودًا فِيمَا رَدَّهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَقَالَهُ مِنَ الْحَقِّ ؛ لَكِنْ يَكُونُ قَدْ جَاوَزَ الْعَدَلَ فِي رَدِّهِ بِحَيْثُ جَحَدَ بَعْضَ الْحَقِّ وَقَالَ بَعْضَ الْبَاطِلِ ، فَيَكُونُ قَدْ رَدَّ بِدْعَةً كَبِيرَةً بِدْعَةٍ أَخَفَّ مِنْهَا ؛ وَرَدَّ بِالْبَاطِلِ بَاطِلًا بِبَاطِلٍ أَخَفَّ مِنْهُ وَهَذِهِ حَالُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمُنتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ .

=====

### المطلب الخامس

#### القول المبتدع إذا لم يوالى ويعادى على أساسه فهو خطأ مغفور

وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ إِذَا لَمْ يَجْعَلُوا مَا ابْتَدَعُوهُ قَوْلًا يُفَارِقُونَ بِهِ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ ؛ يُؤَالُونَ عَلَيْهِ وَيُعَادُونَ ؛ كَانَ مِنْ نَوْعِ الْخَطَا . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ خَطَايَاهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ . وَلِهَذَا وَقَعَ فِي مِثْلِ هَذَا كَثِيرٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَائِمَّتِهَا : لَهُمْ مَقَالَاتٌ قَالُوهَا بِاجْتِهَادٍ وَهِيَ تُخَالِفُ مَا ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ؛ بِخِلَافِ مَنْ وَالَى مُوَافِقَهُ وَعَادَى مُخَالَفَهُ وَفَرَّقَ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَكَفَّرَ وَفَسَّقَ مُخَالَفَهُ دُونَ مُوَافِقِهِ فِي مَسَائِلِ الْأَرَاءِ وَالِاجْتِهَادَاتِ ؛ وَاسْتَحَلَّ قِتَالَ مُخَالَفِهِ دُونَ مُوَافِقِهِ فَهَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافَاتِ .

=====

### المطلب السادس

#### أول من فارق جماعة المسلمين الخوارج

وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ فَارَقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ " الْخَوَارِجُ " الْمَارِقُونَ . وَقَدْ صَحَّ الْحَدِيثُ فِي الْخَوَارِجِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَشْرَةِ أَوْجُهٍ خَرَجَهَا مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ <sup>٧٥</sup> ؛ وَخَرَجَ الْبُخَارِيُّ مِنْهَا غَيْرَ وَجْهٍ . وَقَدْ قَاتَلَهُمْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي قِتَالِهِمْ كَمَا اخْتَلَفُوا فِي قِتَالِ الْفِتْنَةِ يَوْمَ الْجَمَلِ وَصَفِينَ إِذْ كَانُوا فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ : صِنْفٌ قَاتَلُوا مَعَ هَؤُلَاءِ ؛ وَصِنْفٌ قَاتَلُوا مَعَ هَؤُلَاءِ ؛ وَصِنْفٌ أَمْسَكُوا عَنِ الْقِتَالِ وَقَعَدُوا . وَجَاءَتِ النُّصُوصُ بِتَرْجِيحِ هَذِهِ الْحَالِ .

فَالْخَوَارِجُ لَمَّا فَارَقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَكَفَرُوا بِهِمْ وَاسْتَحْلَوْا قِتَالَهُمْ جَاءَتِ السُّنَّةُ بِمَا جَاءَ فِيهِمْ ؛ فَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَالضَّحَّاكُ الْمِشْرَقِيُّ ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُقْسِمُ قَسَمًا إِذَا جَاءَهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اعْدِلْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَيْلَكَ ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : دَعُهُ ، فَإِنْ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يَمْرُوقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ - وَهُوَ الْقِدْحُ - ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْزِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ سَبَقَ الْفَرْتُ وَالْدَّمُ ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عِضْدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ ، وَمِثْلُ الْبُضْعَةِ تَدْرَدُرُ ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ ، وَأَنَا مَعَهُ فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتَمَسَ ، فَوُجِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي نَعْتُ . . <sup>٧٦</sup> .

<sup>٧٥</sup> - انظر صحيح مسلم- المكثر - ٤٨ - باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ. (٤٨) الأحاديث (٢٤٩٦-٢٥١٠) والباب الذي يليه ٤٩ - باب التَّحْرِيطِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ. (٤٩) الأحاديث (٢٥١١-٢٥١٧) والذي يليه ٥٠ - باب الْخَوَارِجُ شُرُوكُ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ. (٥٠) الأحاديث (٢٥١٨-٢٥٢١)

<sup>٧٦</sup> - صحيح البخاري- المكثر - (٣٦١٠) وصحيح مسلم- المكثر - (٢٥٠٥) و صحيح ابن حبان - (١٥ / ١٤٠) (٦٧٤١)

وَقَدْ كَانَ أَوَّلُهُمْ خَرَجَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَى قِسْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ { قَالَ : يَا مُحَمَّدُ اْعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ . قَالَ : « وَيَحْكُ ، فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ » . فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - : « دَعْنَهُ فَإِنَّ هَذَا مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ - أَوْ فِي أَصْحَابٍ لَهُ - يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ » ٧٧ ..

=====

## المطلب السابع

### أُصُولُ الْبِدْعِ أَرْبَعَةٌ : الرِّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ وَالْقَدَرِيَّةُ وَالْمُرْجَنَةُ

فَكَانَ مَبْدَأُ الْبِدْعِ هُوَ الطَّعْنُ فِي السُّنَّةِ بِالظَّنِّ وَالْهَوَى ؛ كَمَا طَعَنَ إِبْلِيسُ فِي أَمْرِ رَبِّهِ بِرَأْيِهِ وَهَوَاهُ . وَأَمَّا تَعْيِينُ الْفِرْقِ الْهَالِكَةِ فَأَقْدَمُ مَنْ بَلَّغَنَا أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي تَضْلِيلِهِمْ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَهُمَا - إِمَامَانِ جَلِيلَانِ مِنْ أَجَلَاءِ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَالَا : أُصُولُ الْبِدْعِ أَرْبَعَةٌ : الرِّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ وَالْقَدَرِيَّةُ وَالْمُرْجَنَةُ ٧٨ . فَقِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ : وَالْجَهْمِيَّةُ ؟ فَأَجَابَ : بِأَنَّ أَوَّلَكُمْ لَيْسُوا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ . وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّا لَنَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ . وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ اتَّبَعَهُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ قَالُوا : إِنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفْرًا فَلَا يَدْخُلُونَ فِي الْإِثْنَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً كَمَا لَا يَدْخُلُ فِيهِمْ - الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يُبْطِنُونَ الْكُفْرَ وَيُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَهُمْ الزُّنَادِقَةُ . وَقَالَ آخَرُونَ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ : بَلِ الْجَهْمِيَّةُ دَاخِلُونَ فِي الْإِثْنَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً وَجَعَلُوا أُصُولَ الْبِدْعِ خَمْسَةً فَعَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ : يَكُونُ كُلُّ طَائِفَةٍ

الرصاص : جمع رصفة وهو مدخل النصل في السهم - القدح : خشب السهم حين تنحت وتبرى وتسوى - القذذ :

جمع قذذة وهي ريش السهم - النضى : السهم بلا نصل ولا ريش أو ما بين نصل السهم وريشه

٧٧ - مسند الحميدي - المكثر - (١٣٢٥) صحيح

التبر : الذهب والفضة قبل أن يضربا وقد يطلق على غيرهما وأكثر اختصاصه بالذهب - الرمية : الصيد الذى ترميه

فتقصده وينفذ فيه سهمك وقيل هى كل دابة مرمية

٧٨ - الإبانة الكبرى لابن بطة - ( ٢٨٦ ) والأربعون حديثا للآجري - ( ١٤ ) والشرعية للآجري - ( ٢٠ )

من " المُبْتَدِعَةِ الْخَمْسَةِ " اثْنَا عَشَرَ فِرْقَةً وَعَلَى قَوْلِ الْأَوَّلِينَ : يَكُونُ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْ " الْمُبْتَدِعَةِ الْأَرْبَعَةِ " ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فِرْقَةً . وَهَذَا يُبْنَى عَلَى أَصْلِ آخَرَ وَهُوَ " تَكْفِيرُ أَهْلِ الْبِدْعِ " فَمَنْ أَخْرَجَ الْجَهْمِيَّةَ مِنْهُمْ لَمْ يُكْفَرْهُمْ فَإِنَّهُ لَا يُكْفَرُ سَائِرُ أَهْلِ الْبِدْعِ بَلْ يَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْوَعِيدِ بِمَنْزِلَةِ الْفُسَّاقِ وَالْعُصَاةِ ، وَيُجْعَلُ قَوْلُهُ هُمْ فِي النَّارِ مِثْلُ مَا جَاءَ فِي سَائِرِ الذُّنُوبِ مِثْلُ أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَغَيْرِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا } ( ١٠ ) سورة النساء . وَمَنْ أَدْخَلَهُمْ فِيهِمْ فَهُمْ عَلَى قَوْلَيْنِ : مِنْهُمْ مَنْ يُكْفَرُهُمْ كُلُّهُمْ وَهَذَا إِنَّمَا قَالَهُ بَعْضُ الْمُسْتَأَخِرِينَ الْمُتَسَيِّبِينَ إِلَى اللَّائِمَةِ أَوْ الْمُتَكَلِّمِينَ .

=====

### المطلب الثامن

#### أهل السنة لا يكفرون أهل البدع

وَأَمَّا السَّلَفُ وَاللَّائِمَةُ فَلَمْ يَتَنَازَعُوا فِي عَدَمِ تَكْفِيرِ " الْمُرْجَنَةِ " وَ" الشَّيْعَةِ " الْمُفَضَّلَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلَمْ تَخْتَلِفْ نُصُوصُ أَحْمَدَ فِي أَنَّهُ لَا يُكْفَرُ هَؤُلَاءِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ حَكَى فِي تَكْفِيرِ جَمِيعِ أَهْلِ الْبِدْعِ - مِنْ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ - خِلَافًا عَنْهُ أَوْ فِي مَذْهَبِهِ حَتَّى أُطْلِقَ بَعْضُهُمْ تَخْلِيدَ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ وَهَذَا غَلَطٌ عَلَى مَذْهَبِهِ وَعَلَى الشَّرِيعَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُكْفَرْ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ إلْحَاقًا لِأَهْلِ الْبِدْعِ بِأَهْلِ الْمَعَاصِي قَالُوا : فَكَمَا أَنَّ مِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ لَا يُكْفَرُونَ أَحَدًا بِذَنْبٍ فَكَذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَحَدًا بِبِدْعَةٍ .

وَالْمَأْثُورُ عَنِ السَّلَفِ وَاللَّائِمَةِ إِبْطَالُ أَقْوَالِ بِتَكْفِيرِ " الْجَهْمِيَّةِ الْمَحْضَةِ " <sup>٧٩</sup> الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ ، وَحَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يُرَى ؛ وَلَا يُبَيِّنُ الْخَلْقَ ؛ وَلَا لَهُ عِلْمٌ وَلَا

<sup>٧٩</sup> نظر : فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - ( ٩ / ٥٢٧٥ ) - رقم الفتوى ٦٦٣٣٢ نقول عن علماء السنة في مسألة الاستواء والفتاوى الكبرى لابن تيمية - ( ١٠ / ١٦٦ ) والفتاوى الكبرى لابن تيمية - ( ١٠ / ٤٢١ ) و ( ٣ / ٣٩ ) و ( ٣ / ٣٥٢ ) ومجموع الفتاوى لابن تيمية - ( ٥ / ٢٨٢ ) و ( ٥ / ٣٥٥ ) و ( ٥ / ٤١٧ ) و ( ٦ / ٣٩٥ ) و ( ١٢ / ١٢١ ) و ( ١٢ / ٣٠٩ ) و ( ١٥ / ٢٢٢ ) و ( ١٧ / ١٤١ ) و ( ١٧ / ١٤٨ ) و ( ١٧ / ١٤٩ ) -

قُدْرَةً وَلَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا حَيَاةٌ بَلِ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَرَوْنَهُ كَمَا لَا يَرَاهُ أَهْلُ النَّارِ وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ .

وَأَمَّا الْخَوَارِجُ وَالرَّوَافِضُ فَفِي تَكْفِيرِهِمْ نِزَاعٌ وَتَرَدُّدٌ عَنْ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ .  
وَأَمَّا الْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ يَنْفُونَ الْكِتَابَةَ وَالْعِلْمَ فَكَفَرُوا وَلَمَّا يُكْفَرُوا مَنْ أَثْبَتَ الْعِلْمَ وَلَمْ يُثْبِتْ خَلْقَ الْأَفْعَالِ . وَفَصَّلُ الْخَطَابِ فِي هَذَا الْبَابِ بِذِكْرِ أَصْلَيْنِ :  
أَحَدُهُمَا : أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْكَافِرَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ لَا يَكُونُ إِلَّا مُنَافِقًا فَإِنَّ اللَّهَ مُنْذُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ صَارَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ :  
مُؤْمِنٌ بِهِ وَكَافِرٌ بِهِ مُظْهِرُ الْكُفْرِ وَمُنَافِقٌ مُسْتَخْفٍ بِالْكَفْرِ .

ولهذا ذكر الله هذه الأصناف الثلاثة في أوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ذَكَرَ أَرْبَعَ آيَاتٍ فِي نَعْتِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَآيَتَيْنِ فِي الْكُفَّارِ ؛ وَبَضَعَ عَشْرَ آيَةٍ فِي الْمُنَافِقِينَ . وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } (١) سُورَةُ الْأَحْزَابِ . وَقَوْلِهِ : { .. إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا } (١٤٠) سُورَةُ النَّسَاءِ . وَقَوْلِهِ : { فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (١٥) سُورَةُ الْحَدِيدِ . وَعَظَفَهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ لِيُمَيِّزَهُمْ عَنْهُمْ بِإِظْهَارِ الْإِسْلَامِ وَإِلَّا فَهُمْ فِي الْبَاطِنِ شَرٌّ مِنَ الْكُفَّارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } (١٤٥) سُورَةُ النَّسَاءِ . وَكَمَا قَالَ : { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآثُورًا وَهُمْ فَاسِقُونَ } (٨٤) سُورَةُ التَّوْبَةِ . وَكَمَا قَالَ : { قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمُ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ } (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) [التوبة : ٥٣ ، ٥٤] قُلْ أَنْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمُ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤) [التوبة : ٥٣ ، ٥٤] .

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَهْلُ الْبِدْعِ فِيهِمُ الْمُنَافِقُ الزَّادِقُ فَهَذَا كَافِرٌ وَيَكْثُرُ مِثْلُ هَذَا فِي الرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ فَإِنَّ رُؤُسَاءَهُمْ كَانُوا مُنَافِقِينَ زَنَادِقَةً . وَأَوَّلُ مَنْ ابْتَدَعَ الرَّفُضَ كَانَ مُنَافِقًا <sup>٨٠</sup> . وَكَذَلِكَ التَّجَهُمُ فَإِنَّ أَصْلَهُ زَنْدَقَةٌ وَنِفَاقٌ . وَلِهَذَا كَانَ الزَّادِقَةُ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ الْمُتَفَلِّسَةِ وَأَمْثَالِهِمْ يَمِيلُونَ إِلَى الرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ لِقُرْبِهِمْ مِنْهُمْ . وَمِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ مَنْ يَكُونُ فِيهِ إِيْمَانٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا لَكِنْ فِيهِ جَهْلٌ وَظُلْمٌ حَتَّى أَخْطَأَ مَا أَخْطَأَ مِنَ السُّنَّةِ ؛ فَهَذَا لَيْسَ بِكَافِرٍ وَلَا مُنَافِقٌ ثُمَّ قَدْ يَكُونُ مِنْهُ عُدْوَانٌ وَظُلْمٌ يَكُونُ بِهِ فَاسِقًا أَوْ عَاصِيًا ؛ وَقَدْ يَكُونُ مُخْطِئًا مُتَأَوِّلًا مَغْفُورًا لَهُ خَطْوُهُ ؛ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ مَعَهُ مِنَ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى مَا يَكُونُ مَعَهُ مِنْ وَلَايَةِ اللَّهِ بِقَدْرِ إِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ فَهَذَا أَحَدُ الْأَصْلَيْنِ . وَالْأَصْلُ الثَّانِي : أَنَّ الْمَقَالَةَ تَكُونُ كُفْرًا : كَجَحْدِ وَجُوبِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ وَالْحَجِّ وَتَحْلِيلِ الزَّيْنَةِ وَالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَنِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ ثُمَّ الْقَائِلُ بِهَا قَدْ يَكُونُ بَحِيثٌ لَمْ يَبْلُغْهُ الْخِطَابُ وَكَذَا لَا يُكْفَرُ بِهِ جَاحِدُهُ كَمَنْ هُوَ حَدِيثٌ عَهْدٌ بِالْإِسْلَامِ أَوْ نَشَأَ بِيَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ لَمْ تَبْلُغْهُ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ فَهَذَا لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ بِجَحْدِ شَيْءٍ مِمَّا أَنْزَلَ عَلَى الرَّسُولِ إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَى الرَّسُولِ وَمَقَالَاتُ الْجَهْمِيَّةِ هِيَ مِنْ هَذَا النَّوعِ فَإِنَّهَا جَحْدٌ لِمَا هُوَ الرَّبُّ تَعَالَى عَلَيْهِ وَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ . وَتُعْلَظُ مَقَالَتُهُمْ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ :

أَحَدُهَا : أَنَّ النَّصُوصَ الْمُخَالَفَةَ لِقَوْلِهِمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ كَثِيرَةٌ جِدًّا مَشْهُورَةٌ وَإِنَّمَا يَرُدُّونَهَا بِالتَّحْرِيفِ .

الثَّانِي : أَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ تَعْطِيلُ الصَّانِعِ وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَهُمْ مُسْتَلَزِمٌ تَعْطِيلِ الصَّانِعِ ، فَكَمَا أَنَّ أَصْلَ الْإِيْمَانِ الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ فَأَصْلُ الْكُفْرِ الْإِنْكَارُ لِلَّهِ .

الثَّالِثُ : أَنَّهُمْ يُخَالِفُونَ مَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَأَهْلُ الْفِطْرِ السَّلِيمَةِ كُلُّهَا ؛ لَكِنْ مَعَ هَذَا قَدْ يَخْفَى كَثِيرٌ مِنْ مَقَالَاتِهِمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيْمَانِ حَتَّى يَظُنُّ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ لَمَّا يوردونه من الشُّبُهَاتِ .

وَيَكُونُ أَوْلَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ؛ وَإِنَّمَا التَّبَسُّ عَلَيْهِمْ وَاشْتَبَاهَ هَذَا كَمَا التَّبَسُّ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الْمُبْتَدِعَةِ فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا كُفَرًا قَطْعًا بَلْ قَدْ يَكُونُ

<sup>٨٠</sup> - انظر البدء والتاريخ ٥ : ١٢٩ ولسان الميزان ٣ : ٢٨٩ وعقيدة الشيعة ٥٨ و ٥٩ وتهذيب ابن عساکر ٧ : ٤٢٨ .

مِنْهُمْ الْفَاسِقُ وَالْعَاصِي ؛ وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُمْ الْمُخْطِئُ الْمَغْفُورُ لَهُ ؛ وَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْتِقَايَ مَا يَكُونُ مَعَهُ بِهِ مِنْ وَلَايَةِ اللَّهِ بِقَدْرِ إِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ .

=====

## المطلب التاسع

### الإيمان يزيد وينقص عند أهل السنة

وَأَصْلُ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِي فَارَقُوا بِهِ الْخَوَارِجَ وَالْجَهْمِيَّةَ وَالْمُعْتَزِلَةَ وَالْمُرْجِنَةَ أَنَّ الْإِيمَانَ يَتَفَاضَلُ وَيَتَبَعَضُ ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ فَمَنْ شَكَّ فَلْيَقْرَأْ { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا } (٤٠) سورة النساء<sup>٨١</sup>.

وَحِينَئِذٍ فَتَتَفَاضَلُ وَلَايَةُ اللَّهِ وَتَتَبَعَضُ بِحَسَبِ ذَلِكَ . وَإِذَا عُرِفَ أَصْلُ الْبِدْعِ فَأَصْلُ قَوْلِ الْخَوَارِجِ أَنَّهُمْ يُكْفَرُونَ بِالذَّنْبِ ، وَيَعْتَقِدُونَ ذَنْبًا مَا لَيْسَ بِذَنْبٍ ، وَيَرَوْنَ اتِّبَاعَ الْكِتَابِ دُونَ السُّنَّةِ الَّتِي تُخَالِفُ ظَاهِرَ الْكِتَابِ - وَإِنْ كَانَتْ مُتَوَاتِرَةً - وَيُكْفَرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ وَيَسْتَحِلُّونَ مِنْهُ لَارْتِدَادَهُ عِنْدَهُمْ مَا لَا يَسْتَحِلُّونَهُ مِنَ الْكَافِرِ الْأَصْلِيِّ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ « .. يَفْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ ، لِنِ أْنَا أَدْرَكْتُهُمْ لِأَقْتُلْنَهُمْ قَتْلَ عَادِ »<sup>٨٢</sup>

وَلِهَذَا كَفَرُوا عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَشِيعَتَهُمَا ؛ وَكَفَرُوا أَهْلَ صَفِين - الطَّائِفَتَيْنِ - فِي نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ الْخَبِيثَةِ .

وَأَصْلُ قَوْلِ الرَّافِضَةِ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَّ عَلَى عَلِيٍّ نَصًّا قَاطِعًا لِلْعُذْرِ ؛ وَأَنَّهُ إِمَامٌ مَعْصُومٌ وَمَنْ خَالَفَهُ كَفَرَ ؛ وَأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ كَتَمُوا النَّصَّ وَكَفَرُوا بِالْإِمَامِ الْمَعْصُومِ ؛ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَبَدَّلُوا الدِّينَ وَغَيَّرُوا الشَّرِيعَةَ وَظَلَمُوا وَاعْتَدَوْا ؛ بَلْ كَفَرُوا إِلَّا نَفَرًا قَلِيلًا : بِضَعَةِ عَشْرٍ أَوْ أَكْثَرَ ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَنَحْوَهُمَا مَا زَالَا مُنَافِقِينَ . وَقَدْ

<sup>٨١</sup> - سنن الترمذی - المکرر - (٢٨٠٢) وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

<sup>٨٢</sup> - صحيح البخاری - المکرر - (٣٣٤٤) وصحيح مسلم - المکرر - (٢٤٩٩)

يَقُولُونَ : بَلْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا . وَأَكْثَرُهُمْ يُكَفِّرُ مَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ وَيَسْمُونَ أَنْفُسَهُمْ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ خَالَفَهُمْ كُفَّارًا وَيَجْعَلُونَ مَدَائِنَ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تَظْهَرُ فِيهَا أَقْوَالُهُمْ دَارَ رِدَّةٍ  
 أَسْوَأَ حَالًا مِنْ مَدَائِنِ الْمُشْرِكِينَ وَالنَّصَارَى وَلِهَذَا يُوَالُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ  
 عَلَى بَعْضِ جُمُهورِ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَى مُعَادَاتِهِمْ وَمُحَارَبَتِهِمْ : كَمَا عُرِفَ مِنْ مَوَالَاتِهِمْ  
 الْكُفَّارَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى جُمُهورِ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَمِنْ مَوَالَاتِهِمْ الْإِفْرَنْجَ النَّصَارَى عَلَى جُمُهورِ  
 الْمُسْلِمِينَ ؛ وَمِنْ مَوَالَاتِهِمْ الْيَهُودَ عَلَى جُمُهورِ الْمُسْلِمِينَ<sup>٨٣</sup> . وَمِنْهُمْ ظَهَرَتْ أُمَّهَاتُ  
 الزُّنْدَقَةِ وَالنِّفَاقِ كَزُنْدَقَةِ الْقَرَامِطَةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَأُمَثَالِهِمْ وَلَا رَيْبَ أَنََّّهُمْ أَبْعَدُ طَوَائِفِ الْمُبْتَدِعَةِ  
 عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلِهَذَا كَانُوا هُمْ الْمَشْهُورِينَ عِنْدَ الْعَامَّةِ بِالْمُخَالَفَةِ لِلسُّنَّةِ، فَجُمُهورُ  
 الْعَامَّةِ لَا تَعْرِفُ ضِدَّ السُّنَنِ إِلَّا الرَّافِضِيَّ إِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا سُنِّي فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ لَسْتُ  
 رَافِضِيًّا . وَلَا رَيْبَ أَنََّّهُمْ شَرُّ مَنْ الْخَوَارِجُ : لَكِنَّ الْخَوَارِجَ كَانَ لَهُمْ فِي مَبْدَأِ الْإِسْلَامِ  
 سَيْفٌ عَلَى أَهْلِ الْجَمَاعَةِ وَمَوَالَاتِهِمْ الْكُفَّارَ أَعْظَمُ مِنْ سَيْوفِ الْخَوَارِجِ، فَإِنَّ الْقَرَامِطَةَ  
 وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةَ وَنَحْوَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمُحَارَبَةِ لِأَهْلِ الْجَمَاعَةِ وَهُمْ مُتَسَبِّبُونَ إِلَيْهِمْ، وَأَمَّا  
 الْخَوَارِجُ فَهُمْ مَعْرُوفُونَ بِالصِّدْقِ ؛ وَالرَّوَافِضُ مَعْرُوفُونَ بِالْكَذِبِ . وَالْخَوَارِجُ مَرَقُوا مِنَ  
 الْإِسْلَامِ وَهَؤُلَاءِ نَابَذُوا الْإِسْلَامَ .

وَأَمَّا الْقَدَرِيَّةُ الْمَحْضَةُ فَهُمْ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ بِكَثِيرٍ وَأَقْرَبُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَكِنَّ الْمُعْتَرِلَةَ  
 وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ هُمْ جَهْمِيَّةٌ أَيْضًا وَقَدْ يُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ وَيَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ  
 فَيَقْرُبُونَ مِنْ أَوْلَئِكَ .

وَأَمَّا الْمُرْجئةُ فَلْيَسُوا مِنْ هَذِهِ الْبِدْعِ الْمُعْلَظَةِ بَلْ قَدْ دَخَلَ فِي قَوْلِهِمْ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ  
 وَالْعِبَادَةِ ؛ وَمَا كَانُوا يُعَدُّونَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ؛ حَتَّى تَغْلُظَ أَمْرُهُمْ بِمَا زَادُوهُ مِنَ الْأَقْوَالِ  
 الْمُعْلَظَةِ . وَلَمَّا كَانَ قَدْ نُسِبَ إِلَى الْإِرْجَاءِ وَالتَّفْضِيلِ قَوْمٌ مَشَاهِيرُ مُتَّبِعُونَ : تَكَلَّمَ أَيْمَةُ  
 السُّنَّةِ الْمَشَاهِيرُ فِي ذِمِّ الْمُرْجئةِ الْمُفْضَلَةِ تَنْفِيرًا عَنْ مَقَالَتِهِمْ كَقَوْلِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ : مَنْ  
 قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَالشَّيْخَيْنِ فَقَدْ أَرَزَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالنَّصَارِ ؛ وَمَا أَرَى يَصْعَدُ لَهُ  
 إِلَى اللَّهِ عَمَلٌ مَعَ ذَلِكَ . أَوْ نَحْوِ هَذَا الْقَوْلِ . قَالَ لَمَّا نُسِبَ إِلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ بَعْضَ أَيْمَةِ

<sup>٨٣</sup> - كما في العراق وأفغانستان ، فهم يوالون أعداء الإسلام ، ويناصبون أهل السنة والجماعة العداء



الْكُوفِيِّينَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِي : مَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ فَقَدْ أَرْزَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ قَالَهُ لَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ أَئِمَّةِ الْكُوفِيِّينَ<sup>٨٤</sup> . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الثَّوْرِيِّ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمْ فِي ذَمِّ الْمُرْجِئَةِ لَمَّا نُسِبَ إِلَى الْإِرْجَاءِ بَعْضُ الْمَشْهُورِينَ .

وَكَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي هَذَا الْبَابِ جَارٍ عَلَى كَلَامِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى لَيْسَ لَهُ قَوْلٌ ابْتَدَعَهُ وَلَكِنْ أَظْهَرَ السُّنَّةَ وَبَيَّنَهَا ؛ وَذَبَّ عَنْهَا وَبَيَّنَ حَالَ مُخَالَفَتِهَا وَجَاهِدَ عَلَيْهَا ؛ وَصَبَرَ عَلَى الْأَذَى فِيهَا لَمَّا أَظْهَرَتِ الْأَهْوَاءُ وَالْبِدْعُ ؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } ( ٢٤ ) سُورَةُ السَّجْدَةِ . فَالْصَّبْرُ وَالْيَقِينُ بِهِمَا تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ فَلَمَّا قَامَ بِذَلِكَ قُرِئَتْ بِاسْمِهِ مِنَ الْإِمَامَةِ فِي السُّنَّةِ مَا شُهِرَ بِهِ وَصَارَ مَتَّبِعًا لِمَنْ بَعْدَهُ كَمَا كَانَ تَابِعًا لِمَنْ قَبْلَهُ . وَإِلَّا فَالسُّنَّةُ هِيَ مَا تَلْقَاهُ الصَّحَابَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَلْقَاهُ عَنْهُمْ التَّابِعُونَ ثُمَّ تَابِعُوهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ بِهَا أَعْلَمَ وَعَلَيْهَا أَصْبَرَ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ " .<sup>٨٥</sup>



<sup>٨٤</sup> - انظر السنة لأبي بكر بن الخلال - ( ٥٦٧ ) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي - ( ٢١٥٠ )

وشرح سنن أبي داود - عبد المحسن العباد - ( ٨ / ٤١ )

<sup>٨٥</sup> - مجموع الفتاوى لابن تيمية - ( ٣ / ٣٤٥ ) فما بعدها

**المبحث السابع**  
**قول الشاطبي في حديث اختلاف الأمة**  
**المطلب الأول**  
**العلامة التفصيلية لكل فرقة**

قال الشاطبي رحمه الله :

" وَأَمَّا الْعَلَامَةُ التَّفْصِيلِيَّةُ فِي كُلِّ فِرْقَةٍ فَقَدْ بُنِيَ عَلَيْهَا وَأُشِيرَ إِلَى جُمْلَةٍ مِنْهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَفِي ظَنِّي أَنَّ مَنْ تَأَمَّلَهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَجَدَهَا مُنَبِّهًا عَلَيْهَا وَمُشَارًا إِلَيْهَا ، وَلَوْ لَا أَنَا فَهَمْنَا مِنَ الشَّرْعِ السُّتْرَ عَلَيْهَا لَكَانَ فِي الْكَلَامِ فِي تَعْيِينِهَا مَحَالٌ مُتَّسِعٌ مَذْلُولٌ عَلَيْهِ بِالذَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ ، وَقَدْ كُنَّا هَمَمْنَا بِذَلِكَ فِي مَاضِي الزَّمَانِ . فَعَلَبْنَا عَلَيْهِ مَا دَلَّنَا عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَى خِلَافُ ذَلِكَ .

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي تَعَرَّضْنَا لشرحِهِ لَمْ يُعَيَّنْ فِي الرَّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ وَاحِدَةً مِنْهَا ، لِهَذَا الْمَعْنَى الْمَذْكُورِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَإِنَّمَا بُنِيَ عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ لِيُحَذَرَ مَطَائِفُهَا ، وَعَيَّنَ فِي الْحَدِيثِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ مِنْهَا ، وَهِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ لِيَتَحَرَّاهَا الْمُكَلَّفُ ، وَسَكَتَ عَنْ ذَلِكَ فِي الرَّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ ، لِأَنَّ ذِكْرَهَا فِي الْجُمْلَةِ يُفِيدُ الْأُمَّةَ الْخَوْفَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا ، وَذَكَرَ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى فِرْقَةً مِنَ الْفِرَقِ الْهَالِكَةِ لِأَنَّهَا - كَمَا قَالَ - أَشَدُّ الْفِرَقِ عَلَى الْأُمَّةِ . وَبَيَّانُ كَوْنِهَا أَشَدَّ فِتْنَةً مِنْ غَيْرِهَا سَيَأْتِي آخِرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

=====

**المطلب الثاني**  
**الكلام على رواية الثنتين والسبعين**

إِنَّ الرَّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ افْتِرَاقَ الْيَهُودِ كَافْتِرَاقِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ ، وَهِيَ فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ عَلَى الشَّكِّ! <sup>٨٦</sup> إِحْدَى وَسَبْعِينَ ؟ أَوْ ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ؟ وَأُثْبِتَ فِي

<sup>٨٦</sup> - سنن أبي داود - المكثر - ( ٤٥٩٨ )

الترمذي في الرواية العربية لبني إسرائيل الثنتين والسبعين لأنه لم يذكر في الحديث افتراق النصارى<sup>٨٧</sup> ، وذلك - والله أعلم - لأجل أنه إنما أجرى في الحديث ذكر بني إسرائيل فقط ، لأنه ذكر فيه عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله - ﷺ - « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفَرَّقَ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي »<sup>٨٨</sup> ..

وفي أبي داود ، اليهود والنصارى معاً إثبات الثنتين والسبعين من غير شك<sup>٨٩</sup> .  
 وخرج الطبري وغيره الحديث على أن بني إسرائيل افتقرت على إحدى وسبعين ملة ، وافتقرت هذه الأمة على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة .  
 فإن بيننا على إثبات إحدى الروايتين فلا إشكال ، لكن في رواية الإحدى والسبعين تزيد هذه الأمة فرقتين ، وعلى رواية الثنتين والسبعين تزيد فرقة واحدة ، وثبت في بعض كتب الكلام في نقل الحديث أن اليهود افتقرت على إحدى وسبعين ، وأن النصارى افتقرت على اثنتين وسبعين فرقة ، ووافقت سائر الروايات في افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة . ولم أر هذه الرواية هكذا فيما رأيته من كتب الحديث ، إلا ما وقع في جامع ابن وهب من حديث علي - رضي الله عنه - وسيأتي<sup>٩٠</sup> .  
 وإن بيننا على إعمال الروايات . فيمكن أن تكون رواية الإحدى والسبعين وقت أعلم بذلك ، ثم أعلم بزيادة فرقة ، إما أنها كانت فيهم ولم يعلم بها النبي ﷺ [ إلا ] في وقت آخر ، وإما أن تكون جملة الفرق في الملتين ذلك المقدار فأخبر به ، ثم حدثت الثانية والسبعون فيهما فأخبر بذلك ﷺ .

<sup>٨٧</sup> - سنن الترمذي - المكثر - (٢٨٥٢)

<sup>٨٨</sup> - سنن الترمذي - المكثر - (٢٨٥٣) هذا حديث مفسر حسن غريب

<sup>٨٩</sup> - سنن أبي داود - المكثر - (٤٥٩٩)

<sup>٩٠</sup> - انظر المعجم الأوسط للطبراني - (٥٠٤٣) والمعجم الصغير للطبراني - (٢ / ٢٩) (٧٢٤) والمعجم الكبير للطبراني

- (٧ / ٣١٦) (٧٩٧٧) والمعجم الكبير للطبراني - (١٢ / ٤١٦) (١٤٥١٨)

وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْإِخْتِلَافُ بِحَسَبِ التَّعْرِيفِ بِهَا أَوْ الْحُدُوثِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ

=====

### المطلب الثالث

#### زيادة فرقة في هذه الأمة على أهل الكتاب السابقين

هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَهَرَ أَنَّ فِيهَا فِرْقَةً زَائِدَةً عَلَى الْفِرَقِ الْآخَرَى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، فَالْتِئَانِ  
وَالسَّبْعُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ الْمُتَوَعَّدِينَ بِالنَّارِ ، وَالْوَّاحِدَةُ فِي الْجَنَّةِ . فَإِذَا انْفَسَمَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ  
بِحَسَبِ هَذَا الْإِفْتِرَاقِ قِسْمَيْنِ : قِسْمٌ فِي النَّارِ ، وَقِسْمٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَلَمْ يُبَيَّنْ ذَلِكَ فِي فِرْقِ  
الْيَهُودِ وَلَا فِي فِرْقِ النَّصَارَى ، إِذْ لَمْ يُبَيَّنْ الْحَدِيثُ أَنَّ لَا تَفْسِيمَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَيَبْقَى النَّظَرُ :  
هَلْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ أَمْ لَا ؟ وَيَنْبَنِي عَلَى ذَلِكَ نَظَرَانِ : هَلْ زَادَتْ هَذِهِ  
الْأُمَّةُ فِرْقَةً هَالِكَةً : أَمْ لَا ؟

وَهَذَا النَّظَرُ وَإِنْ كَانَ لَا يَنْبَنِي عَلَيْهِ . . . وَلَكِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الْكَلَامِ فِي الْحَدِيثِ <sup>٩١</sup> .  
فَظَاهِرُ النَّظَرِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الشَّرِيعَةِ أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَأَبَدٌ أَنْ يُوجَدَ  
فِيهَا مَنْ آمَنَ بِكِتَابِهِ وَعَمِلَ بِسُنَّتِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ  
لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ  
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } (١٦) سورة الحديد، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ  
لَمْ يَفْسُقْ ، وَقَالَ تَعَالَى { ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ  
الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا  
ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

<sup>٩١</sup> - قلت : يوجد حديث عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اختلفت اليهود على إحدَى وسبعين  
فرقة، سبعين من النار وواحدة في الجنة، واختلفت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة إحدَى وسبعون فرقة في النار  
وواحدة في الجنة، وتختلف هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة"، فقلنا:  
انتهى لنا، قال: "السَّوَادُ الْأَعْظَمُ" المعجم الكبير للطبراني - (٧ / ٣١٦) (٧٩٧٧) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة  
والجماعة للالكائي - (١٣١) وهو حديث حسن

فَاسْقُونُ { (٢٧) سورة الحديد ، وَقَالَ تَعَالَى : {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (١٥٩) سورة الأعراف، وَقَالَ تَعَالَى : {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} (٦٦) سورة المائدة ، وَهَذَا كَالْتَصُّ .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلِمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِبِي فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَأَيُّمَا مَمْلُوكٍ أَدَّى حَقَّ مَوَالِيهِ وَحَقَّ رَبِّهِ فَلَهُ أَجْرَانِ » ٩٢ .

فَهَذَا يَدُلُّ بِإِشَارَتِهِ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُ . وَخَرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ " ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : " يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ " ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ : " أَتَدْرِي أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ ؟ " قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " الْوَلَايَةُ فِي اللَّهِ ، الْحَبُّ فِيهِ وَالْبُعْضُ فِيهِ ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ " ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ : " هَلْ تَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ ؟ " قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " أَفْضَلُ النَّاسِ أَفْضَلُهُمْ عَمَلًا إِذَا فَهَقُوا فِي دِينِهِمْ ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ " ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَ : " هَلْ تَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ " قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " أَعْلَمُ النَّاسِ أَبْصَرُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ ، وَإِنْ كَانَ مُقْصِرًا فِي الْعَمَلِ ، وَإِنْ كَانَ يَرْحَفُ عَلَى اسْتِهِ ، وَاخْتَلَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، مِنْهَا ثَلَاثٌ وَهَلَكَ سَائِرُهَا ، فِرْقَةٌ آذَتْ الْمُلُوكَ وَقَاتَلَتْهُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَدِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، حَتَّى قُتِلُوا ، وَفِرْقَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ طَاقَةٌ بِمُوَازَاةِ الْمُلُوكِ فَأَقَامُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمَهُمْ فَدَعَوْهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَدِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، فَأَخَذَتْهُمْ الْمُلُوكُ فَقَتَلَتْهُمْ وَنَشَرَتْهُمْ وَقَطَعَتْهُمْ بِالْمَنَاشِيرِ ، وَفِرْقَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ طَاقَةٌ بِمُوَازَاةِ الْمُلُوكِ وَلَا بِأَنْ يُقِيمُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمَهُمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَإِلَى دِينِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَسَاحُوا فِي الْجِبَالِ ، وَتَرَهَّبُوا فِيهَا فَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا

٩٢ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٥٠٨٣ )

بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ { (٢٧) سورة الحديد، وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِبِي وَصَدَّقُونِي، وَالْفَاسِقُونَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبِي وَجَحَدُونِي "٩٣

فَأَخْبَرَ أَنْ فِرْقًا ثَلَاثًا نَجَتْ مِنْ تِلْكَ الْفِرْقِ الْمَعْدُودَةِ وَالْبَاقِيَةُ هَلَكَتْ .

وَخَرَجَ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ أَبِي الصَّهْبَاءِ الْبَكْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، "وَقَدْ دَعَا رَامِيَ الْحَالُوتِ، وَأَسْقَفَ النَّصَارَى، قَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرٍ وَأَنَا أَعْلَمُ بِهِ مِنْكُمْ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَخْبِرْنِي عَلَى كَمْ افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْقَةٍ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: كَذَبْتَ، افْتَرَقَتْ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ، ثُمَّ دَعَا بِالْأَسْقَفِ، فَقَالَ: عَلَى كَمْ افْتَرَقَتْ النَّصْرَانِيَّةُ بَعْدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ فِرْقَةٍ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَا فِرْقَةً، فَقَالَ عَلِيٌّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: كَذَبْتَ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا فِرْقَةً. فَأَمَّا أَنْتَ يَا يَهُودِي، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: {وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (١٥٩) سورة الأعراف، فَهَذِهِ الَّتِي تَنْجُو، وَأَمَّا أَنْتَ يَا نَصْرَانِي، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} (٦٦) سورة المائدة، فَهَذِهِ الَّتِي تَنْجُو، وَأَمَّا نَحْنُ، فَيَقُولُ: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (١٨١) سورة الأعراف، فَهَذِهِ الَّذِينَ تَنْجُو مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ". ٩٤.

فَفِي هَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ. وَخَرَجَهُ الْآجُرِّيُّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَنَسٍ بِمَعْنَى حَدِيثِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : إِنَّ وَاحِدَةً مِنْ فِرْقِ الْيَهُودِ وَمِنْ فِرْقِ النَّصَارَى فِي الْجَنَّةِ .

٩٣ - شعب الإيمان - (١٢ / ٧٣) (٩٠٦٥) حسن

العروة : ما يُستمسك به ويُعتصم من الدين - البغض : عكس الحب وهو الكُره والمقت - الاست : العجز والمؤخرة ويطلق على حلقة الدبر

٩٤ - تفسير ابن أبي حاتم - (٦ / ٢٢٧) (٩١٤١) حسن

وَخَرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَمِيلَةَ، نَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مَا سَمِعْنَا حَدِيثًا، هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَوَايَةً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : قَالَ: " إِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ اخْتَرَعُوا كِتَابًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ اسْتَهْوَتْهُ قُلُوبُهُمْ، وَاسْتَحْلَتَهُ أَلْسِنَتُهُمْ، وَكَانَ الْحَقُّ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِنْ شَهَوَاتِهِمْ حَتَّى نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " فَقَالَ: " اَعْرِضُوا هَذَا الْكِتَابَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنْ تَابَعُوكُمْ عَلَيْهِ فَاتْرُكُوهُمْ، وَإِنْ خَالَفُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ " قَالَ: " لَا بَلْ ائْبَعُوا إِلَى فُلَانٍ رَجُلٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَإِنْ تَابَعَكُمْ لَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ، وَإِنْ خَالَفَكُمْ فَاقْتُلُوهُ، فَلَنْ يَخْتَلَفَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأَخَذَ وَرَقَةً فَكَتَبَ فِيهَا كِتَابَ اللَّهِ، ثُمَّ أَدْخَلَهَا فِي قَرْنٍ ثُمَّ عَلَقَهَا فِي عُنُقِهِ ثُمَّ لَبَسَ عَلَيْهَا الثِّيَابَ، ثُمَّ أَتَاهُمْ فَعَرَضُوا عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَقَالُوا: أَتُؤْمِنُ بِهَذَا؟ فَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ - يَعْنِي الْكِتَابَ الَّذِي فِي الْقَرْنِ - فَقَالَ: آمَنْتُ بِهَذَا، وَمَا لِي لَا أُوْمِنُ بِهَذَا؟ فَخَلُّوا سَبِيلَهُ قَالَ: وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يُعْشَوْنَهُ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَتَوْهُ فَلَمَّا نَزَعُوا ثِيَابَهُ وَجَدُوا الْقَرْنَ فِي جَوْفِهِ الْكِتَابَ، فَقَالُوا: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى قَوْلِهِ: آمَنْتُ بِهَذَا، وَمَا لِي لَا أُوْمِنُ بِهَذَا؟ فَإِنَّمَا عَنَى بِهَذَا هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي فِي الْقَرْنِ، قَالَ: فَاخْتَلَفَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى بَضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، خَيْرٌ مَلَلِهِمْ أَصْحَابُ ذِي الْقَرْنِ "، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَإِنْ مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ سِيرَى مُنْكَرًا، وَبِحَسَبِ أَمْرِي يَرَى مُنْكَرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَهُ أَنْ يُعْلِمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ لَهُ كَارَةٌ ٩٥.

فَهَذَا الْخَبَرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فِرْقَةً كَانَتْ عَلَى الْحَقِّ الصَّرِيحِ فِي زَمَانِهِمْ، لَكِنْ لَا أَضْمَنُ عُهْدَةَ صِحَّتِهِ وَلَا صِحَّةَ مَا قَبْلَهُ ٩٦.

وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ فِي الْيَهُودِ وَالتَّصَارِي فِرْقَةً نَاجِيَةً لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى رَوَايَةِ الثُّنَيْنِ وَالسَّبْعِينَ، أَوْ فِرْقَتَيْنِ بِنَاءً عَلَى رَوَايَةِ الْإِخْدَى وَالسَّبْعِينَ، فَيَكُونُ لَهَا نَوْعٌ مِنَ التَّفَرُّقِ لَمْ يَكُنْ لِمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، لِأَنَّ الْحَدِيثَ الْمُتَقَدَّمَ

٩٥ - شعب الإيمان - (١٠ / ٧٢) (٧١٨٣) صحيح

٩٦ - قلت : قد صحَّ

أُثِّبَتْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبَعَتْ مَنْ قَبْلَهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ فِي أَعْيَانٍ مُخَالَفَتِهَا ، فَثَبَّتَ أَنَّهَا تَبَعَتْهَا فِي أَمْثَالِ بَدْعَتِهَا ، وَهَذِهِ هِيَ : الْمَسْأَلَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ

فَإِنَّ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « لَتَبْعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبَعْتُمُوهُمْ » . قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ « فَمَنْ »<sup>٩٧</sup> .

زِيَادَةُ إِلَى حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ الْعَرِيبِ ، فَدَلَّ ضَرْبُ الْمِثَالِ فِي التَّعْيِينِ عَلَى أَنَّ الْإِتِّبَاعَ فِي أَعْيَانٍ أَفْعَالِهِمْ .

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، أَنَّ سَنَانَ بْنَ أَبِي سِنَانٍ الدَّوْلِيِّ ، وَهُمْ حُلَفَاءُ بَنِي الدَّيْلِ أَخْبَرَهُ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا وَقْدٍ اللَّيْثِيَّ ، يَقُولُ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَّةَ خَرَجَ بِنَا مَعَهُ قَبْلَ هَوَازِنَ ، حَتَّى مَرَرْنَا عَلَى سِدْرَةِ الْكُفَّارِ ، سِدْرَةُ يَعْكُفُونَ حَوْلَهَا وَيَدْعُونَهَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، إِنَّهَا السُّنَنُ هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى { .. اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } (١٣٨) سُوْرَةُ الْأَعْرَافِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّكُمْ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ.<sup>٩٨</sup>

وَصَارَ حَدِيثُ الْفَرَقِ بِهَذَا التَّفْسِيرِ صَادِقًا عَلَى أَمْثَالِ الْبِدْعِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبْدَعُ فِي دِينِ اللَّهِ مِثْلَ تِلْكَ الْبِدْعِ وَتَزِيدُ عَلَيْهَا بِدْعَةً لَمْ تَقْدَمْهَا وَاحِدَةً مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْبِدْعَةُ الرَّائِدَةُ إِنَّمَا تُعْرَفُ بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْبِدْعِ الْأُخْرَى ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ ذَلِكَ لَا يُعْرَفُ ، أَوْ لَا يُسَوِّغُ التَّعْرِيفُ بِهِ وَإِنْ عُرِفَ ، فَكَذَلِكَ لَا تَتَعَيَّنُ الْبِدْعَةُ الرَّائِدَةُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

<sup>٩٧</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٧٣٢٠ )

<sup>٩٨</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١٥ / ٩٤ ) ( ٦٧٠٢ ) صحيح - الأنواط : ذات أنواط شجرة بعينها كان الكفار ينوطون بها أسلحتهم أى يعلقونها



وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ أُمَّتِي مَا أَخَذَ الْأُمَمَ وَالْقُرُونُ قَبْلَهَا ، شَبْرًا بِشَبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَمَا فَعَلْتَ فَارِسُ وَالرُّومُ ؟ قَالَ : وَهَلِ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ ؟<sup>٩٩</sup>

وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ ضَرْبُ مِثْلِ ، فَقَوْلُهُ : حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِمَا أَخَذَ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلَهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا تَأْخُذُ بِمِثْلِ مَا أَخَذُوا بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَتَعَيَّنُ فِي الْإِتِّبَاعِ لَهُمْ أَعْيَانُ بَدَعِهِمْ ، بَلْ قَدْ تَتَّبَعَهَا فِي أَعْيَانِهَا وَتَتَّبَعَهَا فِي أَشْبَاهِهَا ، فَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْأَوَّلِ قَوْلُهُ - ﷺ - « لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ » . قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ « فَمَنْ » .<sup>١٠٠</sup>

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى الثَّانِي قَوْلُهُ : فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ : اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا . . . " الْحَدِيثُ . فَإِنَّ اتِّخَاذَ ذَاتِ أَنْوَاطٍ يُشَبِّهُ اتِّخَاذَ الْإِلَهَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، لَا أَنَّهُ هُوَ بِنَفْسِهِ فَلِذَلِكَ لَا يَلْزَمُ الْإِعْتِبَارُ بِالْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَنْصَ عَلَيْهِ مِثْلُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

=====

#### المطلب الرابع

#### لماذا استحققت الفرق المخالفة لأهل السنة النار؟

إِنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ ، وَهَذَا وَعِيدٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْفِرْقَ قَدْ ارْتَكَبَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَعْصِيَةً كَبِيرَةً أَوْ ذَنْبًا عَظِيمًا ، إِذْ قَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأَصُولِ أَنَّ مَا يُتَوَعَّدُ الشَّرُّ عَلَيْهِ فَخُصُوصِيَّتُهُ كَبِيرَةٌ . إِذْ لَمْ يَقُلْ : كُلُّهَا فِي النَّارِ . إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْوَصْفِ ( الَّذِي ) افْتَرَقَتْ بِسَبَبِهِ عَنِ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَعَنْ جَمَاعَتِهِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْبِدْعَةِ الْمُفَرِّقَةِ . إِلَّا أَنَّهُ يُنْظَرُ فِي هَذَا الْوَعِيدِ ؛ هَلْ هُوَ أَبَدِيٌّ أَمْ لَا ؟ وَإِذَا قُلْنَا : إِنَّهُ غَيْرُ أَبَدِيٍّ : هَلْ هُوَ نَافِذٌ أَمْ فِي الْمَشِيشَةِ .

<sup>٩٩</sup> - مسند أحمد (عالم الكتب) - ( ٣ / ٢٥٥ ) ( ٨٣٠٨ ) ٨٢٩١ - صحيح

<sup>١٠٠</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦٩٥٢ )

أَمَّا الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ : فَيَنْبَغِي عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْبِدْعِ مُخْرِجَةٌ مِنَ الْإِسْلَامِ ، أَوْ لَيْسَتْ مُخْرِجَةٌ ، وَالْخِلَافُ فِي الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُخَالَفِينَ فِي الْعَقَائِدِ مَوْجُودٌ - وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ قَبْلَ هَذِهِ - فَحَيْثُ نَقُولُ بِالتَّكْفِيرِ لَزِمَ مِنْهُ تَأْيِيدُ التَّحْرِيمِ عَلَى الْقَاعِدَةِ إِنَّ الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ . يَحْتَمِلُ عَدَمُ التَّكْفِيرِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا نَفْوذُ الْوَعِيدِ وَإِذَا قُلْنَا بِعَدَمِ التَّكْفِيرِ فَيَحْتَمِلُ - عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ - أَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا : نَفْوذُ الْوَعِيدِ مِنْ غَيْرِ غُفْرَانٍ ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ظَوَاهِرُ الْأَحَادِيثِ . وَقَوْلُهُ هُنَا : كُلُّهَا فِي النَّارِ أَيْ مُسْتَقَرَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهَا .

وَالْأَمْرُ الثَّانِي مِنْ احْتِمَالِ التَّكْفِيرِ أَنْ يَكُونَ مُقَيَّدًا بِالمَشِيئَةِ ، فَإِنْ قِيلَ : لَيْسَ بِإِنْفَازِ الْوَعِيدِ بِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ . قِيلَ : بَلَى ؛ قَدْ قَالَ بِهِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الْكِبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَكِنْ دَلَّاهُمُ الدَّلِيلُ فِي خُصُوصِ كِبَائِرَ عَلَى أَنَّهَا خَارِجَةٌ عَنْ ذَلِكَ الْحُكْمِ ، وَلَأَيْدٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْمُتَّبِعَ هُوَ الدَّلِيلُ ، فَكَمَا دَلَّاهُمْ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْكِبَائِرِ عَلَى الْجُمْلَةِ فِي الْمَشِيئَةِ ، كَذَلِكَ دَلَّاهُمْ عَلَى تَخْصِيصِ ذَلِكَ الْعُمُومِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } (٤٨) سورة النساء ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } (٩٣) سورة النساء . فَأَخْبَرَ أَوَّلًا أَنَّ جَزَاءَهُ جَهَنَّمُ ، وَبَالَغَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : " خَالِدًا فِيهَا " عِبَارَةً عَنْ طُولِ الْمَكْثِ فِيهَا ، ثُمَّ عَطَفَ بِالْغَضَبِ ، ثُمَّ بَلَعْتَهُ ، ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا وَالْإِعْدَادُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْمَعْدِّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى حُصُولِهِ لِلْمَعْدِّ لَهُ ، وَلِأَنَّ الْقَتْلَ اجْتَمَعَ فِيهِ حَقُّ اللَّهِ وَحَقُّ الْمَخْلُوقِ وَهُوَ الْمَقْتُولُ .

قَالَ ابْنُ رُشْدٍ : وَمِنْ شَرْطِ صِحَّةِ التَّوْبَةِ مِنْ مَظَالِمِ الْعِبَادِ تَحُلُّهُمْ أَوْ رُدُّ التَّبَاعَاتِ إِلَيْهِمْ ، وَهَذَا مِمَّا لَا سَبِيلَ إِلَى الْقَاتِلِ إِلَيْهِ إِلَّا بِأَنْ يُدْرِكَ الْمَقْتُولَ حَيًّا فَيَغْفُو عَنْهُ بِطِيبِ نَفْسِهِ . وَأَوَّلَى مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنْ نَقُولَ : وَمِنْ شَرْطِ خُرُوجِهِ مِنْ تَبَاعَةِ الْقَتْلِ مَعَ التَّوْبَةِ اسْتِدْرَاكُ مَا فَاتَ عَلَى الْمُجْنِي عَلَيْهِ : إِمَّا بِبَدْلِ الْقِيَمَةِ لَهُ ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا يُمَكِّنُ بَعْدَ فَوْتِ الْمَقْتُولِ .

فَكَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ فِي صَاحِبِ الْبِدْعَةِ مِنْ جِهَةِ الْأَدِلَّةِ ، فَرَاغَ مَا تَقَدَّمَ فِي الْبَابِ الثَّانِي  
تَجِدُ فِيهِ كَثِيرًا مِنَ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ الْمُخَوِّفِ جِدًّا .

وَأَنْظِرْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ  
وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (١٠٥) سورة آل عمران، فَهَذَا وَعِيدٌ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : { يَوْمَ  
تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا  
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } (١٠٦) سورة آل عمران، وَهُوَ تَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى  
: فَذُوقُوا الْعَذَابَ وَهُوَ تَأْكِيدٌ آخَرٌ .

وَكُلُّ هَذَا التَّقْرِيرِ بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَاتِ أَهْلَ الْقِبْلَةِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ .  
لِأَنَّ الْمُبْتَدِعَ إِذَا أَتْبَعَ فِي بِدْعَتِهِ لَمْ يُمْكِنْهُ التَّلَافِي - غَالِبًا - فِيهَا ، وَلَمْ يَزَلْ أَثَرُهَا فِي  
الْأَرْضِ يَسْتَطِيلُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِسَبَبِهِ ، فَهِيَ أَذْهَى مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ .  
قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : إِنَّ الْعَبْدَ لَوْ ارْتَكَبَ جَمِيعَ الْكَبَائِرِ بَعْدَ أَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا  
وَجَبَتْ لَهُ أَرْفَعُ الْمَنَازِلِ ، لِأَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ هُوَ مِنْهُ عَلَى رَجَاءٍ ، وَصَاحِبُ  
الْبِدْعَةِ لَيْسَ هُوَ مِنْهَا عَلَى رَجَاءٍ ، إِنَّمَا يُهْوَى بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَهَذَا مِنْهُ نَصٌّ فِي إِنْفَازِ  
الْوَعِيدِ .

وَالثَّانِي : أَنَّ يَكُونُ مُقَيَّدًا بِأَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِصْلَاءَهُمْ فِي النَّارِ ، وَإِنَّمَا حُمِلَ قَوْلُهُ :  
كُلُّهَا فِي النَّارِ أَيْ هِيَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ النَّارَ ، كَمَا قَالَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :  
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا أَيْ ذَلِكَ جَزَاؤُهُ إِنْ لَمْ يَعْفُ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ عَفَا عَنْهُ فَلَهُ الْعَفْوُ إِنْ  
شَاءَ اللَّهُ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ  
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } (١١٦) سورة النساء ، فَكَمَا ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ  
الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى أَنَّ الْقَاتِلَ فِي الْمَشِيعَةِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْإِسْتِدْرَاكُ ، كَذَلِكَ يَصِحُّ  
أَنْ يُقَالَ هُنَا بِمِثْلِهِ .

=====

## المطلب الخامس

### هل الحق واحد لا يتعدد؟

إِنَّ قَوْلَهُ ﷺ : إِلَّا وَاحِدَةً قَدْ أُعْطِيَ بِنَصِّهِ أَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ ، إِذْ لَوْ كَانَ لِلْحَقِّ فِرْقٌ أَيْضًا لَمْ يَقُلْ إِلَّا وَاحِدَةً ، وَلِأَنَّ الْاِخْتِلَافَ مَنفِيٌّ عَنِ الشَّرِيعَةِ بِإِطْلَاقٍ ، لِأَنَّهَا الْحَاكِمَةُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } (٥٩) سورة النساء ، وَالرَّسُولُ إِذْ رُدُّ التَّنَازُعُ إِلَى الشَّرِيعَةِ ، فَلَوْ كَانَتْ الشَّرِيعَةُ تَقْتَضِي الْخِلَافَ لَمْ يَكُنْ فِي الرَّدِّ إِلَيْهَا فَائِدَةٌ . وَقَوْلُهُ : فِي شَيْءٍ نَكْرَةً فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ ، فَهِيَ صِيعَةٌ مِنْ صِيعِ الْعُمُومِ . فَتَنْتَظِمُ كُلُّ تَنَازُعٍ عَلَى الْعُمُومِ ، فَالرَّدُّ فِيهَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلأَمْرِ وَاحِدٍ فَلَا يَسَعُ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الْحَقِّ فِرْقًا . وَقَالَ تَعَالَى : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (١٥٣) سورة الأنعام ، وَهُوَ نَصٌّ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ ، فَإِنَّ السَّبِيلَ الْوَاحِدَ لَا يَمْتَضِي الْاِفْتِرَاقَ ، بِخِلَافِ السَّبِيلِ الْمُخْتَلِفَةِ .

فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَسْأَلَةِ الْعَاشِرَةِ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ : وَاخْتَلَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فِي اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، نَجَا مِنْهَا ثَلَاثٌ ، وَهَلَكَ سَائِرُهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ ، فَلَوْ لَزِمَ مَا قُلْتُ لَمْ يَجْعَلْ أُولَئِكَ الْفِرْقَ ثَلَاثًا ، وَكَانُوا فِرْقَةً وَاحِدَةً ، وَحِينَ بَيَّنَّا ظَهَرَ كُلُّهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ . فَكَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْفِرْقُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، لَوْ لَا أَنَّ الْحَدِيثَ أَخْبَرَ أَنَّ النَّاجِيَةَ وَاحِدَةٌ .

فَالْجَوَابُ أَوَّلًا : أَنَّ ذَلِكَ الْحَدِيثَ لَمْ تَشْتَرِطِ الصَّحَّةَ فِي نَقْلِهِ ، إِذْ لَمْ نَجِدْهُ فِي الْكُتُبِ الَّتِي لَدَيْنَا الْمُشْتَرَطُ فِيهَا الصَّحَّةُ .<sup>١٠١</sup>

<sup>١٠١</sup> - قلت : بل هو صحيح

وَتَانِيَا : أَنَّ تِلْكَ الْفِرْقَ إِنِ عُدَّتْ هُنَا ثَلَاثًا فَإِنَّمَا عُدَّتْ هُنَاكَ وَاحِدَةً لِعَدَمِ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَهُمْ فِي أَصْلِ التَّبَاعِ ، وَإِنَّمَا الْاِخْتِلَافُ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ عَدَمِهَا ، وَفِي كَيْفِيَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ خَاصَّةً .

فَهَذِهِ الْفِرْقُ لَا تُنَافِي صِحَّةَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا ، فَحَنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ فِي مِلَّتِنَا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَرَاتِبَ : فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ بِالْيَدِ وَهُمْ الْمُلُوكُ وَالْحُكَّامُ وَمَنْ أَشَبَّهُهُمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدِرُ بِاللِّسَانِ كَالْعُلَمَاءِ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَقْدِرُ إِلَّا بِالْقَلْبِ - إِمَّا مَعَ الْبَقَاءِ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ إِذْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْهَجْرَةِ أَوْ مَعَ الْهَجْرَةِ إِنْ قَدَّرَ عَلَيْهَا - وَجَمِيعُ ذَلِكَ خُطَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ » .<sup>١٠٢</sup>

فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا يَضُرُّنَا عَدُّ النَّاجِيَةِ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ ثَلَاثًا بِاعْتِبَارٍ ، وَعَدُّهَا وَاحِدَةً بِاعْتِبَارٍ آخَرَ ، وَإِنَّمَا يَبْقَى النَّظَرُ فِي عَدِّهَا اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ، فَتَصِيرُ بِهَذَا الْاعْتِبَارِ سَبْعِينَ ، وَهُوَ مُعَارِضٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ جِهَةِ الْجَمْعِ بَيْنَ فِرْقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَفِرْقِ غَيْرِهَا ، مَعَ قَوْلِهِ ﷺ : لَتَرْكَبَنَّ سُنَنٌ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، شَبْرًا بِشِيرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، وَبَاعًا بِبَاعٍ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ أُمَّهُ لَفَعَلْتُمْ .<sup>١٠٣</sup>

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْجَوَابِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُتْرَكَ الْكَلَامُ فِي هَذَا رَأْسًا إِذَا خَالَفَ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ ، لِأَنَّهُ ثَبَتَ فِيهِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ : اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ .

<sup>١٠٢</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ١٨٨ )

<sup>١٠٣</sup> - كشف الأستار - ( ٤ / ٩٨ ) ( ٣٢٨٥ ) صحيح

وَأَمَّا أَنْ يَتَأَوَّلَ أَنَّ الثَّلَاثَةَ الَّتِي نَجَتْ لَيْسَتْ فِرْقًا ثَلَاثًا ، وَإِنَّمَا هِيَ فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ انْقَسَمَتْ إِلَى الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ ، لِأَنَّ الرِّوَايَةَ الْوَاقِعَةَ فِي تَفْسِيرِ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ هِيَ قَوْلُهُ نَجَا مِنْهَا ثَلَاثٌ<sup>١٠٤</sup> وَلَمْ يُفَسِّرْهَا بِثَلَاثِ فِرَقٍ وَإِنْ كَانَ هُوَ ظَاهِرَ الْمَسَاقِ . وَلَكِنْ قَصَدَ الْجَمْعُ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ وَمَعَانِي الْحَدِيثِ أُلْجَأَ إِلَى ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ رَسُولُهُ مِنْ ذَلِكَ .  
 وَقَوْلُهُ ﷺ : كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ظَاهِرٌ فِي الْعُمُومِ ، لِأَنَّ كُلًّا مِنْ صِيغِ الْعُمُومِ ، وَفَسَّرَهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ : ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهَذَا نَصٌّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ .

=====

## المطلب السادس

### لماذا لم يعين الحديث من الفرق إلا الفرقة الناجية ؟

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُعَيِّنْ مِنَ الْفِرَقِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً ، وَإِنَّمَا تَعَرَّضَ لِعِدِّهَا خَاصَّةً ، وَأَشَارَ إِلَى الْفِرَقِ النَّاجِيَةِ حِينَ سُئِلَ عَنْهَا ، وَإِنَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ لِأُمُورٍ :  
 أَحَدُهَا : أَنَّ تَعْيِينَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ هُوَ الْإِكْدُ فِي الْبَيَانِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى تَعَبُّدِ الْمُكَلَّفِ وَالْأَحَقُّ بِالذِّكْرِ ، إِذْ لَا يَلْزَمُ تَعْيِينَ الْفِرَقِ الْبَاقِيَةِ إِذَا عُنِيتِ الْوَاحِدَةُ . وَأَيْضًا لَوْ عُنِيتِ الْفِرْقَةُ كُلُّهَا إِلَّا هَذِهِ الْأُمَّةَ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ بَيَانِهَا ، لِأَنَّ الْكَلَامَ فِيهَا يَقْتَضِي تَرْكَ أُمُورٍ ، وَهِيَ الْبِدْعُ . وَالتَّرْكُ لِلشَّيْءِ لَا يَقْتَضِي فِعْلَ شَيْءٍ آخَرَ لَا ضِدًّا وَلَا خِلَافًا ، فَذِكْرُ الْوَاحِدَةِ هُوَ الْمُفِيدُ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

أَسْبَابُ تَعْيِينِ النَّبِيِّ ﷺ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ فَقَطْ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ:

أَحَدُهَا أَنَّ تَعْيِينَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ هُوَ الْإِكْدُ فِي الْبَيَانِ .

وَالثَّانِي : أَنَّ ذَلِكَ أَوْجَزُ لِأَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ نَحْلَةُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ عُلِمَ عَلَى الْبَدِيهِةِ أَنَّ مَا سِوَاهَا مِمَّا يُخَالِفُهَا لَيْسَ بِنَاجٍ ، وَحَصَلَ التَّعْيِينُ بِالِاجْتِهَادِ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا ذُكِرَتِ الْفِرْقَةُ إِلَّا النَّاجِيَةُ فَإِنَّهُ يَقْتَضِي شَرْحًا كَثِيرًا ، وَلَا يَقْتَضِي فِي الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ اجْتِهَادًا ، لِأَنَّ إِثْبَاتَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تَكُونُ مُخَالَفَتَهَا بِدْعًا لَا حَظَّ لِلْعَقْلِ فِي الْاجْتِهَادِ فِيهَا .

<sup>١٠٤</sup> - المستدرک للحاکم (٣٧٩٠)

وَالثَّالِثُ : أَنَّ ذَلِكَ أُخْرَى بِالسَّتْرِ ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَّانُهُ فِي مَسْأَلَةِ الْفَرَقِ ، وَلَوْ فَسَّرْتُ لِنَاقِضَ ذَلِكَ قَصْدَ السَّتْرِ ، فَفَسَّرَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَتَرَكَ مَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْمُخَالَفَةِ ، فَلِلْعَقْلِ وَرَاءَ ذَلِكَ مَرَمَى تَحْتَ أَذْيَالِ السَّتْرِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي ، وَوَقَعَ ذَلِكَ جَوَابًا لِلِسُّؤَالِ الَّذِي سَأَلُوهُ إِذْ قَالُوا : مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَأَجَابَ بِأَنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ مَنْ اتَّصَفَ بِأَوْصَافِهِ ﷺ وَأَوْصَافِ أَصْحَابِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ غَيْرَ خَفِيٍّ فَكَتَفَوْا بِهِ . وَرُبَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ بَعْدَ تِلْكَ الْأَرْمَانِ .

وَحَاصِلُ الْأَمْرِ أَنَّ أَصْحَابَهُ كَانُوا مُقْتَدِينَ بِهِ مُهْتَدِينَ بِهِدْيِهِ ، وَقَدْ جَاءَ مَدْحُهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأُنْتُ عَلَى مَتْبُعِهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَإِنَّمَا خُلِقَ ﷺ الْقُرْآنُ ، فَقَالَ تَعَالَى : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (٤) سورة القلم ، فَالْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ الْمَتْبُوعُ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَجَاءَتْ السُّنَّةُ مُبَيَّنَةً لَهُ ، فَالْمَتَّبِعُ لِلْسُّنَّةِ مُتَّبِعٌ لِلْقُرْآنِ . وَالصَّحَابَةُ كَانُوا أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ ، فَكُلُّ مَنْ اقْتَدَى بِهِمْ فَهُوَ مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الدَّاخِلَةِ لِلْجَنَّةِ بِفَضْلِ اللَّهِ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي . الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ هُمَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَغَيْرُهُمَا تَابِعٌ لَهُمَا ، فَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ هُوَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَمَا سِوَاهُمَا مِنَ الْإِجْمَاعِ وَغَيْرِهِ فَنَاشِئٌ عَنْهُمَا ، هَذَا هُوَ الْوَصْفُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، وَهُوَ مَعْنَى مَا جَاءَ فِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى مِنْ قَوْلِهِ : وَهِيَ الْجَمَاعَةُ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ فِي وَقْتِ الْإِخْبَارِ كَانُوا عَلَى ذَلِكَ الْوَصْفِ ، إِلَّا أَنْ فِي لَفْظِ الْجَمَاعَةِ مَعْنَى تَرَاهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ إِنْ فِي هَذَا التَّعْرِيفِ نَظَرًا لِأَبَدٍ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ فِيهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ " كُلَّ " دَاخِلٍ تَحْتَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ سُنِّيٍّ أَوْ مُبْتَدِعٍ مُدَّعٍ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَالَ رُتْبَةَ النَّجَاةِ وَدَخَلَ فِي عِمَارِ تِلْكَ الْفِرْقَةِ ، إِذْ لَا يَدَّعِي ( خِلَافَ ) ذَلِكَ إِلَّا مَنْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ ، وَانْحَازَ إِلَى فِتْنَةِ الْكُفْرِ ، كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَفِي مَعْنَاهُمْ مَنْ دَخَلَ بِظَاهِرِهِ وَهُوَ مُعْتَقِدٌ غَيْرَهُ كَالْمُنَافِقِينَ . وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَرْضَ لِنَفْسِهِ إِلَّا بِوَصْفِ الْإِسْلَامِ وَقَاتَلَ سَائِرَ الْمِلَلِ عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِأَخْسَ مَرَاتِبِهَا - وَهُوَ مُدَّعٍ أَحْسَنَهَا - وَهُوَ الْمَعْلَمُ فَلَوْ عَلِمَ الْمُبْتَدِعُ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ لَمْ

يُنْقِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ وَلَمْ يُصَاحِبْ أَهْلَهَا ، فَضُلًّا عَنْ أَنْ يَتَّخِذَهَا دِينًا يَدِينُ بِهِ لِلَّهِ ، وَهُوَ أَمْرٌ مَرْكُوزٌ فِي الْفِطْرَةِ لَا يُخَالِفُ فِيهِ عَاقِلٌ .

فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكُلُّ فِرْقَةٍ تُنَازِعُ صَاحِبَتَهَا فِي فِرْقَةِ النَّجَاةِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْمُبْتَدِعَ آخِذًا أَبَدًا فِي تَحْسِينِ حَالَتِهِ شَرْعًا وَتَقْبِيحِ حَالِهِ غَيْرِهِ ؟ فَالظَّاهِرُ يَدَّعِي أَنَّهُ الْمُتَّبِعُ لِلْسُنَّةِ . وَالْعَاشُ يَدَّعِي أَنَّهُ الَّذِي فَهَمَ الشَّرِيعَةَ ، وَصَاحِبُ نَفْيِ الصِّفَاتِ يَدَّعِي أَنَّهُ الْمُوَحِّدُ . وَالْقَائِلُ بِاسْتِقْلَالِ الْعَبْدِ [ يَدَّعِي ] أَنَّهُ صَاحِبُ الْعَدْلِ ، وَكَذَلِكَ سَمَى الْمُعْتَزِلَةُ أَنْفُسَهُمْ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ .

وَالْمُشَبِّهُ يَدَّعِي أَنَّهُ الْمُثَبِّتُ لِذَاتِ الْبَارِي وَصِفَاتِهِ ، لِأَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ عِنْدَهُ نَفْيٌ مَحْضٌ ، وَهُوَ الْعَدَمُ .

وَكَذَلِكَ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنَ الطَّوَائِفِ الَّتِي ثَبَتَ لَهَا اتِّبَاعُ الشَّرِيعَةِ أَوْ لَمْ يَثْبُتْ لَهَا . وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْإِسْتِدْلَالَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ أَوِ السُّنَنِيَّةِ عَلَى الْخُصُوصِ ، فَكُلُّ طَائِفَةٍ تَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ أَيْضًا .

فَالْخَوَارِجُ تَحْتِجُ بِقَوْلِهِ ﷺ : « لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ »<sup>١٠٥</sup> .

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : لَا يَزَالُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَصَابَةٌ عَلَى الْحَقِّ ، لَا يَضُرُّهُمْ خِلَافٌ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.<sup>١٠٦</sup> وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - يَقُولُ « مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ »<sup>١٠٧</sup> .

وَالْقَاعِدُ يَحْتَجُّ بِقَوْلِهِ ﷺ يَقُولُ : سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ ، فَاقْتُلُوهُ كَأَنَّا مَنْ كَانَ ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْتَكِضُ.<sup>١٠٨</sup>

<sup>١٠٥</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٧٣١١ )

<sup>١٠٦</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١٥ / ٢٤٩ ) ( ٦٨٣٥ ) صحيح

<sup>١٠٧</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٢٤٨٠ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٣٧٨ )

<sup>١٠٨</sup> - صحيح ابن حبان - ( ١٠ / ٤٣٨ ) ( ٤٥٧٧ ) صحيح



وبقول ﷺ : " وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِنَّ: الْجَمَاعَةَ وَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالْهَجْرَةَ وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ - أَوْ الْإِيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ، أَوْ الْإِيمَانِ مِنْ رَأْسِهِ - إِلَّا أَنْ يُرَاجَعَ.. " ١٠٩

وقوله ﷺ : إِنْ فِتْنَةٌ جَائِيَةُ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالنَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولِ ، فَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْقَاتِلَ فَكُنْ " ١١٠

وَالْمُرْجِيُّ يَحْتَجُّ بِقَوْلِهِ - ﷺ - يَقُولُ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ » . ١١١

وبقوله - ﷺ - « أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ بَشَّرَنِي - أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ » . قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ « وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ » ١١٢ .

وبقوله ﷺ : مَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ قَالَ : إِنْ زَنَى ، وَإِنْ سَرَقَ " ١١٣

وَالْمُخَالَفُ لَهُ مُحْتَجٌّ بِقَوْلِهِ ﷺ - « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَنْتَهِبُ نَهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » ١١٤

وَالْقَدَرِيُّ يَحْتَجُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : { فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } ( ٣٠ ) سورة الروم ،

١٠٩ - شعب الإيمان - ( ١٠ / ٧ ) ( ٧٠٩٠ ) صحيح

١١٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - ( ٧ / ٦٩ ) ( ٢١٠٦٤ ) ٢١٣٧٨ - حسن لغيره

وانظر فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - ( ٥ / ٧٧٨٢ ) - رقم الفتوى ٣٨٦٣٨ موقف المسلم إذا وقعت الفتن - تاريخ الفتوى : ١٥ شعبان ١٤٢٤

١١١ - مسند الحميدي - المكثر - ( ٣٩٤ ) صحيح

١١٢ - صحيح البخارى - المكثر - ( ١٢٣٧ )

١١٣ - الآحاد والمثاني - ( ٢ / ٤٩٥ ) ( ١٣٠٨ ) صحيح

١١٤ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٢٤٧٥ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٢١١ )

وَبَحْدِيثٍ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ »<sup>١١٥</sup> .

وَالْمَفْهُوضُ يَحْتَجُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) } [الشمس : ٧ ، ٨] ، وَبَحْدِيثٍ عَلَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ فَقَالَ « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ قَالَ « اْعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ » . ثُمَّ قَرَأَ ( فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِّيْسَرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) [الليل : ٥ - ٧] )<sup>١١٦</sup> .

وَبَحْدِيثٍ ذِي اللَّحْيَةِ الْكَلَابِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُنْعَمُ فِي أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ أَوْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ؟ قَالَ : لَا بَلْ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، قَالَ : فَفِيمَ الْعَمَلُ ؟ قَالَ : اْعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ .<sup>١١٧</sup>

وَالرَّافِضَةُ تُحْتَجُّ بِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ خُفَاءَ عُرَاءٍ غُرْلًا - ثُمَّ قَالَ - { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } (١٠٤) سورة الأنبياء - ثُمَّ قَالَ - أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ، أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ، فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصِحَّابِي . فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (١١٧) سورة المائدة ، فَيُقَالُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ »<sup>١١٨</sup> .

<sup>١١٥</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ١٣٨٥ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٩٢٦ )

<sup>١١٦</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤٩٤٩ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٩٠٣ ) - ينكت : يضرب

<sup>١١٧</sup> - المعجم الكبير للطبراني - ( ٤ / ٣١٧ ) ( ٤١١٦ ) صحيح

<sup>١١٨</sup> - صحيح البخارى - المكثر - ( ٤٦٢٥ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٧٣٨٠ )

وبقوله ﷺ: « إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيَذِبُ عَنِّي كَمَا يَذِبُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ فَأَقُولُ فِيمَ هَذَا فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سَحَقًا ».<sup>١١٩</sup>

وبقوله - ﷺ - « أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَا تُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَا غَلْبَنَ عَلَيْهِمْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي. فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ».<sup>١٢٠</sup>

وَيَحْتَجُّونَ فِي تَقْدِيمِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لِعَلِيٍّ « أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ».<sup>١٢١</sup>

وبقوله - ﷺ - قَالَ « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ».<sup>١٢٢</sup>

وَمُخَالَفُوهُمْ يَحْتَجُّونَ فِي تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بِقَوْلِهِ - ﷺ - « اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ».<sup>١٢٣</sup>

وبحديث عائشة قَالَتْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي مَرَضِهِ « ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَتَّى مُتَمِّنٌّ وَيَقُولَ قَائِلٌ أَنَا أَوْلَى. وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ».<sup>١٢٤</sup> إِلَى أَشْبَاهِ ذَلِكَ ، مِمَّا يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَاهُ .

وَالْجَمِيعُ مُحُومُونَ - فِي زَعْمِهِمْ - عَلَى الْإِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ أَشْكَلَ عَلَى الْمُتَبَدِّعِ فِي التَّظَرِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ

<sup>١١٩</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦١١٤ )

<sup>١٢٠</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦١١٨ )

<sup>١٢١</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦٣٧٠ )

<sup>١٢٢</sup> - سنن الترمذی - المكثر - ( ٤٠٧٨ ) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ وَعَنْ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُخَلِّفُنِي عَلَى النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ ؟ فَقَالَ: " أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي " . فَبَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ ائْتَفَاءً مَا رَوَى لَيْثٌ فِي ذَلِكَ ، عَنْ الْحَكَمِ - [٢٥] - وَتَبَّتْ مَا رَوَى شُعْبَةُ فِيهِ . فَقَالَ قَائِلٌ: فَمَا مَعْنَى: " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ " ؟ فَقِيلَ لَهُ: الْمَوْلَى هَا هُنَا هُوَ الْوَلِيُّ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } [التوبة: ٧١] وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ فِيمَا رَوَيْنَا ، فَمَنْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِيًّا كَانَ لِعَلِيٍّ كَذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ - شرح مشكل الآثار -

( ٥ / ٢٤ ) ( ١٧٧٠ ) صحيح

<sup>١٢٣</sup> - سنن الترمذی - المكثر - ( ٤٠٢٣ ) صحيح

<sup>١٢٤</sup> - صحيح مسلم - المكثر - ( ٦٣٣٢ )

يَكُونُ مَذْهَبُهُمْ مُقْتَضَى هَذِهِ الظَّوَاهِرِ ، فَإِنَّهَا مُتَدَافِعَةٌ مُتَنَاقِضَةٌ . وَإِنَّمَا يُمَكِّنُ الْجَمْعُ فِيهَا إِذَا جُعِلَ بَعْضُهَا أَصْلًا . فَيَرُدُّ الْبَعْضَ الْآخَرَ إِلَى ذَلِكَ الْأَصْلِ بِالتَّأْوِيلِ .  
وَكَذَلِكَ فَعَلَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْفِرَقِ تَسْتَمْسِكُ بِبَعْضِ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ وَتَرُدُّ مَا سِوَاهَا إِلَيْهَا ، أَوْ تُهْمِلُ اعْتِبَارَهَا بِالْتَّرْجِيحِ ، إِنْ كَانَ الْمَوْضِعُ مِنَ الظَّنِّيَّاتِ الَّتِي يَسُوعُ فِيهَا التَّرْجِيحُ ، أَوْ تَدَّعِي أَنْ أَصْلَهَا الَّذِي تَرْجِعُ إِلَيْهِ قَطْعِيٌّ وَالْمُعَارِضُ لَهُ ظَنِّيٌّ فَلَا يَتَعَارَضَانِ .  
وَإِنَّمَا كَانَتْ طَرِيقَةُ الصَّحَابَةِ ظَاهِرَةً فِي الْأَزْمِنَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، أَمَا وَقَدْ اسْتَقَرَّتْ مَأْخِذُ الْخِلَافِ فَمُحَالٌ ، وَهَذَا الْمَوْضِعُ مِمَّا يَتَضَمَّنُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) [هود : ١١٨ ، ١١٩] } (١١٨) سورة هود .

فَتَأَمَّلُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - كَيْفَ صَارَ الْإِتِّفَاقُ مُحَالًا فِي الْعَادَةِ لِإِصْدَاقِ الْعَقْلِ بِصِحَّةِ مَا أَحْبَرَ اللَّهُ بِهِ .  
وَالْحَاصِلُ ، أَنَّ تَعْيِينَ هَذِهِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فِي مِثْلِ زَمَانِنَا صَعْبٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِيهِ وَهُوَ نُكْتَةُ هَذَا الْكِتَابِ ، فَلْيَقَعْ بِهِ فَضْلُ اعْتِنَاءِ مَا هَيَّأَهُ اللَّهُ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

=====

### المطلب السابع

### لَا يُعَدُّ مِنَ الْفِرَقِ إِلَّا الْمُخَالِفُ فِي أَمْرِ كُلِّيٍّ وَقَاعِدَةٍ عَامَّةٍ

قَالَ ﷺ : كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَحَتَّمْ ذَلِكَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَا يُعَدُّ مِنَ الْفِرَقِ إِلَّا الْمُخَالِفُ فِي أَمْرِ كُلِّيٍّ وَقَاعِدَةٍ عَامَّةٍ ، وَلَمْ يَنْتَظِمِ الْحَدِيثُ - عَلَى الْخُصُوصِ - إِلَّا أَهْلَ الْبِدْعِ الْمُخَالِفِينَ لِلْقَوَاعِدِ ، وَأَمَّا مَنْ ابْتَدَعَ فِي الدِّينِ لَكِنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعْ مَا يَنْقُضُ أَمْرًا كُلِّيًّا ، أَوْ يَخْرِمُ أَصْلًا مِنَ الشَّرْعِ عَامًّا ، فَلَا دُخُولَ لَهُ فِي النَّصِّ الْمَذْكُورِ ، فَيُنْظَرُ فِي حُكْمِهِ : هَلْ يَلْحَقُ بِمَنْ ذُكِرَ أَوْ لَا ؟ .

وَالَّذِي يَظْهَرُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ نَقُولَ : إِنَّ الْحَدِيثَ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِتِلْكَ الْوَاسِطَةِ بَلْفَظٍ وَلَا مَعْنَى ، إِلَّا أَنْ ذَلِكَ يُؤْخَذُ مِنْ عُمُومِ الْأَدِلَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، فَعَنِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَاجْهِهِ وَوَعَظَنَا بِمَوْعِظَةٍ بَلِيغَةٍ ذَرَفَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنُ وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهُمَا مَوْعِظَةٌ مُودَعٌ فَأَوْصِنَا، قَالَ: " أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ١٢٥ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا أَنْ نَقُولَ : إِنَّ الْحَدِيثَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي لَفْظِهِ دَلَالَةٌ، فَفِي مَعْنَاهُ مَا يَدُلُّ عَلَى قَصْدِهِ فِي الْجُمْلَةِ ، وَيَبَيِّنُ أَنَّهُ تَعَرَّضَ لِذِكْرِ الطَّرَفَيْنِ الْوَاضِحَيْنِ .

أَحَدُهُمَا : طَرَفُ السَّلَامَةِ وَالنَّجْدَةِ مِنْ غَيْرِ دَاخِلَةٍ شَبَهَةٍ وَلَا إِمَامٍ بِدْعَةٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ - ﷺ - « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي » ١٢٦ .

وَالثَّانِي : طَرَفُ الْإِغْرَاقِ فِي الْبِدْعَةِ ، وَهُوَ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ الْبِدْعَةُ كُلِّيَّةً أَوْ تَخْرِمُ أَصْلًا كُلِّيًّا ، جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ أَهْلَ الْخَيْرِ وَأَهْلَ الشَّرِّ ذَكَرَ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ بِأَعْلَى مَا يَحْمِلُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، لِيَبْقَى الْمُؤْمِنُ فِيهَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ خَائِفًا رَاجِيًّا ، إِذْ جَعَلَ التَّنْبِيهَ بِالطَّرَفَيْنِ الْوَاضِحَيْنِ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ عَلَى مَرَاتِبَ بَعْضُهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ ، وَالشَّرُّ عَلَى مَرَاتِبَ بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ ، فَإِذَا ذَكَرَ أَهْلَ الْخَيْرِ الَّذِينَ فِي أَعْلَى الدَّرَجَاتِ خَافَ أَهْلَ الْخَيْرِ الَّذِينَ دُونَهُمْ أَنْ لَا يَلْحَقُوا بِهِمْ ، أَوْ رَجَوْا أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ،

١٢٥ - شعب الإيمان - ( ١٠ / ٢٢ ) ( ٧١١٠ ) صحيح

١٢٦ - سنن الترمذی - المكثر - ( ٢٨٥٣ ) حسن

وَإِذَا ذُكِرَ أَهْلُ الشَّرِّ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِ الْمَرَاتِبِ خَافَ أَهْلُ الشَّرِّ الَّذِينَ دُونَهُمْ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ ، أَوْ رَحَوْا أَنْ لَا يَلْحَقُوا بِهِمْ .

وَهَذَا الْمَعْنَى مَعْلُومٌ بِالِاسْتِقْرَاءِ ، وَذَلِكَ بِالِاسْتِقْرَاءِ - إِذْ تَمَّ - يَدُلُّ عَلَى قَصْدِ الشَّارِعِ إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَيُقَوِّيه مَا رَوَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ ، قَالَ : " لَمَّا بَلَغَ النَّاسَ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ، يُرِيدُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ ، عُمَرُ ، قَالُوا : مَاذَا يَقُولُ لِرَبِّهِ إِذَا لَقِيَهُ : اسْتَخْلَفَ عَلَيْنَا فَظًّا غَلِيظًا ، وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ فَكَيْفَ لَوْ قَدَرَ ؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ : " أَرَبِّي تُخَوِّفُونِي أَقُولُ : اسْتَخْلَفْتُ خَيْرَ أَهْلِكَ ، ثُمَّ أُرْسِلُ إِلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : إِنَّ لِلَّهِ عَمَلًا بِاللَّيْلِ ، لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ ، وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ ، لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَنْ تُقْبَلَ نَافِلَةٌ حَتَّى تُؤَدُّوا الْفَرِيضَةَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَةٍ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ : أَنَّى يَبْلُغُ عَمَلِي هَذَا ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ حِينَ ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ ، فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رَدَّ عَلَيْهِمْ حَسَنَةً فَلَمْ تُقْبَلْ مِنْهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ : عَمَلِي خَيْرٌ مِنْ هَذَا ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الرِّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ ، لِكَيْ يُرْهَبَ الْمُؤْمِنُ فَيَعْمَلَ ، وَكَيْ يُرْغَبَ فَلَا يُلْقَى بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُمْ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ وَتَرْكِهِمُ الْبَاطِلَ ، فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ أَنْ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَثْقُلَ أَلَمْ تَرَ أَنَّ مَا خَفَتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ ، وَتَرْكِهِمُ الْحَقَّ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ أَنْ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَخِفَّ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا إِنْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَأَنْتَ لَا بُدَّ لَاقِيهِ ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَا تُعْجِزُهُ " ١٢٧

وَعَنْ زَيْدٍ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أُرْسِلَ إِلَى عُمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَسْتَخْلِفُهُ ، فَقَالَ النَّاسُ : " تَسْتَخْلِفُ عَلَيْنَا عُمَرَ فَظًّا غَلِيظًا ، فَلَوْ قَدْ وَلَيْنَا كَانَ أَفْظَ وَأَغْلَظَ ، فَمَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا لَقِيْتَهُ ، وَقَدْ اسْتَخْلَفْتَ عَلَيْنَا عُمَرَ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : " أَرَبِّي تُخَوِّفُونِي ؟ أَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِكَ " ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى عُمَرَ ، فَقَالَ : إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ ، إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهَا ، إِنَّ لِلَّهِ حَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَإِنَّ لِلَّهِ حَقًّا

١٢٧ - تَفْسِيرُ سُنَنِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ < تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ ( ٨٨٨ ) > صَحِيحٌ لَغِيْرِهِ

بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ ، وَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ ، وَإِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقَّ ، وَثِقَلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ الْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا ، وَخَفَّتْ عَلَيْهِمْ ، وَحَقُّ لِمِيزَانٍ أَنْ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِأَصْلَحَ مَا عَمِلُوا ، وَأَنَّهُ يَتَحَاوَرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَيَقُولُ الْقَائِلُ : لَا أَبْلُغُ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ، وَأَنَّهُ رَدَّ عَلَيْهِمْ صَالِحَ مَا عَمِلُوا ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ وَآيَةَ الْعَذَابِ ، لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا زَاهِدًا ، وَلَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَهُ ، وَلَا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فَإِنْ أَتَتْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ ، وَإِنْ أَتَتْ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَبْعَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَنْ تُعْجِزَهُ <sup>١٢٨</sup> .

وَهَذَا الْحَدِيثُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ <sup>١٢٩</sup> ، وَلَكِنَّ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ يَشْهَدُ لَهُ الْإِسْتِقْرَاءُ لِمَنْ تَتَّبَعَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَيَشْهَدُ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى مَقْصُودُ اسْتِشْهَادِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِمِثْلِهِ ، إِذْ رَأَى بَعْضَ أَصْحَابِهِ وَقَدْ اشْتَرَى لَحْمًا بِدِرْهَمٍ : أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ هَذِهِ الْآيَةُ : { .. أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا .. } (٢٠) سورة الأحقاف <sup>١٣٠</sup> . وَالْآيَةُ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { وَيَوْمَ يُعْرَضُ

<sup>١٢٨</sup> - السنة لأبي بكر بن الخلال - (٣٤٥) صحيح

استخلف : اختار من يخلفه وينوب عنه وحده - الاستخلاف : اختيار ولي الأمر لمن يخلفه وينوب عنه في غيابه أو بعد موته - النافلة : ما كان زيادة على الأصل الواجب

<sup>١٢٩</sup> - قلت : بل صحيح روي من طرق كثيرة

<sup>١٣٠</sup> - عن قتادة، قوله { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ } (٢٠) سورة الأحقاف ، تعلمون والله أن أقواما يشترطون حسناتهم استبقوا رجل طيباته إن استطاع، ولا قوة إلا بالله. ذكر أن عمر بن الخطاب كان يقول: لو شئت كنت أطيحكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني أستبقي طيباتي. وذكر لنا أنه لما قدم الشام، صنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ قال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظنا في الحطام، وذهبوا - قال أبو جعفر فيما أرى أنا - بالجنة، لقد باينونا بونا بعيدا. "تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة - (٢٢ / ١٢٠) صحيح مرسل

الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ { (٢٠) سورة الأحقاف ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِنْزَالُهَا فِي الْكُفَّارِ مِنَ الْإِسْتِشْهَادِ بِهَا فِي مَوَاضِعَ اعْتِبَارًا بِمَا تَقَدَّمَ ، وَهُوَ أَصْلُ شَرْعِيٌّ تَبَيَّنَ فِي كِتَابِ الْمَوْافَقَاتِ .

فَالْحَاصِلُ ، أَنَّ مَنْ عَدَّ الْفِرْقَ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ الْإِبْتِدَاعِ الْجُزْئِيِّ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ أَهْلِ الْبِدْعِ فِي الْكُلِّيَّاتِ ، فِي الدِّمِّ وَالتَّصْرِيحِ بِالْوَعِيدِ بِالنَّارِ ، وَلَكِنَّهُمْ اشْتَرَكُوا فِي الْمَعْنَى الْمُقْتَضِي لِلدِّمِّ وَالْوَعِيدِ ، كَمَا اشْتَرَكَ فِي اللَّفْظِ صَاحِبُ اللَّحْمِ - حِينَ تَنَاوَلَ بَعْضَ الطَّيِّبَاتِ عَلَى وَجْهِ فِيهِ كَرَاهِيَةً مَا فِي اجْتِهَادِ عُمَرَ - مَعَ مَنْ أَذْهَبَ طَيِّبَاتِهِ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ ، وَإِنْ كَانَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْبُؤْسِ الْبَعِيدِ ، وَالْقُرْبُ وَالْبُعْدُ مِنَ الْعَارِفِ الْمَذْمُومِ بِحَسَبِ مَا يَظْهَرُ مِنَ الْأَدِلَّةِ لِلْمُجْتَهِدِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ بَسْطُ ذَلِكَ فِي بَابِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

=====

## المطلب الثامن

### تفسير معنى الجماعة في الحديث

إِنَّ رِوَايَةً مَنْ رَوَى فِي تَفْسِيرِ الْفِرْقِ النَّاجِيَةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ مُحْتَاجَةٌ إِلَى التَّفْسِيرِ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مَعْنَاهُ بَيْنًا مِنْ جِهَةِ تَفْسِيرِ الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى - وَهِيَ قَوْلُهُ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي - فَمَعْنَى لَفْظِ : الْجَمَاعَةُ مِنْ حَيْثُ الْمُرَادُ بِهِ فِي إِطْلَاقِ الشَّرْعِ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّفْسِيرِ .

فَقَدْ جَاءَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا الْحَدِيثُ الَّذِي نَحْنُ فِي تَفْسِيرِهِ ، وَمِنْهَا مَا صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَمَاتَ ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » ١٣١ ..

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : لَقِينِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَمَعِيَ لَحْمٌ اشْتَرَيْتُهُ بِدِرْهَمٍ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اشْتَرَيْتُهُ لِلصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ ، فَقَالَ عُمَرُ : لَا يَشْتَهِي أَحَدُكُمْ شَيْئًا إِلَّا وَقَعَ فِيهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ لَا يَطْوِي أَحَدُكُمْ بَطْنَهُ لِجَارِهِ وَابْنِ عَمِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ يُذْهَبُ بِكُمْ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : { أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا } ؟ الزَّهْدُ أَبِي دَاوُدَ ٢٧٥ - ( ١ / ٧٨ ) ( ٦٤ ) حَسَنُ

١٣١ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٧٠٥٤ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٤٨٩٦ )



وَصَحَّ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ « نَعَمْ » . قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ « نَعَمْ ، وَفِيهِ دَخْنٌ » . قُلْتُ وَمَا دَخْنُهُ قَالَ « قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيٍ تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ » . قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ « نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ « هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا » قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَدْرِكَنِي ذَلِكَ قَالَ « تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ » . قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ « فَاعْتَرِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا ، وَلَوْ أَنْ تَعْصُ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ » ١٣٢ .

وَخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَ الطَّبْرِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْحَجَابَةِ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِينَا فَقَالَ « أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ وَيَشْهَدُ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ إِلَّا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثُهُمَا الشَّيْطَانُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ مِنْ سِرِّهِ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتُهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ » ١٣٣ .

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ « إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ - - عَلَى ضَلَالَةٍ وَيُدِّ اللَّهُ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ » ١٣٤ .

١٣٢ - صحيح البخارى - المكثر - ( ٣٦٠٦ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٤٨٩٠ )

قَالَ الْعُلَمَاءُ : هَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ مِنَ الْأَمْرَاءِ يَدْعُو إِلَى بَدْعَةٍ أَوْ ضَلَالٍ آخَرَ كَالْخَوَارِجِ وَالْقَرَامِطَةِ وَأَصْحَابِ الْمِحْنَةِ . وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ هَذَا : لُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ ، وَوُجُوبُ طَاعَتِهِ ، وَإِنْ فَسَقَ وَعَمِلَ الْمَعَاصِيَ مِنْ أَخْذِ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَتَجِبَ طَاعَتُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ . شرح النووي على مسلم - ( ٦ / ٣٢٠ )

١٣٣ - سنن الترمذى - المكثر - ( ٢٣١٨ ) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ - البحبوحة

: الوسط والخيار

١٣٤ - سنن الترمذى - المكثر - ( ٢٣٢٠ ) صحيح دون الجملة الأخيرة

وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ » .<sup>١٣٥</sup>

وَعَنْ عَرْفَجَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « سَتَكُونُ فِي أُمَّتِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَأَنَّكَ مَنْ كَانَ »<sup>١٣٦</sup>

اختلف الناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال :  
أحدها أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام وهو الذي يدل عليه كلام أبي غالب : إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق ، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق ، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية ، سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم ، فهو مخالف للحق .

وممن قال بهذا أبو مسعود الأنصاري وابن مسعود ، فروى عن يسير قال : لقيت أبا مسعود حين قتل علي فتبعته فقلت له : أنشدك الله ما سمعت من النبي ﷺ - في الفتن ؟ فقال : إنا لا نكنم شيئا ، عليك بتقوى الله والجماعة ، وإياك والفرقة فإنها هي الضلالة ، وإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد ﷺ - على ضلالة . رواه الطبراني<sup>١٣٧</sup> .  
وعن ثابت بن قطة المزني ، قال : خطبنا عبد الله بن مسعود يوما خطبة لم يخطبنا مثلها قبلها ولا بعدها ، قال : "أيها الناس ، اتقوا الله ، وعليكم بالطاعة ، والجماعة فإنهما حبلى الله الذي أمر به ، وإن ما تكرهون في الطاعة ، والجماعة خير مما تحبون في الفرقة ، وإن الله

---

قال أبو عيسى وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث . قال وسَمِعْتُ الْجَارُودَ بْنَ مُعَاذٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ مِنَ الْجَمَاعَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . قِيلَ لَهُ قَدْ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . قَالَ فَلَانٌ وَفُلَانٌ . قِيلَ لَهُ قَدْ مَاتَ فَلَانٌ وَفُلَانٌ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَبُو حَمْرَةَ السُّكْرِيُّ جَمَاعَةٌ . قَالَ أَبُو عِيسَى وَأَبُو حَمْرَةَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ وَكَانَ شَيْخًا صَالِحًا وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا فِي حَيَاتِهِ عِنْدَنَا .

يد الله على الجماعة: أراد بيد الله : سكينته وأمنه ورحمته ، أي : إن الجماعة بعيدة من الأذى والخوف واضطراب الحال ، ومثله قوله يد الله على الفسباط يعني المصير ، فإن الأذى مع الفرقة ، والفساد مع الاختلاف ، والخوف مع الانفراد .

- شد : الشذوذ : الانفراد والتوحد . جامع الأصول في أحاديث الرسول - ( ٩ / ١٩٦ )

<sup>١٣٥</sup> - سنن أبي داود - المكثر - ( ٤٧٦٠ ) صحيح

<sup>١٣٦</sup> - سنن أبي داود - المكثر - ( ٤٧٦٤ ) صحيح

<sup>١٣٧</sup> - مجمع الزوائد - ( ٩١٠٧ ) وَرِجَالُ هَذِهِ ثِقَاتٌ .

لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا جَعَلَ لَهُ نُهْيَةً يَنْتَهِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْقُصُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَلَا إِنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ قَدْ أُثْبِتَ، وَيُوشِكُ أَنْ يَنْقُصَ، وَيُدْبِرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنْ تَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ، وَأَنْ تَفْشُو الْفَاقَةَ حَتَّى لَا يَخَافُ الْغَنِيُّ إِلَّا الْفَقْرَ، وَحَتَّى لَا يَجِدَ الْفَقِيرُ مَنْ يَعْطِفُ عَلَيْهِ، وَحَتَّى يَقُومَ السَّائِلُ بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ فَلَا يَقَعُ فِي يَدِهِ شَيْءٌ، فَبَيْنَمَا النَّاسُ كَذَلِكَ إِذْ خَارَتِ الْأَرْضُ خَارَةً مِثْلَ خَوَارِ الْبَقَرِ يَحْسِبُ كُلُّ قَوْمٍ أَنَّهَا خَارَتْ مِنْ سَاحَتِهِمْ، ثُمَّ يَكُونُ رُجُوعُ الثَّانِيَةِ أَفْلَازَ كِبِدْهَا، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا أَفْلَازُ كِبِدْهَا؟ قَالَ: "أَمْثَالُ هَذِهِ السَّوَارِي مِنَ الذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ، فَمَنْ يَوْمَعِدٍ لَا يَنْفَعُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ صَدَقَةً مَالَهُ".

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنْ مَا تَكْرَهُونَ فِي الطَّاعَةِ، وَالْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا إِلَّا جَعَلَ لَهُ نَهَايَةً يَنْتَهِي إِلَيْهَا، وَإِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ أَقْبَلَ لَهُ ثَبَاتٌ، وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَبْلُغَ نُهْيَتَهُ ثُمَّ يَرْتَدِّدْ، وَيَنْقُصُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنْ تَكْثُرَ الْفَاقَةُ، وَيُقْطَعَ الْأَرْحَامُ، حَتَّى لَا يَجِدَ الْفَقِيرُ مَنْ يَعُودُ عَلَيْهِ، وَحَتَّى يَرَى الْغَنِيُّ أَنَّهُ لَا يَكْفِيهِ مَا عِنْدَهُ وَحَتَّى أَنْ الرَّجُلَ لِيَشْكُو إِلَى أَخِيهِ، وَأَبْنِ عَمِّهِ، وَلَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، وَحَتَّى أَنْ السَّائِلَ لِيَمْسِشِي بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ مَا يُوضَعُ فِي يَدِهِ شَيْءٌ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَلِكَ خَارَتْ الْأَرْضُ خَوْرَةً لَا يَرُونَ أَهْلُ كُلِّ سَاحَةِ إِلَّا أَنَّهَا خَارَتْ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ تَهْدَأُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ تَفْجَأُهُمُ الْأَرْضُ تَقِيءُ أَفْلَازَ كِبِدْهَا" قِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمَا أَفْلَازُ كِبِدْهَا؟ قَالَ: "أَسَاطِينُ ذَهَبٍ، وَفِضَّةٍ، فَمَنْ يَوْمَعِدٍ لَا يُنْتَفَعُ بِذَهَبٍ، وَلَا فِضَّةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "الزُّمُومُ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنْ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ خَيْرٌ مِمَّا تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا جَعَلَ لَهُ مُنْتَهَى، وَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ تَمَّ، وَإِنَّهُ صَائِرٌ إِلَى نُقْصَانٍ، وَإِنَّ أَمَارَةَ ذَلِكَ أَنْ تُقْطَعَ الْأَرْحَامُ، وَيُؤْخَذَ الْمَالُ مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ، وَتُسْفَكَ الدِّمَاءُ، وَيَشْكِي ذُو الْقَرَابَةِ إِلَى قَرَابَتِهِ لَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، وَيَطُوفُ السَّائِلُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ مَا يُوضَعُ فِي يَدِهِ شَيْءٌ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَارَتْ الْأَرْضُ

خُورَ الْبَقَرِ إِذْ قَذَفَتْ أَفْلَاحَ كَبِدِهَا فَلَا يُنْتَفَعُ بَعْدَهُ بِذَهَبٍ، وَلَا فِضَّةٌ" ١٣٨. وَعَنِ الْحُسَيْنِ قِيلَ لَهُ : أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : أَيْ وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، مَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ عَلَى ضَلَالَةٍ .

فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَدْخُلُ فِي الْجَمَاعَةِ مُجْتَهِدُو الْأُمَّةِ وَعُلَمَاؤُهَا وَأَهْلُ الشَّرِيعَةِ الْعَامِلُونَ بِهَا ، وَمَنْ سِوَاهُمْ دَاخِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ تَابِعُونَ لَهُمْ وَمُقْتَدُونَ بِهِمْ ، فَكُلُّ مَنْ خَرَجَ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ فَهُمْ الَّذِينَ شَذُّوا وَهُمْ نُهْبَةُ الشَّيْطَانِ وَيَدْخُلُ فِي هَؤُلَاءِ جَمِيعُ أَهْلِ الْبِدْعِ لِأَنَّهُمْ مُخَالِفُونَ لِمَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَّةِ ، لَمْ يَدْخُلُوا فِي سَوَادِهِمْ بِحَالٍ .

وَالثَّانِي : أَنَّهَا جَمَاعَةُ أئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ ، فَمَنْ خَرَجَ مِمَّا عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، لِأَنَّ جَمَاعَةَ اللَّهِ الْعُلَمَاءِ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَهُمْ الْمَعْنِيُّونَ بِقَوْلِهِ ﷺ : سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعًا فَأَعْطَانِي ثَلَاثًا وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً : سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُهْلِكَهُمْ بِالسِّنِينَ كَمَا أَهْلَكَ الْأُمَمَ قَبْلَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شَيْعًا وَيُدِيقَ بَعْضُهُمْ بِأَسَ بَعْضٍ فَمَنْعَنِيهَا. ١٣٩

وَذَلِكَ أَنَّ الْعَامَّةَ عَنْهَا تَأْخُذُ دِينَهَا ، وَإِلَيْهَا تَفْزَعُ مِنَ التَّوَازِلِ ، وَهِيَ تَبَعٌ لَهَا . فَمَعْنَى قَوْلِهِ : لَنْ تَجْمَعَ أُمَّتِي لَنْ يَجْتَمِعَ عُلَمَاءُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ .

وَمِمَّنْ قَالَ بِهِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، وَاسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَهُوَ رَأْيُ الْأُصُولِيِّينَ ، فَقِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ : مَنْ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَدَى بِهِمْ ؟ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - فَلَمْ يَزَلْ يَحْسِبُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتٍ وَالْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ - فَقِيلَ : هَؤُلَاءِ مَاتُوا : فَمَنْ الْأَحْيَاءُ ؟ قَالَ أَبُو حَمْرَةَ السُّكْرِيُّ .

١٣٨ - المعجم الكبير للطبراني - (٨ / ١١٨) (٨٨٧٨ - ٨٨٨٠) صحيح لغيره

١٣٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٧٩٦) (٢٧٢٢٤) ٢٧٧٦٦ - صحيح لغيره

عن المسيب بن رافع، قال: كان إذا جاء الشيء من القضاء ليس في الكتاب ولا في السنة  
سمى صوافي الأمراء، فدفع إليهم فجمع له أهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق.<sup>١٤٠</sup>  
وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ نَحْوُ مِمَّا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ .

فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ لَا مَدْخَلَ فِي السُّؤَالِ لِمَنْ لَيْسَ بِعَالِمٍ مُحْتَدٍ ، لِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي أَهْلِ التَّقْلِيدِ  
، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِمَا يُخَالِفُهُمْ فَهُوَ صَاحِبُ الْمِيتَةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَلَا يَدْخُلُ أَيْضًا أَحَدٌ مِنَ  
الْمُبْتَدِعِينَ ، لِأَنَّ الْعَالِمَ أَوَّلًا لَا يَتَدَعُ ، وَإِنَّمَا يَتَدَعُ مَنْ ادَّعَى لِنَفْسِهِ الْعِلْمَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ ،  
وَلِأَنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أَخْرَجَتْهُ عَنْ نَمَطِ مَنْ يُعْتَدُّ بِأَقْوَالِهِ ، وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا  
يُعْتَدُّ بِهِ فِي الْإِجْمَاعِ ، وَإِنْ قِيلَ بِالْإِعْتِدَادِ بِهِ فِيهِ فَبِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ الَّتِي ابْتَدَعَ فِيهَا ، لِأَنَّهُمْ  
فِي نَفْسِ الْبِدْعَةِ مُخَالَفُونَ لِلْإِجْمَاعِ .

وَالثَّالِثُ : أَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الصَّحَابَةُ عَلَى الْخُصُوصِ ، فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ أَقَامُوا عِمَادَ الدِّينِ  
وَأَرْسَوْا أَوْتَادَهُ ، وَهُمْ الَّذِينَ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلَالَةٍ أَصْلًا ، وَقَدْ يُمَكِّنُ فِيمَنْ سِوَاهُمْ ذَلِكَ  
، أَلَا تَرَى قَوْلَهُ ﷺ : وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ : اللَّهُ اللَّهُ ،<sup>١٤١</sup> وَقَوْلَهُ - ﷺ - قَالَ  
« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ »<sup>١٤٢</sup> .

فَقَدْ أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ مِنَ الْأَزْمَانِ أَرْزَمَانًا يَجْتَمِعُونَ فِيهَا عَلَى ضَلَالَةٍ وَكُفْرٍ . قَالُوا ،  
وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ قَالَ كَانَ عُمَرُ بْنُ  
عَبْدِ الْعَزِيزِ ، يَقُولُ : "سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَوَلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّتًا، الْأَخْذُ بِهَا تَصَدِيقٌ  
لِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتِكْمَالٌ لِمَا لَطَّاعَةُ اللَّهِ وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا وَتَبْدِيلُهَا وَلَا  
النَّظَرُ فِيهَا خَالَفَهَا، مَنْ اقْتَدَى بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ  
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى وَصَلَاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"<sup>١٤٣</sup> . فَقَالَ مَالِكٌ :  
فَأَعْجَبَنِي عَزَمُ عُمَرَ عَلَى ذَلِكَ .

فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَلَفْظُ الْجَمَاعَةِ مُطَابِقٌ لِلرَّوَايَةِ الْأُخْرَى فِي قَوْلِهِ ﷺ :

<sup>١٤٠</sup> - جامع بيان العلم وفضله - مؤسسة الريان - (٢ / ٢٨٢) (١٠٨٣)

<sup>١٤١</sup> - شعب الإيمان - (٢ / ٦٣) (٥٢١) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٩٣)

<sup>١٤٢</sup> - صحيح مسلم - المكثر - (٧٥٩٠)

<sup>١٤٣</sup> - تفسير ابن أبي حاتم - (٤ / ٣٥٦) (٦٠٠٢) وفيه انقطاع

" مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي " ١٤٤ فَكَأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى مَا قَالُوهُ وَمَا سَنُوهُ ، وَمَا اجْتَهَدُوا فِيهِ حُجَّةً عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَبَشَهَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ بِذَلِكَ خُصُوصًا فِي قَوْلِهِ ﷺ : « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » ١٤٥ . وَأَشْبَاهُهُ ، أَوْ لَأَنَّهُمُ الْمُتَقَلِّدُونَ لِكَلَامِ النَّبِيِّ ، الْمُهْتَدُونَ لِلشَّرِيعَةِ ، الَّذِينَ فَهِمُوا أَمْرَ دِينِ اللَّهِ بِالتَّلَقِّي مِنْ نَبِيِّهِ مُشَافَهَةً ، عَلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ بِمَوَاطِنِ التَّشْرِيعِ وَقَرَائِنِ الْأَحْوَالِ ، بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ : فَإِذَا كُلُّ مَا سَنُوهُ فَهُوَ سُنَّةٌ مِنْ غَيْرِ نَظِيرٍ فِيهِ ، بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ ، فَإِنَّ فِيهِ لِأَهْلِ الْجَاهِدِ مَجَالًا لِلنَّظَرِ رَدًّا وَقَبُولًا ، فَأَهْلُ الْبِدْعِ إِذَا غَيَّرُوا دَاخِلِينَ فِي الْجَمَاعَةِ قَطْعًا عَلَى هَذَا الْقَوْلِ .

وَالرَّابِعُ : أَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ جَمَاعَةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، إِذَا أَجْمَعُوا عَلَى أَمْرٍ فَوَاجِبٌ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ اتِّبَاعُهُمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ ضَمِنَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنْ لَا يَجْمَعَهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ ، فَإِنْ وَقَعَ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ فَوَاجِبٌ تَعَرُّفُ الصَّوَابِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. ١٤٦ قَالَ الشَّافِعِيُّ : " فَلَمْ يَكُنْ لِلزُّومِ جَمَاعَتُهُمْ مَعْنَى إِلَّا مَا عَلَيْهِ جَمَاعَتُهُمْ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ وَالطَّاعَةِ فِيهَا فَمَنْ قَالَ بِمَا يَقُولُ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ لَزِمَ جَمَاعَتَهُمْ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الْغَفْلَةُ فِي الْفُرْقَةِ ، فَأَمَّا الْجَمَاعَةُ فَلَا يُمَكِّنُ فِيهَا كَافَّةً غَفْلَةً عَنْ مَعْنَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةَ وَلَا قِيَاسٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ١٤٧ .

وَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ يَرْجِعُ إِلَى الثَّانِي وَهُوَ يَفْتَضِي أَيْضًا مَا يَقْتَضِيهِ ، أَوْ يَرْجِعُ إِلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْأَظْهَرُ ، وَفِيهِ مِنَ الْمَعْنَى مَا فِي الْأَوَّلِ مِنْ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كَوْنِ الْمُجْتَهِدِينَ فِيهِمْ

١٤٤ - سنن الترمذی - المکرر - ( ٢٨٥٣ ) حسن

١٤٥ - السنن الكبرى للبيهقي - المکرر - ( ١٠ / ١١٤ ) ( ٢٠٨٣٥ ) وسنن الترمذی - المکرر - ( ٢٨٩١ ) صحيح  
ذرفت العيون : سال منها الدمع - الوجل : الخوف والخشية والفرع - النواجد : هي أواخر الأسنان. وقيل : التي بعد الأنياب.

١٤٦ - قلت : إذا كان اختلاف تضاد ، وأما إذا كان اختلاف تنوع وهو الأكثر ، فكله صواب ، وقد فصلت القول في هذا في كتابي (( الخلاصة في بيان أسباب اختلاف الفقهاء ))

١٤٧ - مَعْرِفَةُ السُّنَنِ وَالْأَثَارِ لِلْبَيْهَقِيِّ ( ٥٢ )

وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَكُونُ مَعَ اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بَدْعٌ أَصْلًا ، فَهُمْ - إِذَا - الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ .

وَالْخَامِسُ : مَا اخْتَارَهُ الطَّبَرِيُّ الْإِمَامُ مِنْ أَنَّ الْجَمَاعَةَ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى أَمِيرٍ ، فَأَمَرَ ﷺ بِلُزُومِهِ وَنَهَى عَنْ فِرَاقِ الْأُمَّةِ فِيمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ تَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّ فِرَاقَهُمْ لَا يَعْدُو إِحْدَى حَالَتَيْنِ : إِمَّا لِلتَّكْيِيرِ عَلَيْهِمْ فِي طَاعَةِ أَمِيرِهِمْ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ فِي سِيرَتِهِ الْمَرْضِيَّةِ لِغَيْرِ مُوجِبٍ ، بَلْ بِالتَّأْوِيلِ فِي إِحْدَاثِ بَدْعَةٍ فِي الدِّينِ ، كَالْحَرُورِيَّةِ الَّتِي أَمَرَتِ الْأُمَّةُ بِقِتَالِهَا<sup>١٤٨</sup> وَسَمَّاها النَّبِيُّ ﷺ مَارِقَةً مِنَ الدِّينِ ، وَإِمَّا لَطَلَبِ إِمَارَةٍ مِنْ انْعِقَادِ الْبَيْعَةِ لِأَمِيرِ الْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّهُ نَكَثَ عَهْدَ وَتَقَضَّى عَهْدٌ بَعْدَ وَجُوبِهِ .

وَقَدْ قَالَ ﷺ : " إِنَّهَا سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، فَمَنْ جَاءَكُمْ يُفَرِّقُ بَيْنَ جَمَاعَتِكُمْ ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ كَأَنَّا مَنْ كَانَ " <sup>١٤٩</sup> .

قَالَ الطَّبَرِيُّ : فَهَذَا مَعْنَى الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ .

قَالَ : وَأَمَّا الْجَمَاعَةُ الَّتِي إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَى الرِّضَى بِتَقْدِيمِ أَمِيرٍ كَانَ الْمُفَارِقُ لَهَا مَيِّتًا مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً ، فَهِيَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي وَصَفَهَا أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَهُمْ مُعْظَمُ النَّاسِ وَكَافَتْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهُمْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ .

قَالَ : وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، فَرُوي عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا حُضِرَ ، قَالَ : اُدْعُوا لِي عَلِيًّا ، وَطَلْحَةَ ، وَالزُّبَيْرَ ، وَعُثْمَانَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ، وَسَعْدًا ، قَالَ : فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا عَلِيًّا ، وَعُثْمَانَ ، فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، لَعَلَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَعْرِفُونَ لَكَ قَرَابَتَكَ ، وَمَا آتَاكَ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ ، وَإِنْ وُلِّيتَ هَذَا الْأَمْرَ فَلَا تَرْفَعَنَّ بَنِي فُلَانٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، وَقَالَ لِعُثْمَانَ : يَا عُثْمَانَ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَ لَكَ صِهْرَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَسِنَّكَ ، وَشَرَفَكَ ، فَإِنْ أَنْتَ وُلِّيتَ هَذَا الْأَمْرَ فَاتَّقِ اللَّهَ ، وَلَا تَرْفَعَنَّ بَنِي فُلَانٍ عَلَى رِقَابِ

<sup>١٤٨</sup> - الحرورية : طائفة من الخوارج تُنسبوا إلى حروراء : اسم قرية يُمد ويقصر ، كان أول مجتمعيهم بها ، وتحكيهمهم

فيها. جامع الأصول في أحاديث الرسول - ( ٢ / ٥٧٤ )

<sup>١٤٩</sup> - الْإِبَانَةُ الْكُبْرَى لِابْنِ بَطَّة ( ١٤٥ ) صحيح

النَّاسَ ، فَقَالَ : اذْعُوا لِي صُهْبًا ، فَقَالَ : صَلِّ بِالنَّاسِ ثَلَاثًا ، وَلِيَجْتَمِعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ فَيَخْلُوا ، فَإِنْ أَجْمَعُوا عَلَى رَجُلٍ ، فَاضْرِبُوا رَأْسَ مَنْ خَالَفَهُمْ.<sup>١٥٠</sup> .

قَالَ : فَالْجَمَاعَةُ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلُزُومِهَا وَسَمَّى الْمُتَفَرِّدَ عَنْهَا مُفَارِقًا لَهَا تَظْيِيرُ الْجَمَاعَةِ الَّتِي أَوْجَبَ عُمَرُ الْخِلَافَةَ لِمَنْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ صُهْبًا بِضَرْبِ رَأْسِ الْمُتَفَرِّدِ عَنْهُمْ بِالسَّيْفِ . فَهُمْ فِي مَعْنَى كَثَرَةِ الْعَدَدِ الْمُجْتَمِعِ عَلَى بَيْعَتِهِ وَقِلَّةِ الْعَدَدِ الْمُتَفَرِّدِ عَنْهُمْ .

قَالَ : وَأَمَّا الْخَبَرُ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ أَنَّ لَا تَجْتَمِعُ الْأُمَّةُ عَلَى ضَلَالَةٍ فَمَعْنَاهُ أَنَّ لَا يَجْمَعُهُمْ عَلَى إِضْلَالِ الْحَقِّ فِيمَا نَابَهُمْ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ حَتَّى يَضِلَّ جَمِيعُهُمْ عَنِ الْعِلْمِ وَيُخْطِئُوهُ ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي الْأُمَّةِ . هَذَا تَمَامُ كَلَامِهِ وَهُوَ مَنْقُولٌ بِالْمَعْنَى وَتَحَرَّرَ فِي أَكْثَرِ اللَّفْظِ .

وَحَاصِلُهُ : أَنَّ الْجَمَاعَةَ رَاجِعَةٌ إِلَى الْاجْتِمَاعِ عَلَى الْإِمَامِ الْمُوَافِقِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْاجْتِمَاعَ عَلَى غَيْرِ سُنَّةٍ خَارِجٌ عَنْ مَعْنَى الْجَمَاعَةِ الْمَذْكُورِ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ ، كَالْخَوَارِجِ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ .

فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ دَائِرَةٌ عَلَى اعْتِبَارِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالِاتِّبَاعِ ، وَأَنْتَهُمُ الْمُرَادُونَ بِالْأَحَادِيثِ ، فَلَنَأْخُذَ ذَلِكَ أَصْلًا

=====

### المطلب التاسع

### الْعُلَمَاءُ هُمُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ

وَذَلِكَ أَنَّ الْجَمِيعَ اتَّفَقُوا عَلَى اعْتِبَارِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِاجْتِهَادِ، سَوَاءً ضَمُّوا إِلَيْهِمُ الْعَوَامَّ أَمْ لَا ، فَإِنْ لَمْ يَضْمُوا إِلَيْهِمْ فَلَا إِشْكَالَ أَنَّ الْإِعْتِبَارَ إِنَّمَا هُوَ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُعْتَبَرِ اجْتِهَادُهُمْ ، فَمَنْ شَدَّ عَنْهُمْ فَمَاتَ فَمِيتُهُ جَاهِلِيَّةٌ ، وَإِنْ ضَمُّوا إِلَيْهِمُ الْعَوَامَّ فَبِحُكْمِ التَّبَعِ لَأَنْتَهُمْ غَيْرُ عَارِفِينَ بِالشَّرِيعَةِ ، فَلَا بُدَّ مِنْ رُجُوعِهِمْ فِي دِينِهِمْ إِلَى الْعُلَمَاءِ ، فَإِنَّهُمْ لَوْ تَمَالَتْوا عَلَى مُخَالَفَةِ الْعُلَمَاءِ فِيمَا حَدَّثُوا لَهُمْ لَكَانُوا هُمُ الْعَالِبَ وَالسَّوَادَ الْأَعْظَمَ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ ، لِقِلَّةِ الْعُلَمَاءِ وَكَثَرَةِ الْجُهَالِ ، فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ : إِنَّ اتِّبَاعَ جَمَاعَةِ الْعَوَامِّ هُوَ الْمَطْلُوبُ ، وَإِنْ

<sup>١٥٠</sup> - مصنف ابن أبي شيبة - (١٤ / ٥٧٨) (٣٨٢١٥) صحيح



الْعَمَاءُ هُمُ الْمُفَارِقُونَ لِلْجَمَاعَةِ وَالْمَذْمُومُونَ فِي الْحَدِيثِ . بَلِ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ ، وَأَنَّ الْعَمَاءَ هُمُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ وَإِنْ قُلُوا ، وَالْعَوَامُّ هُمُ الْمُفَارِقُونَ لِلْجَمَاعَةِ إِنْ خَالَفُوا ، فَإِنْ وَافَقُوا فَهُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ .

وَمِنْ هُنَا لَمَّا سُئِلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنِ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ يُقْتَدَى بِهِمْ أَحَابَ بِأَنْ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - قَالَ - فَلَمْ يَزَلْ يَحْسِبُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتٍ وَالْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ ، قَبْلَ : فَهَؤُلَاءِ مَاثُوا ! فَمَنْ الْأَحْيَاءُ ؟ قَالَ : أَبُو حَمْرَةَ السُّكْرِيُّ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونِ الْمَرْوَزِيُّ ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْتَبَرَ الْعَوَامُّ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي بِإِطْلَاقٍ ، وَعَلَى هَذَا لَوْ فَرَضْنَا خُلُوقَ الزَّمَانِ عَنْ مُحْتَجِّهِ لَمْ يَكُنْ اتِّبَاعُ الْعَوَامِّ لِمِثَالِهِمْ ، وَلَا عُدُّ سَوَادِهِمْ أَنَّهُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ الْمُنَبَّهَ عَلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي مَنْ خَالَفَهُ فَمِيتَتْهُ جَاهِلِيَّةٌ ، بَلْ يَتَنَزَّلُ النَّقْلُ عَنِ الْمُحْتَجِّهِدِينَ مَنْزِلَةً وَجُودِ الْمُحْتَجِّهِدِينَ ، فَالَّذِي يَلْزَمُ الْعَوَامُّ مَعَ وَجُودِ الْمُحْتَجِّهِدِينَ هُوَ الَّذِي يَلْزَمُ أَهْلَ الزَّمَانِ الْمَفْرُوضِ الْخَالِي عَنِ الْمُحْتَجِّهِدِ .

وَأَيْضًا ، فَاتَّبَاعُ نَظَرٍ مَنْ لَا نَظَرَ لَهُ وَاجْتِهَادُ مَنْ لَا اجْتِهَادَ لَهُ مَحْضُ ضَلَالَةٍ ، وَرَمِي فِي عَمَايَةٍ ، وَهُوَ مُقْتَضَى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا ، يَنْتَرِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا ، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا فَسُئِلُوا ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »<sup>١٥١</sup>

، رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ الطُّوسِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهُوِيَةَ ، يَقُولُ : وَذَكَرَ فِي حَدِيثٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْمَعْ أُمَّةً مُحَمَّدٌ عَلَى ضَلَالَةٍ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْاِخْتِلَافَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ " فَقَالَ رَجُلٌ : يَا أَبَا يَعْقُوبَ مَنْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ وَأَصْحَابُهُ وَمَنْ تَبِعَهُ ، ثُمَّ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ الْمُبَارَكِ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَنْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ ؟ قَالَ : أَبُو حَمْرَةَ السَّكُونِيُّ . ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَعْنِي أَبَا حَمْرَةَ ، وَفِي زَمَانِنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ وَمَنْ تَبِعَهُ . ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقُ : لَوْ سَأَلْتُ الْجُهَالَ مِنَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ؟ قَالُوا : جَمَاعَةُ النَّاسِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْجَمَاعَةَ عَالِمٌ مُتَمَسِّكٌ بِأَثَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَطَرِيقِهِ ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ وَتَبِعَهُ فَهُوَ الْجَمَاعَةُ ، وَمَنْ

<sup>١٥١</sup> - صحيح البخاري - المكثر - ( ١٠٠ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٦٩٧١ )

خَالَفَهُ فِيهِ تَرَكَ الْجَمَاعَةَ . ثُمَّ قَالَ إِسْحَاقُ : لَمْ أَسْمَعْ عَالِمًا مُنْذُ خَمْسِينَ سَنَةً أَعْلَمَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ<sup>١٥٢</sup> .

فَانْظُرْ فِي حِكَايَتِهِ تَبَيَّنَ غَلَطَ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ جَمَاعَةُ النَّاسِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ عَالِمٌ ، وَهُوَ وَهُمْ الْعَوَامُّ ، لَا فَهْمُ الْعُلَمَاءِ . فَلْيُثَبِّتِ الْمُؤَفِّقُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَةِ قَدَمَهُ لِئَلَّا يَضِلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ، وَلَا تَوْفِيقَ إِلَّا بِاللَّهِ .

=====

## المطلب العاشر

### وجود فرق تخالف الجماعة ولا تفيء للحق لانطماس البصيرة عندها

فِي بَيَانِ مَعْنَى رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَامَ فِينَا فَقَالَ « أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ثَنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ » .<sup>١٥٣</sup>

وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ بِمَا سَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ الَّتِي افْتَرَقُوا فِيهَا إِلَى تِلْكَ الْفِرَقِ ، وَأَنَّهُ يَكُونُ فِيهِمْ أَقْوَامٌ تُدَاخِلُ تِلْكَ الْأَهْوَاءَ قُلُوبُهُمْ حَتَّى لَا يُمَكِّنَ فِي الْعَادَةِ انفصالها عنها وَتَوْبَتُهُمْ مِنْهَا ، عَلَى حَدِّ مَا يُدَاخِلُ دَاءَ الْكَلْبِ جِسْمَ صَاحِبِهِ فَلَا يَبْقَى مِنْ ذَلِكَ الْجِسْمِ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَائِهِ وَلَا مَفْصِلٌ وَلَا غَيْرُهُمَا إِلَّا دَخَلَهُ ذَلِكَ الدَّاءُ ، وَهُوَ جَرَيَانٌ لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ وَلَا يَنْفَعُ فِيهِ الدَّوَاءُ ، فَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْهَوَى إِذَا دَخَلَ قَلْبُهُ ، وَأَشْرَبَ حُبَّهُ ، لَا تَعْمَلُ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ وَلَا يَقْبَلُ الْبُرْهَانُ ، وَلَا يَكْتَرِثُ بِمَنْ خَالَفَهُ .

<sup>١٥٢</sup> - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - موافقة للمطبوع - ( ١٨ / ٤٠٩ ) وحليّة الأولياء < مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ > ( ١٤١٨٦ )

<sup>١٥٣</sup> - سنن أبي داود - المكثر - ( ٤٥٩٩ ) حسن

واعتبر ذلك بالمتقدمين من أهل الأهواء كمعبدي الجهنني وعمرو بن عبيد وسواهما ، فإنهم كانوا حيث لقوا مطرودين من كل جهة ، محجوبين عن كل لسان ، مبعدين عند كل مسلم ، ثم مع ذلك لم يزدادوا إلا تمادياً على ضلالهم ، ومداومة على ما هم عليه { .. ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً .. } (٤١) سورة المائدة.

وحاصل ما عولوا عليه تحكيم العقول المجردة ، فشركوها مع الشرع في التحسين والتفحيح . ثم قصرُوا أفعال الله على ما ظهر لهم ووجهوا عليها أحكام العقل فقالوا : يجب على الله كذا ولا يجوز أن يفعل كذا . فجعلوه محكوماً عليه كسائر المكلفين . ومنهم من لم يبلغ هذا المقدار ، بل استحسن شيئاً يفعلهُ واستقبح آخر وألحقها بالمشروعات ، ولكن الجميع بقوا على تحكيم العقول ، ولو وقفوا هنالك لكأنت الداهية على عظمها أيسر ، ولكنهم تجاوزوا هذه الحدود كلها إلى أن نصبوا المحاربة لله ورسوله ، باعتراضهم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وادعائهم عليهما من التناقض والاختلاف ومناقاة العقول وفساد النظم ما هم له أهل .

قال العنبي : وقد اعترض على كتاب الله تعالى بالطعن ملحدون ، ولعوا وهجروا ، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، بأفهام كليلية ، وأبصار عليية ، ونظر مدخول ، فحرّفوا الكلم عن مواضعه ، وعدّلوا به عن سبيله ، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللعن ، وفساد النظم والاختلاف ، وأدّلوا بذلك بعِلل ربّما أملت الضعيف العُمر ، والحديث الغرّ ، واعترضت بالشبهة في القلوب ، وقدحت بالشكوك في الصدور ، قال : ولو كان ما لحنوا إليه على تقريرهم وتأويلهم لسبق إلى الطعن فيه من لم يزل رسول الله ﷺ يحتج بالقرآن عليهم ، ويجعله علم نبوته ، والدليل على صدقه ، ويتحدّاهم في مواطن على أن يأتوا بسورة من مثله ، وهم الفصحاء والبلغاء ، والخطباء والشُعراء ، والمخصوصون من بين جميع الأنام ، وباللّسنّة الحداد واللدد في الخصام ، مع اللبّ والنهي وأصالة الرأي . فقد وصفهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب . وكانوا يقولون مرّة : هو سحر ، ومرّة : هو شعر ، ومرّة : هو قول الكهنة ، ومرّة : أساطير الأولين . ولم يحك الله عنهم الاعتراض على الأحاديث ودعوى التناقض

وَالْإِخْتِلَافِ فِيهَا ، وَحُكِّيَ عَنْهُمْ ، لِأَجْلِ ذَلِكَ الْقَدْحُ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَهُمْ  
الصَّحَابَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - ، وَاتَّبَعُوهُمْ بِالْحَدْسِ قَالُوا مَا شَأْنُ ، أَوْ جَرَوْا فِي الطُّغْنِ  
عَلَى الْحَدِيثِ جَرِي مَنْ لَا يَرَى عَلَيْهِ مُحْتَسِبًا فِي الدُّنْيَا وَلَا مُحَاسِبًا فِي الْآخِرَةِ .

وَقَدْ بَسَطَ الْكَلَامَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَالْجَوَابِ عَمَّا اعْتَرَضُوا فِيهِ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ قُتَيْبَةَ فِي  
كِتَابَيْنِ صَنَفَهُمَا لِهَذَا الْمَعْنَى ، وَهُمَا مِنْ مَحَاسِنِ كُتُبِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَلَمْ أُرِدْ قَصَّ تِلْكَ الْإِعْتِرَاضَاتِ تَعْزِيزًا لِلْمُعْتَرِضِ فِيهِ ، لَمْ أَعِنْ بِرَدِّهَا لِأَنَّ غَيْرِي - وَالْحَمْدُ  
لِلَّهِ - قَدْ تَجَرَّدَ لَهُ ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ بِالْحِكَايَةِ عَنْهُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ بَيَانَ مَعْنَى قَوْلِهِ : تُجَارَى  
بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ ، وَقَبْلُ وَبَعْدُ فَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ إِذَا اسْتَحْكَمَتْ  
فِيهِمْ أَهْوَاؤُهُمْ لَمْ يُبَالُوا بِشَيْءٍ ، وَلَمْ يُعِدُّوا خِلَافَ أَنْظَارِهِمْ شَيْئًا ، وَلَا رَاجِعُوا عُقُولَهُمْ  
مُرَاجَعَةً مَنْ يَتَّهَمُ نَفْسَهُ وَيَتَوَقَّفُ فِي مَوَارِدِ الْإِشْكَالِ ( وَهُوَ شَأْنُ الْمُعْتَبِرِينَ مِنْ أَهْلِ الْعُقُولِ  
) وَهَؤُلَاءِ صِنْفٌ مِنْ أَصْنَافٍ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ ، وَلَمْ يَعْزِزْ بِالْعَادِلِ فِيهِ ، ثُمَّ [ هُنَاكَ ]  
أَصْنَافٌ أُخَرُ تَجْمَعُهُمْ مَعَ هَؤُلَاءِ إِشْرَابُ الْهَوَى فِي قُلُوبِهِمْ ، حَتَّى لَا يُبَالُوا بِغَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ  
فَإِذَا تَقَرَّرَ مَعْنَى الرِّوَايَةِ بِالتَّمْثِيلِ ، صِرْنَا مِنْهُ إِلَى مَعْنَى آخَرَ ، وَهِيَ لِمَسْأَلَةِ التَّاسِعَةِ عَشْرَةَ

=====

### المطلب الحادي عشر

#### كُلُّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ هُوَ مُتَّبِعٌ لِلْهَوَى

إِنَّ قَوْلَهُ : تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ فِيهِ الْإِشَارَةُ بِـ " تِلْكَ " فَلَا تَكُونُ إِشَارَةً إِلَى غَيْرِ  
مَذْكُورٍ ، وَلَا مُحَالًا بِهَا عَلَى غَيْرِ مَعْلُومٍ ، بَلْ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ مُتَقَدِّمٍ تَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ إِلَّا  
الْأَحْوَالُ الَّتِي كَانَتْ السَّبَبَ فِي الْإِفْتِرَاقِ ، فَجَاءَتْ الزِّيَادَةُ فِي الْحَدِيثِ مُبَيِّنَةً أَنَّهَا الْأَهْوَاءُ ،  
وَذَلِكَ قَوْلُهُ : تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ كُلَّ خَارِجٍ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ  
إِنَّمَا خَرَجَ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى عَنِ الشَّرْعِ وَقَدْ مَرَّ بَيَانُ هَذَا قَبْلُ فَلَا نُعِيدُهُ .

=====

## المطلب الثاني عشر

### أهل الأهواء نوعان: داعية وغير داعية

إِنَّ قَوْلَهُ ﷺ : وَأَنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ عَلَى وَصْفِ كَذَا ، يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ :  
أَحَدُهُمَا : أَنْ يُرِيدَ أَنَّ كُلَّ مَنْ دَخَلَ مِنْ أُمَّتِهِ فِي هَوَى مِنْ تِلْكَ الْأَهْوَاءِ وَرَأَاهَا وَذَهَبَ  
إِلَيْهَا ، فَإِنَّ هَوَاهُ يَجْرِي فِيهِ مَجْرَى الْكَلْبِ بِصَاحِبِهِ فَلَا يَرْجِعُ أَبَدًا عَنْ هَوَاهُ وَلَا يَتُوبُ مِنْ  
بِدْعَتِهِ .

وَالثَّانِي : أَنْ يُرِيدَ أَنَّ أُمَّتَهُ مَنْ يَكُونُ عِنْدَ دُخُولِهِ فِي الْبِدْعَةِ مُشْرَبَ الْقَلْبِ بِهَا فَلَا يُمَكِّنُهُ  
التَّوْبَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ ، فَيُمَكِّنُهُ التَّوْبَةُ مِنْهَا وَالرُّجُوعُ عَنْهَا .  
وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْأَوَّلِ هُوَ النَّقْلُ الْمُفْتَضِي الْحَجَرَ لِلتَّوْبَةِ عَنْ صَاحِبِ الْبِدْعَةِ عَلَى  
الْعُمُومِ ، كَقَوْلِهِ ﷺ : " يَكُونُ مِنْ بَعْدِي قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ  
مِنَ الدِّينِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فَوْقِهِ ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ ، وَطُوبَى لِمَنْ  
قَتَلُوهُ ، شَرُّ قَتْلَى أَظْلَلَتْهُمْ السَّمَاءُ وَأَقْلَتْهُمْ الْأَرْضُ ، كَلَابُ أَهْلِ النَّارِ " ١٥٤  
وَقَوْلِهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ حَجَرَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ ١٥٥ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَيَشْهَدُ  
لَهُ الْوَاقِعُ ، فَإِنَّهُ قَلَمًا تَجِدُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ ارْتَضَاهَا لِنَفْسِهِ يَخْرُجُ عَنْهَا أَوْ يَتُوبُ مِنْهَا ، بَلْ  
هُوَ يَزْدَادُ بَضَلًا لَهَا بِصِيرَةٍ .  
رَوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ : " مَثَلُ الَّذِي يَنْظُرُ فِي الرَّأْيِ ثُمَّ يَتُوبُ مِنْهُ مَثَلُ الْمَجْنُونِ الَّذِي  
عُولِجَ ثُمَّ بَرِيَ فَأَعْقَلَ مَا يَكُونُ قَدْ هَاجَ بِهِ " ١٥٦ .

١٥٤ - معرفة الصحابة لأبي نعيم - ( ٣ / ١٦٣٠ ) ( ٤٠٩٩ ) حسن

١٥٥ - شعب الإيمان - ( ١٢ / ٥٤ ) ( ٩٠١٠ ) حسن

البدعة بدعتان : بدعة هُدى، وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في  
حيز الذم والإنكار، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه وحضَّ عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح، وما لم  
يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال الحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في  
خلاف ما ورد الشرع به

١٥٦ - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر - ( ١٢٢١ ) صحيح

وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الثَّانِي أَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الثَّقَلِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَا تَوْبَةَ لَهُ أَصْلًا ، لِأَنَّ الْعَقْلَ يُجَوِّزُ ذَلِكَ ، وَالشَّرْعُ إِنِ يَشَأْ عَلَى مَا ظَاهَرَهُ الْعُمُومُ فَعُمُومُهُ إِنَّمَا يُعْتَبَرُ عَادِيًّا ، وَالْعَادَةُ إِنَّمَا تَقْتَضِي فِي الْعُمُومِ الْكَثَرِيَّةَ ، لَا نَحْتَاجُ الشُّمُولَ الَّذِي يَحْزِمُ بِهِ الْعَقْلُ إِلَّا بِحُكْمِ الْإِتِّفَاقِ ، وَهَذَا مُبَيَّنٌّ فِي الْأُصُولِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّا وَجَدْنَا مَنْ كَانَ عَامِلًا بَبَدْعٍ ثُمَّ تَابَ مِنْهَا وَرَاجَعَ نَفْسَهُ بِالرُّجُوعِ عَنْهَا ، كَمَا رَجَعَ مِنَ الْخَوَارِجِ مَنْ رَجَعَ حِينَ نَظَرَهُمُ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ، وَكَمَا رَجَعَ الْمُهْتَدِي وَالْوَائِقُ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ كَانَ قَدْ خَرَجَ عَنِ السُّنَّةِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا ، وَإِذَا جُعِلَ تَخْصِيصٌ بِفَرْدٍ لَمْ يَنْقُ الْلفظُ عَامًّا وَحَصَلَ الْإِنْقِسَامُ .

وَهَذَا الثَّانِي هُوَ الظَّاهِرُ ، لِأَنَّ الْحَدِيثَ أَعْطَى أَوَّلُهُ أَنَّ الْأُمَّةَ تَفْتَرِقُ ذَلِكَ الْإِفْتِرَاقَ مِنْ غَيْرِ إِشْعَارٍ بِإِشْرَابٍ أَوْ عَدَمِهِ ، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ فِي أُمَّتِهِ الْمُفْتَرِقِينَ عَنِ الْجَمَاعَةِ مَنْ يُشْرَبُ تِلْكَ الْأَهْوَاءَ ، فَذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ لَا يُشْرَبُهَا ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهَا .

وَيَعْدُ أَنْ يُرِيدَ أَنْ فِي مُطْلَقِ الْأُمَّةِ مَنْ يُشْرَبُ تِلْكَ الْأَهْوَاءَ ، إِذْ كَانَ يَكُونُ فِي الْكَلَامِ نَوْعٌ مِنَ التَّدَاخُلِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، فَإِذَا بَيَّنَّ أَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَخْرُجُ فِي الْأُمَّةِ الْمُفْتَرِقَةُ بِسَبَبِ الْهَوَى مَنْ يَتَجَارَى بِهِ ذَلِكَ الْهَوَى اسْتِقَامَ الْكَلَامُ وَاتَّسَقَ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يُتَصَوَّرُ الْإِنْقِسَامُ . وَذَلِكَ بَأَن يَكُونُ فِي الْفِرْقَةِ مَنْ يَتَجَارَى بِهِ الْهَوَى كَتَجَارَى الْكَلْبِ ، وَمَنْ لَا يَتَجَارَى بِهِ ذَلِكَ الْمَقْدَارُ ، لِأَنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يَخْتَلِفَ التَّجَارَى ، فَمِنْهُ مَا يَكُونُ فِي الْعَايَةِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْكُفْرِ أَوْ يَكَادُ ، وَمِنْهُ مَا لَا يَكُونُ كَذَلِكَ .

فَمِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ الْخَوَارِجُ بِشَهَادَةِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ : « .. يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْتُ وَالْدَمُّ .. » ١٥٧ .

١٥٧ - صحيح البخاري - المكثر - (٣٦١٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٥٠٠)

الرصاص : جمع رصفة وهو مدخل النصل في السهم - القدح : خشب السهم حين تنحت وتبرى وتسوى - القذذ : جمع قذذة وهي ريش السهم - النضى : السهم بلا نصل ولا ريش أو ما بين نصل السهم وريشه

وَمِنْهُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُغْرِقُوا فِي الْبِدْعَةِ حَتَّى اعْتَرَضُوا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسَنَةِ نَبِيِّهِ ، وَهُمْ بِالْكَفْرِ أَحَقُّ مِنْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَهُمْ .

وَمِنْ الْقِسْمِ الثَّانِي أَهْلُ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ عَلَى الْجُمْلَةِ ، إِذَا لَمْ يُؤَدِّهِمْ عَقْلُهُمْ إِلَى مَا تَقَدَّمَ . وَمِنْهُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الظَّاهِرِيَّةُ - عَلَى رَأْيٍ مَنْ عَدَّهَا مِنَ الْبِدْعِ - وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يَقُولُ : مَنْ خَرَجَ عَنِ الْفِرْقِ بِيَدْعَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ جُزْئِيَّةً فَلَا يَخْلُو صَاحِبُهَا مِنْ تَجَارِبِهَا فِي قَلْبِهِ وَإِشْرَابِهَا لَهُ ، لَكِنْ عَلَى قَدَرِهَا ، وَبِذَلِكَ أَيْضًا تَدْخُلُ تَحْتَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى أَنْ لَا تَوْبَةُ لَهُ ، لَكِنَّ التَّجَارِي الْمُسَبَّهَ بِالْكَلْبِ لَا يَبْلُغُهُ كُلُّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ ، إِلَّا أَنَّهُ يَبْقَى وَجْهُ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ مَنْ أَشْرَبَ قَلْبُهُ بِدْعَةً مِنَ الْبِدْعِ ذَلِكَ الْإِشْرَابَ ، وَبَيْنَ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِمَّنْ هُوَ مَعْدُودٌ فِي الْفِرْقِ ، فَإِنَّ الْجَمِيعَ مُتَصِفُونَ بِوَصْفِ الْفِرْقَةِ الَّتِي هِيَ تَبِيجَةُ الْعِدَاوَةِ وَالْبَعْضَاءِ .

وَسَبَبُ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَمْرَانِ : إِمَّا أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الَّذِي أَشْرَبَهَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى بِدْعَتِهِ ، فَيُظْهِرُ بِسَبَبِهَا الْمُعَادَاةَ ، وَالَّذِي لَمْ يُشْرَبَهَا لَا يَدْعُو إِلَيْهَا وَلَا يَنْتَصِبُ لِلدُّعَاءِ إِلَيْهَا ، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَدْعُ إِلَيْهَا إِلَّا وَهِيَ وَقَدْ بَلَعَتْ مِنْ قَلْبِهِ مَبْلَغًا عَظِيمًا بَحِثُ يَطْرُحُ مَا سِوَاهَا فِي حَنْبِهَا ، حَتَّى صَارَ ذَا بَصِيرَةٍ فِيهَا لَا يَنْشِي عَنْهَا ، وَقَدْ أَعْمَتْ بَصَرَهُ وَأَصَمَّتْ سَمْعَهُ وَاسْتَوَلَتْ عَلَى كُلِّيَّتِهِ وَهِيَ غَايَةُ الْمَحَبَّةِ . وَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْيَاسِيَّةِ وَعَادَى ، وَلَمْ يُبَالِ بِمَا لَقِيَ فِي طَرِيقِهِ ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ ، فَإِنَّمَا هِيَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ مَسْأَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ حَصَلَهَا ، وَتُكَنَّى اهْتَدَى إِلَيْهَا فَهِيَ مُدْخَرَةٌ فِي خِزَانَةِ حِفْظِهِ يَحْكُمُ بِهَا عَلَى مَنْ وَافَقَ وَخَالَفَ ، لَكِنْ بَحِثُ يَقْدُرُ عَلَى إِمْسَاكِ نَفْسِهِ عَنِ الْإِظْهَارِ مَخَافَةَ التَّكَالِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْإِضْرَارِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ دَاهَنَ عَلَى نَفْسِهِ فِي شَيْءٍ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِظْهَارِهِ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ ذَلِكَ الشَّيْءُ مَبْلَغَ الْإِسْتِيلَاءِ ، فَكَذَلِكَ الْبِدْعَةُ إِذَا اسْتَخْفَى بِهَا صَاحِبُهَا .

وَإِمَّا أَنْ يُقَالَ : إِنَّ مَنْ أَشْرَبَهَا نَاصِبٌ عَلَيْهَا بِالْدُّعْوَةِ الْمُقْتَرَنَةِ بِالْخُرُوجِ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَهِيَ الْخَاصِيَّةُ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الْخَوَارِجِ وَسَائِرِ مَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ .

وَمِثْلُ مَا حَكَى ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي الْعَوَاصِمِ قَالَ : أَخْبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ : أَنَّهُ وَرَدَ بِهَا الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هُورَانَ الْقُشَيْرِيُّ الصُّوفِيُّ مِنْ نَيْسَابُورَ فَعَقَدَ مَجْلِسًا لِلذِّكْرِ ، وَحَضَرَ فِيهِ كَافَّةُ الْخَلْقِ ، وَفَرَأَ الْقَارِئُ : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } (٥) سُورَةِ طه ، قَالَ لِي أَحَصُّهُمْ : مَنْ أَنْتَ - يَعْنِي الْحَنَابِلَةَ - يَقُومُونَ فِي أَثْنَاءِ الْمَجْلِسِ وَيَقُولُونَ قَاعِدٌ ! قَاعِدٌ ! بِأَرْفَعِ صَوْتَ وَأَبْعَدِ مَدَى ، وَثَارَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الْقُشَيْرِيِّ وَمِنْ أَهْلِ الْحَضْرَةِ ، وَتَنَاقَرَتِ الْفِتْنَانِ وَغَلَبَتِ الْعَامَّةُ ، فَأَحْجَرُوهُمْ إِلَى مَدْرَسَةِ النِّظَامِيَّةِ وَحَصَرُوهُمْ فِيهَا وَرَمَوْهُمْ بِالنَّسَابِ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ قَوْمٌ ، وَرَكِبَ زَعِيمُ الْكُفَاةِ وَبَعْضُ الدَّارِيَّةِ فَسَكَنُوا ثَوَرَتَهُمْ .

فَهَذَا أَيْضًا مِمَّنْ أَشْرَبَ قَلْبُهُ حُبَّ الْبِدْعَةِ حَتَّى آدَاهُ ذَلِكَ إِلَى الْقَتْلِ ، فَكُلُّ مَنْ بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ حَقِيقٌ أَنْ يُوصَفَ بِالْوَصْفِ الَّذِي وَصِفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنْ بَلَغَ مِنْ ذَلِكَ الْحَرْبَ .

وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ دَاخَلُوا الْمُلُوكَ فَأَذَلُّوا إِلَيْهِمْ بِالْحُجَّةِ الْوَاهِيَةِ ، وَصَعَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَمَلَةَ السُّنَّةِ وَحُمَاةَ الْمِلَّةِ ، حَتَّى وَقَفُوهُمْ مَوَاقِفَ الْبُلُوَى ، وَأَذَاقُوهُمْ مَرَارَةَ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَانْتَهَى بِأَقْوَامٍ إِلَى الْقَتْلِ ، حَسْبَمَا وَفَعَتِ الْمِحْنَةُ بِهِ زَمَانَ بَشْرِ الْمُرِّيْسِيِّ<sup>١٥٨</sup> فِي حَضْرَةِ الْمَأْمُونِ وَابْنِ أَبِي دُوَادٍ وَغَيْرِهِمَا .

فَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْبِدْعَةُ بِصَاحِبِهَا هَذِهِ الْمُنَاصِبَةَ فَهُوَ غَيْرُ مُشْرَبٍ حُبِّهَا فِي قَلْبِهِ كَالْمِثَالِ فِي الْحَدِيثِ ، وَكَمْ مِنْ أَهْلِ بِدْعَةٍ لَمْ يَقُومُوا بِبِدْعَتِهِمْ قِيَامَ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ ، بَلِ اسْتَتَرُوا بِهَا

<sup>١٥٨</sup> - بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي، العدوي بالولاء، أبو عبد الرحمن: فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، يرمى بالزندقة. وهو رأس الطائفة (المريسية) القائلة بالارجاء، وإليه نسبتها. أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف، وقال برأي الجهمية، وأوذى في دولة هارون الرشيد. وكان جده مولى لزيد بن الخطاب. وقيل: كان أبوه يهوديا. وهو من أهل بغداد ينسب إلى (درب المريس) فيها. عاش نحو ٧٠ عاما. وقالوا في وصفه: كان قصيرا، دميم المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، كبير الرأس والاذنين. له تصانيف. وللدارمي كتاب (النقض على بشر المريسي - ط) في الرد على مذهبه "الأعلام للزركلي - (٢ / ٥٥) ووفيات الأعيان ١: ٩١ والنجوم الزاهرة ٢: ٢٢٨ وتاريخ بغداد ٥٦: ٧ وميزان الاعتدال ١: ١٥٠ ولسان الميزان ٢: ٢٩ وسير أعلام النبلاء (٢٠١/١٠)



جِدًّا ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِلدُّعَاءِ إِلَيْهَا جَهَارًا ، كَمَا فَعَلَ غَيْرُهُمْ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعَدُّ فِي الْعُلَمَاءِ  
وَالرُّوَاةِ وَأَهْلِ الْعَدَالَةِ بِسَبَبِ عَدَمِ شُهْرَتِهِمْ بِمَا انْتَحَلُوهُ .  
فَهَذَا الْوَجْهَ يَظْهَرُ أَنَّهُ أَوْلَى الْوُجُوهِ بِالصَّوَابِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

=====

### المطلب الثالث عشر

#### هل الإشراب خاص ببعض البدع أم لا ؟

إِنَّ هَذَا الْإِشْرَابَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ هَلْ يَخْتَصُّ بَعْضُ الْبِدَعِ دُونَ بَعْضٍ أَمْ لَا يَخْتَصُّ ؟ وَذَلِكَ أَنَّهُ  
يُمْكِنُ أَنَّ بَعْضَ الْبِدَعِ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُشْرِبَ قَلْبَ صَاحِبِهَا جِدًّا ، وَمِنْهَا مَا لَا يَكُونُ  
كَذَلِكَ ، فَالْبِدْعَةُ الْفُلَانِيَّةُ مَثَلًا مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتَجَارَى بِصَاحِبِهَا كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ  
بِصَاحِبِهِ وَالْبِدْعَةُ الْفُلَانِيَّةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، فَبِدْعَةُ الْخَوَارِجِ مَثَلًا فِي طَرَفِ الْإِشْرَابِ كَبِدْعَةِ  
الْمُنْكَرِينَ لِلْقِيَاسِ فِي الْفُرُوعِ الْمُتَلَتِّمِينَ الظَّاهِرَ فِي الطَّرَفِ الْآخِرِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَجَارَى  
ذَلِكَ فِي كُلِّ بِدْعَةٍ عَلَى الْعُمُومِ فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِهَا مَنْ تَجَارَتْ بِهِ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ  
بِصَاحِبِهِ ، كَعَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ ، حَسَبًا تَقَدَّمَ الثَّقَلُ عَنْهُ أَنَّهُ أَنْكَرَ بِسَبَبِ الْقَوْلِ بِهِ سُورَةَ تَبَّتْ  
يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا } ( ١١ ) سُورَةُ الْمَدْثَرِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ  
لَمْ يَبْلُغْ بِهِ الْحَالُ إِلَى هَذَا النَّحْوِ كَجُمْلَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، كَالْفَارِسِيِّ النَّحْوِيِّ وَابْنِ  
جَنِّي .

وَالثَّانِي : بِدْعَةُ الظَّاهِرِيَّةِ فَإِنَّهَا تَجَارَتْ بِقَوْمٍ حَتَّى قَالُوا عِنْدَ ذِكْرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : { الرَّحْمَنُ  
عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } ( ٥ ) سُورَةُ طه ، قَاعِدٌ ! قَاعِدٌ ! وَأَعْلَنُوا بِذَلِكَ وَتَقَاتَلُوا عَلَيْهِ ، وَلَمْ  
يَبْلُغْ بِقَوْمٍ آخَرِينَ ذَلِكَ الْمَقْدَارَ ، كَذَاوَدَ بْنَ عَلِيٍّ فِي الْفُرُوعِ وَأَشْبَاهِهِ .

وَالثَّالِثُ : بِدْعَةُ التَّزَامِ الدُّعَاءِ بِإِثْرِ الصَّلَوَاتِ دَائِمًا عَلَى الْهَيْئَةِ الْجَمَاعِيَّةِ ، فَإِنَّهَا بَلَغَتْ  
بِأَصْحَابِهَا إِلَى أَنْ كَانَ التَّرْكُ لَهَا مُوجِبًا لِلْقَتْلِ عِنْدَهُ ، فَحَكَّى الْقَاضِي أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ  
خَلِيلٍ حِكَايَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُجَاهِدٍ الْعَايِدِ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ عُظَمَاءِ الدَّوْلَةِ وَأَهْلِ  
الْوَجَاهَةِ فِيهَا - وَكَانَ مَوْصُوفًا بِشِدَّةِ السَّطْوِ وَبَسْطِ الْيَدِ - نَزَلَ فِي جِوَارِ ابْنِ مُجَاهِدٍ

وَصَلَّى فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي كَانَ يُؤْمُ فِيهِ ، وَكَانَ لَا يَدْعُو فِي أُخْرَيَاتِ الصَّلَوَاتِ تَصْمِيمًا فِي ذَلِكَ عَلَى الْمَذْهَبِ ( يَعْنِي مَذْهَبَ مَالِكٍ ) لِأَنَّهُ مَكْرُوهٌ فِي مَذْهَبِهِ . وَكَانَ ابْنُ مُجَاهِدٍ مُحَافِظًا عَلَيْهِ . فَكَرِهَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْهُ تَرْكَ الدُّعَاءِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو فَأَبَى ، وَبَقِيَ عَلَى عَادَتِهِ فِي تَرْكِهِ فِي أَعْقَابِ الصَّلَوَاتِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي صَلَّى ذَلِكَ الرَّجُلُ الْعَتَمَةَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا انْقَضَتْ وَخَرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى دَارِهِ قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ : قَدْ قُلْنَا لِهَذَا الرَّجُلِ يَدْعُو إِثْرَ الصَّلَوَاتِ فَأَبَى ، فَإِذَا كَانَ فِي غَدْوَةٍ غَدٍ أَضْرَبُ رَقَبَتَهُ بِهَذَا السَّيْفِ وَأَشَارَ فِي يَدِهِ فَخَافُوا عَلَى ابْنِ مُجَاهِدٍ مِنْ قَوْلِهِ لَمَّا عَلِمُوا مِنْهُ ، فَرَجَعَتِ الْجَمَاعَةُ بِجُمْلَتِهَا إِلَى دَارِ ابْنِ مُجَاهِدٍ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَقَالُوا لَهُ : وَاللَّهِ لَقَدْ خَفْنَا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ، وَقَدْ اشْتَدَّ الْآنَ غَضَبُهُ عَلَيْكَ فِي تَرْكِكَ الدُّعَاءِ . فَقَالَ لَهُمْ : لَا أَخْرُجُ عَنْ عَادَتِي ، فَأَخْبَرُوهُ بِالْقِصَّةِ . فَقَالَ لَهُمْ - وَهُوَ مُبْتَسِمٌ - : انْصَرِفُوا وَلَا تَخَافُوا فَهُوَ الَّذِي تُضْرِبُ رَقَبَتَهُ فِي غَدْوَةٍ غَدٍ بِذَلِكَ السَّيْفِ بِحَوْلِ اللَّهِ ، وَدَخَلَ دَارَهُ ، وَانْصَرَفَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَى ذُعْرِ مَنْ قَوْلَ ذَلِكَ الرَّجُلِ . فَلَمَّا كَانَ مَعَ الصُّبْحِ وَصَلَ إِلَى دَارِ الرَّجُلِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَمَنْ عَلِمَ حَالِ الْبَارِحَةِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَيْهِ إِلَى دَارِ الْإِمَامَةِ بِيَابِ جَوْهَرٍ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ ، وَهُنَاكَ أَمَرَ بِضَرْبِ رَقَبَتِهِ بِسَيْفِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ تَحْقِيقًا لِلْإِجَابَةِ وَإِثْبَاتًا لِلْكَرَامَةِ .

وَقَدْ رَوَى بَعْضُ الْإِشْبِيلِيِّينَ الْحِكَايَةَ بِمَعْنَى هَذِهِ لَكِنْ عَلَى نَحْوٍ آخَرَ .

وَلَمَّا رَدَّ وَلَدُ ابْنِ الصَّفَرِ عَلَى الْخَطِيبِ فِي خُطْبَتِهِ وَذَلِكَ حِينَ فَاهَ بِاسْمِ الْمَهْدِيِّ وَعِصْمَتِهِ ، أَرَادَ الْمُرْتَضَى مِنْ ذُرِّيَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ - وَهُوَ إِذْ ذَاكَ خَلِيفَةٌ - أَنْ يَسْحَنَهُ عَلَى قَوْلِهِ ، فَأَبَى الْأَشْيَاخُ وَالْوُزَرَاءُ مِنْ فِرْقَةِ الْمُوَحِّدِينَ إِلَّا قَتَلَهُ ، فَعَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِ فَقَتَلُوهُ خَوْفًا أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ غَيْرُهُ . فَتَخَلَّتْ عَلَيْهِمُ الْقَاعِدَةُ الَّتِي بَنَوْا دِينَهُمْ عَلَيْهَا .

وَقَدْ لَا تَبْلُغُ الْبِدْعَةُ فِي الْإِشْرَابِ ذَلِكَ الْمِقْدَارَ فَلَا يَتَّفِقُ الْخِلَافُ فِيهَا بِمَا يُؤَدِّي إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ .

فَهَذِهِ الْأَمْثَلَةُ بَيِّنَتْ بِالْوَاقِعِ مُرَادَ الْحَدِيثِ - عَلَى فَرْضِ صِحَّتِهِ - <sup>١٥٩</sup> فَإِنَّ أَخْبَارَ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّمَا تَكُونُ ابْتِنَاءً عَلَى وَفْقِ مُخْبِرِهِ مِنْ غَيْرِ تَخَلُّفٍ أَلْبَتَّةَ .

<sup>١٥٩</sup> - قلت : هو صحيح بلا افتراض

وَيَشْهَدُ لِهَذَا التَّفْسِيرِ اسْتِقْرَاءُ أَحْوَالِ الْخَلْقِ مِنْ انْقِسَامِهَا إِلَى الْأَعْلَى وَالْأَدْنَى وَالْأَوْسَطِ ،  
كَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ ، وَالشَّجَاعَةِ وَالْجُبْنِ ، وَالْعَدْلِ وَالْحَوَرِ ، وَالْجُودِ وَالْبُخْلِ ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ ،  
وَالْعِزَّ وَالذُّلَّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْصَافِ ، فَإِنَّهَا تَتَرَدَّدُ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ : فَعَالِمٌ  
فِي أَعْلَى دَرَجاتِ الْعِلْمِ ، وَآخَرُ فِي أَدْنَى دَرَجاتِهِ ، وَجَاهِلٌ كَذَلِكَ ، وَشَجَاعٌ كَذَلِكَ ،  
إِلَى سَائِرِهَا .

فَكَذَلِكَ سُقُوطُ الْبِدْعِ بِالثُّبُوسِ ، إِلَّا أَنْ فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا فَائِدَةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ التَّحْذِيرُ  
مِنْ مُقَارَبَتِهَا وَمُقَارَبَةِ أَصْحَابِهَا .

=====

### المطلب الرابع عشر

#### وجه الشبه بين داء الكلب والبدعة

وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ دَاءَ الْكَلْبِ فِيهِ مَا يُشَبِّهُ الْعَدْوَى ، فَإِنَّ أَصْلَ الْكَلْبِ وَقَعَ بِالْكَلْبِ . ثُمَّ إِذَا  
عَضَّ ذَلِكَ الْكَلْبُ أَحَدًا صَارَ مِثْلُهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِنْفِصَالِ مِنْهُ فِي الْعَالِبِ إِلَّا بِالْهَلَكَةِ ،  
فَكَذَلِكَ الْمُبْتَدِعُ إِذَا أُوْرِدَ عَلَى أَحَدٍ رَأْيُهُ وَإِشْكَالُهُ فَقَلَّمَا يَسْلُمُ مِنْ غَائِلَتِهِ ، بَلْ إِمَّا أَنْ يَقَعَ  
مَعَهُ فِي مَذْهَبِهِ وَيَصِيرَ مِنْ شِيعَتِهِ ، وَإِمَّا أَنْ يُثَبَّتَ فِي قَلْبِهِ شَكٌّ يَطْمَعُ فِي الْإِنْفِصَالِ عَنْهُ فَلَا  
يَقْدِرُ .

هَذَا بِخِلَافِ سَائِرِ الْمَعَاصِي فَإِنَّ صَاحِبَهَا لَا يُضَارُّهُ وَلَا يُدْخِلُهُ فِيهَا غَالِبًا إِلَّا مَعَ طُولِ  
الصُّحْبَةِ وَالْأُنْسِ بِهِ ، وَالِاعْتِيَادِ لِحُضُورِ مَعْصِيَتِهِ . وَقَدْ أَتَى فِي الْأَثَارِ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا  
الْمَعْنَى . فَإِنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ نَهَوْا عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَمُكَالَمَتِهِمْ وَكَلَامِ مُكَالِمِهِمْ ، وَأَغْلَطُوا  
فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ فِي الْبَابِ الثَّانِي آثَارٌ جَمَّةٌ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُكْرِمَ دِينَهُ فَلْيَعْتَزِلْ مُخَالَطَةَ  
السُّلْطَانِ ، وَمُجَالَسَةَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ ؛ فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ أَلْصَقُ مِنَ الْحَرْبِ " ١٦٠

١٦٠ - الْبِدْعُ لِابْنِ وَصَّاحٍ ( ١٢٥ ) فِيهِ انْقِطَاعُ

وَعَنْ حُمَيْدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ : " قَدِمَ غَيْلَانُ مَكَّةَ فَحَاوَرَ بِهَا ، فَأَتَى غَيْلَانُ مُجَاهِدًا وَقَالَ : يَا أَبَا الْحَجَّاجِ ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَنْهَى النَّاسَ عَنِّي وَتَذَكُرْنِي ، بَلَّغَكَ عَنِّي شَيْءٌ لَا أَقُولُهُ ، إِنَّمَا أَقُولُ كَذَا ، إِنَّمَا أَقُولُ كَذَا ، فَجَاءَ بِشَيْءٍ لَا يُنْكِرُهُ ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ مُجَاهِدٌ : لَا تُجَالِسُوهُ ؛ فَإِنَّهُ قَدَرِي . قَالَ حُمَيْدٌ : فَإِنِّي يَوْمًا فِي الطَّوَافِ لَحِقَنِي غَيْلَانُ مِنْ خَلْفِي فَجَبَذَ رِدَائِي فَالْتَفَتُ ، فَقَالَ : كَيْفَ يَقْرَأُ مُجَاهِدٌ حَرْفَ كَذَا وَكَذَا ؟ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَمَشَى مَعِي ، قَالَ : فَبَصُرَ بِي مُجَاهِدٌ مَعَهُ ، فَأَتَيْتُهُ فَجَعَلْتُ أَكَلِمُهُ فَلَا يَرُدُّ عَلَيَّ ، وَأَسْأَلُهُ فَلَا يُجِيبُنِي ، قَالَ : فَغَدَوْتُ إِلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْحَجَّاجِ ، مَا لَكَ ؟ أَبَلَّغَكَ عَنِّي شَيْءٌ ، أَحَدْتُ حَدَّثًا ، مَا لِي ؟ فَقَالَ : أَلَمْ أَرَكَ مَعَ غَيْلَانَ وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُكَلِّمُوهُ ، أَوْ تُجَالِسُوهُ ، قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَبَا الْحَجَّاجِ مَا ذَكَرْتُ قَوْلَكَ ، وَمَا بَدَأْتُهُ ، هُوَ بَدَأَنِي ، قَالَ : فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا حُمَيْدُ ، لَوْ أَنَّكَ عِنْدِي مُصَدِّقٌ مَا نَظَرْتُ لِي فِي وَجْهِ مُنْبَسِطٍ مَا عَشْتُ " ١٦١ .

وَعَنْ أَيُّوبَ ، قَالَ : " كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَدَخَلَ ، فَلَمَّا جَلَسَ وَضَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهُ فِي بَطْنِهِ ، ثُمَّ أَنْ قَالَ وَقَامَ ، فَقُلْتُ لِعَمْرُو : انْطَلِقْ بِنَا ، قَالَ : فَخَرَجْنَا ، فَلَمَّا مَضَى عَمْرُو رَجَعْتُ فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، قَدْ فَطَنْتُ إِلَى مَا صَنَعْتَ ، قَالَ : وَمَا فَطَنْتُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : " أَمَا إِنَّهُ لَمْ يُظِلَّنِي وَإِيَّاهُ سَقَفُ بَيْتِ " ١٦٢ .

وَعَنْ رَجُلٍ أَخْبَرَهُ قَالَ : " كُنْتُ أَمْشِي مَعَ عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ ، فَرَأَيْتُ ابْنَ عَوْنٍ فَأَعْرَضَ عَنِّي شَهْرِينَ " ١٦٣ .

وَقَالَ مُؤَمِّلٌ ، عَنْ رَجُلٍ أَخْبَرَهُ قَالَ : " دَخَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ عَلَى ابْنِ عَوْنٍ ، فَسَكَتَ ابْنُ عَوْنٍ لَمَّا رَأَاهُ ، وَسَكَتَ عَمْرُو عَنْهُ فَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ ، فَمَكَثَ هُنَا ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ ،

١٦١ - الْبِدْعُ لِابْنِ وَضَّاحٍ (١٢٧) صحيح

الجبذ : الشد والجذب بقوة - العُدو : السير أول النهار - منبسطا : مسرورا لأن الإنسان إذا سرَّ انبسط وجهه واستبشَّر

١٦٢ - الْبِدْعُ لِابْنِ وَضَّاحٍ (١٢٨) فيه انقطاع

١٦٣ - الْبِدْعُ لِابْنِ وَضَّاحٍ (١٢٩) فيه جهالة

فَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ : " بَمَا اسْتَحَلَّ أَنْ دَخَلَ دَارِي بِغَيْرِ إِذْنِي ، مَرَارًا يُرَدِّدُهَا ، أَمَا إِنَّهُ لَوْ تَكَلَّمَ ، أَمَا إِنَّهُ لَوْ تَكَلَّمَ " ١٦٤ .

وَقَالَ مُؤَمِّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ : قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ : " مَا لَكَ لَمْ تَرَوْ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا ؟ قَالَ : مَا أَتَيْتُهُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً لِمَسَاقِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَتُوبَ ، عَلِمَ بِإِثْبَانِي إِيَّاهُ ، وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا ، وَإِنِّي أَظُنُّهُ لَوْ عَلِمَ لَكَانَتْ الْفَيْصَلُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ " ١٦٥ .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِمُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ : " لَا تَقْرَبْنَا مَا دُمْتَ عَلَى رَأْيِكَ هَذَا " . وَكَانَ مُرْجِيًّا " ١٦٦ .

وَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ : " لَقِينِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فَقَالَ : " أَلَمْ أَرْكَ مَعَ طَلْقٍ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، فَمَا لَهُ ؟ قَالَ : لَا تُجَالِسُهُ ؛ فَإِنَّهُ مُرْجِيٌّ . قَالَ أَيُّوبُ : وَمَا شَاوَرْتُهُ فِي ذَلِكَ ، وَلَكِنْ يَحِقُّ لِلرَّجُلِ الْمُسْلِمِ إِذَا رَأَى مِنْ أَحِيهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ أَنْ يَنْصَحَهُ " ١٦٧ .

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : لَقِينِي رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَرِلَةِ فَقَامَ فَقُمْتُ ، فَقُلْتُ : " إِمَّا أَنْ تَمْضِيَ ، وَإِمَّا أَنْ أَمْضِيَ ؛ فَإِنِّي إِنْ أَمْشِ مَعَ نَصْرَانِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمْشِيَ مَعَكَ " ١٦٨ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ قَالَ : " رَأَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ مُحَرَّزٍ وَقَرِيبٌ مِنْهُ شَبَبَةٌ ، فَرَأَاهُمْ يَتَحَادَّلُونَ ، فَرَأَيْتُهُ قَائِمًا يَنْفُضُ ثِيَابَهُ وَيَقُولُ : إِمَّا أَنْتُمْ حَرْبٌ ، إِمَّا أَنْتُمْ حَرْبٌ " ١٦٩ .

وَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ : " دَخَلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ يَوْمًا رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى أَنْ أَقْرَأَهَا ثُمَّ أَخْرُجُ ، فَوَضَعَ إصْبَعِيهِ فِي أُذُنِيهِ ثُمَّ قَالَ : أَخْرُجْ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِي ، قَالَ : فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنِّي لَا أَزِيدُ عَلَى أَنْ أَقْرَأُ ثُمَّ أَخْرُجُ ، قَالَ : فَقَامَ بِإِزَارِهِ يَشُدُّهُ عَلَيْهِ ، وَتَهَيَّأَ لِلْقِيَامِ ، فَأَقْبَلْنَا عَلَى

١٦٤ - الْبَدْعُ لِابْنِ وَصَّاحٍ ( ١٣٠ ) فِيهِ جِهَالَةٌ

١٦٥ - الْبَدْعُ لِابْنِ وَصَّاحٍ ( ١٣١ ) فِيهِ جِهَالَةٌ

١٦٦ - الْبَدْعُ لِابْنِ وَصَّاحٍ ( ١٣٢ ) صَحِيحٌ

١٦٧ - الْبَدْعُ لِابْنِ وَصَّاحٍ ( ١٣٣ ) صَحِيحٌ

١٦٨ - الْبَدْعُ لِابْنِ وَصَّاحٍ ( ١٣٤ ) صَحِيحٌ

١٦٩ - الْبَدْعُ لِابْنِ وَصَّاحٍ ( ١٣٦ ) صَحِيحٌ

الرَّجُلِ فَقُلْنَا : قَدْ حَرَجَ عَلَيْكَ إِلَّا خَرَجْتَ ، أَفِيحِلُّ لَكَ أَنْ تُخْرِجَ رَجُلًا مِنْ بَيْتِهِ ، قَالَ : فَخَرَجَ ، فَقُلْنَا : يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا عَلَيْكَ لَوْ قَرَأَ آيَةً ثُمَّ خَرَجَ ؟ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ قَلْبِي يَثْبُتُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مَا بَالَيْتُ أَنْ يَقْرَأَ ، وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي قَلْبِي شَيْئًا أَجْهَدُ أَنْ أُخْرِجَهُ مِنْ قَلْبِي فَلَا أَسْتَطِيعُ " ١٧٠ .

وَعَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، قَالَ : " لَا تُمَكِّنُوا صَاحِبَ بِدْعَةٍ مِنْ جَدَلٍ ؛ فَيُورِثَ قُلُوبَكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ ارْتِيَابًا " ١٧١ .

فَهَذِهِ آثَارُ تَنْبَهُكَ عَلَى مَا تَقَدَّمَتْ إِشَارَةُ الْحَدِيثِ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ مَقْصُودًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

=====

## المطلب الخامس عشر

### لماذا لا يقبل لصاحب البدعة توبة ؟

التَّنبِيهُ عَلَى السَّبَبِ فِي بُعْدِ صَاحِبِ الْبِدْعَةِ عَنِ التَّوْبَةِ ، إِذْ كَانَ مَثَلُ الْمَعَاصِي الْوَاقِعَةِ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا أَوْ اعْتِقَادًا ، كَمَثَلِ الْأَمْرَاضِ النَّازِلَةِ بِجِسْمِهِ أَوْ رُوحِهِ ، فَأَدْوِيَةُ الْأَمْرَاضِ الْبَدَنِيَّةِ مَعْلُومَةٌ ، وَأَدْوِيَةُ الْأَمْرَاضِ الْعَمَلِيَّةِ التَّوْبَةُ وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ ، وَكَمَا أَنَّ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْبَدَنِيَّةِ مَا يُمَكِّنُ فِيهِ التَّدَاوِي ، وَمِنْهُ مَا لَا يُمَكِّنُ فِيهِ التَّدَاوِي أَوْ يَعْسُرُ ، كَذَلِكَ الْكَلْبُ الَّذِي فِي أَمْرَاضِ الْأَعْمَالِ ، فَمِنْهَا مَا يُمَكِّنُ فِيهِ التَّوْبَةَ عَادَةً ، وَمِنْهَا مَا لَا يُمَكِّنُ .

فَالْمَعَاصِي كُلُّهَا - غَيْرُ الْبِدْعِ - يُمَكِّنُ فِيهَا التَّوْبَةَ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَهِيَ الْكَبَائِرُ - إِلَى أَدْنَاهَا - وَهِيَ اللَّمَمُ - وَالْبِدْعُ أَخْبَرْنَا فِيهَا إِخْبَارَيْنِ كِلَاهُمَا يُفِيدُ أَنَّ لَا تَوْبَةَ مِنْهَا .

الإِخْبَارُ الْأَوَّلُ : مَا تَقَدَّمَ فِي ذِمِّ الْبِدْعِ مِنْ أَنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا تَوْبَةَ لَهُ ، مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ .  
وَالْآخَرُ : مَا نَحْنُ فِي تَفْسِيرِهِ ، وَهُوَ تَشْبِيهُ الْبِدْعِ بِمَا لَا نُجَحِّ فِيهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ كَالْكَلْبِ ، فَافَادَ أَنَّ لَا نُجَحِّ مِنْ ذَنْبِ الْبِدْعِ فِي الْجُمْلَةِ مِنْ غَيْرِ اقْتِضَاءٍ عُمُومٍ ، بَلِ اقْتَضَى أَنَّ عَدَمَ

١٧٠ - الْبِدْعُ لِابْنِ وَصَّاحٍ (١٣٧) صحيح

١٧١ - الْبِدْعُ لِابْنِ وَصَّاحٍ (١٣٨) صحيح

التَّوْبَةُ مَخْصُوصٌ بِمَنْ تُجَارَى بِهِ الْهَوَى كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ مَنْ  
أُولَئِكَ مَنْ يَتَجَارَى بِهِ الْهَوَى عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ وَتَبَيَّنَ الشَّاهِدَ عَلَيْهِ .

=====

## المطلب السادس عشر

### قبول توبة من لا يشرب هوى البدعة

إِنَّ مِنْ تِلْكَ الْفِرَقِ مَنْ لَا يُشْرَبُ هَوَى الْبِدْعَةِ ذَلِكَ الْإِشْرَابَ ، فَإِذَا يُمَكِّنُ فِيهِ التَّوْبَةُ ، وَإِذَا  
أُمَكِّنَ فِي أَهْلِ الْفِرَقِ أُمَكِّنَ فِيمَنْ خَرَجَ عَنْهُمْ ، وَهُمْ أَهْلُ الْبِدْعِ الْجُرْيَةِ .  
فَإِذَا أَنْ يُرَجَّحَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ فِي إِسْنَادِهَا شَيْءٌ  
، وَأَعْلَى مَا يُجْرَى فِي الْحِسَانِ ، وَفِي الْأَحَادِيثِ الْأَخَرِ مَا هُوَ صَحِيحٌ ، كَقَوْلِهِ : " إِنْ  
قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ،  
ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَرْتَدَّ السَّهْمُ فِي قَوْسِهِ " ١٧٢ وَمَا أَشْبَهَ .

وَأَمَّا أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَتَجْعَلُ الثَّقَلُ الْأَوَّلَ عُمْدَةً فِي عُمُومِ قَبُولِ التَّوْبَةِ ، وَيَكُونُ هَذَا  
الْإِخْبَارُ أَمْرًا زَائِدًا عَلَى ذَلِكَ ، إِذْ لَا يَتَنَافَيْنِ بِسَبَبِ أَنَّ مِنْ شَأْنِ الْبِدْعِ مُصَاحِبَةَ الْهَوَى ،  
وِغْلَبَةُ الْهَوَى لِلْإِنْسَانِ فِي الشَّيْءِ الْمَفْعُولِ أَوْ الْمَتْرُوكِ لَهُ أَبَدًا أَثَرٌ فِيهِ ، وَالْبِدْعُ كُلُّهَا  
تُصَاحِبُ الْهَوَى ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَصْحَابُهَا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ ، فَوَقَعَتِ التَّسْمِيَةُ بِهَا ، وَهُوَ الْعَالِبُ  
عَلَيْهِمْ ، إِذْ يُصَاحِبُهُ دَلِيلُ شَرْعِيٍّ إِنَّمَا نَشَأَ عَنِ الْهَوَى مَعَ شُبْهَةِ دَلِيلٍ ، لَا عَنِ الدَّلِيلِ  
بِالْعَرَضِ فَصَارَ هَوَى يُصَاحِبُهُ دَلِيلُ شَرْعِيٍّ فِي الظَّاهِرِ ، فَكَانَ أَجْرَى فِي الْبِدْعِ مِنَ الْقَلْبِ  
مَوْقِعَ السُّوَيْدَاءِ فَأُشْرِبَ حُبُّهُ ، ثُمَّ إِنَّهُ يَتَفَاوَتْ ، إِذْ لَيْسَ فِي رُبَّةٍ وَاحِدَةٍ وَلَكِنَّهُ تَشْرِيعُ كُلِّهِ  
، وَاسْتَحَقَّ صَاحِبُهُ أَنْ لَا تَوْبَةَ لَهُ ، عَافَانَا اللَّهُ مِنَ النَّارِ بِفَضْلِهِ وَمَنَّةٍ .

وَأَمَّا أَنْ يَعْمَلَ هَذَا الْحَدِيثُ مَعَ الْأَحَادِيثِ الْأَوَّلِ - عَلَى فَرْضِ الْعَمَلِ بِهِ - وَنَقُولُ : إِنْ مَا  
تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَامَّةً ، وَهَذَا يُفِيدُ الْخُصُوصَ كَمَا تُفِيدُهُ ، أَوْ يُفِيدُ مَعْنَى يُفْهِمُ مِنْهُ  
الْخُصُوصُ ، وَهُوَ الْإِشْرَابُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ مَسُوقًا مَسَاقَ التَّبْغِيزِ ، لِقَوْلِهِ « أَلَا إِنَّهُ

١٧٢ - الفوائد لتمام ٤١٤ - ( ٢ / ٢٣٤ ) ( ١٣٦٢ ) صحيح

سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ أَشِدَّاءُ أَحِدَاءُ ذَلِكَ أَلَسِنَتُهُمْ بِالْقُرْآنِ لَا يُجَاوِزُ الْقُرْآنَ تَرَاقِيَهُمْ إِلَّا  
فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ ثُمَّ إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ فَالْمَاجُورُ مَنْ قَتَلَهُمْ» ١٧٣ .

فَذَلَّ أَنْ تَمَّ أَقْوَامًا أُخَرَ لَا تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ عَلَى مَا قَالَ ، بَلْ هِيَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ  
، وَقَدْ لَا تَتَجَارَى بِهِمْ ذَلِكَ .

وَهَذَا التَّفْسِيرُ بِحَسَبِ مَا أُعْطَاهُ الْمَوْضِعُ ، وَتَمَامُ الْمَسْأَلَةِ قَدْ مَرَّ فِي الْبَابِ الثَّانِي وَالْحَمْدُ  
لِلَّهِ . لَكِنْ عَلَى وَجْهِ لَا يَكُونُ فِي الْأَحَادِيثِ كُلِّهَا تَخْصِيصٌ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

=====

### المطلب السابع عشر

#### فتنة الذين يقيسون الأمور برأيهم الفاسد

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : " لَيْسَ عَامٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ، لَا  
أَقُولُ : عَامٌ أَمْطَرُ مِنْ عَامٍ ، وَلَا عَامٌ أَخْصَبُ مِنْ عَامٍ ، وَلَا أَمِيرٌ خَيْرٌ مِنْ أَمِيرٍ ، وَلَكِنْ  
ذَهَابُ خِيَارِكُمْ وَعُلَمَائِكُمْ ، ثُمَّ يُحَدِّثُ قَوْمٌ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ فَيُهْدَمُ الْإِسْلَامُ وَيُثْلَمُ " .  
وَعَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، " قَرَأْتُكُمْ وَعُلَمَاؤُكُمْ  
يَذْهَبُونَ وَيَتَّخِذُ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ " ١٧٤ .

فَجَعَلَ أَعْظَمَ تِلْكَ الْفِرْقِ فِتْنَةً عَلَى الْأُمَّةِ أَهْلُ الْقِيَاسِ ، وَلَا كُلُّ قِيَاسٍ ، بَلِ الْقِيَاسُ عَلَى  
غَيْرِ أَصْلٍ ، فَإِنْ أَهْلُ الْقِيَاسِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ أَصْلٍ يَصِحُّ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ عَلَى أَصْلٍ  
مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ صَحِيحَةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ مُعْتَبَرٍ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْقِيَاسِ أَصْلٌ - وَهُوَ الْقِيَاسُ  
الْفَاسِدُ - فَهُوَ الَّذِي لَا يَصِحُّ أَنْ يُوضَعَ فِي الدِّينِ - فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ وَأَنْ  
يَصِيرَ الْحَلَالُ بِالشَّرْعِ حَرَامًا بِذَلِكَ الْقِيَاسِ ، وَالْحَرَامُ حَلَالًا ، فَإِنَّ الرَّأْيَ مِنْ حَيْثُ هُوَ رَأْيٌ  
لَا يَنْضَبِطُ إِلَى قَانُونٍ شَرْعِيٍّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ شَرْعِيٌّ ، فَإِنَّ الْعُقُولَ تَسْتَحْسِنُ مَا لَا

١٧٣ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - ( ٨ / ١٨٧ ) ( ١٧٢٢٩ ) صحيح

١٧٤ - جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ ( ١١٩٨ - ١٢٠٠ ) حسن



يُسْتَحْسَنُ شَرْعًا ، وَتُسْتَقْبَحُ مَا لَا يُسْتَقْبَحُ شَرْعًا . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ صَارَ الْقِيَاسُ عَلَى غَيْرِ أَصْلِ فِتْنَةٍ عَلَى النَّاسِ .

ثُمَّ أَخْبَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُعَلِّمِينَ لِهَذَا الْقِيَاسِ أَضُرُّ عَلَى النَّاسِ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْفِرَقِ ، وَأَشَدُّ فِتْنَةً . وَيَبَيِّنُهُ أَنَّ مَذَاهِبَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ قَدْ اشْتَهَرَتِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُرَدُّهَا وَاسْتَفَاضَتْ ، وَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ مَقْمُوعُونَ فِي الْأَمْرِ الْعَالِبِ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، بِخِلَافِ الْفُتَيَّا ، فَإِنَّ أَدْلَاهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْأَفْرَادُ ، وَلَا يُمَيِّزُ ضَعِيفَهَا مِنْ قَوِيَّهَا إِلَّا الْخَاصَّةُ ، وَقَدْ يَنْتَصِبُ لِلْفُتَيَّا وَالْقَضَاءِ مِمَّنْ يُخَالِفُهَا كَثِيرٌ .

وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ مَعْنَاهُ مَحْفُوظًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " لَيْسَ عَامٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ ، وَلَا أَقُولُ : عَامٌ أَمْطَرُ مِنْ عَامٍ وَلَا عَامٌ أَخْصَبُ مِنْ عَامٍ وَلَا أَمِيرٌ خَيْرٌ مِنْ أَمِيرٍ وَلَكِنْ ذَهَابُ خِيَارِكُمْ وَعُلَمَائِكُمْ ، ثُمَّ يُحَدِّثُ قَوْمٌ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ فَيُهْذِمُ الْإِسْلَامُ وَيُنْتَلَمُ " ١٧٥ .

وَهَذَا الَّذِي فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْجُودٌ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنْ اللَّهُ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتَرَاعًا يَنْتَرَعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جَهْلًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا " ١٧٦ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي ذِمِّ الرَّأْيِ آثَارٌ مَشْهُورَةٌ عَنِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَالتَّابِعِينَ تَبَيَّنَ فِيهَا أَنَّ الْأَخْذَ بِالرَّأْيِ يُحِلُّ الْحَرَامَ وَيُحَرِّمُ الْحَلَالَ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الدَّامَةَ لِلرَّأْيِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهَا ذِمُّ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الْأَصُولِ فِي نَازِلَةٍ لَمْ تُوجَدْ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ وَلَا إِجْمَاعٍ ، مِمَّنْ يَعْرِفُ الْأَشْبَاهَ وَالنَّظَائِرَ ، وَيَفْهَمُ مَعَانِيَ الْأَحْكَامِ فَيَقِيسُ قِيَاسَ تَشْبِيهِ وَتَعْلِيلٍ ، قِيَاسًا لَمْ يُعَارِضْهُ مَا هُوَ أَوْلَى مِنْهُ ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ فِيهِ تَحْلِيلٌ وَتَحْرِيمٌ وَلَا الْعَكْسُ ، وَإِنَّمَا الْقِيَاسُ الْهَادِمُ مَا عَارَضَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، أَوْ مَا عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ ، أَوْ مَعَانِيهَا الْمُعْتَبَرَةُ .

١٧٥ - جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ ( ١١٩٩ ) حَسَن

١٧٦ - شُعَبُ الْإِيمَانِ - ( ٣ / ١٨٩ ) ( ١٥٤١ ) صَحِيح

ثُمَّ إِنَّ مُخَالَفَةَ هَذِهِ الْأُصُولِ عَلَى قِسْمَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ يُخَالَفَ أَصْلًا مُخَالَفَةً ظَاهِرَةً مِنْ غَيْرِ اسْتِمْسَاكِ بِأَصْلِ آخَرَ ، فَهَذَا لَا يَقَعُ مِنْ مُفْتٍ مَشْهُورٍ ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ الْأَصْلُ لَمْ يُلْغُهُ ، كَمَا وَقَعَ لكَثِيرٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ حَيْثُ لَمْ يُلْغُهُمْ بَعْضُ السُّنَنِ فَخَالَفُوهَا خَطَأً ، وَأَمَّا الْأُصُولُ الْمَشْهُورَةُ فَلَا يُخَالَفُهَا مُسْلِمٌ خِلَافًا ظَاهِرًا مِنْ غَيْرِ مُعَارَضَةٍ بِأَصْلِ آخَرَ ، فَضُلًا عَنْ أَنْ يُخَالَفَهَا بَعْضُ الْمَشْهُورِينَ بِالْفُتْيَا

وَالثَّانِي : أَنْ يُخَالَفَ الْأَصْلُ بِنَوْعٍ مِنَ التَّأْوِيلِ هُوَ فِيهِ مُخْطِئٌ ، بِأَنْ يَضَعَ الْإِسْمَ عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهِ أَوْ عَلَى بَعْضِ مَوَاضِعِهِ ، أَوْ يُرَاعِي فِيهِ مُجَرَّدَ اللَّفْظِ دُونَ اعْتِبَارِ الْمَقْصُودِ ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّأْوِيلِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ أَنَّ تَحْلِيلَ الشَّيْءِ إِذَا كَانَ مَشْهُورًا فَحَرْمُهُ بَعِيرٌ تَأْوِيلٌ ، أَوْ التَّحْرِيمُ مَشْهُورًا فَحَلُّهُ بَعِيرٌ تَأْوِيلٌ كَانَ كُفْرًا وَعِنَادًا ، وَمِثْلُ هَذَا لَا تَتَّخِذُهُ الْأُمَّةُ رَأْسًا قَطُّ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ قَدْ كَفَرَتْ ، وَالْأُمَّةُ لَا تَكْفُرُ أَبَدًا .

وَإِذَا بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا تَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَبْقَ حَبْنَدٌ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ . وَإِذَا كَانَ التَّحْلِيلُ أَوْ التَّحْرِيمُ غَيْرَ مَشْهُورٍ فَخَالَفَهُ مُخَالَفٌ لَمْ يُلْغُهُ دَلِيلُهُ ، فَمِثْلُ هَذَا لَمْ يَزَلْ مَوْجُودًا مِنْ لَدُنْ زَمَانِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، هَذَا إِنْمَا يَكُونُ فِي أَحَادِ الْمَسَائِلِ ، فَلَا تَضِلُّ الْأُمَّةُ وَلَا يَنْهَدُمُ الْإِسْلَامُ وَلَا يُقَالُ لِهَذَا : إِنَّهُ مُحَدَّثٌ عِنْدَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ .

فَظَهَرَ أَنَّ الْمُرَادَ إِنْمَا هُوَ اسْتِحْلَالُ الْمُحَرَّمَاتِ الظَّاهِرَةِ أَوْ الْمَعْلُومَةِ عِنْدَهُ بِنَوْعِ تَأْوِيلٍ ، وَهَذَا بَيْنَ فِي الْمُبْتَدِعَةِ الَّذِينَ تَرَكُوا مُعْظَمَ الْكِتَابِ وَالَّذِي تَضَافَرَتْ عَلَيْهِ أَدِلَّتُهُ ، وَتَوَاطَأَتْ عَلَى مَعْنَاهُ شَوَاهِدُهُ ، وَأَخَذُوا فِي اتِّبَاعِ بَعْضِ الْمُتَشَابِهَاتِ وَتَرَكَ أُمَّ الْكِتَابِ .

فَإِذَا هَذَا - كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - زَيْغٌ وَمَيْلٌ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَإِنْ تَقَدَّمَ أَيْمَةٌ يُفْتَوْنَ وَيُقْتَدَى بِهِمْ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ سَكَنَتْ إِلَيْهِمُ الدَّهْمَاءُ ظَنًّا أَنَّهُمْ بِالْعَوَا لَهُمْ فِي الْإِحْتِيَاظِ عَلَى الدِّينِ ، وَهُمْ يَضِلُّونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَلَا شَيْءٍ أَعْظَمُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ دَاهِيَةٍ تَقَعُ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، فَإِنَّهُ لَوْ عَلِمَ طَرِيقَهَا لَتَوَقَّاهَا مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِذَا جَاءَتْهُ عَلَى غِرَّةٍ فَهِيَ أَذْهَى وَأَعْظَمُ عَلَى مَنْ وَقَعَتْ بِهِ ، وَهُوَ ظَاهِرٌ ، فَكَذَلِكَ الْبِدْعَةُ إِذَا جَاءَتْ الْعَامِّيَّ مِنْ طَرِيقٍ

الْفُتْيَا ، لِأَنَّهُ يَسْتَنْدُ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ ظَهَرَ فِي رُبَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَيُضِلُّ مَنْ حَيْثُ يَطْلُبُ  
الْهُدَايَةَ : اللَّهُمَّ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ .

=====

## المطلب الثامن عشر

### تعيين وصف الفرقة الناجية دون الموصوف

إِنَّ هَاهُنَا نَظْرًا لَفْظِيًّا فِي الْحَدِيثِ هُوَ مِنْ تَمَامِ الْكَلَامِ فِيهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَ ﷺ أَنَّ  
جَمِيعَ الْفِرَقِ فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ الْمُفَسَّرَةُ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ ، فَجَاءَ  
فِي الرَّوَايَةِ الْآخَرَى السُّؤَالُ عَنْهَا - سُؤَالُ التَّعْيِينِ - فَقَالُوا : مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَأَصْلُ  
الْجَوَابِ أَنْ يُقَالَ : أَنَا وَأَصْحَابِي ، وَمَنْ عَمِلَ مِثْلَ عَمَلِنَا . أَوْ مَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ مِمَّا يُعْطَى  
تَعْيِينَ الْفِرْقَةِ ، إِمَّا بِالْإِشَارَةِ أَوْ بِوَصْفٍ مِنْ أَوْصَافِهَا . إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَقَعْ ، وَإِنَّمَا وَقَعَ فِي  
الْجَوَابِ تَعْيِينَ الْوَصْفِ لَا تَعْيِينَ الْمَوْصُوفِ ، فَلِذَلِكَ أَتَى بِمَا أَتَى ، فَظَاهَرُهَا الْوُقُوعُ عَلَى  
غَيْرِ الْعَاقِلِ مِنَ الْأَوْصَافِ وَغَيْرِهَا ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْأَوْصَافُ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا ﷺ وَأَصْحَابُهُ -  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَلَمْ يُطَابِقِ السُّؤَالُ الْجَوَابَ فِي اللَّفْظِ . وَالْعُذْرُ عَنْ هَذَا أَنَّ الْعَرَبَ لَا  
تَلْتَرِمُ ذَلِكَ النَّوعَ إِذَا فُهِمَ الْمَعْنَى ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا سَأَلُوا عَنْ تَعْيِينِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ بَيَّنَّ لَهُمْ  
الْوَصْفَ الَّذِي بِهِ صَارَتْ نَاجِيَةً ، فَقَالَ : مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي .

وَمِمَّا جَاءَ غَيْرَ مُطَابِقٍ فِي الظَّاهِرِ وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُطَابِقٌ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : { قُلْ أُؤْتِيْكُمْ  
بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } (١٥) سورة آل عمران ، فَإِنَّ هَذَا  
الْكَلَامَ مَعْنَاهُ : هَلْ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا ؟ فَكَأَنَّهُ قِيلَ : نَعَمْ ! أَخْبَرْنَا ،  
فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الْآيَةُ . أَيُّ لِلَّذِينَ  
اتَّقَوْا اسْتَقَرَّ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الْآيَةُ . فَأَعْطَى مَضْمُونُ الْكَلَامِ  
مَعْنَى الْجَوَابِ عَلَى غَيْرِ لَفْظِهِ . وَهَذَا التَّفْصِيلُ عَلَى قَوْلِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ .

وَقَالَ تَعَالَى : {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ} (١٥) سورة محمد. فقولُهُ : مَثَلُ الْجَنَّةِ يَقْتَضِي الْمَثَلَ لَا الْمُثَلَّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : {مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ} (١٧) سورة البقرة، وَلِأَنَّهُ كَلَّمَا كَانَ الْمَقْصُودُ الْمُثَلَّ جَاءَ بِهِ بِعَيْنِهِ .

وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الْفِرْقَ وَذَكَرَ أَنَّ فِيهَا فِرْقَةً نَّاجِيَةً ، كَانَ الْأَوَّلَى السُّؤَالَ عَنْ أَعْمَالِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ ، لَا عَنْ نَفْسِ الْفِرْقَةِ؛ لِأَنَّ التَّعْرِيفَ فِيهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ لَا فَائِدَةٌ فِيهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ أَعْمَالِهَا الَّتِي نَجَتْ بِهَا . فَالْمُتَقَدِّمُ فِي الْعَتَبَارِ هُوَ الْعَمَلُ لَا الْعَامِلُ ، فَلَوْ سَأَلُوا : مَا وَصَفُهَا ؟ أَوْ مَا عَمَلُهَا ؟ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لَكَانَ أَشَدَّ مُطَابَقَةً فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ، فَلَمَّا فَهِمَ ﷺ مِنْهُمْ مَا قَصَدُوا أَحَابَهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

وَنَقُولُ : لَمَّا تَرَكُوا السُّؤَالَ عَمَّا كَانَ الْأَوَّلَى فِي حَقِّهِمْ ، أَتَى بِهِ جَوَابًا عَنْ سُؤْلِهِمْ ، حَرِصًا مِنْهُ ﷺ عَلَى تَعْلِيمِهِمْ مَا يَنْبَغِي لَهُمْ تَعَلُّمُهُ وَالسُّؤَالَ عَنْهُ . وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ مَا سَأَلُوا عَنْهُ لَا يَتَّعِينَ ، إِذْ لَا تَخْتَصُّ النَّجَاةُ بِمَنْ تَقَدَّمَ دُونَ مَنْ تَأَخَّرَ ، إِذْ كَانُوا قَدْ اتَّصَفُوا بِوَصْفِ التَّأَخِيرِ .

وَمِنْ شَأْنِ هَذَا السُّؤَالَ التَّعْيِينُ، وَعَدَمُ انْحِصَارِهِمْ بِزَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ لَا يَقْتَضِي التَّعْيِينَ ، وَأَنْصَرَفَ الْقَصْدُ إِلَى تَعْيِينِ الْوَصْفِ الضَّابِطِ لِلْجَمِيعِ، وَهُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ. وَهَذَا الْجَوَابُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا كَالْمُبْهَمِ ، وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّائِلِ مُعَيَّنٌ ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ لِلْحَاضِرِينَ مَعَهُمْ رَأْيَ عَيْنٍ ، فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ غَايَةُ التَّعْيِينِ اللَّائِقُ بِمَنْ حَضَرَ ، فَأَمَّا غَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَمْ يُشَاهِدْ أَحْوَالَهُمْ وَلَمْ يَنْظُرْ أَعْمَالَهُمْ فَلَيْسَ مِثْلُهُمْ ، وَلَا يَخْرُجُ الْجَوَابُ بِذَلِكَ عَنِ التَّعْيِينِ الْمَقْصُودِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . انْتَهَى .

=====

### المطلب التاسع عشر

**معنى الصراط المستقيم الذي انحرقت عنه سبل أهل الابتداع**

قَدْ تَقَدَّمَ قَبْلَ هَذَا أَنَّ كُلَّ فِرْقَةٍ وَكُلَّ طَائِفَةٍ تَدَّعِي أَنَّهَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَنَّ مَا سِوَاهَا مُنْحَرِفٌ عَنِ الْحَادَّةِ وَرَاكِبٌ بُنَيَاتِ الطَّرِيقِ . فَوْقَ بَيْنَهُمُ الْاِخْتِلَافُ إِذَا فِي تَعْيِينِهِ وَبَيَانِهِ ، حَتَّى أَشْكَلَتِ الْمَسْأَلَةُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَظَرَ فِيهَا ، حَتَّى قَالَ مَنْ قَالَ : كُلُّ مُجْتَهِدٍ فِي الْعَقَلِيَّاتِ أَوْ النَّفَلِيَّاتِ مُصِيبٌ . فَعَدَدُ الْأَقْوَالِ فِي تَعْيِينِ هَذَا الْمَطْلَبِ عَلَى عَدَدِ الْفِرَقِ ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْاِخْتِلَافِ ، إِذْ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِي الشَّرِيعَةِ مَسْأَلَةً يَخْتَلِفُ الْعُلَمَاءُ فِيهَا عَلَى بَضْعٍ وَسَبْعِينَ قَوْلًا إِلَّا هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ ، فَتَحْرِيرُ النَّظَرِ حَتَّى تَتَضَحَّ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَعْمَضِ الْمَسَائِلِ .

وَوَجْهٌ ثَانٍ : أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ لَوْ تَعَيَّنَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ لَمْ يَقَعِ اِخْتِلَافٌ أَصْلًا ، لِأَنَّ الْاِخْتِلَافَ مَعَ تَعْيِينِ مَحَلِّهِ مُحَالٌ ، وَالْفُرْضُ أَنَّ الْخِلَافَ لَيْسَ بِقَصْدِ الْعِبَادِ ، لِأَنَّهُ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ مُخْرِجٌ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَكَلَامُنَا فِي الْفِرَقِ .

وَوَجْهٌ ثَالِثٌ : أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْبِدْعَ لَا تَقَعُ مِنْ رَاسِخٍ فِي الْعِلْمِ ، وَإِنَّمَا تَقَعُ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ أَهْلِ الشَّرِيعَةِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَدْلَتِهَا . وَالشَّهَادَةُ بِأَنَّ فُلَانًا رَاسِخٌ فِي الْعِلْمِ وَفُلَانًا غَيْرُ رَاسِخٍ ، فِي غَايَةِ الصُّعُوبَةِ ، فَإِنْ كُلٌّ مِنْ خَالَفَ وَانْحَازَ إِلَى فِرْقَةٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ الرَّاسِخُ ، وَغَيْرُ قَاصِرِ النَّظَرِ ، فَإِنْ فُرِضَ عَلَى ذَلِكَ الْمَطْلَبِ عِلَامَةٌ وَقَعَ التَّنَازُعُ إِمَّا فِي الْعِلَامَةِ ، وَإِمَّا فِي مَنَاطِهَا .

وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ عِلَامَةَ الْخُرُوجِ مِنَ الْجَمَاعَةِ الْفِرْقَةُ الْمُنَبِّهَةُ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (١٠٥) سورة آل عمران ، وَالْفِرْقَةُ - بِشَهَادَةِ الْجَمِيعِ - [ حَقِيقِيَّةٌ ] وَإِضَافِيَّةٌ فَكُلُّ طَائِفَةٍ تَزْعُمُ أَنَّهَا هِيَ الْجَمَاعَةُ وَمَنْ سِوَاهَا مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ .

وَمِنْ الْعِلَامَاتِ اتِّبَاعُ مَا تَشَابَهَ مِنَ الْأَدْلَةِ ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَرْمِي صَاحِبَتَهَا بِذَلِكَ وَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي اتَّبَعَتْ أَمَّ الْكِتَابِ دُونَ الْأُخْرَى فَتَجْعَلُ دَلِيلَهَا عُمْدَةً وَتَرُدُّ إِلَيْهِ سَائِرَ الْمَوَاضِعِ بِالتَّأْوِيلِ عَلَى عَكْسِ الْأُخْرَى .

وَمِنْهَا اتَّبَاعُ الْهَوَى الَّذِي تَرْمِي بِهِ كُلُّ فِرْقَةٍ صَاحِبَتَهَا وَتُبْرِي نَفْسَهَا مِنْهُ ، فَلَا يُمَكِّنُ فِي الظَّاهِرِ مَعَ هَذَا أَنْ يَتَّفِقُوا عَلَى مَنَاطِ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ ، وَإِذَا لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَيْهَا لَمْ يُمَكِّنْ ضَبْطُهُمْ بِهَا بَحِثٌ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِتِلْكَ الْعَلَامَاتِ ، وَأَتَتْهُمْ فِي التَّحْصِيلِ مُتَّفِقُونَ عَلَيْهَا ، وَبِذَلِكَ صَارَتْ عِلَامَاتٌ ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ مَعَ اخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَنَاطِ الضَّبْطُ بِالْعَلَامَاتِ .

وَوَجْهٌ رَابِعٌ : وَهُوَ مَا تَقْدُمُ مِنْ فَهْمِنَا مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرْعِ فِي السِّرِّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَإِنْ حَصَلَ التَّعْيِينُ بِالِاجْتِهَادِ ، فَالِاجْتِهَادُ لَا يَقْتَضِي التَّاتُّفَاقَ عَلَى مَحَلِّهِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ جَزَمُوا الْقَوْلَ بِأَنَّ النَّظَرَيْنِ لَا يُمَكِّنُ التَّاتُّفَاقُ عَلَيْهِمَا عَادَةً ؟ فَلَوْ تَعَيَّنَا بِالنَّصِّ لَمْ يَبْقَ إِشْكَالٌ . بَلْ أَمْرُ الْخَوَارِجِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَيَّنَهُمْ وَعَيَّنَ عِلَامَتَهُمْ فِي الْمُخَدَجِ حَيْثُ قَالَ : " آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عِضْدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ ، أَوْ مِثْلُ الْبُضْعَةِ تَدْرُدُّ وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ " ١٧٧ .

وَهُمُ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، إِذْ لَمْ يَرْجِعُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْتَهُوا ، فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ لَيْسَ لَهُ فِي الْقَتْلِ تَعْيِينٌ ؟

وَوَجْهٌ خَامِسٌ : وَهُوَ مَا تَقْدُمُ تَقْرِيرُهُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ( ١١٨ ) } إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ { ( ١١٩ ) } سورة هود - يُشْعِرُ فِي هَذَا الْمَطْلُوبِ أَنَّ الْخِلَافَ لَا يَرْتَفِعُ ، مَعَ مَا يُعْضَدُهُ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي فَرَعْنَا مِنْ بَيَانِهِ ، وَهُوَ حَدِيثُ الْفَرَقِ إِذِ الْآيَةُ لَا تُشْعِرُ بِخُصُوصِ مَوَاضِعِ الْخِلَافِ ، لِإِمْكَانِ أَنْ يَبْقَى الْخِلَافُ فِي الْأَدْيَانِ دُونَ دِينِ الْإِسْلَامِ ، لَكِنَّ الْحَدِيثَ يَبَيِّنُ أَنَّهُ وَقَعَ فِي الْأُمَّةِ أَيْضًا ، فَانْتِظَمَتْهُ الْآيَةُ بِلَا إِشْكَالٍ .

فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا ظَهَرَ بِهِ أَنَّ التَّعْيِينَ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا اجْتِهَادِيٌّ لَا يَنْقَطِعُ الْخِلَافُ فِيهِ ، وَإِنْ ادَّعِيَ فِيهِ الْقَطْعُ دُونَ الظَّنِّ فَهُوَ نَظَرِيٌّ لَا ضَرُورِيٌّ ، وَلَكِنَّا مَعَ ذَلِكَ نَسْلُكُ فِي الْمَسْأَلَةِ - بِحَوْلِ اللَّهِ - مَسْلَكًا وَسَطًا يُدْعِنُ إِلَى قَبُولِهِ عَقْلُ الْمُؤَفَّقِ ، وَيُقِرُّ بِصَحْنِهِ الْعَالِمُ بِكُلِّيَّاتِ الشَّرِيعَةِ وَجُزْئِيَّاتِهَا ، وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ لِلصَّوَابِ .

١٧٧ - صحيح البخاري - المكثر - ( ٣٦١٠ ) وصحيح مسلم - المكثر - ( ٢٥٠٥ )

فَنَقُولُ :

لَأَبْدُ مِنْ تَقْدِيمِ مُقَدِّمَةِ قَبْلِ الشُّرُوعِ فِي الْمَطْلُوبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِحْدَاثَ فِي الشَّرِيعَةِ إِنَّمَا يَفْعُ مِنْ جِهَةِ الْجَهْلِ ، وَإِمَّا مِنْ جِهَةِ تَحْسِينِ الظَّنِّ بِالْعَقْلِ ، وَإِمَّا مِنْ جِهَةِ اتِّبَاعِ الْهَوَى فِي طَلَبِ الْحَقِّ ، وَهَذَا الْحَصْرُ بِحَسَبِ الْاسْتِقْرَاءِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَقَدْ مَرَّ فِي ذَلِكَ مَا يُؤْخِذُ مِنْهُ شَوَاهِدُ الْمَسْأَلَةِ ، إِلَّا أَنَّ الْجِهَاتِ الثَّلَاثَ قَدْ تَنَفَّرَدُ وَقَدْ تَجَمَّعُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ فَتَارَةٌ تَجْتَمِعُ مِنْهَا اثْنَتَانِ وَتَارَةٌ تَجْتَمِعُ الثَّلَاثُ ، فَأَمَّا جِهَةُ الْجَهْلِ فَتَارَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْأَدَوَاتِ الَّتِي بِهَا تُفْهَمُ الْمَقَاصِدُ ، وَتَارَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمَقَاصِدِ ، وَأَمَّا جِهَةُ تَحْسِينِ الظَّنِّ فَتَارَةٌ يُشْرِكُ فِي التَّشْرِيعِ مَعَ الشَّرْعِ ، وَتَارَةٌ يُقَدِّمُ عَلَيْهِ ، وَهَذَانِ النَّوعَانِ يَرْجِعَانِ إِلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ ، وَأَمَّا جِهَةُ اتِّبَاعِ الْهَوَى ، فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْلِبَ الْفَهْمُ حَتَّى يَغْلِبَ صَاحِبُهُ الْأَدْلَةَ أَوْ يَسْتَنِدَ إِلَى غَيْرِ دَلِيلٍ ، وَهَذَانِ النَّوعَانِ يَرْجِعَانِ إِلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ ، فَالْجَمِيعُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ : وَهِيَ الْجَهْلُ بِالْأَدَوَاتِ الْفَهْمِ ، وَالْجَهْلُ بِالْمَقَاصِدِ ، وَتَحْسِينُ الظَّنِّ بِالْعَقْلِ ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى. " ١٧٨



١٧٨ - الاعتصام للشاطبي - ( ٢ / ٧٤٢ ) فما بعد ها - بتصرف قليل

## المبحث الثامن

### الخلاصة في أحكام الفرق<sup>١٧٩</sup>

#### ١- تعريفها :

الْفِرْقُ فِي اللُّغَةِ جَمْعُ فِرْقَةٍ ، وَالْفِرْقَةُ هِيَ : الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ .<sup>١٨٠</sup>  
وَالْأُمَّةُ مِنْ مَعَانِيهَا فِي اللُّغَةِ : جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ يَجْمَعُهُمْ أَمْرٌ مَا ، إِمَّا دِينٌ وَاحِدٌ ، أَوْ زَمَانٌ  
وَاحِدٌ ، أَوْ مَكَانٌ وَاحِدٌ ، وَفِي التَّنْزِيلِ : {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ  
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} (٣٦) سورة النحل<sup>١٨١</sup>  
وَفِرْقُ الْأُمَّةِ فِي الْإِصْطِلَاحِ : اسْمٌ أُطْلِقَ عَلَى الْفِرْقِ الْمُتَنَسِّبَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالَّتِي ظَهَرَتْ  
بَعْدَ الصِّدْرِ الْأَوَّلِ .

#### ٢- الحكم الإجمالي :

أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأُلْفَةِ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْفِرْقَةِ ، قَالَ تَعَالَى : {وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ  
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ  
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (١٠٣) سورة آل عمران ، أَيْ فِي دِينِكُمْ كَمَا افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى  
فِي أَدْيَانِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنْ يَكُونُوا فِي دِينِ اللَّهِ إِخْوَانًا ، فَيَكُونَ ذَلِكَ مَنَعًا  
لَهُمْ عَنِ التَّقَاطُعِ وَالتَّدَايُرِ ، وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِخْتِلَافِ فِي الْفُرُوعِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ  
لَيْسَ اخْتِلَافًا ، إِذِ الْإِخْتِلَافُ مَا يَتَعَدَّرُ مَعَهُ الْإِتِّلَافُ وَالْجَمْعُ وَالَّذِي هُوَ سَبَبُ الْفَسَادِ<sup>١٨٢</sup>

<sup>١٧٩</sup> - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣٢ / ١٠٥)

<sup>١٨٠</sup> - لسان العرب .

<sup>١٨١</sup> - انظر المفردات للأصفهاني .

<sup>١٨٢</sup> - تفسير القرطبي جـ ٤ / ١٥٩ .



وَقَالَ تَعَالَى : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (١٠٥) سورة آل عمران  
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفَرَّقَتِ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ١٨٣ .

قَالَ أَبُو مَنْصُور عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ طَاهِرِ التَّمِيمِيِّ : إِنَّهُ ﷺ لَمْ يُرَدِّ بِالْفِرَقِ الْمَذْمُومَةِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي فُرُوعِ الْفِقْهِ مِنْ أَبْوَابِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَإِنَّمَا قَصَدَ بِالذَّمِّ مَنْ خَالَفَ أَهْلَ الْحَقِّ فِي أَصْلِ التَّوْحِيدِ ، وَفِي تَقْدِيرِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَفِي شُرُوطِ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ ، وَفِي مُوَالَاةِ الصَّحَابَةِ وَمَا جَرَى مَجْرَى هَذِهِ الْأَبْوَابِ ، فَيَرْجِعُ تَأْوِيلُ الْحَدِيثِ فِي افْتِرَاقِ الْأُمَّةِ إِلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ ١٨٤ .

### ٣ - الْفِرَقُ الْمَذْمُومَةُ :

رُويَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ بَعْضَ الْفِرَقِ قَبْلَ ظُهُورِهَا بِالْإِسْمِ وَذَمَّهُمْ ، فَرُويَ عَنْهُ أَنَّهُ ذَمَّ الْقَدَرِيَّةَ ، وَأَنَّهُ ﷺ قَالَ عَنْهُمْ : إِنْ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُكَذِّبُونَ بِأَقْدَارِ اللَّهِ ١٨٥ ، وَرُويَ عَنْهُ ذَمُّ الْمُرْجِيَّةِ مَعَ الْقَدَرِيَّةِ . وَذَكَرَ آخَرِينَ بِأَوْصَافِهِمْ ، وَقَالَ : " إِنَّهُمْ يَمُرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمُرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ " ١٨٦ ، كَمَا رُويَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، أَنَّهُمْ أَخْبَرُوا أَوْ أَشَارُوا إِلَى افْتِرَاقِ الْأُمَّةِ إِلَى فِرَقٍ ، وَأَنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ وَاحِدَةً ، وَسَائِرُهَا عَلَى الضَّلَالِ فِي الدُّنْيَا ، وَالْبَوَارِ فِي الْآخِرَةِ ١٨٧ .

### ٤ - أَهْمُ مَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْفِرَقُ الْمَذْمُومَةُ :

١٨٣ - صحيح - مرّ تخريجه

١٨٤ - تحفة الأحوذى ٧ / ٣٩٨ ، وعون المعبود في شرح سنن أبي داود ١٢ / ٣٤٠ .

١٨٥ - أخرجه ابن ماجه ( ١ / ٣٥ ) من حديث جابر بن عبد الله ، وضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة ( ١ / ٥٥ ) .

١٨٦ - أخرجه البخاري ( فتح الباري ٨ / ٦٧ ) ومسلم ( ٢ / ٧٤٢ ) من حديث أبي سعيد الخدري

١٨٧ - الفرق بين الفرق ص ٩ .

اختلفت الفرق المذمومة في أمور من العقيدة ، أهمها : الصفات ، والقدر ، والعدل ، والوعد ، والوعيد ، والسمع ، والعقل ، وأسماء الله ، والرسالة ، والأمانة . وتفصيل ذلك في كتب العقيدة .

## هـ - الأحكام المتعلقة بالفرق :

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة ، إلا من أنكر منهم أمراً معلوماً من الدين بالضرورة ، كنفى الصانع ، أو نفى ما هو ثابت بالإجماع من الصفات ، كالعلم ، والقدر ، وإثبات ما هو منفي عنه بالإجماع ، كحدوث الله سبحانه ، وقدم العالم ، أو اعتقد مذهب الحلول والتناسخ ، أو اعتقد ألوهية بعض أئمتهم ، أو أنكر ركناً من أركان الإسلام ، كوجوب الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، أو أحل ما حرم القرآن بنص لا يقبل التأويل كالزنا ، ونكاح البنات ، وغير ذلك مما ورد في تحريمه أو تحليله نص صريح لا يقبل التأويل ، وهذا الصنف من الفرق لا يعد من المسلمين ، حكمهم حكم المرتدين عن الدين ، ولا تحل ذبائحهم ولا نكاح المرأة منهم ، ولا يقر في دار الإسلام بالحزبية ، بل يستتاب ، فإن تابوا وإلا وحبقتلهم<sup>١٨٨</sup> .

وأما شهادة أهل الأهواء من فرق الأمة . فقد اختلف الفقهاء في ردّها على أقوال ، ينظر تفصيلها في مصطلح ( أهل الأهواء ف ٩ ) ( وبدعة ف ٢٩ )<sup>١٨٩</sup> .  
وأما رد روايتهم أو قبولها ، وحكم الاقتداء بهم في الصلاة وصحة ولايتهم في الأمور العامة للمسلمين ، فينظر في مصطلح ( بدعة ف ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ )



<sup>١٨٨</sup> - مغني المحتاج ٤ / ٤٣٤ - ٤٣٥ ، ونهاية المحتاج ٧ / ٤١٤ - ٤١٥ ، وما بعده ، وشرح الزرقاني ٨ / ٦٣ - ٦٤ ، ومطالب أولي النهى ٦ / ٢٨١ - ٢٨٢ وما بعدها ، والفرق بين الفرق ص ٣٥٦ - ٣٥٧ ، وحاشية ابن عابدين ١ / ٣٧٧ .

<sup>١٨٩</sup> - فتح القدير ٦ / ٤٠ ، ٤١ ، ونهاية المحتاج ٨ / ٣٠٥ ، ومغني المحتاج ٤ / ١٣٤ - ١٣٥ .

## المبحث التاسع

### بعض أقوال أهل العلم

#### هل الجماعات الإسلامية من الفرق الضالة؟<sup>١٩٠</sup>

الذي يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليس من الفرق الضالة ، بل هو من الفرق الناجية المذكورة في قوله ﷺ : ( افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافتترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ) ، قيل : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ( من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ) . وفي لفظ : ( هي الجماعة ) .

والمعنى أن الفرقة الناجية : هي الجماعة المستقيمة على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ؛ من توحيد الله ، وطاعة أوامره وترك نواهيه ، والاستقامة على ذلك قولاً وعملاً وعقيدة ، هم أهل الحق وهم دعاة الهدى ولو تفرقوا في البلاد ، يكون منهم في الجزيرة العربية ، ويكون منهم في الشام ، ويكون منهم في أمريكا ويكون منهم في مصر ، ويكون منهم في دول أفريقيا ، ويكون منهم في آسيا ، فهم جماعات كثيرة يعرفون بعقيدتهم وأعمالهم ، فإذا كانوا على طريقة التوحيد والإيمان بالله ورسوله ، والاستقامة على دين الله الذي جاء به الكتاب وسنة رسوله ﷺ فهم أهل السنة والجماعة وإن كانوا في جهات كثيرة ، ولكن في آخر الزمان يقلون جداً .

فالْحَاصِلُ أن الضابط هو استقامتهم على الحق ، فإذا وجد إنسان أو جماعة تدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتدعو إلى توحيد الله واتباع شريعته فهؤلاء هم الجماعة ، وهم من الفرقة الناجية وأما من دعا إلى غير كتاب الله ، أو إلى غير سنة الرسول ﷺ فهذا ليس من الجماعة ، بل من الفرق الضالة الهالكة ، وإنما الفرقة الناجية : دعاة الكتاب

---

<sup>١٩٠</sup> - فتاوى الإسلام سؤال وجواب - ( ١ / ٧٣ ) سؤال رقم ١٠١٢١ - هل الجماعات الإسلامية من الفرق الضالة - ما رأيك في الذي يقول : بأن هذه الجماعات الإسلامية من الفرق التي تدعو إلى جهنم والتي أمر النبي باعتزلها فهل كلامه صحيح ؟ .

والسنة ، وإن كان منهم جماعة هنا وجماعة هناك مادام الهدف والعقيدة واحدة ، فلا يضر كون هذه تسمى : أنصار السنة وهذه تسمى : الإخوان المسلمين ، وهذه تسمى كذا ، المهم عقيدتهم وعملهم ، فإذا استقاموا على الحق وعلى توحيد الله والإخلاص له واتباع رسوله ﷺ قولاً وعملاً وعقيدة فالأسماء لا تضرهم ، لكن عليهم أن يتقوا الله ، وأن يصدقوا في ذلك ، وإذا تسمى بعضهم بـ: أنصار السنة ، وتسمى بعضهم بـ: السلفيين ، أو بالإخوان المسلمين ، أو تسمى بعضهم بجماعة كذا ، لا يضر إذا جاء الصدق ، واستقاموا على الحق باتباع كتاب الله والسنة وتحكيمهما ، والاستقامة عليهما عقيدة وقولاً وعملاً ، وإذا أخطأت الجماعة في شيء فالواجب على أهل العلم تنبيهها وإرشادها إلى الحق إذا اتضح دليله .

والمقصود : أنه لا بد أن نتعاون على البر والتقوى ، وأن نعالج مشاكلنا بالعلم والحكمة والأسلوب الحسن ، فمن أخطأ في شيء من هذه الجماعات أو غيرهم مما يتعلق بالعقيدة ، أو بما أوجب الله ، أو ما حرم الله نبهوا بالأدلة الشرعية بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن ، حتى ينصاعوا إلى الحق ، وحتى يقبلوه ، وحتى لا ينفروا منه ، هذا هو الواجب على أهل الإسلام أن يتعاونوا على البر والتقوى ، وأن يتناصحوا فيما بينهم ، وألا يتخاذلوا فيطمع فيهم العدو .<sup>١٩١</sup>



---

<sup>١٩١</sup> - كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله . م/٨

## سينتقل إلى بلد آخر قد يختلفون عن أهل السنة<sup>١٩٢</sup>

قال ﷺ : " افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة . قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال : " من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي " . فمن كان على مثل ما كان عليه النبي وأصحابه فهو المتبع للحق ، الناجي من كل باطل . وأصل هذا الحق ومادته القرآن الكريم ، وسنة النبي ﷺ ، قال عليه الصلاة والسلام : " تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا ، كتاب الله وسنتي " . وما وقع من المخالفة لهما فإنه من انحراف عن الحق . وأهل السنة والجماعة هم القائمون بالحق ، المعظمون لله ورسوله ، الآخذون بما في القرآن والسنة ، المتبعون للسلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، لا يخرجون عن هديهم ، ولا يخالفون فهمهم لأنهم أعلم الناس بالكتاب والسنة ، فبلغتهم جاء ، وبأسلوبهم العربي ، قال تعالى : ( قرآنا عربيا غير ذي عوج ) . فالحق في اتباعهم ، والهداية في طريقهم حيث ساروا على وفق ما جاء في القرآن والسنة ، ومن خالف شيئا من ذلك رد عليه .



<sup>١٩٢</sup> - فتاوى الإسلام سؤال وجواب - ( ١ / ٦٠٢ ) - سؤال رقم ١١٧٣٧ - سينتقل إلى بلد آخر قد يختلفون عن أهل

## الفرق أصحاب العقائد المختلفة في هذه الأمة كلها في النار إلا واحدة

إنَّ النبي ﷺ قد أخبرنا سلفاً بتفرُّق هذه الأُمَّة كما افترقت الأمم قبلها وذلك فيما جاء في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ : كِتَابُ السُّنَّةِ : بَابُ شَرْحِ السُّنَّةِ .

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةً فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ قَالَ الْجَمَاعَةُ سَنَّ ابْنُ مَاجَةَ رَقْمَ ٣٩٨٢

والمقصود بالجماعة هي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في العقيدة والعمل .  
فمن الفرق التي تنتسب إلى الإسلام من ضلَّ في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته فقالوا إنَّ الوجود كله هو الله أو أنَّ الله حلَّ في خلقه - تعالى الله عن قولهم - بل هو سبحانه وتعالى فوق سماواته مستو على عرشه منفصل عن خلقه ، ومن الفرق من ضلَّ في باب الإيمان فأخرجوا العمل من الإيمان وقالوا إنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص والصحيح أنَّ الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ، ومنهم من ضلَّ بإخراج مرتكب الكبيرة من الإسلام والحكم عليه بالخلود في النار مع أنَّ الصحيح أنَّ مرتكب الكبيرة - غير الشرك والكفر الأكبر - لا يخرج من الإسلام ، ومن الفرق من ضلَّ في باب القضاء والقدر فقالوا إنَّ الإنسان مجبور على أفعاله مع أنَّ الصحيح أنَّ الإنسان له إرادة ومشية بناءً عليها يحاسب ويتحمَّل تبعه فعله ، ومن الفرق من ضلَّ في باب القرآن فقالوا هو مخلوق مع أنَّ الصحيح أنَّه كلام الله متزلَّ غير مخلوق ، ومن الفرق من ضلَّ في باب الصحابة فكفروهم وسبَّوهم مع أنَّهم أصحاب النبي الكريم الذين نزل الوحي بينهم وهم أعلم الأُمَّة وأعبد الأُمَّة وجاهدوا في الله حقَّ جهاده ونصر الله بهم الدين رضي الله عنهم . وهكذا سائر

الفرق التي انحرفت عن الإسلام وابتدعت في دين الله كل فرقة بما لديهم فرحون قد سلكوا  
سُبل الشيطان مخالفين قول الله تعالى : ( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا  
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) (١٥٣) سورة الأنعام .  
نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل السنة الناجين من النار وأن يدخلنا الجنة مع الأبرار  
وصلى الله على نبينا محمد .<sup>١٩٣</sup>



---

<sup>١٩٣</sup> - فتاوى الإسلام سؤال وجواب - ( ١ / ١٢٨٢ ) - سؤال رقم ١٣٩٣ - الفرق أصحاب العقائد المختلفة في هذه  
الأمّة كلها في النار إلا واحدة

## متحير من معرفة الحق من بين الطوائف والجماعات

إن الاختلاف الذي تراه بين المسلمين الآن لم يجعل الله تعالى فيه الناس حيارى لا يعرفون الحق منه من الباطل ، بل جعل الله تعالى للحق أمارات ، ووضع للصادقين علامات ، ونصب للمناهج أدلة وبيّنات واضحات لا يزيغ عنها إلا هالك .

وعندما أخبر النبي ﷺ عن افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة أخبر أنها كلها في النار إلا واحدة ، وهي " من كان على مثل ما عليه هو وأصحابه " ، فهذا هو الميزان ، فلا بد من موافقة الصحابة رضي الله عنهم ، فلا يكفي أن يأتي الشخص بحديث ويقول عنه أنه صحيح ثم يستدل به على تصحيح مذهبه أو رأيه حسب ما فهمه هو من ذلك الحديث ، وإنما الذي ينبغي هو البحث هل فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا الحديث على هذا الوجه أم لا ؟

فهذا هو الضابط الذي يفرق أهل الحق حقيقة وغيرهم ، ألا وهو الرجوع في فهم الدين إلى السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فإنهم أفضل هذه الأمة وخيرها وأعلمها كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

والذي ينظر في الفرق التي حادت عن الصواب يرى أنهم قد يلبسون على الناس بالاستدلال بآية أو بحديث في غير موضعه حتى يوهمو الناس أنهم يتبعون الكتاب والسنة ، ولكنهم لا يستطيعون أن يثبتوا أن هذا هو ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم من هذه النصوص .

فالذين يحرفون صفات الرب تبارك وتعالى ، والذين يعبدون القبور ويطوفون حولها ، والذين يرقصون في الذكر ، والذين ينفون القدر ، والذين يقولون بخلق القرآن ، وغير ذلك من العقائد والمناهج المنحرفة ليس أحدٌ منهم يزعم أنه على اعتقاد أصحاب النبي ﷺ ، وإن زعم أن معه آية أو حديثاً لكنه لا يستطيع أن يثبت أن فهمهما هو فهم من شاهد التزليل وسمع النبي ﷺ من الصحابة الكرام رضي الله عنهم .



وهذا ميزان دقيق عظيم يستطيع الإنسان أن يعلم من خلاله صحة وفساد ما يسمعه  
ويقرؤه من عقائد ومناهج يزعم أصحابها أنهم على هدى وحق .

واتباعك لما يقوله لك العلماء السلفيون ويذكرونه لك من التوحيد والفقه والحديث إنما  
هو اتباع للإسلام الحق الذي رضىه الله تعالى للناس أجمعين ، وقد يدخل عليك الشيطان  
ويوسوس لك أن هذا تقليد وهو غير جائز ، ولا شك أن هذا بداية طريق الانحراف عن  
الجادة والصواب ، فالعامي من المسلمين أوجب الله تعالى عليه سؤال أهل العلم والأخذ  
بكلامهم وفتاواهم ، وأنت تعلم أن أقرب هؤلاء إلى الصواب والحق هو من يسير على  
طريق أصحاب النبي صل الله عليه وسلم في

فهم نصوص الكتاب والسنة ، وهم أتباع السلف الصالح .

والمسلم الذي عنده قدر من العلم الشرعي يستطيع أن يكتشف بنفسه صحة أو فساد ما  
يسمعه ويقرؤه من خلال دراسته والمقارنة بينه وبين ما ثبت عن السلف الصالح .

ولا مانع أن يكون الحق في بعض القضايا مع المخالف لكن لا يمكن أن يكون المنهج  
والطريق صحيحاً غير طريق سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان .

فكل ما ينقله العلماء السلفيون إنما هو قول الصحابة وسعيد بن المسيب والزهري ومجاهد  
وعطاء ومالك وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأبي  
داود وغيرهم من منارات الهدى وعلامات الحق .

وستجد أهل البدع يذكرون ما لهم دون ما عليهم ، وستجدهم يعارضون السنة بكتبهم  
، ويرفضون السنة لمخالفتها كتبهم ، ويحرفون ما يأتي في كتاب الله صريحاً ، ويضعفون ما  
يأتي في السنة واضحاً بيناً مخالفاً لآرائهم وأهوائهم ، وهكذا ، ولهذا سما " أهل الأهواء "  
وأما أهل السنة فيذكرون ما لهم وما عليهم ، وينظرون إلى السنة بكل تجرد ، مقدمين  
السنة - إن صحت - على كل ما سواها ، وليس عندهم هوى يتبعونه حتى يرفضوا من  
أجله حديثاً أو يحرفوا آية .

وليس بين نصوص الوحي أي تعارض في الحقيقة إنما التعارض في الظاهر فقط ، ولكل علم أهله المتخصصون به ، فالحديث له أهله الذين يبينون صحيحه من سقيمه ، ويوضحون المقصود منه ، ويزيلون الإشكال ، ويوفقون بين ما ظاهره التعارض .  
والخلاصة :

خير الهدي هدي محمد ﷺ ، وأعلم الناس بهذا الهدي هم أهل الحديث وفقهاؤه ، وهم السلف الصالح ، من تبع قولهم نجا ومن خالفه هلك .  
وعليك بلزوم هذا الطريق وسؤال الله تعالى الهداية والتوفيق والثبات .  
وأما قول السائل عن أهل الحديث أنهم ( السعوديون السلفيون ) هذا الحصر غير صحيح .  
فلا يختص أهل الحديث ببلد معين أو أشخاص معينين بل أهل الحديث كل من اتبع سنة النبي ﷺ وفهمها الفهم الصحيح الموافق لفهم الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان . والله الهادي .<sup>١٩٤</sup>



---

<sup>١٩٤</sup> - فتاوى الإسلام سؤال وجواب - ( ١ / ١٧٩٣ ) - سؤال رقم ٢٠٧٦٠ - متحير من معرفة الحق من بين الطوائف والجماعات

## هل الديوبانديين من أهل السنة ؟

الديوبندية طائفة من طوائف المسلمين ، تنسب إلى جامعة ديوبند - دار العلوم - في الهند . وهي مدرسة فكرية عميقة الجذور طبعت كل خريج منها بطابعها العلمي الخاص ، حتى أصبح ينسب إليها .

التأسيس وأبرز الشخصيات :

أسس جامعة ديوبند مجموعة من علماء الهند بعد أن قضى الإنجليز على الثورة الإسلامية في الهند عام ١٨٥٧ م ، فكان تأسيسها ردّ فعلٍ قوي لوقف الزحف الغربي ومدنيته المادية على شبه القارة الهندية لإنقاذ المسلمين من مخاطر هذه الظروف ، خاصة وأن دلهي العاصمة قد حرّبت بعد الثورة وسيطر عليها الإنجليز سيطرة كاملة ، وخاف العلماء أن يُبتلع دينهم ، فأخذ الشيخ إمداد الله المهاجر المكي وتلميذه الشيخ محمد قاسم الناناتوي وأصحابهما برسم الخطط للمحافظة على الإسلام وتعاليمه ، فرأوا أن الحل بإقامة المدارس الدينية ، والمراكز الإسلامية ، وهكذا أسست المدرسة الإسلامية العربية بديوبند كمركز للدين والشريعة في الهند في عصر حكومة الإنجليز .

أبرز شخصيات هذه المدرسة الفكرية :

- ١ - محمد قاسم .
- ٢ - رشيد أحمد الكنكوهي .
- ٣ - حسين أحمد المدني .
- ٤ - محمد أنور شاه الكشميري .
- ٥ - أبو الحسن الندوي .
- ٦ - المحدث حبيب الرحمن الأعظمي .

الأفكار والمعتقدات :

- هم في الأصول ( العقيدة ) على مذهب أبي منصور الماتريدي في الاعتقاد .
- وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة في الفقه والفروع .

- وسلوكوا الطرق الصوفية من النقشبندية والجهتية والقادرية والسهروردية في السلوك والاتباع .
- ويمكن تلخيص أفكارهم ومبادئ الدراسة الديوبندية بما يلي :
- المحافظة على التعاليم الإسلامية ، والإبقاء على شوكة الإسلام وشعائره .
- نشر الإسلام ومقاومة المذاهب الهدامة والتبشيرية .
- نشر الثقافة الإسلامية ومحاربة الثقافة الإنجليزية الغازية .
- الاهتمام بنشر اللغة العربية لأنها وسيلة الاستفادة من منابع الشريعة الإسلامية .
- الجمع بين العقل والقلب ، وبين العلم والروحانية .
- أنظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب . ( ٣٠٨ / ١ ) .
- وحيث أن الديوبندية تتبنى مذهب الماتريدية في العقيدة فلا بد من التعريف بالماتريدية :
- وهي فرقة كلامية ، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي ، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها ، من المعتزلة والجهمية وغيرهم لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية .
- ومن حيث مصدر التلقي فقد قسم الماتريدية أصول الدين حسب مصدر التلقي على قسمين :
- الإلهيات ( العقليات ) : وهي ما يستقل العقل بإثباتها والنقل تابع له ، وتشمل أبواب التوحيد والصفات .
- الشرعيات ( السمعيات ) : وهي الأمور التي يجزم العقل بإمكانها ثبوتاً ونفيّاً ، ولا طريق للعقل إليها مثل : النبوات ، وعذاب القبر ، وأمور الآخرة ، علماً بأن بعضهم جعل النبوات من قبيل العقليات .
- ولا يخفى ما في هذا من مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة حيث أن القرآن والسنة وإجماع الصحابة هم مصادر التلقي عندهم ، فضلاً عن مخالفتهم في بدعة تقسيم أصول الدين إلى عقليات وسمعيات ، والتي قامت على فكرة باطلة وضعها الفلاسفة تفترض أن نصوص الدين متعارضة مع العقل ، فعملوا على التوسط بين العقل والنقل ، مما اضطرهم إلى إقحام

العقل في غير مجالات بحثه ، فخرجوا بأحكام باطلة تصطدم مع الشرع ألجأهم إلى التفويض والتأويل ، بينما لا منافاة عند أهل السنة والجماعة بين العقل السليم الصريح والنقل الصحيح . انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ( ٩٩/١ ) .

موقف أهل السنة من الماتريدية :

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن هذه الأمة سوف تفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، ويُن عليه الصلاة والسلام أن الفرقة الناجية هي الجماعة ، وهي التي تكون على مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحابته الكرام .

ولا ريب أن أهل السنة والجماعة المتمسكون بالكتاب والسنة علماً وعملاً هم الفرقة الناجية وذلك لتحقيق الوصف فيهم ، وهو الالتزام بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم علماً وعملاً .

فلا يكفي ليكون الفرد أو الجماعة من الفرقة الناجية مجرد الانتساب للسنة مع المخالفة لمنهج السلف من الصحابة والتابعين ، بل لا بد من الالتزام بمنهجهم في العلم والعمل والتصور والسلوك .

والماتريدية من الطوائف التي في أقوالها حق وباطل ومخالفة للسنة ، ومعلوم أن هذه الطوائف تتفاوت في مدى القرب والبعد من الحق ، فإن كل من كان أقرب إلى السنة كان أقرب إلى الحق والصواب ، فمنهم " من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة ، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة ، ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه ، فيكون محموداً فيما رده من الباطل وما قاله من الحق ، لكن يكون قد جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق ، وقال بعض الباطل فيكون قد رد بدعة كبيرة بدعة أخف منها ، ورد بالباطل باطلاً بباطل أخف منه ، وهذه حال أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة ... " انتهى من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الفتاوى ( ٣٤٨/١ ) .

بقيت مسألة مهمة هنا وهي : ما هو واجبنا تجاه الماتريدية ، ومن نحى نحوهم في العقيدة كالديوبندية وغيرهم ؟

والجواب يختلف باختلاف الأشخاص :

فمن كان منهم معانداً داعياً إلى بدعته فيجب التحذير منه وبيان ضلاله وانحرافه ، وأما من لم يكن داعياً إلى بدعته واتضح من قوله وعمله طلب الحق والسعي إليه فإنه يُنصح ويبين له خطأ هذا المعتقد وإرشاده بالتي هي أحسن ، لعل الله أن يرده إلى الحق ، وهذه النصيحة داخلية في قول النبي ﷺ : " الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ " رواه مسلم (٥٥) <sup>١٩٥</sup>



---

<sup>١٩٥</sup> - فتاوى الإسلام سؤال وجواب - ( ١ / ٢٤٥٠ ) - سؤال رقم ٢٢٤٧٣ - طائفة الديوبندية ، قلت : وفي بعض كلامه نظر .

## صمود الإسلام بالرغم من انشقاقات المبتدعة

اعلم هداانا الله وإياك للحق ، ورزقنا اتباعه : أن النبي ﷺ لم يمت حتى أوضح الحجة ، وجلى الطريق لأمته ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وترك لنا من الله فيها علما ، ونزل في آخر حجة حجها النبي ﷺ قول الله عز وجل : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً " .

وسار الصحابة رضي الله عنهم على هذا النهج سيرا دقيقا جدا ، فحفظ الله عز وجل بذلك أتباع الإسلام من التفرق المذموم .

وتبعهم على ذلك التابعون رحمهم الله ، ولكن حصول بعض العوامل الداخلية والخارجية أدى إلى ظهور شيء من الاختلاف المذموم بعد القرون الثلاثة المفضلة ، فمن الأسباب الخارجية : مخالطة الأمم الأخرى من غير المسلمين : كالفرس ، والروم ، والهند ، واليونان ، والاحتكاك كذلك بالملل : كاليهودية ، والنصرانية ، والصابئة ، والجوسية ، وأديان الهند وغيرها .

ومن الأسباب الداخلية : اتباع الأهواء ، والتعلق بالشبهات والشهوات ، والإعراض عن تعلم دين الله عز وجل وشرعه ، والجهل ، والغلو ، والتشبه بغير المسلمين ... إلخ . وجود جميع هذه الأسباب وغيرها أدت إلى شق صفوف صغيرة عن الجادة الصحيحة التي كان عليها جمهور المسلمين ، وظهرت فرق وبدع وأقوال تخالف النهج الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وتابعوه ومن بعدهم ممن سلك سبيلهم .

ولكن يلحظ أن هذه الطوائف والفرق : كانت في الحقيقة صوتا نشازا عند جمهور المسلمين ، فأهلها منبوذون محاربون من أهل العلم والخلفاء ومن عامة المسلمين ، مما سبب تحجيما لتلك الأهواء عن الانتشار بين الناس ، وضعفا لها في أغلب أطوار التاريخ الإسلامي .

فبقي أكثر المسلمين وجمهورهم على الجادة السنية - في الجملة - فإن ظهرت صور للبدع بينهم سارع علماء الحق لمحاربتها وبيان زيفها ، وقد أخبرنا نبينا محمد ﷺ بحصول هذا

الاختلاف ، وحذرنا منه وأمرنا بلزوم جماعة المسلمين فقال : " افترقت اليهود والنصارى  
ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في  
النار إلا واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على ما مثل أنا عليه اليوم  
وأصحابي " ، وقال : " لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم  
حتى تقوم الساعة " .

وأما بقاء المسلمين على شعورهم بالوحدة فلذلك أسباب كثيرة - مر بعضها - ، لكن  
أظهر الأسباب وأوضحها هو أن هذا الدين من عند الله عز وجل ، فهو محفوظ بحفظ الله  
له ، ولو تعرض دين لمثل ما تعرض له الإسلام من الحروب والمؤامرات والمكائد لزال منذ  
زمن بعيد ( كما نرى في غيره من الأديان ) ، وكل عاقل يفهم أن عقيدة تبقى أكثر من ( ١٤٠٠ )  
سنة على حالها الذي كان عليه النبي ﷺ - في الحملة - شيرا بشير وذراعا  
بذراع ، ثم هي لا تزال تتجدد في نفوس أهلها ( حماسا وتمسكا بها ) كتجدد زهر الربيع  
لهو أول دليل على أنه دين الله حقا ، والله الهادي على سواء السبيل .<sup>١٩٦</sup>



---

<sup>١٩٦</sup> - فتاوى الإسلام سؤال وجواب - ( ١ / ٥٣٤٩ ) - سؤال رقم ٦٢٨٠ - صمود الإسلام بالرغم من انشقاقات  
المتدعة



## يَتَرْتَّبُ الْعِقَابُ عَلَى فِرْقِ الْإِسْلَامِ غَيْرِ أَهْلِ السُّنَّةِ

( سئل الرملي ) عَنْ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ غَيْرِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَبَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا هَلْ يُعَاقَبُونَ عَلَى عَقَائِدِهِمُ الْمُخَالَفِينَ فِيهَا أَهْلَ السُّنَّةِ أَمْ لَا ؟  
( فَأَجَابَ ) بِأَنَّهُ يَتَرْتَّبُ الْعِقَابُ عَلَى فِرْقِ الْإِسْلَامِ غَيْرِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً  
بِسَبَبِ عَقَائِدِهِمُ الْمُخَالَفَةَ لِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ لِقَوْلِهِ ﷺ { سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً  
كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي } وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ حَيْثُ  
وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ قَالَ الْأَمْدِيُّ : وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ  
وَطَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا مَنْ كَانَ يُبْطِنُ التَّفَاقُ وَيُظْهِرُ الْإِسْلَامَ . ا هـ .  
وَلَمْ يَزَلْ الْخِلَافُ يَتَشَعَّبُ وَالْأَرَاءُ تَتَفَرَّقُ حَتَّى تَفْرُقَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ ، وَأَرْبَابُ الْمَقَالَاتِ إِلَى  
ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً . ١٩٧



## حديث افتراق الأمة ومعناه

قد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: "افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة" قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: "من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي" وفي بعض الروايات: "هي الجماعة" رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وقال عنه ابن تيمية: (هو حديث صحيح مشهور) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وفي رواية معاوية بن أبي سفيان (هي الجماعة) قال عنها ابن تيمية رحمه الله: (هذا حديث محفوظ)، وقال عنه الألباني: صحيح، في السلسلة الصحيحة.

وتحديد الفرقة الناجية في هذا الحديث اختلفت فيه أقوال العلماء، فقد ذكر فيها الإمام الشاطبي في كتاب الاعتصام خمسة أقوال، عزاها إلى قائلها، إلا قولاً واحداً لم يعزّه، وهي:

١- السواد الأعظم: قال: فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة، وعلماءها، وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم، لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم.

٢- أئمة العلماء المجتهدين: والمقصود بهم العلماء الأعلام من أئمة الهدى المتبعين للكتاب والسنة، قال الشاطبي: (فمن خرج على علماء الأمة مات ميتة جاهلية)

٣- الصحابة على الخصوص: قال الشاطبي: (فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى، في قوله عليه الصلاة والسلام: "ما أنا عليه وأصحابي" فكأنه راجع إلى ما قالوه، وما سنوه، واجتهدوا فيه حجة على الإطلاق.)

٤- جماعة أهل الإسلام: إذا أجمعوا على أمر وجب على بقية أهل الملل اتباعهم، قال الشاطبي: (وكان هذا القول يرجع إلى الثاني وهو يقتضي أيضاً ما يقتضيه، أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر).

وهذا القول مشكل جداً لأن أهل الإسلام أنفسهم ينقسمون إلى فرق، والمقصود تحديد الفرقة الناجية.

ولذلك لم يذكره ابن حجر عن الطبري، وذكر الأقوال الأربعة الأخرى، فإسقاط هذا القول أولى، لاسيما وأن الشاطبي لم يذكر قائله.

٥- أنها جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير وجب على بقية الأمة لزومه.

قال الشاطبي في بيانه: (وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهـم). هذا، ولما كان القول الرابع منتقداً لأنه ينافي المقصود من الحديث لم ينقله ابن حجر في فتح الباري عن ابن جرير الطبري، واكتفى بنقل الأقوال الأربعة الباقية.

ونحن نجد بالنظر أن خلاصة هذه الأقوال الأربعة أن المقصود بالجماعة الناجية أمران:

الأول: جماعة العقيدة والمنهج، وذلك بأن يلتزم المسلم ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين، من أمور الاعتقاد وأصول الدين، وهذا هو الأصل والأساس.

الثاني: الجماعة -بالمعنى الخاص- وذلك بلزوم جماعة المسلمين التي لها إمام موافق للشرع، وعدم مفارقتها، وعدم نكث بيعة الإمام فضلاً عن الخروج عليه. وراجع في ذلك كتاب: وجوب لزوم الجماعة.

وقد نحا الإمام الخطابي منحى آخر قريباً من هذا في كتاب العزلة فقال: الفرقة فرقتان: فرقة الآراء والأديان، وفرقة الأشخاص والأبدان، والجماعة جماعتان، جماعة هي الأئمة والأمراء، وجماعة هي العامة والدعماء. اهـ.

وهذا الحديث السابق علامة من علامات النبوة، حيث أخبر فيه الرسول ﷺ بأمر غيبي، وقد حصل افتراق الأمة إلى فرق كثيرة بعد وفاة الرسول ﷺ فوقع كما أخبر.

ولكي نحدد مواقع المختلفين في كل زمان لا بد من وضع ضابط نستطيع به أن نعرف هذه الفرق من غيرها، إذ ليس كل اختلاف بين المسلمين يُدخلهم في هذه الفرق، كما هو الحال في هذه الأيام، إذا حصل اختلاف بين المسلمين في وسائل الدعوة إلى الله، وطريقة تحصيل العلم الشرعي وفقه الواقع، فكل هذا ليس مما نحن بصدد من تعيين الفرق المذكورة في الحديث، وقد ذكر المباركفوري في شرحه على سنن الترمذي ضابط الداخلين في هذه الفرق، والخارجين منها، فقال: (قال العلقمي: قال: شيخنا: ألف الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي، في شرح هذا الحديث كتاباً قال فيه: قد علم أصحاب المقالات أنه ﷺ لم يُرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه، من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة، وما جرى مجرى هذه الأبواب، لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضاً، بخلاف النوع الأول، فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تقسيم للمخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الخلاف. انظر تحفة الأحوذى. والله أعلم.<sup>١٩٨</sup>



---

<sup>١٩٨</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٣ / ١٤٤٨) - رقم الفتوى ١٢٦٨٢ حديث افتراق الأمة ومعناه - تاريخ

الفتوى : ٢٩ شوال ١٤٢٢

## توضيح معنى حديث "افتترقت اليهود على

الحديث المذكور روي بألفاظ عديدة في السنن والمسانيد وغيرها من دواوين السنة. فقد رواه أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بلفظ: افتترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقه، وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة. وفي بعض الروايات: كلها في النار إلا واحدة هي الجماعة. رواها أحمد وأبو داود وابن ماجه وفي بعضها: ما أنا عليه وأصحابي. رواها الترمذي.

والحديث معجزة من معجزات النبي ﷺ لأنه أخبر فيه عن أمر غيبي فوقع كما أخبر به. وفي الحديث إخبار عن تشبه هذه الأمة بمن سبقها من الأمم، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. رواه بهذا اللفظ أحمد في مسنده، ولذا فقد استوعبت فرق الأمم قبلها وهي اثنتان وسبعون فرقة وزادت عليها واحدة، وهي الفرقة التي سلمت من مشايمة اليهود والنصارى، وهي الصحابة رضوان الله عليهم، ومن سار على نهجهم من المسلمين إلى آخر الدهر، وهم أهل السنة والجماعة، ومنهم أئمة الهدى: كالشافعي وأحمد ومالك وأبي حنيفة وسفيان ومن سلك سبيلهم.

أما الفرق الضالة فكثيرة ولعل بعضها لم يوجد إلى الآن، ومما وجد من الفرق الضالة المعتزلة والخوارج والجهمية وغيرهم. وينبغي أن نتنبه إلى أن هذا الافتراق افتراق في مسائل العقائد وأصول الدين، وليس افتراقاً في مسائل الفروع الفقهية. فإن المختلفين في مسائل الفقه لم يفسق بعضهم بعضاً ولم يكفر بعضهم بعضاً كحال تلك الفرق. والله أعلم.<sup>١٩٩</sup>



<sup>١٩٩</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٣ / ٤٤٥٧) - رقم الفتوى ١٧٧١٣ توضيح معنى حديث "افتترقت اليهود على..." - تاريخ الفتوى: ٠٤ ربيع الثاني ١٤٢٣

## حديث افتراق الأمة يتضمن الإخبار، لا تكريس الفرقة

ليس في الحديث تعزيز للفرقة.. بل فيه إخبار من الرسول ﷺ. بما سيحصل من الافتراق، وهذا إنما هو من إطلاع الله لرسوله ﷺ على بعض الغيبات. والمطلوب من الأمة أن تتوحد، وتجتمع، وتتفق على الكتاب والسنة، ولا يجوز لها أن تفترق وتختلف وتتشتت. وقد دل على ذلك آيات وأحاديث كثيرة جداً. والخلاف المذموم إنما هو في مسائل العقائد والأصول كالخلاف بين من يلتزمون بالسنة ومن لا يلتزمون بها، وليس من ذلك الخلاف بين أهل المذاهب الفقهية كالخلاف بين أهل المذاهب الأربعة. والله أعلم.<sup>٢٠٠</sup>



---

<sup>٢٠٠</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٤ / ٤٦) - رقم الفتوى ٢٠٠٤٢ حديث افتراق الأمة يتضمن الإخبار، لا تكريس الفرقة - تاريخ الفتوى : ١٥ جمادي الأولى ١٤٢٣

## الأئمة الأربعة كلهم على هدى.. وبيان الفرقة الناجية

كل أئمة المسلمين على هدى وخير، ويحرم على المسلم أن يتعصب تعصباً أعمى يؤدي به إلى بغض إخوانه المسلمين وتضليلهم، وقد قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: الشافعي وأبو حنيفة ومالك وأحمد وسائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم، فجزاهم الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأكملهم وحشرنا في زمركم. وإذا كانوا كلهم على هدى من الله سبحانه وتعالى فلا حرج على من أرشد غيره إلى التمسك بأي مذهب من المذاهب الأربعة وإن خالف مذهبه واعتقاده، لأنه أرشده إلى حق وهدى انتهى، وانظر الفتوى رقم: ١٦٣٨٧ والفتوى رقم: ٦٧٨٧ .

وأما الفرقة الناجية فهي كل من كان على النهج الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهذه الفرقة لا تحصرها جماعة ولا تحدها بلاد بل هي منهج، من تمسك به فهو من هذه الطائفة، قال أحمد بن حنبل رحمه الله: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم. قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث. قال الإمام النووي: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم: شجعان مقاتلون، ومنهم: فقهاء، ومنهم: محدثون ومنهم: زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم: أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض. انتهى -والله أعلم.<sup>٢٠١</sup>



<sup>٢٠١</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٤ / ٢٦٢٠) - رقم الفتوى ٢٢٦١٢ الأئمة الأربعة كلهم على

هدى.. وبيان الفرقة الناجية - تاريخ الفتوى : ١١ رجب ١٤٢٣

## المعيار الذي تعرف فيه الفرقة الناجية

إن الفرقة الناجية هم من عصمهم الله تعالى من الاختلاف في أصول الدين وكتلياته وقطعياته، هم القائمون على الحق، الآخذون بالكتاب والسنة، السائرون على ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته في الاعتقاد والسلوك والعمل، وباختصار هم أهل السنة والجماعة الذين بيّن النبي ﷺ أنهم الفرقة الوحيدة الناجية من النار الموصوفة بقوله ﷺ لما ذكر افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة وبين أن جميع الفرق في النار إلا واحدة: ما أنا عليه اليوم وأصحابي. رواه الحاكم وغيره.

وهذا هو المعيار الذي تقاس عليه أي جماعة أخرى، سواء كانت التبليغ أو غيرها، فما وافق ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة فهو الحق، بغض النظر عمّن قام به.<sup>٢٠٢</sup>



---

<sup>٢٠٢</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٤ / ٥١٦٦) - رقم الفتوى ٢٥١٠١ المعيار الذي تعرف فيه الفرقة الناجية -

تاريخ الفتوى : ١٤ رمضان ١٤٢٣



## أقوال العلماء في تكفير الخوارج والمعتزلة

لقد اختلف العلماء في كفر الخوارج والمعتزلة، فمنهم من ذهب إلى أنهم ليسوا كفاراً، لأنهم داخلون في مسمى الأمة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة. رواه البيهقي والحاكم وغيرهما وهو صحيح، فنسبة الفرق إلى الأمة دليل على عدم كفرهم، قال البيهقي بعد رواية الحديث: قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله، فيما بلغني عن قوله "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجين من الدين، إذ النبي ﷺ جعلهم كلهم من أمته. انتهى وقال العدوي في حاشيته على كفاية الطالب الرباني عن المعتزلة: الراجح أنهم عصاه لا كفار. انتهى.

ونقل النووي في المجموع عن أبي حامد الإسفراييني ومتابعيه قوله: والخوارج ليسوا بكفار. انتهى

وقال ابن عابدين في رد المختار نقلاً عن النهر قال: وأما المعتزلة فمقتضى الوجه حل منا كحتمهم، لأن الحق عدم تكفير أهل القبلة، وإن وقع إلزاماً في المباحث. انتهى والقول بأنهم ليسوا كفاراً: هو الذي نميل إليه لما ذكرنا، ولأن الذين كفروهم، بنوا قولهم على أن لازم المذهب مذهب، ولازم المذهب ليس بمذهب في الصحيح، قال ابن دقيق العيد في أحكام الأحكام: وقد اختلف الناس في التكفير وسببه، حتى صنف فيه مفرداً، والذي يرجع إليه النظر في هذا: أن مآل المذهب هل هو مذهب أم لا؟ فمن أكفر المبتدعة قال: إن مآل المذهب مذهب، فيقول: المجسمة كفار، لأنهم عبدوا جسماً، وهو غير الله تعالى، فهم عابدون لغير الله، ومن عبد غير الله كفر، ويقول المعتزلة كفار، لأنهم - وإن اعترفوا بأحكام الصفات - فقد أنكروا الصفات، ويلزم من إنكار الصفات، إنكار أحكامها، ومن أنكر أحكامها فهو كافر، وكذلك المعتزلة تنسب الكفر إلى غيرها بطريق المآل. انتهى

وقال ابن عابدين مبيناً هذا وراداً عليه: وإن وقع التصريح بكفر المعتزلة ونحوهم عند البحث معهم في رد مذهبهم بأنه كفر، أي يلزم من قولهم بكذا الكفر، ولا يقتضي ذلك كفرهم لأن لازم المذهب ليس بمذهبهم، وأيضاً فإنهم ما قالوا ذلك إلا لشبهة دليل شرعي على زعمهم، وإن أخطأوا فيه. انتهى<sup>٢٠٣</sup>



---

<sup>٢٠٣</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٤ / ٥٥١٦) - رقم الفتوى ٢٥٤٣٦ أقوال العلماء في تكفير الخوارج والمعتزلة - تاريخ الفتوى : ٢٧ رمضان ١٤٢٣

## طريق أهل السنة والجماعة هو الذي يلزم اتباعه

إن طريق أهل السنة والجماعة هو الطريق الذي يلزم كل مسلم اتباعه، فقد قال الله تعالى: **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (الأنعام: ١٥٣)

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: "خط لنا رسول الله ﷺ خطأ ثم قال هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: (هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه) وقرأ: وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه".

وقد بين النبي ﷺ هذا الصراط المستقيم بسنته كما قال تعالى: **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** (النحل: من الآية ٤٤) وقال سبحانه لنبيه: **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** (الشورى: من الآية ٥٢)، وروى ابن ماجه عن العرياض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد." قال الشيخ الألباني: صحيح.

ولهذا كان سلفنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، قال الإمام مالك: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، والحمد لله فقد ركب الصحابة هذه السفينة وأمروا الأمة جميعاً بركوبها فنقلوا إلينا السنة وبلغوها لنا، فلم يبق عذر لأحد في مخالفة طريقهم، وقد أخبر النبي ﷺ أن طوائف من أمته سوف تخرج عن هذا الصراط المستقيم، فقال صلى الله عليه وسلم: افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وافتقرت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة. رواه الحاكم وصححه، زاد في رواية: كلها في النار إلا واحدة، فقيل له ما الواحدة؟ قال: ما أنا عليه

اليوم وأصحابي رواه الحاكم والطبراني في معجميه الأوسط والصغير، وفي رواية قال:  
واحدة في الجنة وثنان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة. رواه  
ابن ماجه .

فهذا يبين أن الصراط المستقيم الذي ينجو من سلكه هو طريق النبي ﷺ وصحابته، وهذا  
هو طريق أهل السنة والجماعة.

أما من خرج عن هذا الطريق فهو من هذه الفرق التي أخبر النبي ﷺ أنها في النار. والله  
أعلم.<sup>٢٠٤</sup>



---

<sup>٢٠٤</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٥ / ٣٥٩٧) - رقم الفتوى ٣٣٥٠٣ طريق أهل السنة والجماعة هو الذي  
يلزم اتباعه - تاريخ الفتوى : ١٧ ربيع الثاني ١٤٢٤

## من خصائص أهل السنة والجماعة

لقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي .

وهذه الفرقة الناجية المشار إليها في الحديث هم الذين لا اسم لهم فلا يتسمون قدريّة ولا جبريّة ولا خوارج ولا روافض ولا نواصب.

والمنتصون لهذه الفرقة لهم خصائص تميزهم منها انتمائهم للحق وحده، فلا يجعلون الأشخاص معياراً للولاء والبراء، ومنها أنهم يعتصمون بالكتاب والسنة ولا يتلقون عن غيرهما، ثم إنهم يفهمون الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، فلا يقدمون على فهمهم عقلاً ولا هوى في تفسير نصوص الشرع، وراجع في ذلك "مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة" للدكتور ناصر عبد الكريم العقل، و"خصائص أهل السنة" للشيخ أحمد فريد، و"أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى" لحمد عبد الهادي المصري.<sup>٢٠٥</sup>



---

<sup>٢٠٥</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٨ / ٧٦٥٥) - رقم الفتوى ٥٩٢٣١ من خصائص أهل السنة والجماعة -

تاريخ الفتوى : ١٢ محرم ١٤٢٦

## الطائفة المنصورة.. ماهيتهم.. ومكان وجودهم

إن أصل الطائفة المنصورة وسادتها وكبرائها هم صحابة رسول الله ﷺ ثم تابعوهم ثم تابعوا تابعيهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . متفق عليه. وكل من جاء بعدهم وسار على منهجهم فهو من الطائفة المنصورة. وهذه الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية التي عينها النبي ﷺ امتدادا لتلك بكونها على منهاج النبوة؛ لقوله ﷺ : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي . رواه أبو داود والترمذي . وراجع الفتاوى ذوات الأرقام: ٢٥١٠١ ، ١٢٦٨٢ ، ٤١٥٦٦ ، ٢٦٠٥٦ ، ٥٩٢٣١ .

أما قوله صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي . فلا دلالة فيه على أن الطائفة لم تكن موجودة بل إنما ( لا تزال ) تفيد عكس ذلك أي أن تلك الطائفة كانت موجودة ولن تزال كذلك حتى يأتي أمر الله، وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم: وهم بالشام . لا ينفي وجودهم في مكان آخر، وهذا أمر مشاهد ، وهذه الطائفة المنصورة لا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض كما ذكر النووي في شرح مسلم . والله أعلم.<sup>٢٠٦</sup>



<sup>٢٠٦</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - ( ٩ / ٩٢٦ ) - رقم الفتوى ٦١٠٨٢ الطائفة المنصورة.. ماهيتهم.. ومكان وجودهم - تاريخ الفتوى : ٠٨ ربيع الأول ١٤٢٦

## الوهابية والصوفية

لا يجوز الخلاف في أصول الدين وكتلياته المجمع عليها، وإنما يكون الخلاف في بعض الأحكام الفرعية التي يسوغ فيها الخلاف، وانظر بعض أسباب اختلاف الفقهاء في الفتوى رقم: ٢٦٣٥٠ .

هذا، والفرقة الناجية هم من عصمهم الله تعالى من الاختلاف في أصول الدين وكتلياته وقطعياته، هم القائمون على الحق الآخذون بالكتاب والسنة السائرون على ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته في الاعتقاد والسلوك والعمل، وباختصار هم أهل السنة والجماعة الذين بين النبي ﷺ أنهم الفرقة الوحيدة الناجية من النار الموصوفة بقوله ﷺ لما ذكر افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة وبين أن جميع الفرق في النار إلا واحدة: ما أنا عليه اليوم وأصحابي.

وتوحيد الأمة ينبغي أن يكون على أصول أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

وإن لأهل السنة والجماعة خصائص وخصال، انظرها في الفتوى رقم: ٦٤٨٩٠ والفتاوى المتفرعة عنها، وأهل السنة غرباء في الناس، وهم أقل من القليل لكنهم موجودون ولا يخلو منهم زمان. قال ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله . رواه مسلم . وانظر صفة الغرباء في الفتوى رقم: ٥٨٠١١ .

هذا، وليعلم أنه لا توجد فرقة أو طائفة تنعت نفسها بالوهابية، وإنما هذا لقب أطلقه بعض المبتدعة على من أنكر عليهم بدعهم الاعتقادية من أتباع أحد دعاة أهل السنة وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وانظر ترجمته في الفتوى رقم: ٧٠٧٠ .

وأما الصوفية فهم ليسوا سواء في المتزلة، فمنهم المتبعون لسنة محمد ﷺ ومنهم المبتدعة الذين أحدثوا في الدين ما لم يأذن به الله، وانظر تفصيل الكلام عنهم في الفتوى رقم: ٦٤٧٢٣ وما تفرع عنها.

واعلم أن الخلاف في الأمة أمر قدري قال تعالى: وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ {هود: ١١٨-١١٩} وقال ﷺ إن هذه الأمة ستفترق.. فينبغي أن لا يشغلك أمر الخلاف الواقع عما يجب عليك في خاصة نفسك، وهو الاستقامة على أمر الله والتمسك بدينه والانقياد لشرعه والبحث عن أهل السنة في المكان الذي تعيش فيه، فتنتظم في سلكهم وتعبد الله معهم وتكثر سوادهم، ثم تجتهد في دعوة من ليس منهم إلى الانتماء إلى منهجهم، ثم تصبر على ما قد تلقى من البلاء في سبيل ذلك، وذلك مقتضى قوله تعالى: وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) -والله أعلم.<sup>٢٠٧</sup>



---

<sup>٢٠٧</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٤٩٦٣) - رقم الفتوى ٦٥٩٥٥ الوهابية والصوفية - تاريخ الفتوى :



## ضوابط هادية لمعرفة الجماعات السائرة على نهج أهل السنة والجماعة

بعض الضوابط في هذا الموضوع فنقول:

أولاً: لمعرفة أي الجماعات على الصواب يلزمك أن تعرف أنه من كان من هذه الجماعات متبعاً للكتاب والسنة وفق منهج وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان فهو على الصواب، وهو أحق بأن يتعاون معه على البر والتقوى، وبناءً عليه يلزمك التعرف على المنهج الصحيح وتعلم العقيدة الصحيحة أولاً، ثم بعد ذلك سيتبين لك الحق إن شاء الله، وما أجمل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله . وللمزيد من الفائدة راجع الفتاوى ذات الأرقام التالية: ٥٦٠٨ ، ٧٨٨١ ، ١٤٩٨٦ ، ٤٣٢١ .

ثانياً: يجب عليك الحذر من الفرق المبتدعة كغلاة الصوفية، ولا عبرة بانتسابهم زوراً إلى أهل السنة والجماعة، وراجع في ذلك الفتاوى ذات الأرقام التالية: ٥٩٦ ، ٨٥٠٠ ، ١٣٧٤٢ ، ٢٠٣٩٣ .

ثالثاً: لمعرفة هل الجماعات الإسلامية تدخل في حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، راجع في ذلك الفتوى رقم: ١٠٩٤٥ .

وللمزيد من التفصيل حول بعض ما ينسب لهذه الجماعة مع الرد عليه، راجع الفتوى رقم: ٧٢١١٩ . والله أعلم.<sup>٢٠٨</sup>



---

<sup>٢٠٨</sup> - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (١٠ / ٢٧٩٥) - رقم الفتوى ٧٣١٦٢ ضوابط هادية لمعرفة الجماعات السائرة على نهج أهل السنة والجماعة - تاريخ الفتوى : ٠٦ ربيع الأول ١٤٢٧

## الإسلام بين الإفراط والتفريط

إن الحمد لله نحمده ونشكره ونثني عليه ونستغفره ونشهد أن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ولا رب لنا سواه ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وبعد.

أفضلية الدين الإسلامي

فإن دين الإسلام تعاليمه وسط بين الإفراط والتفريط، وذلك لأن الإسلام ورد وجاء منتظماً لمصالح العباد وكمله الله تعالى وجعله أتم وأكمل ما يرام وضمنه كل مصلحة يأمر بها وينهى عن كل ما يضر، فلا جرم إن كان هذا الدين هو الدين الذي فطر الله العباد على استحسانه والميل إليه.

فالله تعالى اختاره لنا ديناً فقال: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)، أي اختاره ورضيه ديناً للعباد يدينون به ويتقربون به إلى ربهم، وأخبر أنه هو الدين الحق لا سواه، فقال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) أي هو الدين الصحيح، وما سواه من الأديان فإنها منسوخة، فالأديان السماوية السابقة قد نسخها هذا الدين، وحل محلها وتضمن ما فيها من العبادات والمعاملات الملائمة فقام مقام كل ما سبقه من الأديان. وزاد على ذلك بما هو مناسب وملائم لحال العباد والبلاذ. وأخبر الله سبحانه أن من تركه وخالفه فهو خاسر تائه ضائع، فقال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)، وذلك لأن هناك ما يسمى أدياناً يدين بها من يعتنقها ويعتقدها من عباد الله ويزين لهم الدعاة إلى تلك الأديان أنها أديان حقّة صحيحة ملائمة مناسبة، ولكن عند التأمل والتعقل يتضح أنها باطلة وأن الذي شرعها ودعا إليها هو الشيطان الرجيم.

فهناك من يدين الآن بدين النصارى، ولا شك أن الدين المسيحي كان ديناً سماوياً، ولكنه مؤقت، حيث إن المسيح بن مريم عليه السلام رسالته مؤقتة بنبوة وإرسال محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي بشر به في قوله: (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد). وقد أخذ الله الميثاق عليه، بل وعلى كل الأنبياء أن يتبعوا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم،

فقال تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه). قال ابن عباس: "ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولننصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمتيه: لئن بعث محمد وهم أحياء أن يتبعوه ويؤمنوا به وينصروه". وثبت أيضاً أن دين النبي موسى الذي يدين به أتباعه من اليهود سابقاً كان ديناً سماوياً اختاره الله وفضله في ذلك الوقت لكنه مؤقت أيضاً بإرسال هذا الرسول النبي الكريم فثبت أن ذلك الدين منسوخ منذ أن بعث محمد، مع أن تلك الأديان التي هو دين اليهودية والنصرانية قد دخلها بعد أنبيائهم الكثير من التحريف والتغيير والتبديل. وما ذاك إلا أن الله تعالى استحفظهم كتبها ومراجعتها، وتضمن حفظ شريعتنا بنفسه، فقال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنال له لحافظون). فتكفل الله بحفظ هذه الشريعة أن يدخلها شيء من الزيادة والتغيير. وأما الشرائع التي قبلها فكان حفظها إلى أولئك الحملة، كما في قوله تعالى: (بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء)، فجعلهم وكلاء على حفظه، ولم يتكفل بحفظه، فكان ذلك سبباً في وقوع تلك التحاريف والتغييرات والتبديلات في الشرائع السماوية مما جعلها غير ملائمة ومناسبة.

وبعد أن بعث نبينا محمد ﷺ وكمل الله له هذا الدين وأصبح الدين الباقي، أصبح الدين السماوي الذي لا يلائم العباد سواه.

وهكذا كل ما هناك من الأديان الباطلة المضلة قد نهي عنها دين الإسلام أو حذر منها، فإن الإسلام جاء وهناك دين أهل الوثنية الذين يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله ويعتقدون أنها تقرهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عند الله، ويصرفون لها خالص حق الله، فلما جاء الإسلام نهاهم عنها نهياً صريحاً، وحذرهم من التعلق بتلك الأوثان وأمرهم أن يعبدوا الله وحده، فجاء بنسخ عبادة ما سوى الله من نبي أو ولي أو صالح أو قبر أو حجر أو مدر أو غار أو صخرة، أو شجر، أو بقعة، أو غير ذلك مما يعظم أو يصرف له شيء من خالص حق الله، فهذا دين باطل، أي دين الوثنية، جاء الإسلام بنسخه والقضاء عليه.

وهناك أديان انتشرت في هذه الأزمنة وكثر الذين يعتنقونها مع كونها باطلة. فتجد هناك ديناً يسمى أهله بـ"البوذيين"، وهم على عقيدة رجل يسمى "بوذا"، زينت له نفسه أنه على حق، فابتدع واخترع أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، في العقائد وفي الأعمال، ومع ذلك استمرت عقيدته وانتشرت منذ عدة قرون، ولا تزال تلك العقيدة الباطلة هناك من يدين بها ويقدمها ويعظم معلوماتها وما تضمنته.

وهناك ديانات منتشرة في كثير من البلاد، كالهندوس ونحوهم الذين يعبدون أوثاناً، أو معبودات سوى الله تعالى فهم داخلون في الوثنية.

وهناك ديانات منحرفة زين الشيطان لأربابها أنهم على خير فصاروا يدينون بها يُعَرِّون بها بأنها مُسَلِّمة لكل عاقل كعقيدة سيئة منتشرة في المشرق يقال لها "القاديانية" ونحوها. هذا من حيث الأديان الباطلة التي تخالف الإسلام كلياً. وهناك من ينتسب إلى الإسلام، ولكن لم يتحقق منه وصف الإسلام، ولا الحقيقة المطلوبة من دين الإسلام. فمثل أولئك أيضاً على ضلال مع كثرتهم، وكثرة من يدين بدياناتهم. والإسلام براء منهم، وهم يعبدون من تعاليم الإسلام.

فمن ذلك عقيدة الباطنية، الذين يجعلون للأعمال باطلاً غير ظاهرها. فللعقائد عندهم باطن، ويعتقدون أن الشرع يريد أشياء غير هذه الظواهر. وهذه العقيدة الباطنية من أكفر الكفر وأضل الضلال لأنهم يخالفون الشرع في تعاليمه وفي اعتقاداته. وقد بقي على معتقدتهم كثير من الفئات التي لا تزال موجودة إلى اليوم، يدينون بتلك العقيدة السيئة، كعقيدة الدروز الذين يوجدون في كثير من البلاد العربية المجاورة، وعقيدة النصيرية الذين يدينون بهذه العقيدة الباطنية. فمثل هؤلاء ولو تسموا بأنهم مسلمون، فإنهم ليسوا حقاً من المسلمين المطبقين لشعائر الإسلام، ولأجل ذلك نقول إن الإسلام الحقيقي هو الاعتراف بالله إلهاً ورباً وخالقاً، والديانة له بالعبادة، كما فسره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، حيث يقول: "الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك، وأهله". فبين رحمه الله أن المسلم حقاً هو المذعن المنقاد المتذلل الذي متى علم أن هذه الخصلة من الإسلام أذعن لها واتبعها ولم يتخلف عنها.

ومتى علم أن الإسلام حرم أو نهى عن هذه الخصلة ابتعد عنها وأذعن لله تعالى بتركها، هذا حقاً هو المسلم.

ونحمد الله أن حفظ علينا شعائر ديننا. فجميع المحرمات أدلتها موجودة في الشريعة، في الكتاب والسنة، وجميع الواجبات والعبادات المشروعة أدلتها موجودة أيضاً في الكتاب والسنة، فلسنا بحاجة إلى تحكيم العقول، ولا إلى أن نزن بأهوائنا ما يرفع إلينا وما يسوغه لنا أولئك الأعداء الذين يجعلون أهواءهم هي الميزان الحق فما وافق أهواءهم اتبعوه وشرعوه.

فإذا كان الإسلام قد تضمنته الشريعة، وأدلتها واضحة صحيحة فليس للمسلم أن يدين بأية قرينة أو طاعة إلا بعد أن يثبت له دليلها. وليس له أن يحرم أية خصلة إلا بعد أن يتحقق دليلها من كتاب الله أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ولقد تكفل الله سبحانه ببيان هذا الدين وجعله كاملاً، فأنزل على نبيه ﷺ في آخر حياته: (اليوم أكملت لكم دينكم). وكماله احتواؤه على كل خير، ونهيه عن كل شر. ولقد بين وكمل تعاليمه وتفسيره. وإيضاح معانيه النبي الكريم ﷺ الذي كلفه الله أن يبين للناس هذا الدين، فقال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)، أي لتوضح لهم بالأمثلة والإيضاح التام ما أجملت أحكامه في القرآن، فإذا بينه النبي ﷺ بأفعاله كان هذا البيان من الله تعالى: لأنه وحي وتشريع. فجاء هذا الإسلام بحمد الله بكل ما فيه خير ومصلحة، ونهى عن كل ما فيه شر ومضرة. كما روي عن بعض العقلاء من الأعراب لما دخل في الإسلام لأول دعوة ولأول ما عرض عليه فقال: "إني تأملت ما جاء به محمد فرأيت ما أمر بشيء وقال العقل: ليته نهى عنه وما نهى عن شيء وقال العقل: ليته أمر به" والمراد هنا العقول السليمة والفطر المستقيمة، فإنها تشهد بحسن هذا الدين، وباحتوائه على كل خير، وبزجره عن كل شر. وتشهد بمطابقته وملاءمته للمصالح، واحتوائه على كل ما ينظم الحياة تنظيمًا حقاً كاملاً صحيحاً، فكان ذلك هو السبب الذي اختاره الله لهذه الأمة، التي هي خير أمة أخرجت للناس، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والضلال، إلى نور الحق والإيمان، فكان حقاً على عباد الله الذين هداهم الله وأقبل بقلوبهم إلى طاعة،

وصدقوا الرسول الذي جاء به، كان حقاً عليهم أن يطبقوه أتم تطبيق، وأن يعملوا به، وأن يكونوا في العلم به عارفين بأحكامه، ومقاصده، غير زائدين فيه، ولا مضيفين إليه ما ليس منه، وغير مقصرين في شيء منه، ولا مخلين وناقضين بشيء من تعاليمه. وهذا معنى كون دين الإسلام وسطاً بين الأديان، فإنه وسط بين الأديان السابقة، وعقيدته السلفية وسط بين العقائد، وعبادته وقرباته، وأداؤها الحق وسط بين الإفراط والتفريط. فلما أن علم الله أن من أهل تلك الأديان قد غلوا وزادوا وتجاوزوا الحد، وأن بعضاً منهم قصرُوا وجفوا جاء بهذا الإسلام في وضع متوسط، لا إفراط ولا تفريط.

أمثلة على وسطية الإسلام بين الأديان السابقة ولنأت على ذلك بأمثلة في الأديان، وفي العقائد، وفي الأعمال، حتى يتضح بذلك كون دين الإسلام وسطاً، لا إفراط، ولا تفريط.

فمثلاً عقائد أو أديان من قبلنا من الأمم، منهم من غلا، ومنهم من جفا، وجاء الله بالإسلام فجعله بين هؤلاء وهؤلاء. ففي شريعة اليهود اعتقادهم في عيسى أنه ولد بغوي، وأن أمه زانية حيث رموها بيهتان، كما قال الله تعالى: (وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً). جاءت النصارى فزادوا وغلوا فرفعوه عن طوره، وأعطوه ما لا يستحقه، فحكى الله عنهم أنهم قالوا: (إن الله هو المسيح بن مريم)، وحكى عنهم أنهم قالوا: (المسيح ابن الله)، وكذلك كفر من قال إن الله ثالث ثلاثة، يعني الله وعيسى وأمه، كما في قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقال تعالى: (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)، جاء الإسلام فتوسط، لا إفراط ولا تفريط، فالإفراط كان من الذين زادوا وقالوا: هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، وأهل التفريط الذين قالوا: إن المسيح ابن بغوي، بل شهد الإسلام بأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وجعله رسولاً كسائر الرسل، كما في قوله تعالى: (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام). فشهد له بأنه رسول، وأقر، أو حكى كلامه في قوله تعالى: (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل: إني رسول الله إليكم)، فهو رسول كسائر الرسل. وهذا هو القول الوسط، لا إفراط ولا تفريط.

وهكذا أيضاً في الأعمال، دين اليهود ودين النصارى بينهما تفاوت، ففي بعض الأديان الإفراط، وفي بعضها التفريط، فعندنا مثلاً، أن اليهود يرون الطلاق ولا يرون الرجعة، فمن طلق زوجته فلا رجعة له عليها، وأن النصارى يرون أن لا طلاق، فمتى عقد للمرأة على الإنسان فلا طلاق، ولا يحل له الطلاق، وجاء الإسلام فتوسط فجعل للإنسان أن يطلق متى شاء، وأن يراجع بعد التطليقة الأولى وبعد الثانية، وهكذا، وذلك من أجل أن الإنسان قد يستعجل في أمر يبدو له أن يتلافى ذلك بعد حين، ولهذا فالإسلام توسط بين هؤلاء وهؤلاء.

وكذلك في الأعمال نرى أن اليهود كانوا يرون أن القصاص حتم وليس هناك مجال للعفو، وأن النصارى يرون العفو حتماً، وجاء الإسلام بالتخيير، تخيير ولي المقتول بين القصاص وبين العفو وأخذ الدية أو العفو مطلقاً، فصار متوسطاً، لا إلزام بالعفو، ولا إلزام بالقصاص، بل متوسط بينهما.

وهكذا توسطه في المجازاة ونحوها. فالله أباح للناس المجازاة على الأعمال بمثلها في قوله تعالى: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين). فجعل الإنسان يباح له أن يعاقب من اعتدى عليه، كما في قوله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)، بالمثل فقط، لا بالزيادة. ولكنه فضل الصبر بقوله: (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)، ولكن دين النصارى يأمر الإنسان بأن يعفو، وأن لا ينتصر، ولا ينتقم لنفسه أبداً. ودين اليهود يحكم عليه بأن يستوفي وأن يقتص، فالإسلام جاء بهذا الدين الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

#### أمثلة على وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق المختلفة

وبعد أن رأينا هذه الأمثلة في الأديان السابقة نأتي إلى أمثلة من العقيدة السنية لهذه الأمة. وذلك لأن الذين دخلوا في الشريعة الإسلامية قد اختلط وامتزج بهم من ليس بمحقق في الاتباع، ودخل في العقيدة وفي الإسلام من ليس منهم وانحرفت بهم الطرق وتفرقت بهم السبل. وقد أخبر النبي ﷺ بأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وسئل من تلك الواحدة فقال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي. وإذن

فعقيدة أهل السنة والجماعة هي العقيدة السلفية وهي العقيدة السنية، وهي الشريعة الحمديدية والملة الإبراهيمية التي هدى الله إليها هذه الأمة.

إذا نظرنا في هذه العقيدة وإذا هي وسط، لا إفراط فيها ولا تفريط. وسط في العقائد الكثيرة. يقول شيخ الإسلام رحمه الله: إن أهل السنة وسط في فرق هذه الأمة، كما أن الأمة وسط بين الأمم.

فهم وسط في باب القضاء والقدر بين المجبرة وبين القدرية. وذلك لأن هناك فرقتين رائعتين في باب القدر: إحداهما قد غلت وأفرطت وزادت. والأخرى قد فرطت. وفرقة تقول إن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله، وليس لله قدرة على هداية ولا على إضلال. وهؤلاء قد أشركوا. وفرقة جعلت العبد مقسوراً ومجبوراً، وليست له اختيارات أبداً وعذرتة بذلك. وجاء أهل السنة فتوسطوا وجعلوا له اختياراً، ولكن اختياره مربوط بمشيئة الله، (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)، فهذا توسطهم في باب القدر.

هناك أيضاً توسطهم في باب أسماء الإيمان والدين. وذلك لأن هناك فرقتين منحرفتين، إحداهما قد فرطت، والأخرى قد أفرطت. فمنهم المفرطون الذين يجعلون الأعمال ليست من الإيمان، وعندهم من صدق بقلبه ولو لم يعمل فهو مؤمن كامل الإيمان. وآخرون كفروا بترك الأعمال. فجاء المسلمون من أهل السنة فتوسطوا، فلا إفراط ولا تفريط. فجعلوا الإنسان يستحق اسم الإيمان واسم الإسلام ولو كان معه شيء من الذنوب، وشيء من المعاصي، فلم يخرجوه من الإسلام بالكلية كالخوارج وكالمعتزلة الذين يكفرون بكل ذنب. فمن أذنّب أخرجه من الإسلام، وخلدوه في النار، والعياذ بالله. ولم يكونوا كطائفة أهل الإرجاء الذين يجعلونه كامل الإيمان ويبيحون له الاستكثار من المعاصي ويعتقدون أنها لا تضر. بل لا إفراط ولا تفريط. نحن نقول: إن المعاصي لا تخرج العبد من الإيمان، ولكن عليه منها ضرر، فإنها قد تجتمع على العبد فتهلكه إلا أن يعفو الله عنه ولا يخلد في النار، ولكن يستحق دخولها ويعذب بقدر سيئاته إذا كان من أهل العقيدة وأهل الإسلام ولكن معه ذنب، فتوسط أهل الإسلام وأهل العقيدة السلفية فلم يكفروا بالذنوب



كالخوارج، ولم يجعلوا المذنب كامل الإيمان كأهل الإرجاء. بل جعلوه مؤمناً ناقص الإيمان، وقالوا: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

وهناك أيضاً توسط في الصحابة، بل وفي غيرهم من أولياء الله. ونبدأ بالتوسط في الصحابة، فنقول: إن هناك طائفتين في الصحابة منحرفتين، إحدهما قد فرطت، والأخرى قد أفرطت. وأهل السنة وسط بينهما، لا إفراط ولا تفريط. ففي الصحابة، بل وفي أهل البيت خاصة فرقتان، فرقة تكفرهم وتستبيح دماءهم، ويقال لهم النواصب الذين نصبوا العداوة للصحابة وأخرجهم من الإسلام. وفرقة تغلوا فيهم وتجعل علياً هو الله، أو هو الرسول أو أحق بالرسالة، وتعبدوا وتعبد ذريته من بعده من دون الله. وهذه الفرقة هي الرافضة الذين يتسمون بأنهم شيعة علي، يعني أنصاره. وكذبوا فليسوا بشيعته، بل هم أعداؤه وأعداء سيرته وطريقته. وأهل السنة توسطوا لا إفراط ولا تفريط. فقالوا: إن علياً وأولاده وأهل بيته لهم حق الولاية والصحة والإسلام والأسبقية والقراية، ولكن لا نفضلهم على الخلفاء الذين قبل علي، ولا نغلوا فيهم أو نمدحهم بما ليس فيهم، بل لهم هذا الشرف والقراية ولا يستحقون أو يوصفوا بما لا يستحقونه هم ولا غيرهم، سواء من حق الله أو من حق الرسول عليه الصلاة والسلام. فلم يزدوا ويغلوا كغلو الرافضة الذين جعلوا علياً إلهاً، حتى قال بعضهم: أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين، وحيدرة يعني علياً، وبعضهم يدعي أنه أولى بالرسالة، ويزعم أن جبريل عليه السلام خان الأمانة، وكان قد أرسل إلى علي فأوصل هذه الرسالة إلى محمد. فهؤلاء قد زادوا وغلوا. وجاء الطائفة الثانية الذين كفروا وسبوا علياً ومن معه وأخرجوهم من الإسلام فجفوا، وجاء أهل السنة فكانوا وسطاً بين الغلو والجفاء، بين الإفراط والتفريط، فجعلوه صحابياً جليلاً، سابقاً، من السابقين الأولين له قرابته وله صهره، وله أفضليته، ولكن لا نعطيه حقاً من حقوق الله، ولا حقاً من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نغلوا فيه فوق ما يستحقه هو أو غيره من حق الله.

وهكذا أيضاً توسطهم في الأولياء والصالحين، وذلك أن هناك طائفتين متطرفتين في أمر الأولياء طائفة قد غلت، وطائفة قد جفت. فالطائفة الذين غلوا هم الذين يعبدون الأولياء.

فالولي عندهم هو الرجل الصالح الذي قد حصل له من القرب ومن الصلاح ما جعله محبوباً عند الله وأنه ولي من أولياء الله يجري الله على يديه من خوارق العادات ما لم يجره على يدي غيره. فقالوا: هذا الولي يستحق منا أن نقدره، فصاروا في حياته يغفلون فيه، فيتمسحون به وبثيابه ويتبركون بما مسه بالنعل وبغيره، وساروا بعد موته يعكفون عند قبره، ويتمسحون بقبره، ويصلون عنده، ويعتقدون أن للصلاة عنده مزية وفضيلة، وأنه يشفع لهم في تكفير سيئاتهم وفي قبول صلواتهم وفي مضاعفة حسناتهم فيعملون عند قبره من الأعمال ما لا يصلح أن تكون إلا لله وحده. فهؤلاء قد غلوا وتجاوزوا حدهم وطورهم.

والطائفة الثانية هم الذين لا يرون لعباد الله الصالحين قدرا، ولا يقيمون لهم وزنا، فلا يحبونهم، ولا يتبعونهم، ولا يقتدون بهم، ولا يتبعون سيرتهم، ويحقرون شأنهم، ويحتقروهم في أعمالهم، ويعتقدون أنهم - كما يعبرون - أهل تشدد أو أهل جمود، أو أهل رجعية أو تفهقر، أو ما أشبه ذلك من عباراتهم السيئة، فهؤلاء قد فرطوا، وأولئك قد أفرطوا وزادوا، فجاء أهل السنة فتوسطوا في باب أمر أولياء الله تعالى، فقالوا: نحن نحبهم، لأن الله تعالى يحبهم، بل ونحب كل من يحبه الله من الصالحين والمؤمنين والأتقياء، ولكن محبتنا لهم لا تصل إلى أن نتمسح بتربتهم، ولا تصل المحبة إلى أن نصرف لهم شيئا من حق الله، أو أن نذبح لهم أو أن نطوف بأضرحتهم، أو ندعوهم مع الله أو دون الله. بل محبتنا لهم تستدعي أن نبحت عن سيرتهم وسنتهم فنعمل بها، حتى نكون مثلهم، فإذا رأينا أنهم يتعجلون بالليل تهجدنا، وإذا ذكروا لنا أنهم يكثرون من القراءة والخشوع أكثرنا من ذلك، وإذا كان من سيرتهم أنهم يدعون الله ويرغبون إليه دعونا الله كذلك، وإذا كانوا يذكرون الله على كل حال ذكرنا الله كذلك، حتى نكون أولياء كما كانوا أولياء، فإنهم بشر كما نحن بشر، فكيف نسمح لأنفسنا أن نكون دونهم، بل نحبهم وتحملنا محبتهم على أن نعمل بعملهم، وأن نصلح من أعمالنا ما أصلحوه، فكلهم نحبهم وتحملنا محبتهم على أن نفتدي بأفعالهم. فإذا كنا كذلك فإننا متوسطون بين هؤلاء وهؤلاء، لا إفراط ولا تفريط. فهكذا جاء دين الإسلام فالذين غلوا وزادوا وقعوا في الشرك، وذلك لأنهم عظموا هؤلاء

المحبوبين، وجعلوا لهم شيئاً من حق الله أو صرفوا لهم ما لا يصلح إلا لله. فإن التعظيم عبادة والعبادة لله وحده، لأن العبادة هي التذلل، فإذا كانوا يتذللون عند تلك الأضرحة ويخضعون ويخشعون، فذلك عبادة. وإذا كانوا يذبحون لها وينذرون فذلك تعظيم وعبادة، وإذا كانوا يدعونهم ويهتفون بأسمائهم فإن الدعاء مخ العبادة. وإذا كانوا يتمسحون ويطوفون بقبورهم ويطيلون الإقامة فإن ذلك تعظيم وذلك حقيقة العبادة. فهؤلاء: الذين غلوا قد أصبحوا بخلوهم مشركين حيث أشركوهم مع الله، مع أنهم لا يرضون أن يشرك بهم. فالمسيح عليه السلام بريء من شرك من أشرك به، وهكذا كل من عبد من دون الله، وهو لا يرضى بريء من شرك من أشرك به، وفي يوم القيامة لا بد أن يتبرؤوا منهم، ويقولون: نحن برآء من أفعالهم، كما قال تعالى عن الملائكة: (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ قالوا سبحانه، أنت ولينا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن، أكثرهم بهم مؤمنون). فأخبروا بأنهم -ولو كانوا عبدوا الملائكة - ما رضا بذلك منهم ولا أحبوا ذلك. وإنما الشياطين والجن هي التي سولت لهم وزينت لهم أن يعظموهم وأن يعبدوهم وأن يؤمنوا بهم. وإلا فأنباء الله ورسله وأوليائوه والصالحون من عباده بريئون من شرك من أشركهم مع الله سبحانه وتعالى.

وبالجملة فإن المسلمين أهل العقيدة السلفية قد توسطوا في أولياء الله فأحبوهم محبة قلبية، وحملتهم محبتهم على أن تتبعوا أخبارهم ودونوا سيرتهم ونظروا في الأشياء التي كانوا يعملونها، فعرفوا أنهم ما صاروا صالحين إلا بسبب زهدهم في الحرام وبعدهم عنه، وتقربهم إلى الله بأنواع القربات، فقالوا: هذا هو سبب صلاحهم فلماذا لا نفعل كفعالهم حتى نكون مثلهم؟ حتى نصلح كما صلحوا، حتى نكون أولياء الله كما كانوا أولياء الله يحبهم الله تعالى ويوفقهم ويعينهم، فنفع الأفعال التي أحبهم الله من أجلها حتى يحبنا كما أحبهم، وحتى يعيننا كما أعانهم ويهدينا كما هداهم. هذه عقيدة السنة.

أمثلة من الوسط في الأعمال والعبادات

هذا كله فيما يتعلق بالعقيدة وبعد ذلك لا بد أن نذكر أمثلة من الأعمال. وذلك لأن هناك أيضاً أعمالاً من الشريعة الإسلامية جاء الإسلام فيها بطريقة حسنة فأدخل الشيطان

على بعض الناس الغلو والإفراط والزيادة، وأدخل على بعضهم التقصير والتفريط والنقصان. وذلك كله وسوسة من الشيطان وتسويل لهم، حتى لا يفعلوا الدين كما جاء. ونبدأ بمبادئ العبادة. فنبدأ مثلاً بالطهارة. فإن الطهارة عبادة شرعية، أمر الله بها ولكن يفعلها عباد الله فعلاً متوسطاً، لا إفراط ولا تفريط. وهناك طائفتان في الطهارة متطرفتان، إحداهما قد غلت، والأخرى قد جفت. فالذين غلوا هم الذين زادوا في الطهارة ما ليس منها وتشددوا فيها تشدداً زائداً، حتى زهدوا فيما نقل لهم من أفعال النبي ﷺ وصحابته، ومن كيفية تطهره ووضوئه واغتساله وغير ذلك، واعتقدوا أن ذلك لا يطهر فزادوا وغلوا. فجاء الإسلام بالأمر الوسط. لا إفراط هؤلاء الذين غلوا في الطهارة، ولا جفاء أولئك الذين لا يباليون ولا يسبغون الطهارة ولا يتمونها. كلا الطائفتين منحرفتان. الطائفة الذين غلوا ترى أحدهم يتوضأ بصاع أو بصاعين، وترى أحدهم يغسل وجهه خمسا أو عشرة ويرى أنه ما طهر، ويغسل يديه مرارا قد تتجاوز العشر. وكذلك الاغتسال، ربما يغتسل نصف ساعة، وربما ساعة، وربما ساعتين، كما حدثني بعضهم أنه يقيم في مزاولة الاغتسال ساعتين. وكذلك في الوضوء مدة طويلة.

وهكذا أيضاً في باب النجاسة، في باب إزالة النجاسة، فترى أحدهم إذا وقعت عليه نجاسة لا يكتفي بغسلها مرتين أو ثلاثاً مع زوالها، بل ربما غسلها عشرة، أو أكثر من عشر وربما حك جلده حتى يخرج الدم.

وهكذا في باب الاستنجاء الذي هو غسل أثر البول والغائط، وأكثر ما قيل إنه يغسل سبع مرات وفي حديث ضعيف مذكور في شرح الزركشي عن ابن عمر: أمرنا بغسل الأنجاس سبعا. ولكن تجد أحدهم يغسله عشرات المرات، ويصب على فرجه عدداً من الغرفات وكل ذلك من الغلو والزيادة التي ما أنزل الله بها من سلطان. ولا شك أيضاً أنها وسوسة من الشيطان ليمل العبد من العبادة. وذلك لأنه متى دام على هذا التطهر الشديد برهة من الزمان، كسنة أو سنتين، مل وضجر واستثقل العبادة، وربما ترك الصلاة لاستثقال الطهارة، كما حدثني أناس وقع بهم ذلك الفعل أنهم لما كان أحدهم لا يتوضأ إلا في ساعتين قال: كيف أصلي هذه الصلوات، فصار يجمع الصلوات الخمس في وضوء واحد،

يتوضأ بعد صلاة العشاء فيصلّي الصلوات الخمس فيكون قد أفرط حيث ترك الصلوات في مواقيتها، لان الشيطان قد ثقل عليه هذه الطهارة التي لا تستغرق إلا خمس دقائق، أو نحوها، ثقلها عليه حتى يضيع العبادة عليه.

وكذلك في باب إزالة النجاسة، فقد يوسوس إليه الشيطان أنه انتقض وضوؤه في الصلاة حتى يقطع الصلاة، أو أن في ثوبه نجاسة ولو قليلا، حتى يترك الصلاة، وحتى يمل منها. وكثير تركوا الصلاة لأجل هذه الوسوسة، لما أن الشيطان ثقل عليهم الطهارة صارت الصلاة ثقيلة عليهم، وشاقة أيما مشقة، فعند ذلك يتركون الصلاة من أجل هذه المشقة. ولو رجع إلى تعاليم الإسلام وإلى ما شرعه لعلم أن هذا ليس من الدين في شيء وأن الإسلام جاء بالسهولة وباليسر، وبالسماحة، وبالبعد عن كل المشقات وكل الصعوبات.

وأما الذين فرطوا فإنهم أيضا كثير. وسبب تفريطهم أيضا وسوسة من الشيطان حتى يبطل بذلك عملهم، فترى أحدهم إذا غسل وجهه لا يبالغ ولا يسبغ الوضوء فيبقى في وجهه أشياء لم يأت عليها ماء، وإذا غسل يديه أو رجليه غسل بسرعة ومسح مسحاً، ولا يبالي، فكثيراً ما يبقى في بدنه بقع، في رجليه، وفي عقبه، لا يسبغ ذلك ولا يتعاهد. فهؤلاء ممن فرطوا وجفوا وقصروا في باب الطهارة، وكثيراً ما ننصح هؤلاء أن يسبغوا الوضوء ويتعاهدوه، حيث إن الشرع قد ورد بالأمر بالإسباغ، حيث قال النبي ﷺ لما عدد الخصال التي يرفع الله بها الدرجات ويمحو بها الخطايا قال: "إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط" رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة. وهكذا أيضاً حثنا أن نتعاهد ما قد ينبو عنه الماء من الجسد ومن القدمين خاصة، في قوله صلى الله عليه وسلم: "ويل للأعقاب من النار". وفي رواية "ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار" متفق عليه. فالذين يغسلون غسلاً خفيفاً ولا يتعاهدون أقدامهم كثيراً ما يكون في مؤخر أقدامهم بقعة لم يمسحها الماء، فتبطل بذلك الطهارة. فهؤلاء مفرطون، حيث إنهم نقصوا في الطهارة. أولئك زادوا وغلوا وتجاوزوا، وهؤلاء نقصوا وقصروا. ودين الإسلام جاء بالوسط، وهو أن الإنسان يتوضأ وضوءاً مسبغاً فيكتفي بغسلة واحدة مسبغة كافية للعضو، وإذا زاد غسلة ثانية فهي أفضل، وإذا زاد

غسلة ثالثة فهي أفضل منهما. ولا يجوز الزيادة على الثلاث. بل الزيادة على الثلاث تعتبر إسرافاً وإفساداً وغلواً، فكيف بالذين يغسلون العشرات، هذا هو التوسط في هذا الباب. وهكذا نقول في الغسل فإن الاغتسال أيضاً طهارة شرعية أمر الله الإنسان بعد الجنابة أو نحوها أن يغتسل، كما في قوله تعالى: (ولا جنبا إلا عابري سبيل، حتى تغتسلوا)، وقوله: (وإن كنتم جنبا فاطهروا). فالإغتسال هو تعميم البدن بالماء أي غسل البدن كله بالماء، وفيه أيضاً إفراط وتفریط. وفيه غلو وجفاء على حد ما ذكرنا في الوضوء. فإن هناك من يقيم في الاغتسال ساعة أو أكثر. وربما ذلك جسده وبالغ في ذلك، حتى أخبرني بعضهم أنه يدللك جسده ويحكك بأظفاره، ويعتقد أن الماء يزل عليه ولا يتبلغه، حتى يخرج الدم من حكه بأظفاره ومبالغته في حك جسده، وهذا بلا شك غلو وإفراط وزيادة ما أنزل الله بها من سلطان. ولا شك أن الشيطان هدفه وقصده أن يمله من هذه العبادة، حتى يضجر ويتركها.

وهكذا الذين يكتفون بالمسح، إذا اغتسل أحدهم لا يدللك جسده، بل يمر الماء عليه، ولا يبالي، وهذا أيضاً عليه خلل. وقد عرفنا أن السبب الموقع في هذا هو الشيطان الرجيم الذي هو عدو الإنسان والحريص على أن يبطل عليه أعماله كما يبطل عقيدته، فالشيطان يرى أو يشم قلب الإنسان، فإن رأى تصلباً، ورأى فيه تشدداً جاءه من باب الزيادة، وقال له: أنت لا يكفيك مثل ما يكفي غيرك، بل عليك أن تزيد وتبالغ، فإذا توضأ الناس بالمد، فلا تكتف به، بل توضأ بالصاع، أو الأصع، وإذا غسل الناس أيديهم ثلاثاً فلا تكتف بسبع ولا بعشر، بل زد عليهم حتى تكون أكثر، ويزين له أن الأجر على قدر النصب وأنه كلما كثر العمل كان الأجر عليه أضعافاً مضاعفة. وهذا وسوسة من الشيطان. فالإقتداء بأفعال النبي ﷺ وبسننه هو الواجب علينا، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ وما زاد على ذلك هو محدث، وشر الأمور محدثاتها.

فالذي لا يقنعه ما قنع به رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد يعتقد أن الدين الإسلامي ناقص، وأن الرسول ما بلغ البلاغ المبين، وأنه قصر في التعليم، حيث اقتصر على بعض الشرائع، أو على بعض الطهارة أو نحوها. وإذا اعتقد هذا الاعتقاد السيئ وقع -والعياذ

بالله- في الانحراف وفي الضلال، فإن اتهم النبي صلى الله عليه وسلم، أو أحد من الأنبياء بإخفاء شيء من الرسالة، أو بالنقص والتغيير في شيء من أمر الشريعة اعتقاد باطل وضال ومضل يوقع في الخروج -والعياذ بالله- من دائرة الإسلام.

وقد أوقع الشيطان أيضاً كثيراً من الناس في الوسوسة في الأعمال الأخرى سواء كانت أفعالاً أو طرقاً، فمن ذلك مثلاً الوسوسة في النية في الصلاة فإن الشيطان يغالي عند بعضهم فيقول إنك ما نويت، أو أنت نيتك ليست سليمة أو صحيحة، أو أنت ما استحضرت النية، فلا يزال يوسوس له بأنه ما أتى بالنية المشترطة للعبادة من طهارة أو من صلاة حتى تفوت عليه الأوقات فتتقص عبادته، أو تفوته الصلاة أو تفوته فضيلة الوقت. وهذا بلا شك زيادة على ما حده الله تعالى.

وهناك من لا يبالي فيصلي أو يتوضأ بدون قصد صالح، وبدون نية حسنة، ويعتبر هذا أيضاً مقصراً ومخلًا بعمل من الأعمال المطلوبة. والوسط في ذلك هو أن ينوي الإنسان بقلبه الطهارة أو الدخول في الصلاة أو نحو ذلك فإذا فعل ذلك فإنه قد نوى، واعتبرت نيته صالحة كافية.

ومما أوقع الشيطان فيه كثيراً من الناس الغلو في القراءة في الصلاة. وأوقع آخرين في الجفاء فأفرط في القراءة ناس، وفرط في ذلك أناس آخرون. وكذلك في الأذكار وغيرها. فهناك أنا وسوس لهم الشيطان بأنكم لا تحققون القراءة والحروف إلا إذا نطقتم بها على هذا الكيفية، فإذا لم تفعلوا فقد اختلت قراءتكم واختلت أذكاركم وما إلى ذلك. فقد ذكروا أن بعضاً منهم يتكلف في النطق بالقراءة حتى إذا أراد أن ينطق بالضاد ونحوها أخرج بصاقه من شدة تكلفه وتشدده، عندما يقول: ولا الضالين، أو المغضوب، يكلف نفسه حتى يخرج لعابه وبصاقه من شدة تكلفه. ولا شك أن هذا ما أنزل الله به من سلطان. وهكذا أيضاً تكلفهم في النطق بالتكبير ونحو ذلك. حتى ربما يخرج الكلمة عن وضعها وما وضعت عليه، فيكرر الكاف ويشددها. فيقول: (الله أكبر)، وما أشبه ذلك. وعند قراءة التشهد والتحيات يشدد التاء فيقول: الت الت التحيات، أو نحو ذلك، حتى تخرج الكلمة

من وضعها وماهيتها التي وضعت عليها. ولا شك أن هذا تغيير الكلام عن وضعه وعن ماهيته وعما هو عليه.

ولا شك أن الذين يفرطون في ذلك أيضاً يقصرون. وذلك أن هناك من لا يأتون بالتكبير كما ينبغي فيأتي أحدهم بالكلمة دون أن يحقق حروفها، وكذلك في القراءة، دون أن يحقق حروفها وتشديدها. أما الدين الوسط فهو الوسط في القراءة والتكبير وفي التشهد، وفي سائر أركان الصلاة، لا إفراط ولا تفريط، لا غلو ولا تقصير. وهو أن تأتي بالقراءة بحروف بارزة ظاهرة يقرؤها اللسان دون تكلف في التشديد، ودون تكلف في المد، ودون تقعر وتشدق في تكلف الفصاحة، ودون تساهل في إتمام كثير من الحروف البارزة أو عجلة أو سرعة يختفي معها كثير من الحروف التي حقها الإبراز. بل لا إفراط ولا تفريط. فإذا قرأها قراءة مفهومة مسموعة حروفها ظاهرٌ شدُّها ومدُّها على ما ينبغي كان ذلك متوسطاً لا إلى الجفاء ولا إلى الغلو الذي قد يمل من العبادة ويوقع في تغيير الكلم وتحريفه عن وضعه.

وهكذا أيضاً في العبادات. فالصلاة مثلاً إذا نظرنا إلى بعض الأئمة الذين قد يريدون في الصلاة ويطلونها إطالة في الأفعال، قد تكون مملة في الأفعال أو في القراءة أو ما أشبه ذلك. فيملون ويضجرون من معهم من المأمومين، ويستثقلون صلاتهم وينفرون منهم. فهؤلاء في طرف، هؤلاء أهل إفراط وغلو وزيادة. وهناك طرف ثان يقصرون ويخلون، وينقرون الصلاة نقراً، ولا يطمئنون في حركاتهم ولا في أفعالها كما ينبغي، فلا تنعقد صلاتهم ولا تكون مجزئة فيكونون سبياً في إبطال صلاة من صلى معهم، ولو كثر الذين يرغبون الصلاة معهم. فهؤلاء في طرف وهؤلاء في طرف، ودين الله وسط، والصلاة المعتدلة متوسطة بين هؤلاء وهؤلاء. فالإمام يراعي حال المأمومين، فلا يطيل إطالة تملهم وتضجرهم، ولا يخفف تخفيفاً يخل بالعبادة فلا يأتي بأركانها ولا بواجباتها المطلوبة، ولا يطمئن فيها الطمأنينة الشرعية. بل الواجب أن يحرص على الاقتداء بالصلاة النبوية في القراءة وفي الأذكار وغيرها. وبذلك يكون متوسطاً بين الغالي والجافي. فهذا مما انقسم فيه الناس فصار أكثرهم في طرفي نقيض، وتوسط دين الحق بين ذينك الطرفين.



وهكذا لو تتبعنا كثيراً من الأعمال لوجدناها كذلك. لوجدنا مثلاً أن كثيراً من الناس قد يشقون على أنفسهم ويضجرونها في تحمل كثير من التطوعات التي بها يحرمون أنفسهم لذاها وراحتها التي أويحت لها وآخرون يقصرون فلا يأتون بشيء منها أصلاً. ودين الله وسط بين ذلك.

#### مثال واقعي

فذكر من ذلك قصة عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه التي في الصحيح فإنه كان في أول شبابه كثير العبادة، فشق على نفسه، فكان يصوم الشهر كله، فيصوم الدهر، وكان يصلي الليل كله، ويختتم القرآن في كل ليلة، في تهجده، وهذا فيه غلو، ومشقة وفيه تعب، يؤدي إلى أنه يفوت عليه حقوقاً واجبة. فبين له النبي ﷺ أن هذا غلو، وقال: إن لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لربك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه. وهذا لا شك أنه زيادة تُمل الإنسان من العبادة وتضجره وهناك آخرون لا يعرفون مثل هذه العبادات ولو كانت نوافل. فلا يصلي أحدهم نافلة أصلاً، ولا يصوم إلا ما فرض عليه، ولا يأتي بشيء من النوافل، ولا يتقرب بشيء من القربات، وكأنه غافل أو مستغن عن هذه العبادات ونحوها. فلا شك أن هذا في طرف، وذاك في طرف، فالذي كلف نفسه مشقة متطرف شديد التطرف. والذي تساهل في العبادات ولم يأت بشيء من العبادات المسنونة، ولم يتقرب بشيء من نوافلها، أيضاً متطرف غاية التطرف. ودين الإسلام وسط، وهو أن تتقرب إلى الله بقربات لا تكلف بها نفسك ولا تضرها بها ولا تحرمها من حقها، ومن الحقوق الواجبة عليك، وما أشبه ذلك. ولا تنس عبادة الله، ولا تشتغل بالملذات والشهوات عن حق الله، ولا تعط نفسك كل ما تشتهيه من لذة ونوم وشهوة بطن وشهوة فرج، كما أكل ومشرب وملبس، ونحو ذلك، فهذا أيضاً إفراط وتفريط.

#### التوسط في أمور العادات

أولاً: - لك أن تقيس أيها الأخ ذلك في كل شيء، حتى في الأمور العادية، كأمر المأكل والمشرب والملبس وما أشبه ذلك. فإن الإسلام جاء فيها بالتوسط. فمثلاً اللباس الذي هو

زينة للناس أنزله الله وامتن به على عباده بقوله: (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً). وهذا اللباس انقسم فيه الناس ثلاثة أقسام: طرفان ووسط. فتجد الطرف الأول وهم أهل البذخ والإفساد والإسراف قد يكون لباس أحدهم يتكلف بمئات. أو يبلغ الألف أو الألوف من ذكر أو أنثى، وهذا بلا شك إفساد وإسراف، وتبذير للمال في غير حق، ويعتبر إفراطاً وغلواً وزيادة، ولو أنه اقتصد واستعمل ما يكفيه وتصدق بهذا الزائد أو أنفقه في وجه من وجوه الخير لكان خيراً له. بينما هناك طرف آخر قد أنعم الله عليه ورزقه. ولكنه قصر على نفسه. روي أنه ﷺ رأى رجلاً عليه ثياب وسخة، أي بذلة وهوان، فسأله: أليس قد رزقك الله مالاً؟ فقال: بلى. قال: من أي أنواع المال؟ قال: من كل أنواع المال، من الإبل والبقر والغنم والخيول والرقيق. فقال فإذا آتاك الله مالا فلير نعمة الله عليك وكرامته رواه أحمد والنسائي عن أبي الأحوص عن أبيه وسنده صحيح. فكون الإنسان واحداً، وكون الإنسان غنياً ومع ذلك يقصر على نفسه، فيقتصر على ثياب دنسة وسخة متمزقة، قد تبدو منها عورته، يعتبر ذلك تقصيراً وإخلالاً. وخير الأمور أوسطها. وهو أن لا يسرف الإنسان في اللباس وأن لا يقصر في اللباس. بل الوسط بين ذلك، لا إفراط ولا تفريط.

ثانياً: - ونقول مثل ذلك أيضاً في المأكول. فتجد كثيراً من الناس يسرفون في الطعام، فيحشدون عند الطعام أصنافاً وأنواعاً من الأطعمة وكلها تذهب ولا تؤكل أو لا يؤكل منها إلا نزر قليل. وآخرين عندهم أموال، ولكن يدفعهم البخل والشح على أن يقصروا على أنفسهم وعلى أولادهم فيبيتون جوعاً، أو لا يأكلون إلا الدنيء الرخيص من الطعام ويحرم أحدهم أهله التلذذ بما أبيض من المأكول والفواكه والأطعمة المتوفرة بخلا وشحاً، والأموال عندهم يكسدونها، والوسط الخيار. الدين وسط بين هذا وذاك لا إسراف ولا تقتير، كما في قوله تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً).

ثالثاً: - وهكذا في الإقبال على الدنيا انقسموا إلى ثلاث طوائف، فقسم أكبوا على الدنيا وعظموا شأنها وركنوا إليها وأحبوها، وجعلوا دنياهم أكبر همهم ومبلغ علمهم وشغلوا بها أوقاتهم كلها وغلوا في حبها والتعلق بها وكأنهم قد نسوا الآخرة، بينما هناك آخرون قد

زهدوا فيها وانقطعوا عن الاشتغال بأمر هذه الحياة، ولكن زهادتهم أوقعتهم في أنهم تركوا مصالح أنفسهم وانعزلوا عن الناس وعما الناس فيها وأضاعوا من تحت أيديهم، فلم يكتسبوا ما يغنون به أنفسهم وأضاعوا أولادهم دون أن يعطوهم ويكسوهم أو يرزقوهم، وما أشبه ذلك. فهؤلاء أيضاً مخلون مقصرون. والأمر وسط بين ذلك. وهو أن الإنسان يطلب من الدنيا الكفاف والقوت، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً" أي لا إفراط ولا تفريط. فلا ينقطع عن الدنيا انقطاعاً كلياً بحيث يضيع نفسه، ويعرض نفسه للحاجة والتكفف وسؤال الناس، ويعرض أهله للجوع والظنك وضيق المعيشة. ولا يجعل همه كله مكباً على الدنيا صارفاً فيها هواه وأوقاته وحياته وناسيا آخرته وناسياً الأعمال التي تقربه إلى الله. لا هذا ولا ذاك. بل يشتغل لدنياء بقدر. ويشتغل لآخرته بقدر. ولا يبالغ في محبة الدنيا، المحبة التي تنسيه الآخرة، ولا يبالغ في التقصير فيها، التقصير الذي ينسيه حظ نفسه الذي أخبر النبي ﷺ بأن لنفسه حقا. فهذا أيضاً مثلٌ للغلو والجفاء، والإفراط والتفريط.

رابعاً: - ومن الأمثلة من هذا القبيل في كثر من المعاملات أن كثيراً من الناس يتعاملون ويتوسعون في بعض المعاملات لا يبالي أحدهم بأية معاملة، سواء كان غشاً، أم ربا، أم زيادة على غيره ما أنزل الله بها من سلطان، فمثل هؤلاء قد زادوا وتوسعوا في بعض المعاملات، فأفراطوا وتوسعوا بحيث يظن أنهم لا يعتقدون أن هناك معاملة حراماً، فعندهم الغش، والزيادة على المسلم وإيقاعه فيما يكتسبون من ورائه مالاً كل ذلك جائز ومباح لهم، يبيحون لأنفسهم ما لم يبيح لهم الشرع، بينما هناك من تشدد في باب المعاملات فامتنعوا عن أشياء أباحها الله، فامتنعوا عن البيع الذي أباحه الله، وامتنعوا عن الإجارة التي أباحها الله وامتنعوا عن التكسب والعمل الذي أباحه الله، واعتقدوا أن ذلك ممنوع، فوقعوا في التقصير والنقص، وأولئك وقعوا في الزيادة والغلو، والإفراط، وخير الأمور أوسطها، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

الخاتمة

وبالجملة نعرف أن السبب الذي أوقع هؤلاء وأولئك في الإفراط والتفريط كما ذكرنا وكررنا هو الشيطان ووسوسته يخرج هؤلاء وهؤلاء من العبادة، وحتى يعلمهم ويصرفهم عن كثير من العبادات ويثقلها عليهم، ويثقل عليهم المكاسب ونحوها. ويوقع هؤلاء في المحرمات، أو في المشتبهات التي تجر إلى المحرمات، فيحصل أنه أضل خلقاً كثيراً ليصدق على الناس ظنه، كما قال الله تعالى: (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين).

نسأل الله تعالى أن يبصرنا بالحق الذي هو دين الحق، والذي اختاره الله للأمة ديناً حقاً. نسأل الله سبحانه أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل. ونسأله أن يعيذنا من نزغات الشيطان وأوهامه ووساوسه، وأن يجعلنا ممن أنار قلوبهم بطاعته وبصرهم بالحق ودلهم عليه ورزقهم الهدى والاستقامة والسلوك إلى الصراط السوي الذي يؤدي بهم إلى النجاة في الآخرة، والله تعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.<sup>٢٠٩</sup>



---

<sup>٢٠٩</sup> - فتاوى الشيخ ابن جبرين - (٦٢ / ١) - الإسلام بين الإفراط والتفريط

## ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة

أولاً: ما ذكره الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في [مختصر السيرة] طرف من حديث صحيح مشهور رواه أصحاب السنن والمسانيد كأبي داود والنسائي والترمذي وغيرهم بألفاظ عدة منها: « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة »

وفي رواية: « على ثلاث وسبعين ملة » (١) وفي رواية: « قالوا: يا رسول الله، من الفرقة الناجية؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » (٢) وفي رواية قال: « هي الجماعة، يد الله على الجماعة » (٣) .

ثانياً: الفرقة الناجية قد بينها رسول الله ﷺ في بعض روايات الحديث المتقدم بصفتها ومميزاتها في جوابه على سؤال أصحابه: من الفرق الناجية؟ حيث قال: « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » (٤) ، وفي رواية أخرى قال: « هي الجماعة يد الله على الجماعة » (٥) ، فوصفها بأنها هي التي تسير في عقيدتها وقولها وعملها وأخلاقها على ما كان عليه النبي محمد ﷺ وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، فتنهج نهج الكتاب والسنة في كل ما تأتي وما تذر، وتلتزم طريق جماعة المسلمين وهم الصحابة رضي الله عنهم حيث لم يكن لهم متبوع إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فكل من اتبع الكتاب والسنة قولية أو عملية وما أجمعت عليه الأمة ولم تستهوه الظنون الكاذبة ولا الأهواء المضلة والتأويلات الباطلة التي تأباه اللغة العربية - التي هي لسان رسول الله ﷺ وبها نزل القرآن الكريم - وتردها أصول الشريعة الإسلامية، كل من كان كذلك فهو من الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة.

ثالثاً: أما من اتخذ إلهه هواه وعارض الكتاب والسنة الصحيحة برأيه أو رأي إمامه وقول متبوعه حمية له وعصبية، أو تأول نصوص الكتاب والسنة بما تأباه اللغة العربية وترده أصول الشريعة الإسلامية فشذ بذلك عن الجماعة فهو من الفرق الثنتين والسبعين التي

ذكر الرسول المعصوم محمد ﷺ بأنها جميعها في النار، وإذا فأمارة هذه الفرق التي بها تعرف: مفارقة الكتاب والسنة والإجماع بلا تأويل يتفق مع لغة القرآن وأصول الشريعة ويعذر به صاحبه فيما أخطأ فيه.

رابعا: المسألة التي ذكرها إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذكر أنها من أجل المسائل، وأن من فهمها فقد فهم الدين، ومن عمل بها فهو المسلم - هي ما تقدم بيانه في الفقرة الثانية من الإجابة، من تميز الفرقة الناجية بما ميزها به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الفرق الأخرى على خلافها، فمن ميز بين الفرقة الناجية والفرقة الهالكة بما ميز به النبي صلى الله عليه وسلم، وفهم الفرق بين الفرق الناجية والهالكة على وفق بيانه فقد فهم الدين وميز بين من يجب أن يلزم جماعتهم ومن يجتنبهم ويفر منهم فراره من الأسد، ومن أخذ نفسه بالعمل بهذا الفهم الصحيح فلزم جماعة الهدى والحق وإمامهم فهو المسلم؛ لأنه ينطبق عليه وصف الفرقة الناجية علما وعقيدة وقولا وعملا. ولا شك أن هذا من أجل المسائل وأعظمها نفعا وأعمها فائدة، فرحم الله الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رجل البصيرة النافذة والفهم الدقيق لنصوص الدين ومقاصده، حيث نبه على ما يهم المسلمين في أمر دينهم بالإشارة أحيانا كما هنا، وبالعبرة والبيان أحيانا أخرى كما في كثير من مؤلفاته.

خامسا: لم يجعل رسول الله ﷺ الألقاب التي اشتهرت بها الطوائف المنتسبة للإسلام سمات تعرف بها الفرق الثنتان والسبعون، ولا عنوانا يتمايز به بعضها عن بعض، وإنما جعل أمارتها مفارقة الكتاب والسنة وإجماع الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، اتباعا للظن وما تهوى الأنفس، وقولا على الله بغير علم وعصية لمتبوعهم سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعادون في ذلك ويوالون، كما جعل شعارا للفرقة الناجية اتباع الكتاب والسنة ولزوم جماعة المسلمين، وإيثار ذلك على مداركهم وظنونهم وأهوائهم، فهوهم تبع لما جاءت به الشريعة الإسلامية، يوالون في ذلك ويعادون، فمن يتخذ ميزانا يزن به الطوائف سوى بيان رسول الله ﷺ ويعرف به فرقها ليميز الفرقة الناجية من الفرق الهالكة فقد تكلم بغير علم وحكم في الفرق بغير بصيرة فظلم بذلك

نفسه، وظلم الطوائف المنتسبة للإسلام، ومن رجع في تمييز الفرقة الناجية من الفرق المهلكة إلى بيانه ﷺ عدل في حكمه وعرف أن جماعات الأمة درجات متفاوتة، فمنهم من هو أحرص على اتباع الشريعة والاستسلام لها وأبعد الناس عن الابتداع في الدين والتحريف في نصوصه، والزيادة فيه أو النقص منه فهؤلاء أسعد الناس بأن يكونوا من الفرقة الناجية، فعلماء الحديث وأئمة الفقه في الكتاب والسنة منهم من هو أهل للاجتهاد يحرص على الشريعة ويسلم لها إلا أنه قد يتأول بعض نصوصها تأويلاً يخطئ فيه فيعذر في خطئه لكونه في موارد الاجتهاد، ومنهم من ينكر بعض نصوص الشريعة، إما لكونه حديث عهد بالإسلام، وإما لأنه نشأ في أطراف البلاد الإسلامية فلم يبلغه ما أنكره، ومنهم من يرتكب معصية أو يتتبع بدعة لا يخرج بها عن حظيرة الإسلام، فهو مؤمن مطيع لله بما فيه من طاعة، مسيء بما ارتكب من معصية وابتدع من البدع فكان في مشيئة الله إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه، قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } (١) وقال: { وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ } فهؤلاء وهؤلاء ليسوا بكفار بتأويلهم الخاطئ أو جحدهم ما جحدوا بل يعذرون ويدخلون في عداد الفرقة الناجية وإن كانوا دون الأولى. ومنهم من جحد معلوماً من الدين بالضرورة بعد ما تبين له واتبع هواه بغير هدى من الله أو تأول بعض نصوص الشريعة تأويلاً بعيداً مخالفاً في ذلك من سبقه من جماعة المسلمين، ولما بين لهم الحق وأقيمت عليهم الحجة بالمناظرات وغيرها لم يرجعوا فهؤلاء كفار مرتدون عن الإسلام وإن زعموا أنهم مسلمون، وإن اجتهدوا في الدعوة إليه على عقيدتهم وطريقتهم؛ كجماعة القاديانية الأحمدية الذين أنكروا ختم النبوة بمحمد ﷺ وزعموا أن غلام أحمد القادياني نبي الله ورسوله، أو أنه المسيح عيسى ابن مريم، أو تقمصت روح محمد أو عيسى بدنه فكان بمثلته في النبوة والرسالة.

سادساً: لأهل السنة والجماعة أصول ثابتة بالأدلة يبنون عليها الفروع، ويرجعون إليها في الاستدلال على المسائل الجزئية وفي تطبيق الأحكام على أنفسهم وعلى غيرهم. ومنها: أن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فكلما زاد المسلم في الطاعة زاد

إيمانه وكلما فرط فيها أو ارتكب معصية بحيث لا ينتهي به ذلك إلى الكفر الصريح نقص إيمانه، فالإيمان عندهم درجات والفرقة الناجية طبقات متفاوتة بعضها فوق بعض حسب الأدلة وما كسبوا من الأقوال والأفعال. ومنها: أنهم لا يكفرون أحدا معينا أو طائفة معينة من أهل القبلة ويخرجون من ذلك؛ لإنكار النبي ﷺ على أسامة بن زيد بن حارثة قتله رجلا من الكفار بعد أن قال: لا إله إلا الله، ولم يقبل من أسامة اعتذاره عن قتله بأنه قالها متعوذا ليحرز بها نفسه. بل قال له: « أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا » (١) يعني: أقالها خالصا من قلبه أم لا. إلا إذا أتى بما هو كفر واضح، كإنكاره لمعلوم من الدين بالضرورة أو مخالفة لإجماع قاطع وتأويله لنصوص صريحة لا تقبل التأويل ثم لم يرجع عن ذلك بعد البيان.

وقد لزم إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله طريقة أهل السنة والجماعة وسار على أصولهم، فلم يكفر أحدا معينا ولا طائفة معينة من أهل القبلة بمعصية أو تأويل أو بدعة إلا إذا قام الدليل على الكفر بذلك، وثبت البلاغ والبيان، ولم تختلف الحكومة السعودية - رعاها الله وأيدها بتوقيفه - عن ذلك في معاملتها لرعيته وحكمها فيهم، ولا في موقفها من المسلمين في الدول وخاصة من يفد إلى بيت الله الحرام لأداء نسك الحج أو العمرة فهي تحسن الظن بالمسلمين وتعتبرهم إخوانا لها في الدين وتتعاون معهم على ما يشد أزهرهم ويحفظ حقهم ويرد إليهم ما سلب منهم، وترحب بمن يفد إليها وتقوم بما يسهل عليهم أداء نسكهم أو مهمتهم خير قيام بعطف وحنان، يعرف ذلك من خبر أحوالها ووقف على شؤونها وما تبذله من جهود وأموال في سبيل الإصلاح العام للمسلمين وتوفير الراحة لحجاج بيت الله الحرام .

ولهذا تسمح لطوائف المسلمين المختلفة بزيارة بيت الله الحرام دون التنقيب عما خفي من عقائدهم عملا بالظاهر دون التنقيب عما في البواطن، والله يتولى السرائر، فإذا وضع لها كفر شخص أو طائفة معينة كالقاديانية مثلا وثبت ذلك لدى العلماء المحققين من الدول الإسلامية فلا يسعها إلا أن تمنع من ثبت كفره وردته من أداء الحج والعمرة؛ حماية لبيت الله الحرام أن يقربه من في قلبه رجس، وعملا بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا



الْمُشْرِكُونَ نَعَسَ فَلَاحَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا { وقوله تعالى: { وَطَهَّرَ  
بَيْنِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ { (١)

ومما تقدم يتبين وجه أهمية المسألة العظيمة التي أشار إليها إمام الدعوة في عصره الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب وجاء طلب بيانه في السؤال، كما يتضح أنه رحمه الله سار على  
النهج السليم حيث لزم أصول أهل السنة والجماعة ، وإن الحكومة السعودية في معاملتها  
للمسلمين في العالم لم تحد عن الجادة، بل التزمت أصول أهل السنة والجماعة أيضا كما  
لزمها إمام الدعوة، فأخذت المسلمين بظواهرهم ولم تنقب عن قلوبهم، فتسامحت مع من  
خفي أمره وقست على من كشف عن جريمته، وأصر على رده بعد المناظرات المتتالية  
والبيان المتتابع.<sup>٢١٠</sup>



---

<sup>٢١٠</sup> - فتاوى اللجنة الدائمة - ١ - ( ٢ / ٢٢٠ ) ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة - فتوى رقم ( ٨٣٠ )

## هل الفرقة الناجية كلهم في الجنة؟

ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: « افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » فدل هذا الحديث على بيان الفرقة الناجية وأنها هي المتمسكة بالشرعية قولاً وعملاً واعتقاداً، ومن مات على هذا فهو من أهل الجنة قطعاً.<sup>٢١١</sup>



---

<sup>٢١١</sup> - فتاوى اللجنة الدائمة - ١ - ( ٢ / ٢٣٢ ) - السؤال الثالث من الفتوى رقم ( ٤٣٦٠ ) :

س٣: الحديث الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » (١) وهل هذه الفرقة كلها يدخلون الجنة ولا يخلد منهم أحد في النار أم لا؟

## هل الفرق الموجودة الآن تدخل في الفرق الضالة؟

دين الله واحد والطريق إليه واحد، فمن كان على دين الإسلام وعلى مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ فهو المصيب.<sup>٢١٢</sup>



---

<sup>٢١٢</sup> - فتاوى اللجنة الدائمة - ١ - (٢ / ٢٣٤) - السؤال الثاني من الفتوى رقم (٦٨٠٠) : س٢: كيف نفسر بزوغ وظهور هذه الطوائف الدينية إذا علمنا أن لكل طائفة طريقة في الدعوة وتريد أن تحتل الصدارة، وهل تدخل كلها أو بعضها في قوله صلى الله عليه وسلم: « ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » (١) إلخ، وكيف نوفق بين هذه الطوائف الإخوان المسلمين ، السلفية ، الخلفية ، التكفير والمجرة، التبليغ ، الصوفية ... إلى آخره

## حكم تعدد الجماعات الموجودة في الساحة

عليك بالسير على طريق أهل السنة والجماعة الذي أرشد إليه النبي ﷺ عند ظهور الفرق ، حيث قال ﷺ : « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة . قالوا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ، فعليك بالتزام الجماعة التي تسير على هذا الطريق . وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .<sup>٢١٣</sup>



---

<sup>٢١٣</sup> - فتاوى اللجنة الدائمة - ٢ - ( ٢ / ٤٢ ) - السؤال الثاني من الفتوى رقم ( ١٦٠٦٣ ) - س ٢ : ما حكم تعدد الجماعات الموجودة في الساحة ، وإذا كنت مقتنعا بفكر الجماعة الإسلامية وهذا تيار من ضمن التيارات . فهل أسير في هذا الطريق رغم معارضة والدي لي في هذا الموضوع ، وأتبع أقسما أن لا يرضيا عني أبدا إذا سرت في هذا الطريق . فما الحل ؟ .

## الفرقة الناجية

الحديث المشار إليه رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم من حديث النبي - ﷺ - قال: ((افترت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي))، وفي رواية: ((هي الجماعة))، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا حديث محفوظ.

وقد اختلفت أقوال العلماء في معنى الفرقة الناجية في هذا الحديث: فقال قوم: هم السواد الأعظم؛ فيشمل مجتهدي الأمة، وعلماءها، وأهل الشريعة العاملين بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم؛ لأنهم تابعون لهم، ومقتدون بهم. وقال قوم: هم أئمة العلماء المجتهدون، والمقصود بهم: العلماء الأعلام من أئمة الهدى، المتبعون للكتاب والسنة.

وقال قوم: هم الصحابة على الخصوص.

وخلاصة هذه الأقوال: أن المقصود بالفرقة الناجية:

من عصمهم الله تعالى من الاختلاف في أصول الدين وكتباته وقطعياته، وهم القائمون على الحق، الآخذون بالكتاب والسنة، السائرون على ما كان عليه النبي - ﷺ - وصحابته في الاعتقاد والسلوك والعمل؛ فهم أهل السنة والجماعة؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم))، قال عمران: لا أدري: أذكر النبي - ﷺ - بعد قرنين أو ثلاثة؟ قال النبي - ﷺ -: ((إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يؤفون، ويظهر فيهم السمن))؛ أخرجاه في الصحيحين.

أما بالنسبة للجماعات الإسلامية: فالمعيار الذي تقاس عليه هو اتباعها لمنهج السلف الصالح في الأصول والعقائد؛ يقول الشاطبي - رحمه الله - في الاعتصام: "وذلك أن هذه

الفرق إنما تصير فرقا بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزء من الجزئيات؛ إذ الجزء والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيئا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية"، ثم قال: "ومجرى القاعدة الكلية: كثرة الجزئيات؛ فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة، عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة".

ومن تأمل حال الفرق المنحرفة، وجدها تخالف أهل السنة والجماعة في معنى أو عدة معانٍ كلية، واعتبر ذلك بحال الخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والرافضة، وغلاة المتصوفة، وغيرهم؛ كالقول أن العمل ليس من الإيمان، أو حصر الكفر في التكذيب والجهود، أو نفي الصفات، أو التهوين من أمر مستبدل الشريعة أو الدفاع عنه أو الطعن في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أو تسويغ عبادة المقبورين، أو القول بوحدة الوجود، كل واحدة منها تعد من الأصول والمعاني الكلية المخالفة لمنهج الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة!!

ما لم يتخذ الانتساب للجماعة ذريعة إلى التحزب والتعصب للأسماء والشعارات، أو رفض الحق وإنكاره حين يأتي من خارج جماعته، أو امتحان الناس بهذه الأسماء، أو عقد الولاء والبراء عليها؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى": "بل الأسماء التي يسوغ التسمي بها؛ مثل انتساب الناس إلى إمام؛ كالحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، أو إلى شيخ؛ كالقادري، والعدوي، ونحوهم ... فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء، ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان، وأولياء الله - الذين هم أولياؤه - هم الذين آمنوا، وكانوا يتقون ... وقد جعل الله فيها - أي: في نصوص الكتاب والسنة - عبادة المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة، وجعلهم متناصرين متراحين متعاطفين، وأمرهم - سبحانه - بالائتلاف، ونهاهم عن التفرق والاختلاف؛ فقال: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا} [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: ١٥٩]؛ فكيف يجوز لأمة محمد - بعد هذا - أن

تفترق وتختلف؟! حتى يوالي طائفةً، ويعادي طائفةً أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى، وقد برأ الله نبيه ممن كان هكذا؛ فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين، واستحلوا دماء من خالفهم، وأما أهل السنة والجماعة: فهم معتصمون بحبل الله. وأقل ما في ذلك: أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه، وإن كان غيره أتقى لله منه، وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله، ويؤخر من أخره الله ورسوله، ويجب ما أحبه الله ورسوله، ويغض ما أبغضه الله ورسوله، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله، وأن يرضى بما رضى الله به ورسوله، وأن يكون المسلمون يداً واحدة".

وهو كلام ماتع يبين هدي الإسلام في مثل هذا الاختلاف، ولو عقله أفراد الحركات الإسلامية اليوم لكانت أبعد ما تكون عن التشرذم والتفرق، فليس الخطر في الأسماء السائغة شرعاً، وإنما الخطر في الممارسة الخاطئة للانتماء يجب على المسلم أن يكون على بصيرة في التعامل معها، وأن لا يقبل إلا ما وافق الكتاب والسنة، وأن يعتصم بفهم سلف الأمة، فإن الخير كله في اتباع من سلف، والشر في ابتداء من خلف. وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (الفتوى رقم ٧١٢٢) عن الجماعات وانضوائها تحت الفرقة الناجية؟

فأجابت: كل من هذه الجماعات تدخل في الفرقة الناجية إلا من أتى منهم بمكفر يخرج عن أصل الإيمان، لكنهم تتفاوت درجاتهم قوة وضعفاً بقدر إصابتهم للحق وعملهم به وخطئهم في فهم الأدلة والعمل، فأهداهم أسعدهم بالدليل فهماً وعملاً، فاعرف وجهات نظرهم، وكن مع أتبعهم للحق وألزمهم له، ولا تبخس الآخرين إخوانهم في الإسلام فترد عليهم ما أصابوا فيه من الحق، بل اتبع الحق حيثما كان ولو ظهر على لسان من يخالفك في بعض المسائل، فالحق رائد المؤمن، وقوة الدليل من الكتاب والسنة هي الفيصل بين الحق والباطل. وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.<sup>٢١٤</sup>



<sup>٢١٤</sup> - فتاوى موقع الألوكة - (١ / ) - العنوان: الفرقة الناجية - رقم الفتوى: ١٨٧٣

## كثرة الطوائف الزاعمة أنها الطائفة المنصورة

ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: سنن ابن ماجة الفتن (٣٩٩٢). افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة- يعني: كلها في النار إلا واحدة، وهم أتباع موسى عليه السلام- وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة- والمعنى: أن كلها في النار إلا واحدة، وهم التابعون لعيسى عليه السلام- قال: وستفترق هذه الأمة- يعني: أمة محمد عليه الصلاة والسلام- على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل: يا رسول الله، من هي الفرقة الناجية؟ قال: "الجماعة"، وفي لفظ: سنن الترمذي الإيمان (٢٦٤١). ما أنا عليه وأصحابي .

هذه الفرقة الناجية، الذين اجتمعوا على الحق الذي جاء به الرسول ﷺ واستقاموا عليه، وساروا على نهج الرسول ﷺ ونهج أصحابه، وهم أهل السنة والجماعة ، وهم أهل الحديث الشريف السلفيون الذين تابَعوا السلف الصالح، وساروا على نهجهم في العمل بالقرآن والسنة، وكل فرقة تخالفهم فهي متوعة بالنار.

فعليك -أيها السائلة- أن تنظري في كل فرقة تدعي أنها فرقة ناجية، فتنظري أعمالها؛ فإن كانت أعمالها مطابقة للشرع فهي من الفرقة الناجية، وإلا فلا.

والمقصود أن الميزان هو القرآن العظيم والسنة المطهرة في حق كل فرقة، فمن كانت أعمالها وأقوالها تسير على كتاب الله وسنة الرسول ﷺ فهذه داخلية في الفرقة الناجية، ومن كانت بخلاف ذلك؛ كالجهمية والمعتزلة والرافضة والمرجئة وغير ذلك، وغالب الصوفية الذين يبتدعون في الدين ما لم يأذن به الله، هؤلاء كلهم داخلون في الفرق التي توعدها الرسول ﷺ بالنار حتى يتوبوا مما يخالف الشرع.

وكل فرقة عندها شيء يخالف الشرع المطهر فعليها أن تتوب منه، وترجع إلى الصواب وإلى الحق الذي جاء به نبينا محمد ﷺ ، وبهذا تنجو من الوعيد، أما إذا بقيت على البدع التي أحدثتها في الدين ولم تستقم على طريقة الرسول ﷺ ، فإنها داخلية في الفرق المتوعة، وليست كلها كافرة، إنما هي متوعة بالنار، فقد يكون فيها من هو كافر لفعله شيئاً من



الكفر، وقد يكون فيها من هو ليس بكافر ولكنه متوعد بالنار، بسبب ابتداعه في الدين،  
وشرعه في الدين ما لم يأذن به الله سبحانه وتعالى.<sup>٢١٥</sup>



---

<sup>٢١٥</sup> - فتاوى نور على الدرب (ج ١، ص ١٤) - س ٣: كثرت الطوائف والفرق التي تزعم أنها هي الطائفة المنصورة، واشتبه على كثير من الناس الأمر، فماذا نفعل خاصة أن هناك فرقا تنتسب للإسلام كالصوفية والسلفية ونحو ذلك من الفرق فكيف نميز؟ بارك الله فيكم.

## ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة

كل طريقة وكل نخلة يحدثها الناس تخالف شرع الله، فهي داخلة في قول رسول الله ﷺ :  
صحيح البخاري الصلح (٢٥٥٠)، صحيح مسلم الأفضية (١٧١٨)، سنن أبو داود السنة  
(٤٦٠٦)، سنن ابن ماجه المقدمة (١٤)، مسند أحمد بن حنبل (٢٧٠/٦). من أحدث في  
أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وداخلة في الحديث الصحيح: سنن الترمذي الإيمان  
(٢٦٤١). ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل: ومن هي  
يا رسول الله؟ قال: الجماعة .

وفي رواية أخرى: سنن الترمذي الإيمان (٢٦٤١). ما أنا عليه وأصحابي فكل طريقة أو  
عمل أو عبادة يحدثها الناس يتقربون بها إلى الله ويرونها عبادة ويتبعون بها الثواب وهي  
تخالف شرع الله فإنها تكون بدعة، وتكون داخلة في هذا الذم والعيب الذي بينه رسول  
الله ﷺ .

فالواجب على جميع أهل الإسلام أن يزنوا أقوالهم وأعمالهم وعباداتهم بما قاله الله  
ورسوله، وما شرعه الله، وما ثبت عن الرسول ﷺ ، بما وافق الشرع وما جاء في كتابه  
وما ثبت عن رسوله ﷺ ويعرضوها عليها فهذا هو الحق المقبول، وما خالف كتاب الله،  
أو خالف السنة من عباداتهم وطرفهم فهو المردود، وهو الداخل في قول الرسول ﷺ :  
صحيح البخاري الصلح (٢٥٥٠)، صحيح مسلم الأفضية (١٧١٨)، سنن أبو داود السنة  
(٤٦٠٦)، سنن ابن ماجه المقدمة (١٤)، مسند أحمد بن حنبل (٢٧٠/٦). من أحدث في  
أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد .

وهذا كله يتعلق بما يتعبد به الناس، وبما يقصد به الناس القربى، أما ما أحدثه الناس من  
الصنائع والاختراعات كالسلاح، أو من المركوبات أو الملابس أو المأكول فهذا كله غير  
داخل في هذا، وإنما الحديث يتعلق بالعبادات التي يتعبد بها الناس، ويتقربون بها إلى الله،  
هذا هو المراد بقوله ﷺ : صحيح البخاري الصلح (٢٥٥٠)، صحيح مسلم الأفضية  
(١٧١٨)، سنن أبو داود السنة (٤٦٠٦)، سنن ابن ماجه المقدمة (١٤)، مسند أحمد بن

حنبل (٢٥٦/٦). من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وقوله: صحيح البخاري الصلح (٢٥٥٠)، صحيح مسلم الأفضية (١٧١٨)، سنن أبو داود السنة (٤٦٠٦)، سنن ابن ماجه المقدمة (١٤)، مسند أحمد بن حنبل (٢٧٠/٦). من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد .

ولكن يدخل في هذا الحديث أيضا: العقود المخالفة لشرع الله، فكل عقد يخالف شرع الله فإنه رد.<sup>٢١٦</sup>



---

<sup>٢١٦</sup> - فتاوى نور على الدرب - (١ / ١٨) حديث : ستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة

## لماذا لم يفسر الرسول القرآن درءاً للخلاف؟

لقد عرض السائل الكريم في سؤاله لعدد من الموضوعات، وفي بعض ما أورده مسائل كبار، ربما لم يمكن استيعابها في هذه الإجابة، فأرجو أن يكون فيما أذكره ما يفي بمبتغى السائل، ويضع يده على طريق الصواب.

فأما سؤالك عن عدم تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- للقرآن، فيغلب على ظني أن الذي حملك على مثل هذا السؤال ما رأيت من اختلاف واسع بين المنتسبين إلى الإسلام، فظننت أنه لو كان النبي -صلى الله عليه وسلم- فسر القرآن كاملاً لكان عصم الأمة من هذا الاختلاف، والجواب على هذا من جانبين:

أولهما: أن الاختلاف بين البشر سنة باقية، هي من لوازم وجودهم واجتماعهم، وهي قدر الله السابق، وله في ذلك الحكمة البالغة، والمشيمة النافذة، وهو تعالى يعلم أن هذا الاختلاف سيقع من الناس، ولو شاء لم يكن ذلك، وإنما أراد عز وجل ذلك؛ ليعلم بهذا من يطيعه ممن يعصيه، ويتلى عباده لينظر من يعظم أمره ممن يتعده، ولهذا خلق الإنس والجن، وأوجد الجنة والنار، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب.

ولو طردنا هذا الذي تقول في مسألة اختلاف المسلمين، لجاز لنا أن نسأل: لم قدر الله اختلاف الناس أصلاً، بين مؤمن وكافر، وبر وفاجر؟

ومتى أجبت عن هذا السؤال والإيراد، وبينت حكمة هذا الاختلاف، كان ما قلته هو الجواب عما استشكل عليك، ذلك أن الله -عز وجل- لو شاء لهدى الناس جميعاً، فكانوا أمة واحدة، لا خلاف بينها، كما قال عز وجل: "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" [النحل: ٩٣]، ولكن الله -تعالى- أراد أن يتلى عباده، ليعلم المؤمن من الكافر، والبر من الفاجر.

فمهما يكن من بذل للأسباب المانعة من الخلاف، فإنه لا بد أن يقع بين الأمة اختلاف وافتراق، كما أخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبوداود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠) وغيرهما، من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-

قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة".

ثانيهما: يجب لفت نظرك الكريم، إلى أن الخلاف بين أهل الإسلام في فهم كلام الله وسنة رسوله ﷺ -وإن كان واسعا- فإنه بحمد الله لم يوجب شقاقا ولا نزاعا؛ لأنه بقي في دائرة البحث العلمي والنظر الفقهي، الذي تتعدد فيه الرؤى وتتعدد الاعتبارات، وهؤلاء صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسلف الأمة من القرون المفضلة، ثم من تبعهم من علماء المسلمين وأئمة الدين، لم يقع بينهم شقاق أو نزاع، يخرج عن دائرة الاجتهاد والنظر في فهم كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم-، لأنهم متفقون على أصول الاعتقاد، وأصول العبادة، وأمهاات المسائل الشرعية، والخلاف الذي وقع بينهم سائغ في أصله، لم يوجب أن يضلَّ أو يُبدَّع بعضهم بعضا.

وأما ما وقع فيه أهل البدعة والضلالة، الذين تأولوا كتاب الله على غير وجهه، فإن من المهم أن تعلم -أخي السائل- أن هذا الخلاف لم يكن من جهة غموض دلالة القرآن والسنة، وعدم فهم مراد الشارع فيهما، بل هم أناس اعتقدوا عقيدة بهوى أنفسهم، وبنوا عليها رأيهم، وأصلوا عليها أصولهم، ثم طلبوا الدليل لها، فلما أعياهم ذلك بدأوا يأولون كلام الله، ويحرفون الكلام عن مواضعه، ومن كانت هذه حاله فلن يردعهم عن ضلالهم تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم- لجميع القرآن، ولو فعل، وخذ على سبيل المثال، من أنكر سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- جملة وتفصيلا، مقتصرًا على القرآن الكريم، ممن يسمون أنفسهم -كذبا- (قرآنيون) فهؤلاء يردون سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- من أصلها، ولا يقبلون شيئا منها، وإن كانت ثابتة، فإذا لو فسر النبي -صلى الله عليه وسلم- كامل القرآن كلمة كلمة، لم يمنعهم ذلك من مخالفة المسلمين.

ومثال آخر: تلك الفرق الباطنية المتعددة، التي تقوم أساسا على تفسيرات باطنية، تخالف الظاهر المدرك، ولا تجري على لغة العرب ونسقتها، فضلا عن مخالفتها لإجماع علماء المسلمين، فمثل أولئك لابد أن يقع خلاف معهم، لأن أسس الاستدلال والفهم والالتزام غير مشتركة، فلا بد أن تكون النتيجة غير متفقة.

وفي هذا السبيل الخلاف الذي أشرت إليه في سؤالك، بين أهل السنة والشيعة، فالخلاف بين الفريقين ليس خلافاً في فهم آية من كتاب الله، أو استدلال بحديث من أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو فرع من فروع الشريعة، بل الخلاف معهم أعمق من هذا، إنه خلاف في أصول الاعتقاد، ومصادر التلقي، ومنهج الاستدلال، مما يجعل الخلاف منظومة فكرية كاملة، فلو كتب النبي -صلى الله عليه وسلم-، -كما تقول أنت- سنته كاملة، وضبطها وراجعها، لما أغنى ذلك في الخلاف مع الرافضة -وهم غلاة الشيعة- لأنهم يقدحون في كل الصحابة، إلا نفراً قليلاً جداً، لا يبلغ العشرة منهم، فلو جئتهم بسنته مكتوبة، وقلت: هذا ما كتبه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لما قبلوها، زاعمين أن من كتبها ونقلها -وهم الصحابة- رضي الله عنهم- قد غيروا وبدلوا، بل هذا ما وقع فعلاً في كتاب الله -وقد أشرت أنت إلى ذلك- فمع أنه كان قد كتب عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وحفظ وضبط، فلم يغن شيئاً عند أهل الغلو منهم، فزعموا نقص القرآن وتحريفه.

وأما ما ذكرته من مسألة التلقي عن الصحابة والاحتجاج بأقوالهم، فهي مسألة أصولية بسطت في محلها من كتب الأصول ولها قيود وضوابط، ومن المهم أن تعلم أن الاحتجاج بأقوالهم، ليس لأنهم بشر مقدس لا يخطئ، بل هم يخطئون ويصيبون، ويؤخذ من قولهم ويرد، لا يختلف في ذلك أهل العلم، وإنما كان لأقوالهم في تفسير كلام الله تعالى مزية عن غيرهم لأمر، من أهمها:

أولاً: أنهم أهل اللسان الذين نزل به القرآن الكريم، فهم أهل العربية الناطقون بها، فمن المعقول أن يكونوا أولى من فهم كلام الله، وعرف مراده.

ثانياً: أنهم قد عايشوا الترتيل، وشهدوا مواقع نزول القرآن، وما احتف بذلك التزول من حوادث، وهذه مزية تجعلهم أعلم بمعاني الكلام، ومراد المتكلم به.

ثالثاً: أنهم لصحبتهم للنبي -صلى الله عليه وسلم- وطول ملازمتهم له، كانوا أعلم الناس بهذه الشريعة، وأدرى الأمة بمراد الشارع.

لهذه الأسباب، وغيرها مما لم أشر إليه، فلا يختلف أهل الإسلام؛ أنهم المقدمون على من سواهم، وأن قولهم حجة على من بعدهم. وأما مسألة الدقة في التدوين فلا أدري ما قصدك بها، لأنه لا توجد أمة على وجه الأرض، حفظت سنة نبيها وآثار سلفها، كما فعلت هذه الأمة، على نحو يدل أن ذلك من توفيق الله تعالى لها، وهدايته إياها، حتى سلكت هذا السبيل، وبنظرة خاطفة إلى دواوين السنة، والمؤلفات الخادمة لها، تدرك مدى الجهد العلمي الضخم، الذي بذله علماء السنة، وأساطين الدين، حتى حفظوا لنا سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بأسماء رواتها كلهم، على اختلاف بلدانهم، وتنوع أعصارهم، وتفاوت درجاتهم في العدالة والحفظ، بشكل مذهل معجب، مع العناية الفائقة بتمييز الصحيح من الضعيف، والمقبول من المردود.

ومع هذا التدوين والكتابة الدقيقة، فلم يكن الاعتماد على هذا فقط، بل هناك حفظ الصدور، حيث اشتهر في تاريخ تدوين السنة، عدد ضخم من الحفاظ المتقنين، الذين تربو محفوظاتهم من الآثار والسنن بأسانيدهم، عن عشرات الألوف، بل وبعضهم مئات الألوف، ولذا فلا شك عند علماء المسلمين، أن سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد حفظت لنا، حفظاً متقناً، نعلم معه ونميز به، ما قاله الرسول -صلى الله عليه وسلم- مما كُذِبَ عليه ونسب إليه.

وبقي أن أقول -أيها السائل الكريم-: ليس بين يدي طالب الحق، الباحث عن الهدى والنور، أو حتى من يدافع عنه، إلا أن يجتهد وسعه، ويخلص النية لله تعالى، ويسأله الهداية لما اختلف فيه من الحق، والله الموفق للصواب، الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.<sup>٢١٧</sup>



<sup>٢١٧</sup> - فتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (١ / ٣٠٠) - لماذا لم يفسر الرسول القرآن درعاً للخلاف؟ - المحيب د.

ناصر بن محمد الماجد

## حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة

إنه يصعب الشرح مفصلاً لأحاديث افتراق الأمة في مثل هذا الجواب، غير أنني سأبين لك ما يتسع المقام لبيان، وأحيلك على ما تجده في ثنايا هذا الجواب من المراجع، فأقول ومن الله أستمد العون والتوفيق:

أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن وقوع الافتراق والأهواء في هذه الأمة وحذر منه، ومن ذلك ما ورد في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة"، رواه أبو داود (٤٥٩٦) وابن ماجه (٣٩٩١) والترمذي (٢٦٤٠) وقال: حديث حسن صحيح.

وقد اختلف أهل العلم قديماً وحديثاً في الفرق الثنتين والسبعين الهالكة من هي، ومن يدخل فيها من الفرق التي ظهرت، ومن يخرج، وهل يمكن تعيينها نوعاً وعدداً وإحصاؤها على سبيل الحصر والتحديد.

أما الفرقة الناجية فليست موضع خلاف بين أهل العلم - والله الحمد -، فقد جاء تعيينها بالوصف حيث وصفها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنها من كان على ما عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضي الله عنهم -.

وقد اجتهد بعض أهل العلم في تعيين أصول الفرق الهالكة وتقسيم عددها على أصول الفرق الكبرى في زمانهم، قال ابن تيمية - رحمه الله -: ولهذا قال عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهما، أصول البدع أربعة: الشيعة، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، قالوا: والجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة، انظر مجموع الفتاوى (٤٤٧/١٧).

كما حاول بعضهم تسمية الثنتين وسبعين فرقة وتحديدتها كما فعل ذلك البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق، والشهرستاني في كتابه الملل والنحل، والسكسكي في كتابه البرهان، والملطي في كتابه التنبيه والرد، وابن الجوزي في كتابه تلبس إبليس وغيرهم. ويمكن القول بأن الفرقة يصدق عليها وصف المفارقة لأهل السنة والجماعة في حالتين:



إحداهما: فيما إذا خالفت أهل السنة والجماعة في أصل كلي أو قاعدة كلية من قواعد الشرع.

ثانيتها: فيما إذا خالفت في فروع كثيرة وجزئيات كثيرة مخرجة عن سمة أهل السنة وهديهم كبذع الشعائر والعبادات، إذا كثرت، وانظر في ذلك الاعتصام للشاطبي ج(٢/٢٠٠-٢٠١)، وانظر مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع للدكتور ناصر العقل ص٣٤-٣٥.

على أنه ينبغي أن يعلم أن الفرق الثنتين والسبعين المهالكة كلهم من أهل الوعيد المستحقين دخول النار بنص الحديث، لكن لا يلزم من ذلك أن يكونوا كلهم كفاراً، كما أنهم ليسوا كلهم خارجين عن الملة، قال ابن تيمية - رحمه الله -: (ومن قال إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات)، انظر مجموع الفتاوى (٢١٧/٧-٢١٨).

وقال أيضاً: وأما من يقول ببعض التجهم كالمعتزلة ونحوهم الذين يدينون بدين الإسلام باطناً وظاهراً فهؤلاء من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بلا ريب، وكذلك من هو خير منهم كالكلابية والكرامية، وكذلك الشيعة المفضلين لعلي - رضي الله عنه - ومن كان منهم يقول بالنص والعصمة مع اعتقاده بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - باطناً وظاهراً، وظنه أن ما هو عليه هو دين الإسلام فهؤلاء أهل ضلال وجهل، ليسوا خارجين عن أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، انظر مجموع الفتاوى (١٧/٤٤٨)، فليتنبه الفطن اللبيب إلى ضرورة معرفة الضوابط التي يحكم بها على المعين ببدعة أو فسق. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.<sup>٢١٨</sup>



<sup>٢١٨</sup> - فتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (٢ / ٤٠) - حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة - المحيب د. رشيد بن حسن الألعي

## ضوابط التعامل مع المخالف

ضوابط التعامل مع المخالف في العقيدة

أولاً: مقدمات مهمة:

١- العقيدة التي يجب على كل مسلم أن يعتقدوها ولا يجوز له مخالفتها هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وتسمى عقيدة الفرقة الناجية، وهي ما كان عليها نبينا -عليه السلام- وأصحابه الكرام، ودرج عليها أصحاب القرون المفضلة، ولا تزال إلى اليوم -بحمد الله- واضحة المعالم، بينة المسائل، محررة الأصول، معلومة الحدود، وقد كتب في بيانها وضبطها وشرحها عشرات المؤلفات -ولله الحمد والمنة-.

٢- ومن رحمته -تعالى- ورأفته بعباده أن السلف -رضوان الله عليهم- قد أجمعوا على تلك العقيدة، ولم يحدث بينهم نزاع، في أي من مسائلها بله أصل من أصولها وقواعدها، اللهم إلا جزئيات ملحقة يسع الخلاف فيها، كمسألة رؤية نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- لربه في الدنيا ونحوها مما ساغ فيه الاجتهاد، ومن تمام النعمة اتفاق السلف على منهج العقيدة أيضاً تلقياً وأداءً ودعوة إليها.

٣- أن العقيدة توقيفية مصدرها الكتاب الشريف، والسنة الصحيحة وإجماع السلف الصالح، قال الزهري -رحمه الله-: من الله الرسالة وعلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- البلاغ وعلينا التسليم (صحيح البخاري - كتاب التوحيد ٤٦).

٤- أن فهم العقيدة إنما يكون بفهم السلف الصالح، ووفق ما اعتقدوه وتعلموه من نبيهم -عليه السلام-، سيما مع سعة علومهم، وفرط ذكائهم وقوة إيمانهم، وحسن مقصدهم، وتام عدلهم -رضي الله عنهم-.

٥- لا ينبغي لطالب الحق أن يتلقى عقيدته مما هب ودب من الكتب والمصنفات، سيما كتب المقالات والفرق؛ لأن بعض أصحاب هذه المقالات قد أسسوها على أسس فلسفية ومنطقية ولم يؤسسوها على الأدلة الشرعية، ولكن الواجب تعلم العقيدة على علماء أهل السنة الراسخين، والاستفادة من تراث السلف ومصنفاتهم، كالإيمان لابن مندة، ولابن أبي

شبهة، والإبانة الكبرى والصغرى لابن بطة، وأصول الاعتقاد للالكائي، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرها كثير - بحمد الله -.

ثانياً: الاختلاف والتفرق:

١- أمر الله - تعالى بالوحدة والاتلاف، والاعتصام بالكتاب والسنة، وذم وعاب التفرق والاختلاف، ونهى عنه وحذر منه، فقال: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا" [آل عمران: ١٠٣]، وقال: "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات" [آل عمران: ١٠٥].

٢- يجب التسليم لقضاء الله وقدره بأن الاختلاف والافتراق سيقع في الأمة لا محالة، فقد أخبر المعصوم - عليه السلام - بذلك فقال: "تفرق اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرق أمي على ثلاث وسبعين فرقة" (رواه الترمذي (٢٦٤١) وغيره وقال حسن صحيح) وفي لفظ: "كلها في النار إلا واحدة" وجاء الحديث بألفاظ وطرق متعددة.

وهذا لا ينافي الأمر بالوحدة والاتفاق؛ لأن الخبر بل الأخبار الكثيرة جاءت في الصحيحين وغيرهما بأنه لا تزال طائفة من الأمة ظاهرة على الحق، لا يضرها من خذلها ولا من خالفها إلى قيام الساعة.

٣- ليس كل خلاف موجب للفرقة والتنازع، فالاختلاف اليسير فيما يسع فيه الاجتهاد أمر مقبول، بل قد حصل بين السلف شيء يسير من هذا سبق ذكره، وإنما الحذر من الاختلاف في الأصول والكلية (يراجع الاعتصام للشاطبي).

٤- أن الاختلاف قد يدعى مع كونه لا حقيقة له بالفعل، وإنما بسبب سوء فهم المسألة من قبل طرفين متنازعين، فيظن أحدهما أن عبارة السلف في تعريف الإيمان مثلاً أنه: قول وعمل، تخالف قول صاحبه أن الإيمان: قول وعمل واتباع للسنة مثلاً، كما نقل عن سهل ابن عبد الله التستري، فيتنازع الاثنان في مسألة لا خلاف فيها أصلاً.

٥- ليس كل من خالف السلف في مسألة أو مسألتين من مسائل العقيدة يخرج بالكلية من زمرة السلف، ويرمى بالبدع، فقد خالف إمام الأئمة ابن حزيمة وأبو ثور وغيرهما في

مسألة الصورة، فُبَيِّنَ خطؤهما بهدوء بلا قسوة، وبعدل بلا جور، ولم يُخرجهما من أهل السنة والجماعة بسبب زلة أو زلتين.

٦- لزوم الحذر من الوقوع في الخلاف بسبب الهوى والجهل والظلم، إذ كثير من الخلافات تنشأ نتيجة هذه الأمور الثلاثة والله المستعان.

ثالثاً: ضوابط في معاملة المخالف:

١- العدل: قال الله: "وإذا قُلتُم فاعدلوا" [الأنعام: ١٥٢]، وقال: "وإذا حكمتُم بين الناس أن تحكموا بالعدل" [النساء: ٥٨]، فلا نتجاوز الحدود، ونهضم الحقوق، ونلغي الحسنات بسبب خلاف يسير، يمكن تجاوزه بل إصلاحه بشيء من الصبر والحكمة.

٢- المناصحة والرفق: قال -عليه السلام-: "الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابيه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" (رواه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري -رضي الله عنه-).

فمن وجدناه مخالفاً في مسألة ما وتحققنا مخالفته فيها بذلنا له النصيحة في قالب من الرفق واللين، والرحمة والشفقة، بعيداً عن التشنج والانفعال والغلظة والقسوة.

٣- الدعاء له بإخلاص: قال الله -تعالى-: "اهدنا الصراط المستقيم" [الفاتحة: ٦]، وقال: "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا" [آل عمران: ٨] وهو دعاء بصيغة الجمع في الآيتين، وفيه إشارة إلى مفهوم الجسد الواحد.

فلو أن كل من خالفنا طلبنا من الله له الهداية، وصدقنا في دعائنا له لقلت بواعث الخلاف والفرقة.

٤- البعد عن التبديع والتفسيق: ليس كل خلاف يستدعي وصم صاحبه بأنه مبتدع، ومفارق للجماعة، كما أنه ليس كل من نصر مذهب إحدى الفرق في بعض المسائل يجعل منهم وينسب إليهم، فابن حجر قال بقول الأشاعرة في جملة من الصفات وكذا فعل النووي ومع ذلك لا يعدان أشعريين، وإن زعمه البعض.

٥- يجب التفريق بين المخالف والمتعصب وطالب الحق، فهناك من يخالف حمية وهوى وعصبية، وتقليداً وآخر يخالف اجتهاداً أو غفلة أو سوء فهم أو ملبساً عليه، فالأول يهجر

إن غلظت بدعته واستعصت استجابته والآخر يحفظ حقه في الوصل ودوام النصح حتى يراجع الحق.

٦- يجب التفريق بين المخالفة والبدعة المغلظة، وغيرها، فهناك بدع كبرى كالتجهم والرفض ونحوها، فيعامل أصحابها بما يناسب حالهم، وتبين معتقداهم حتى تحذر وشخص معتنيها حتى تمجر، وخصوصاً مع خاصتهم وكبرائهم، وأما العامة فلا بأس من دعوتهم إلى الإسلام وإقناعهم به لمن قوي على الدعوة، وعرف ما يدعو إليه وما يحذر منه.

٧- الاختلاف في مناهج الدعوة والإصلاح قد تقع من أصحاب العقيدة الواحدة، لا ينبغي أن يكون الاختلاف في وسائل الدعوة وطرائقها المتنوعة مستنداً للتبديد والتفسيق والتصنيف والافتراء، طالما أن العقيدة واحدة والدعوة إليها هدف، والبراءة من مخالفتها مطلب، والخلاف في الوسائل محل اجتهاد ونظر.

٨- الرد إلى الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- قال الله: "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" ولفظة "شيء" [النساء: ٥٩] نكرة في سياق الشرط فتعم كل شيء، والله أعلم وصلى الله وسلم على رسوله وآله وصحبه.<sup>٢١٩</sup>



---

<sup>٢١٩</sup> - فتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (١٣ / ٨٩) - ضوابط التعامل مع المخالف - المجيب د. رياض بن محمد المسميري

## لا تجتمع أمتي على ضلالة

أما حديث: "لا تجتمع أمتي على ضلالة" قد ورد بروايات عديدة؛ فقد رواه أحمد (٢٥٩٦٦) والطبراني في الكبير (٢١٧١) عن أبي بصرة الغفاري -رضي الله عنه-: "سألت الله -عز وجل- أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها...".

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٨٢)، والطبراني (٣٤٤٠)، عن أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه-: "إن الله أجاركم من ثلاث خلال؛ أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة".

ورواه الترمذي (٢٠٩٣)، والحاكم (١٩٩/١-٢٠٠)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣) وأعله اللالكائي في السنة، وابن مندة، ومن طريقه الضياء عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: "إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبداً، وإن يد الله مع الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم، فإن من شذ شذ في النار".

ورواه عبد بن حميد (١٢٢٠)، وابن ماجه (٣٩٤٠) عن أنس -رضي الله عنه-: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم".

ورواه الحاكم (٢٠١/١-٢٠٢) عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: "لا يجمعُ الله أمتي على الضلالة أبداً، ويد الله على الجماعة".

وبالجملة، فالحديث مشهور المتن وله أسانيد كثيرة وشواهد عديدة في المرفوع وغيره. أما فيما يتعلق بشرح هذا الحديث، وهل يطبق على واقع المسلمين اليوم، فقد ذكر الشيخ الألباني -رحمه الله- في معرض كلامه حول هذا الحديث. أن: "... هذا الحديث يستدل به بعض الخلف على خلاف الحق؛ يستدلون به على الاحتجاج بالأخذ بالأكثرية -بما عليه جماهير الخلف- حينما يأتون بقوله عليه السلام: "لا تجتمع أمتي على ضلالة"، لا يصح تطبيق هذا الحديث على الخلف اليوم على ما بينهم من خلافات جذرية، "لا تجتمع أمتي على ضلالة" لا يمكن تطبيقها على واقع المسلمين اليوم، وهذا أمرٌ يعرفه كل دارس لهذا الواقع السيئ، يُضاف إلى ذلك الأحاديث الصحيحة التي جاءت مبينة لما وقع فيمن

قبلنا من اليهود والنصارى، وفيما سيقع في المسلمين بعد الرسول -عليه الصلاة والسلام- من التفرق، فقال صلى الله عليه وسلم: "افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة" قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "هي الجماعة" هذه الجماعة: هي جماعة الرسول -عليه الصلاة والسلام- هي التي يمكن القطع بتطبيق الحديث السابق: "لا تجتمع أمي على ضلالة" أن المقصود بهذا الحديث هم الصحابة الذين حكم الرسول -عليه الصلاة والسلام- بأنهم هي الفرقة الناجية ومن سلك سبيلهم ونحنا نحوهم، وهؤلاء السلف الصالح هم الذين حذرنا ربنا -عز وجل- في القرآن الكريم من مخالفتهم ومن سلوك سبيل غير سبيلهم في قوله عز وجل: "وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" [النساء: ١١٥]. والله أعلم.<sup>٢٢٠</sup>



---

<sup>٢٢٠</sup> - فتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (١٦ / ٢١٠) - حديث: لا تجتمع أمي على ضلالة - المحيَّب د. رفعت فوزي عبد المطلب

## ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة

قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) لا يعني أنها كلها مخلدة في النار؛ بل تبتدع بدعة توجب التخليد في النار أو بدعة يستحق بها العبد أن يدخل بها النار ولكنه لا يخلد فيها، فكون حاله حسب البدعة التي ارتكبها وخالف فيها ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. السائل: وواحدة في الجنة، أي: لا يدخل رجل من الفرقة الناجية النار؟ الجواب: قد يدخل في النار وإن دخل لم يخلد فيها. السائل: كيف نفهم هذا؟ الشيخ: نقول -مثلاً- الناس أربعة أقسام: أولاً: مبتدع خالص ليس عنده سنة إطلاقاً، فهذا يخلد في النار ولا إشكال فيه. ثانياً: مبتدع مختلط، فهذا يستحق أن يدخل النار ولكنه لا يخلد فيها.

ثالثاً: سني خالص، فهذا يدخل الجنة ولا يستحق أن يدخل النار وإن دخلها بمعاص أخرى لم يخلد فيها.

رابعاً: سني مختلط وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً [التوبة: ١٠٢] فهذا يستحق أن يدخل النار ولكنه لا يخلد.<sup>٢٢١</sup>



---

<sup>٢٢١</sup> - لقاءات الباب المفتوح - (١٩ / ١٨) - توضيح حديث: (ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة...):



## فكرة ترقية الإسلام في العقيدة والمنهج

المنهج -بارك الله فيك- مبني على العقيدة، فمن كانت عقيدته سليمة؛ فسيكون منهجه سليماً بلا شك؛ لأن النبي ﷺ لما ذكر: (افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: مَنْ هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثلما أنا عليه وأصحابي) ، فقلوه: (على مثلما أنا عليه وأصحابي) يعني في العقيدة والمنهج والعمل وكل شيء، ولا يمكن أن يختلف هذا وهذا، فمثلاً الإخوانيون والتبليغيون والإصلاحيون وغيرهم، إذا كان منهجهم لا يخالف الشريعة؛ فلا بأس به، وإذا كان يخالف الشريعة؛ فإنه لا بد أن يصدر عن عقيدة؛ لأن كل عمل له نية، فإذا اتخذ إنسان منهجاً مخالفاً لمنهج الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين؛ فمعناه: أن عقيدته غير سليمة، وإلا متى سلمت العقيدة سلم المنهج. ثم إنه بهذه المناسبة أود أن أقول: إن من البلاء الذي حل بالأمة، ولا سيما في الوقت الحاضر، التفرق والتشتت، هذا ينهج منهج فلان، وهذا ينهج منهج فلان، وليتهم يدع بعضهم بعضاً، بل تجد كل واحد يضلل الثاني، وربما يكفره في أمور ليست ضلالاً، وليست كفراً، وهذه بلوى ضُربت بها الصحوة الإسلامية التي كنا نؤمل فيها خيراً قبل سنوات قليلة، الآن أصبح كثير من الشباب متفرقين، ربما يُغض هذا الأخ الشاب الذي يريد الحق مثلما يريده، أشد مما يُغض الإنسان الفاسق، نسأل الله العافية، كل هذا لا شك أنه من وحي الشيطان، وأوامره، فالواجب علينا أن يأتلف بعضنا إلى بعض وأن نجلس ونبحث، من كان على حق نصرناه، ومن كان على باطل بيناه له؛ لكن إذا قال: أنا لا أعرف إلا هذا وهذا وهذا اجتهادي، وله مسوغ في اللغة العربية، وفي الشرع؛ فإننا لا نضله، والحمد لله الأمر واسع.<sup>٢٢٢</sup>



<sup>٢٢٢</sup> - لقاءات الباب المفتوح - (١٢٨ / ٢٤) - فكرة ترقية الإسلام في العقيدة والمنهج

## المذاهب الأربعة ليست من الفرق الثلاث والسبعين

لا يدخل في هذا، مراد الرسول ﷺ بثلاث وسبعين فرقة في الذين يضللون الفرق،  
والمذاهب الأربعة لا يضلل بعضهم بعضاً.<sup>٢٢٣</sup>



---

<sup>٢٢٣</sup> - لقاءات الباب المفتوح - (٢٨ / ١٢٩) - المذاهب الأربعة ليست من الفرق الثلاث والسبعين -

السؤال: ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (افتقرت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافتقرت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفتقر أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة) هل يدخل في هذا الوعيد من يتحصن بمذهب معين، مثل: المذاهب الأربعة؟

## مجالات الوحدة الإسلامية وسبل الاستفادة منها

إن الأمة الإسلامية - بإذن من الله وقدر- تسلمت قيادة ركب البشرية منذ أن تكونت على يدي معلم البشرية وهاديها محمد (ﷺ) ، واستمرت على ذلك دهوراً طويلة ، ولكنها فقدت تلك المتلة شيتاً فشيتاً ، حتى أصبحت في أيامنا على الحال التي نعرفها ونشاهدها ، ذلت بعد عزة ، وجهلت بعد علم ، وضعفت بعد قوة ، وأصبحت في ذيل القافلة بعد أن كانت في طليعتها ، وأخذت تتسول على موائد الفكر الإنساني بعد أن كانت منارة تهدي الحيارى والتائهين ، وأخذت تضطرب في سيرها وتتأرجح في فكرها ، ولا تعرف السبيل الذي تسلكه بعد أن كانت الدليل الحاذق الرائد في الدروب المتشابكة في الصحراء التي لا يهتدي فيها الأدلاء المحربون.

وجاء الذين آلمهم حال أمتهم من أصحاب الفهم الثاقب ، والبصر النافذ ، والرأي السديد يفكرون في حال هذه الأمة في ماضيها وحاضرها ، فهالهم الأمر ، فالبون بين الحاليين بعيد والفرق كبير. لقد جرب عالمنا الإسلامي مختلف الأنماط في عصرنا هذا ، فقد تسلط على رقابنا جماعات وأحزاب وعدتنا بأنها ستعيد لنا عزتنا وكرامتنا وإنها ستنتهي مشكلاتنا ، وتجمع شملنا ، وتوحد مجموعنا ، وننظر إلى حالنا وقد مضى على الأمل الموعود وقت طويل فلا نرى إلا السراب ، لقد كان حظنا مما وعدنا به مزيداً من الفرقة والانقسام والتأخر ، فقد أصبحت الأمة الواحدة أمماً ، والدولة دولة ، وانتشر الفقر ، وازدادت التعاسة في كثير من ديار المسلمين ، وضاع كثير من هذه الديار عندما استولي عليها أعداء الله من الشيوعيين والصليبيين واليهود.

لقد تبين لنا تبيناً لا لبس فيه فشل دعاة الوطنية ودعاة القومية ، كما فشل الاشتراكيون والبعثيون ، ولم يبق إلا الإسلام.

لقد نجح الإسلام في الماضي عندما حكم هذه الديار -ديار الإسلام- نجح في إيجاد مجتمع مثالي في عالم البشر ، فقد أوجد كيانا سعدت به البشرية ، وترعرعت في جنباته القيم

الصالحة ، وتناسى المسلمون في ظله العصبية للأقوام والأجناس والأوطان ، وأصبحوا في ظله إخوة ، ولاؤهم لله رب العالمين.

لقد أضاع المسلمون الكثير من تعاليم دينهم ، وانحرف بهم المسار ، واستبدلوا به عادات موروثة ، وعادات وفلسفات وتوجهات وافدة ، فكان ثمار ذلك الفرقة والانقسام والهزائم العسكرية والفكرية.

واليوم صحا المسلمون من جديد يحاولون تنظيم صفوفهم ، وتلمس طريقهم ليحملوا الراية من جديد ، غير أن الطريق ملئ بالصعاب مخوف بالمخاطر ، فالأعداء متربصون بنا من كل جانب يرصدون حركاتنا ، ويقرؤون كتاباتنا ، ويدرسون أفكارنا ، ثم يأترون ويخططون ، ويرسلون إلينا سهامهم ، وبعض سهامهم رجال من هذه الأمة ، يدعوننا إلى الدمار وغضب الجبار ، وقد أصيب جموع كثيرة من هذه الأمة ، كما أصيب الدعاة الصالحون فيها بسهام الأعداء ومكرهم وخديعتهم.

أضيف إلى ذلك الجهل الذي انتشر في ربوع العالم الإسلامي ، والأمراض الفكرية الهائلة التي يعاني منها المسلمون في هذه العالم الرحب ، كل ذلك يؤخر المسيرة ، ويضعف تيارها ، ويجعلنا نعاني معاناة هائلة ونحن نشق طريقنا إلى الأمام.

وهذا البحث يسلط الضوء على المكانة الفضلى التي استحققتها هذه الأمة ، والسري في استحقاقها لها ، ثم يبين السبب الذي عزل الأمة عن المكانة التي كانت تحتلها ، وقد أعاد الباحث هذا إلى سبب واحد هو الفرقة بأنواعها : الفرقة في الدين والاعتقاد ، والفرقة التشريعية ، والفرقة السياسية.

كما سلط الضوء على الطريق الذي يعيد للأمة عزها من جديد ، ويرقي بها إلى المكانة التي كانت تحتلها ، وقد أعاد الباحث هذا إلى سبب واحدة هو الوحدة بكل أنواعها وشتى مجالاتها وأصولها هذه الوحدة : الانتماء للإسلام دون سواه ، وتوحيد مصدر الهداية ، ووحدة العقيدة ، والوحدة السياسية المتمثلة في إقامة الدولة الإسلامية وإرجاع الخلافة الراشدة.

وختمت البحث بكلمة موجزة ، لإلقاء الأضواء على طرق الدعاة التي سلكوها في عملهم في مجال الارتقاء إلى المستوي الذي يطمعون في بلوغها إليه.

وفق الله العاملين بالإسلام إلى توحيد الوجهة والعمل ، وإلى توحيد الصفوف ، وحرصها ، وسد الثغرات ، وتقويم النفوس وبناء الأمة بالإسلام ، كي ستعيد الأمة مجدها من جديد.

فضل الأمة الإسلامية

قال تعالى مبينا فضل هذه الأمة : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } . (البقرة : الآية ( ١٤٣ ) ) .

وأصل الوسط الموضع الذي هو الجزء بين الطرفين.

والوسط مركز الاتزان والاعتدال ، يقول الزمخشري في هذا : ( الوسط عدل بين الأطراف ، ليس بعضها أقرب من بعض ) . ( الكشف : ٣١٧/١ )

وقد تعارف الناس على ذم الذي يمسك أحد طرفي الشيء ولا يلزم موضع الاعتدال ، فتراهم يقولون : فلان متطرف في أمره في مقام الذم ، كما يقولون : فلان معتدل في مقام المدح.

والسر في ذلك أن العباد في أكثر أحوالهم ينجحون إلى الإفراط أو التفريط ، فترى بعضهم ينجح إلى الغلو في الرهينة والتعبد حتى يتركوا الزواج والملذات ويسكنوا الفياقي والقفار ، وآخرون يغرقون في العب من الشهوات بالملذات بعيدا عن مقاصد الشرع وضوابطه ، واتباع المنهج الوسط الذي يحقق الاعتدال والاتزان يقضي بأن يعيش المرء في دنياه آخذا منها قدرا أباحه الله من الطيبات في الوقت الذي يؤدي حق ربه ، ويكون همه تحقيق مراد الله منه.

يقول الطبري في تفسير الوسط : ( وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضوع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين طرفين ، مثل وسط الدار ، وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين ، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلو بالترهب ، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه ، ولا هم مقصرون فيه تقصير اليهود ، الذين بدلوا كتاب الله

، وقتلوا أنبياء الله ، وكذبوا على ربهم وكفروا به ، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه ، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها ) . ( تفسير الطبري : ٦/٢ )  
والوسط هو الأفضل والأحسن لأمرين :

الأول : أن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعوار ، والأوساط محمية محوطة ، كما يقول الزمخشري (تفسير الزمخشري : ٣١٧/١) ، ومنه قول الطائي :

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا  
والثاني : أن الوسط هو مركز الاعتدال والاتزان ، فالعرب تقول : قريش أوسط العرب نسبا ، أي أفضلها ، والرسول ( ﷺ ) وسط قريش ، أي أفضل قريش نسبا ، وفي هذا يقول زهير بن أبي سلمى : ( تفسير الطبري : ٦/٢ )

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم  
وفي محكم التزويل { قَالَ أَوْسَطُهُمْ } . ( القلم : الآية ( ٢٨ ) ) أي خيرهم ، وقال تعالى :  
{ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } . (البقرة : الآية ( ٢٣٨ ) )  
((

والصلاة الوسطى صلاة العصر كما ثبت في بعض الأحاديث ، وما حث على الالتزام بها إلا لأنها أفضل من بقية الصلوات. وفي الحديث أن الفردوس وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن.

وقد صرح الحق -تبارك وتعالى- بأفضلية هذه الأمة على غيرها من الأمم مما يدل على أنه عني بالوسطية الأفضلية ، وهذا التصريح جاء في قوله تعالى { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } . (آل عمران : الآية ( ١١٠ ) ) .

وصرح في موضع آخر باجتماع هذه الأمة واصطفائه لها ، ولا يكون الاصطفاء والاجتماع إلا لفصلها وعلو شأنها ، قال تعالى : { هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } . ( الحج : الآية ( ٧٨ ) ) .

سر هذا الفضل

أن هذا التفضيل الذي صرحت به النصوص ليس اعتباراً ، وإنما كان لأن الأمة الإسلامية استقامت على منهج الله ، فالإسلام هو الذي صنع هذه الأمة ، فقد بني عقيدتها ، ورسم منهجها وطريقها ، وأقام أخلاقها وقيمها ، وتأمل في قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } . ( البقرة : الآية ( ١٤٣ ) ) . نجد أن كلمة ( جعلناكم ) ليس معناها خلقناكم ، وإنما المعنى الصحيح هو صيرناكم أمة وسطاً ، وإنما صيرها الله كذلك بدينه المتزل ، عندما استقامت على الخصائص التي رسمها رب العالمين ، وتستطيع أن تلاحظ هذا المعنى في قوله تعالى : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } . ( آل عمران : الآية ( ١١٠ ) ) .  
فها هنا مخرج وهو الله ، ومخرج وهو هذه الأمة ، وأداة حصل بها الإخراج على هذا النحو وهو الإسلام ، فبالاستقامة على الإسلام تحققت الأفضلية.

إذن ليست الأفضلية والخيرية لقبا أطلق على هذه الأمة من غير مضمون ، ولكنه عنوان لحقيقة تجسدت في هذه الأمة ، فقد سما هذا الدين بهذه الأمة في عقيدتها وتفكيرها وتوجهات قلوبها وأقوالها وأعمالها ونظمها ، حتى مثلت النموذج الفاضل الذي يريده الله تبارك وتعالى للبشرية.

وهذه الأفضلية مرهونة باستمرار هذه الخصائص في هذه الأمة ، فإذا تدنت هذه الخصائص أو انحرفت أو زالت ، فإن الخيرية تتناقض أو تضمر أو تضعف. وهذا هو السر في تخلف هذه الأمة في عصرنا ، والسبب فيما أصابها من فرقة واختلاف ، وما رامها به الأعداء من بلايا ومصائب.

أن أفضلية هذه الأمة تتلخص بأخذها بهذا الدين في نفسها ، ودعوة الناس إلى الحق الذي قرره هذا الدين ، ونهيهم عن الباطل الذي نهاهم عنه هذا الدين ، مع تحقيق الإيمان وفق ما جاء به الإسلام { تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } . ( آل عمران : الآية ( ١١٠ ) ) :

لِمَ عَرَفَ اللهُ الأمة الإسلامية بمكانتها وفضلها ؟

إن الحياة الإنسانية مجال صراع رهيب بين الأمم المختلفة ، وكل أمة تدّعي أنها الأفضل والأكمل ، وأنها تستحق أن تغلب وتسود ، وقد أخبر الله هذه الأمة بمكانتها كي لا تذلل

في مجال الصراع ، ولا تهنون في ميدان الخصام { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } . ( سورة آل عمران : الآية ( ١٣٩ ) ) لقد ادَّعى كل من اليهود والنصارى والوثنيين أنه الأفضل والأكمل ، وأن غيره ليس على شيء { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ } . ( سورة البقرة : الآية ( ١١٣ ) )  
والذين لا يعلمون : هم مشركون العرب.

وغلا اليهود والنصارى في دعواهم عندما ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه { وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ } . ( سورة البقرة : الآية ( ١١١ ) ) ، وادعوا أن الجنة وقف عليهم { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ( سورة المائدة : الآية ( ١٨ ) ) ورتب كل فريق على دعواه مطالبة غيرة باتباع منهجه : { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } . ( البقرة : الآية ( ١٣٥ ) ) ولا تزال الأمم المختلفة إلى اليوم تدعي هذه الدعوى ، لقد رفع هتلر شعار ألمانيا فوق الجميع ، والشعب الأمريكي اليوم يشعر كأنه من طينة أخرى غير طينة البشر ، وروسيا تدعي أنها جاءت العالم بإكسير السعادة.

إن اليهود كانوا في ميزان الله خير الأمم عندما استقاموا على الشريعة التي أنزلها الله تبارك وتعالى : { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } . ( البقرة : الآية ( ٤٧ ) ) { وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } . ( الدخان : الآية ( ٣٢ ) ) . والنصارى كانوا أصحاب رسالة لهم في ميزان الله فضل عندما استقاموا على الدين الذي أنزله الله إليهم { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ } . ( الصف : الآية ( ١٤ ) ) . ولكن اليهود والنصارى انحرفوا عن المسار ، وتنكبوا الجادة ، فأصبح اليهود مغضوبا عليهم ، والنصارى ضالين ، وهو في ميزان الله من الخاسرين ، لقد غيروا



وبدلوا فلعنهم الله ، وغضب عليهم ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وهو لا يمثلون اليوم  
 الفئة الفاضلة في ميزان الحق ، وقد جاءت هذه الأمة من بعدهم لتكون الأمة الفاضلة.  
 وإذا أنت رجعت إلى سورة البقرة ، وإلى ما حدثنا الحق فيها عن أهل الكتاب ، تري أن  
 القرآن كشف لنا عن الدعوى المضللة التي يدعيها أهل الكتاب من أنهم الأفضل والأصلح  
 ، وبين أنها دعوى زائفة ، ذلك أن أهل الكتاب انحرفوا عن الخصائص التي كانت ترفعهم  
 إلى مصاف الأمة الفاضلة وسرت فيهم العلل والأدواء التي شوهت العقيدة الصافية ،  
 والشريعة المتزلة ، واحتلت عندهم القيم والتصورات الإيمانية ، كما اختل السلوك والقول  
 والعمل ، فمن اتهامات للخالق العظيم ، إلى تشويه لسير الأنبياء ، إلى تحريف للكتب  
 المتزلة ، إلى كتمان للعلم ، وسفك للدماء ، وتمرد على أحكام الشرع ، واتباع الشياطين.  
 وبعد هذا البيان الطويل لحال الأمم التي تدعي الأفضلية في سورة البقرة يأتي قوله تعالى :  
 { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } . (البقرة : الآية ( ١٤٣ )) . ليقرر مكانة هذه الأمة ،  
 وأنها الأمة الفاضلة كي تعرف مكانتها ، ولا تهون في مواجهة أهل الكتاب ، ولقد سمي  
 أهل الكتاب الذين يحاولون انتقاص هذه الأمة ، وإلقاء الشكوك حول تشريعها بالسفهاء  
 { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا } . (البقرة : الآية ( ١٤٢ ))

إنهم سفهاء فقدوا المقاييس القويمة ، واحتلت عندهم الضوابط ، ولذلك صدرت عنهم  
 أحكام خاطئة ، وتصرفات باطلة .

أما الأمم الأخرى التي تنازع هذه الأمة الفضل ، ففضلها دنيوي عارض ، ليس له في  
 ميزان الله اعتبار ؛ لأنه قائم على متاع الدنيا العارض { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }  
 { . (آل عمران : الآية ( ١٨٥ )) ، { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } . ( الأنعام :  
 الآية ( ٣٢ )) ، { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } . ( الروم : الآية ( ٧ ))

ولقد وصف القرآن الحضارات التي ارتقت في العلوم المادية ، ولكنها انحدرت في عقيدتها  
 وأخلاقها وقيمها بالضلال والزيف.

إن المجتمع الذي يستحق أن يوصف بالرقى - في ميزان الله - هو المجتمع الذي يقيم حياته وفق منهج الله وتشريعه ، وإن كان غير متقدم في مجال العمران والزراعة والصناعة . أما الجاهلية فإنها تعتبر المجتمع راقيا إذا كان يملك العلوم المادية ، والمجتمع المتأخر في عرفها هو المجتمع الفقير الذي لا يملك أسباب الرقى المادي وتنتشر فيه الأمية .

ونحن عندما ندرس المجتمع الإسلامي المثالي تراه كان مجتمعا فقيرا ، لا يكاد الفرد يجد فيه ما يسد رمقه ، ولا ما يوراي جسده ، وكانت بيوت الرسول ( ﷺ ) يمر عليها الهلال واللال ، ثلاثة أهلة في شهرين - كما تقول أم المؤمنين عائشة - ولا يوقد نار لإنضاج طعام ، والذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة في ذلك المجتمع قليل ، والصناعات والعلوم التي ترقى بالحياة في جانبها المادي كانت فيهم قليلة نادرة .

إن نظرة الجاهلية إلى المجتمع الصالح المتحضر تصادم نظرة الإسلام ، إن الإسلام يصم أكثر التجمعات الإنسانية تقدما بالتأخر والرجعية والضلال إن لم تحقق العبودية لله ، ولم تقم حياتها وتشريعاتها وفق منهج الله . إن هذا الرقى المادي والعلم المادي لم يخلص فرعون ونمرود وعادا وثمود وغيرهم من الأمم من مقت الله وغضبه ، ليس معني هذا أن الإسلام يحارب الرقى المادي ، فالإسلام يأمرنا أن نسعى في الأرض لنسخر ما فيها من خيرات لصالحنا ، { فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ } . ( الملك : الآية ( ١٥ ) ) .

ولكنه يريد منا أن نبني هذا الرقى على أصول سليمة قويمه ، يريدنا أن نقوم علوم الحياة ونضبطها بضوابط إلهية تحميها من الانحراف والضلال ، فلا نقيم الصروح الضخمة التي تستنفذ طاقات الألوف وعشرات الألوف من البشر لغاية تافهة ، كما فعل بناء الأهرام الذين أفنوا أعمار أجيال ليقوم الحاكم منهم هرما يكون له قبرا ، أو كما فعل النصارى عندما أقاموا الكنائس الفخمة والأديرة ، وبذلوا في سبيل ذلك جهودا وأموالا هائلة كان أكثر الأمة بحاجة إلى القليل منها . وقد أنكر هود على قومه مثل هذه الأفعال الحمقاء { أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } . ( الشعراء : الآية ( ١٢٨ ) ) .

والجاهلية الجديدة أثمرت حضارة مادية هائلة سخرتها لخدمة الشيطان ، وإقرار الظلم وإزهاق الحق ، وامتصاص دماء الشعوب المغلوبة على أمرها ، وأزهقت أرواح الملايين من البشر لا لشيء إلا لكي تكون العزة لأمة على بقية الأمم ، أو لشعب على بقية الشعوب . نحن لا نوافق الأمم التي تدعي أنها الأفضل والأحسن لأنها تملك العمارات الشاهقة ، والحدائق الغناء ، والمسارح الرحبة ، والقصور الفخمة ، والشوارع المنسقة ، والمدارس والجامعات والمستشفيات.. لا نوافقها على أنها الأفضل من أجل ذلك وحده ، ولا لأنها توصلت إلى علوم هائلة بنت بها الرقي المادي ، ولو كان هذا صحيحا فإن اللص صاحب القصر الكبير أفضل من الشريف صاحب الكوخ الصغير ، والعالم الذي يخطط لتدمير البشرية أفضل من الإنسان العادي الذي يسعى في إصلاح العباد.

لقد أقامت كثير من الأمم حضارات راقية في المجال المادي ، ولكنها أقامتها على أسس ظالمة ، فأتي الله بنيانهم من القواعد ، ودمر ما كانوا يعرشون { فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِثْرِ مَعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ } . (سورة الحج : الآية ٤٥) { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمْلِيتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ } . (سورة الحج : الآية ٤٨) { وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } (سورة الأنبياء : الآية ١١-١٤)

### ارتقاء أمة الإسلام إلى المكانة الفضلى

حقق المسلمون -بفضل الله ورحمته- في عالم البشر الرقي العظيم الذي أصبحوا به خير أمة أخرجت للناس.

ويمكننا أن نلخص العوامل التي أوصلتهم إلى هذا الرقي في عبارة واحدة : ( لقد حققوا الهدف الذي خلقهم الله من أجله إلا وهو العبودية لله العظيم ) { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } . (الذريات : ٥٦) .

ومن أجل تحقيق هذا الهدف العظيم أنزل الله كتابه ، وأرسل رسله ، { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } . (الأنبياء : ٢٥ ) ) ويحقق البشر العبودية لله في عالمهم عندما يرضون بالله إلها معبودا ، ويتخذون دينه الذي أنزل منهجا يستمدون منه عقيدتهم وأخلاقهم وتشريعه ، فالدين الذي أنزله الله منهج يقيم العباد على النحو الذي يريده الله تبارك وتعالى ، وهو نظام كامل يصوغ حياة البشر صياغة إلهية ربانية ، لذا فإن العبارة التي تقول : ( إن الإسلام منهج الحياة ) تلخص القضية بأوجز عبارة وأوضحها .

وتتحقق العبودية باتخاذ الإسلام منهج حياة يحقق الصلاح للنوع الإنساني في داخل نفسه وفي مجتمعه ، ولذلك لم يبعد الذين قالوا : إن غاية الدين الذي أنزله الحق -تبارك وتعالى- هي إصلاح النوع الإنساني ، وقطع دابر الفساد عن الحقيقة ، فقد قال شعيب لقومه : { إِنَّ أُورِئِدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ } . (هود : ٨٨ ) . وذم الله المفسدين في الأرض : { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ } . (البقرة : ٢٠٥ ) . { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } . ( القصص : ٤ ) )

إن إصلاح الإنسان حسب فقها لكتاب الله ورسوله ( ﷺ ) يتم بأمرين :

الأول : إصلاح الفرد ، وذلك بإصلاح عقيدته وتصوراته وأفكاره وقيمه وأخلاقه ومواريثه .

والثاني : إصلاح المجتمع الإنساني بإصلاح علاقاته ونظمه وقوانينه .

وإذا أنت تأملت سيرة المصطفى ( ﷺ ) رأيت عنايته كانت منصبه في المرحلة المكية على تحقيق الأمر الأول ألا وهو إصلاح الفرد ، بينما كانت عنايته متجهة في المرحلة المدنية إلى تحقيق الأمر الثاني ، وما أسلم صلوات الله عليه الروح لبارئها ، إلا بعد أن قام المجتمع المسلم الصالح الذي يقوم على أفراد صالحين .

لقد نجح الإسلام في إقامة مجتمع صالح ، استنارت بصائر أفرادها ، وصلحت عقائدهم ، واستقامت أخلاقهم ، وأحكمت العلاقات فيما بينهم ، وكانت الدينونة فيه لله وحده ،

وكان حاكم المسلمين فيه واحدا منهم ، يخضع لسلطات الشريعة كما يخضعون ، ويحاسب كما يحاسبون ، ونسج الإسلام من ذلك المجتمع وحدة ، كانت أصرتها الدين ، ولحمتهما التقى ، وهدفها تحقيق العدل في ربوع الأرض بمنهج الحق ، وساح المسلمون في المشارق والمغارب ينشرون دين الله ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وتحطمت القوي الجاهلية الجبارة أمام المد الإسلامي المتناسك ، وأصبحت الدولة الإسلامية هي الدولة العظمى إلى أمد ليس بالقصير ، وصدق الله في هذه الأمة قوله : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } . ( الرعد : الآية ( ١١ ) ) .

لقد كان العرب في جزيرة العرب حيارى تائهين ضالين يسلب قلوبهم ضعيفهم ، ويقتل بعضهم بعضا ، لا دين يجمعهم ، ولا ملك يوحدهم ، فغيروا ما بهم من أمراض ، وأصلحوا نفوسهم وأمتهم بالدين ، فارتقوا إلى مرتبة لم يسبقهم فيها سابق ، ولم يلحقهم فيها لاحق ، وكانوا كما قال الحق تبارك وتعالى : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } . ( آل عمران : ( ١١٠ ) )

لقد أنجز الله لهم ما وعدهم فاستخلفهم في الأرض ، ومكن لهم دينهم الذي هو سبب عزهم وذكرهم ، عندما أنجزوا ما شرطه الله عليهم { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا } . (النور : ( ٥٥ ) )

ولا نزال إلى اليوم ننعيم ببقية صلاح الأجيال الأولى التي حملت الإسلام ، فعلي الرغم من البلايا والزرايا التي تعرض لها الإسلام من أعدائه وحكامه عبر تاريخ المسلمين الطويل ، إلا أن الإسلام لا يزال له وجود ظاهر ، وحملته من المسلمين منتشرون في كل مكان .

### تأخر الأمة وانحطاطها

إن المتفكر في حال الأمة الإسلامية عندما يقارن بين حاضرها المشهود ، وماضيها الغابر يهوله الأمر ، فالبون شاسع ، والفرق بعيد ، وعندما يرجع الباحث النظر مرة أخرى

مقارنا بين الواقع المشهود والموقع الذي رسمه القرآن لها فإنه يجدها لا تتبوأ المقعد الذي حدده القرآن لها.

والدارس لخط سير تاريخ الأمة الإسلامية يجد أن استمرار الأمة الإسلامية على خصائصها التي جعلتها خير أمة أخرجت للناس لم يستمر على وتيرة واحدة ، فالخط البياني كان ولا يزال متذبذبا بين هبوط وصعود. وقد أشار الرسول ( ﷺ ) إلى هذا التذبذب في خط سير الأمة الإسلامية ، فقد سأل حذيفة بن اليمان الرسول ( ﷺ ) قائلا : (( يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم. قلت : وهل بعد الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دخن. قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي ، ويهتدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر. قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجاهم قذفوه فيها. قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا . قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا. قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وأمامهم. قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على أصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك )) رواه البخاري .

فالأمة الإسلامية كما يشير الحديث يصيبها الشر فتتهزل ، ثم تعود إلى أصلتها ، وقد تكون العودة مشوبة فيها دخن على حد قول الرسول ( ﷺ ) : (( وفيه دخن )) وقد يكون الانحراف هائلا ، وذلك عندما يتسلط على رقاب هذه الأمة دعاة إلى أبواب جهنم ، يدعون الناس إلى مذاهب كافرة ، فمن استجاب لهم كان مصيره النار ، وبئس القرار. لقد ألحنا من قبل إلى أن الرقي العظيم الذي رفع هذه الأمة هو أخذها بالدين الذي أنزله الله تبارك وتعالى ، ثم التفافها حول هذا الدين فأصبحت أمة واحدة ، فتشكلت من هذه الأمة قوة هائلة لا تغلب.

ويمكن أن نعيد تأخر المسلمين وانحطاطهم إلى قضية واحدة هي الفرقة التي فرقت وحدتها ، فجعلتها أمما وشيعا وطوائف وتجمعات.

إن السمة العظيمة التي تعطي الأمة الإسلامية مكانة قوية هائلة هي اجتماعها على أساس من دينها ، وهذه حقيقة أثبتها القرآن ونبه إليها وأمر بها ، فقد أمرنا القرآن بالوحدة ونهانا عن الاختلاف والتفرق ، قال تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } . ( سورة آل عمران : ( ١٠٣ ) )

ثم ذكرنا بالحال التي كنا عليها قبل الإسلام. فقد كنا قبائل متفرقة ، يقتل بعضها بعضا ، ويسبي بعضها بعضا ، فجاءنا الله بالإسلام فأصبحنا في ظله إخوة أحبة { وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا } . ( سورة آل عمران : ( ١٠٣ ) )

ثم نهانا الحق تبارك وتعالى عن مسلك الأمم السابقة وهو النزاع والاختلاف بعد أن جاءتنا البينات { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } . ( سورة آل عمران : ( ١٠٥ ) )

وقد أخبر جل وعلا أن النزاع والاختلاف يسبب الفشل وذهاب القوة ، ذلك أن الوحدة تجعل الأمة قوية متماسكة في وجه الرياح والأعاصير ، وعندما توجه هذه القوة مجتمعة نحو أعدائها ، فإنها تفتت بأسهم وتقضي على كيدهم ، فإذا اختلفت الأمة أصبح بأسها بينها ، وهذا هو الفشل ، لأنها تدمر نفسها بنفسها ، وعند ذلك ينال أعداؤها منها ما يريدون ، وقد حذرت النصوص من هذا المصير ، وأخبرت أن الفرقة تعني ذهاب القوة وغلبة الأعداء { وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } . ( سورة الأنفال : ( ٤٦ ) ) . وفي صحيح مسلم عن ثوبان -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ( ﷺ ) : (( إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكثرين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوي أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإن أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ، ويسبي بعضهم بعضا )) .

إن الوعد الإلهي في غاية الوضوح ، لقد وعد الله الأمة بالنصر والتأييد والغلبة ما دامت متحدة على كلمة سواء ، فإذا تفرقت واختلفت واقتتلت فهناك تكون الهزائم وتسلط الأعداء ، وحلول النقم والبلايا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

### أنواع الفرقة

وقد وقعت الأمة الإسلامية في المحذور ، فتنفرت وتنازعت واختلفت ، وتعددت أشكال الفرقة ، ويمكن إرجاعها إلى ثلاثة أنواع :

١ - الفرقة العقائدية. ٢ - الفرقة التشريعية. ٣ - الفرقة السياسية.

وسنعرض لكل واحدة من هذه الثلاث بقدر ما يسمح به المقام.

أولا : الفرقة في الدين والاعتقاد :

أخطر أنواع الفرقة الفرقة العقائدية ؛ لأن الإنسان أسير فكره ومعتقداته ، وما عمل الإنسان وسلوكه وتصرفاته في واقع الحياة إلا صدى لفكره وعقيدته ، ومن هنا كان تبني الفكر المنحرف ، وغرس العقائد الضالة في قلوب المسلمين موجبا لاختلاف المسلمين في واقع الأمر.

إن الله أراد لهذه الأمة أن تنضوي على اختلاف أجناسها وألونها ولغاتها تحت اسم واحد وهو الإسلام ، ولكن الدعوات الضالة لم تنزل تطل برؤوسها عبر التاريخ الإسلامي لتجزئ المسلمين إلى فرق وجماعات تخالف الإسلام مخالفة كلية أو جزئية.

إن بعض الدعوات والانحرافات التي نشأت في المسلمين تنادي بتوجه المسلمين إلى عبادة غير الله ، واتباع منهج غير منهج الله ، فعادت في ديار الإسلام كثير من مظاهر الشرك المتمثلة بعبادة الأولياء والأموات والأشجار والأحجار ، فترى بعض الجهلة من المسلمين يدعونها ويستغيثون بها ويندرون لها ويحجون لها ، ويخافون منها كخوفهم من رب العباد.

هذه طائفة لها أتباع وأنصار يعدون بعشرات الملايين يزعمون أنهم مسلمون ، ومؤسس الجماعة يطالب أتباعه إذا ما وقع الواحد منهم في الكرب أن يناديه هو ، لا أن يلجأ إلى الله ، يقول من قصيدة له :

إذا كنت في هم وغم وكربة فننادني أيا مرغني أنجيك من كل كربة



وهذا البوصيري يمدح الرسول ( ﷺ ) ، فيأتي بقصيدة مدهشة ، ولكنه أذهب جمالها وبهاءها وطمس ضياءها بما قدرها به من شرك وبغلوه في الرسول ( ﷺ ) ، ودعائه له من دون الله. وفي ذلك يقول :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عندك حلول الحادث العمم  
ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تجلي باسم منتقم  
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

إن البلاء الأعظم الذي أصاب البشر كما يعلمنا القرآن -هو اختلافهم في الدين ، وذلك باتخاذهم من دون الله أندادا ، وعدم استقامتهم على دين الله ومنهجه ، وفي ذلك يقول رب العزة : { وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } . (سورة المؤمنون : ( ٥٢ ، ٥٣ ))  
ويقول في موضع آخر : { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاغِبُونَ } . (سورة الأنبياء : ( ٩٢ ، ٩٣ )) وقد فسر ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن أسلم الأمة الواحدة التي وردت في النصين السابقين بالدين الواحد. (تفسير ابن كثير : ٤ / ٥٩٠).

والتقطع الذي أشارت إليه الآيتان هو التفرق والاختلاف وعبادة غير الله واتباع غير منهجه ، وقد لا يصل الأمر إلى عبادة غير الله ، ولا إلى الخروج عن دين الله خروجا تاما ، ولكن الأمة تختلف في الأصول ، وكل هذا يفرق الأمة ، وقد أخبرنا الرسول ( ﷺ ) أن هذا البلاء قد أصاب الأمم من قبلنا ، وأنه سيصيب هذه الأمة كما أصاب غيرها من قبلها.

ففي سنن أبي داود ومسنند أحمد بإسناد صحيح عن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- قال : قام فينا رسول الله ( ﷺ ) فقال : (( ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ، اثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة وهي الجماعة )) . زاد في رواية : (( وإنه سيخرج في أمي أقوام تتجارى بهم الأهواء ، كما يتجارى الكلب بصاحبه ، لا يبقي منه عرق ولا

مفصل إلا دخله )) ( التجاري : الوقوع في الأهواء الفاسدة. والتداعي فيها تشبهها بجري الفرس، والكلب : داء معروف يعرض للكلب إذا عض حيوانا عرض له أعراض رديئة فاسدة قاتلة ، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى هلك ) .

وفي سنن أبي داود وسنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ( ﷺ ) قال : (( تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة )) .

لقد انقسمت الأمة إلى خوارج ومعتزلة وشيعة وأشاعرة وكلاوية وماتريديّة ومرجئة وقدرية ، واختلفت هذه الفرق في الإيمان وحدوده ، كما اختلفت في صفات الله وقدر الله ، ونشأ عن ذلك كله اختلافات في واقع الأمر. وقد تبنت كثير من هذه الفرق مناهج مضادة للمنهج الإسلامي ، ومن ذلك تبني المنهج الفلسفي الكلامي في إرساء العقيدة والإيمان. وهذا المنهج مزاحم للمنهج الإيماني القرآني القائم على الوحي ، وعمدة المنهج الفلسفي الكلامي نظريات عقلية ، وأصول فلسفية ، ومصطلحات منطقية ، وهذا المنهج يختلف من المنهج الإيماني القرآني في طريقة الاستدلال وفي المقصد والهدف.

فالاستدلال القرآني الإيماني أساسه الوحي والإيمان بالرسالة ، ومن علوم الوحي نعرف ربنا ، وقد أرشدنا القرآن إلى الدلائل العقلية ، ووجه أنظارنا إلى التفكير في الكون ، وهذه الدلائل دلالات فطرية قريبة المأخذ مأمونة العاقبة ، والغاية التي يدعو المنهج القرآني إليها هي عبادة الله وحده لا شريك له ، وعبادته متضمنة لمعرفته وتوحيده.

أما عمدة المنهج الكلامي الفلسفي فهو تلك النظريات والأقيسة العقلية التي جعلوها أصولا للعقائد والتشريعات، وهذه الأدلة فيها حق وباطل، وهي سبيل وعر لا يسهل الارتقاء إليه، وقد ينقطع السالك قبل الوصول إلى مراده.

وقد اقتضت الأقيسة الباطلة رد كثير من الحق الذي في الكتاب والسنة فردوا كثيرا من الأسماء والصفات بهذه الأقيسة الباطلة.

والغاية التي كانوا يريدونها من وراء بحوثهم هي المعرفة الباردة ، وهذا لا يكفي ، فدعوة الرسل عبادة الله وحده.

وهذا يفسر لنا ذلك البرود الذي نجده لدى العلماء الذين يتخرجون من كثير من الجامعات الإسلامية اليوم.

ومن المناهج المخالفة للمنهج الإسلامي المنهج الصوفي الذي يفرق في التعبد ويستحدث أنماطا من العبادات لم يشرعها الله تبارك وتعالى.

وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن هذا المنهج ، ففي سنن أبي داود عن أنس بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال : (( لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم ، فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم )) .

وقد قوم الرسول (ﷺ) توجه كثيرا من أصحابه الذين أرادوا قيام الليل كله ، وصيام الدهر أبدا ، أو أرادوا الانقطاع إلى العبادة واعتزال النساء ، أو تحريم اللحم ، وبين لهم أن ذلك كله مخالف لسنة الرسول (ﷺ) ، وأن من رغب عن سنته فليس منه.

وجاءت الطامة الكبرى في العصر الحديث حيث قامت في ديار المسلمين دعوات أخذت تنادي بالكفر الصراح. ونبذ الإسلام والانضواء تحت رايات تعلن الحرب على الإسلام ، ومن هذه الدعوات تلك التي تنادي بالعلمانية والشيوعية والبعثية. والدعوات التي تنادي بالاعتزاز بالحضارات الكافرة البائدة كالفرعونية والآشورية والبابلية ، وقامت دعوات تضع مبادئ ضالة على أساس القومية والوطنية ، وتحت ستار هاتين الدعوتين توضع منهاج مخالفة للإسلام تدعو الناس إلى تجمعات ضيقة تضاد الإسلام وتحاده.

وقام في أيامنا فريق ينادي بتقليد العالم الغربي ، والسير في الطريق الذي سار فيه ، غير مفرقين بين ما يحسن أخذه ، وبين ما لا يجوز أخذه ، فهم يرون أننا لن ننهض حتى ننبذ ديننا ، ونسير في مسار العالم الغربي ولو اقتضى الأمر أن ننسلخ من جلودنا ونلبس جلودهم ، وما هذا الانبهار بالحضارة الغربية إلا ثمرة لجهل الأمة بدينها ومركزها ، وهذا جعلها تنظر إلى الأمم التي غلبتها نظرة فيها كثير من التعظيم والتبجيل ، وأخذت تقلد الأمم الغالبة في عوائدها ، وتلك سنة من سنن الله في خلقه عقد لها ابن خلدون في مقدمته فصلا فقال : ( فصل : المغلوب مولع بتقليد الغالب ) .

وفي الحديث في صحيح البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ( ﷺ ) قال : (( لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى ولو دخلوا جحر صلب لتبعتموهم ، قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ )) .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ( ﷺ ) قال : (( لا تقوم الساعة حتى تأخذ أممي مأخذ القرون من قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع . قيل له : يا رسول الله كفارس والروم ، قال : من الناس إلا أولئك ؟ ))

وقد تسلم الذين صبغوا بالثقافة الغربية مراكز التوجيه في ديار الإسلام ، وصبغوا الحياة فيها بالصبغة الغربية ، وتأثر بهم الناشئة كثيرا .

ثانيا : الفرقة التشريعية :

لا نعني بالفرقة هنا الاختلاف الذي وقع بين السلف في فقه النصوص بسبب تفاوت العلماء في الفهم والإدراك ، كما لا نعني به الاختلاف الناشئ عن عدم وجود نص ، فهذا النوع من الاختلاف لا يسبب فجوة بين المسلمين ، وقد وقع هذا النوع من الاختلاف بين الصحابة في حياة الرسول ( ﷺ ) ولم ينكره المصطفى على أصحابه ، فإنه اختلاف طبيعي ، تأبي طبيعة البشر أن لا يختلف فيه .

والاختلاف المذموم هو الخلاف الناشئ عن الإعراض عن نصوص الكتاب والسنة تقليدا لأراء الرجال ، أو الإعراض عن النصوص اتباعا للهوى .

وقد نشأت في المسلمين دعوات كثيرة تهدف - بقصد أو بغير قصد - إلى زحزحة نصوص الكتاب والسنة عن مرتبة الصدارة ، ورد الأمر إلى عقول الرجال والقواعد التي أفرزتها تلك العقول .

وقام في المسلمين من يدعي أن أكثر نصوص الكتاب والسنة لا تصلح للاستدلال لأنها ظواهر وعموميات لا تفيد اليقين ، وأخذ هؤلاء ينادون بالرجوع إلى القواعد العقلية لأنها وحدها التي تفيد اليقين .

وقام في المسلمين من نادي بالاعتصار على القرآن وحده ونبد السنة النبوية ، وسمي هؤلاء أنفسهم - زورا وهمتانا - بالقرآنيين . وكذبوا فلو كانوا قرآنيين لأخذوا بالسنة التي يلزمها

القرآن بالأخذ بها ، وبعض الفرق الضالة رفضت السنة رفضا كلياً ، وجوز أصحاب هذا المذهب على رسول الله ( ﷺ ) الخطأ في غير القرآن ، ومعني ذلك أن كلامه ليس بحجة ، وقد خالف الخوارج والمعتزلة أهل السنة في كثير مما أجمعوا عليه ، ولذلك جوزت الخوارج الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ، وذهبوا إلى أن الحكم الواجب في حق الزاني هو جلد مائة جلدة ، لا يفرقون بين المحصن وغير المحصن مستدلين بالقرآن ورأدين للحديث . وذهب المعتزلة إلى رد أحاديث الآحاد مطلقاً ، فهم يقبلون المتواتر دون الآحاد ، وإن كان في أصح كتب الحديث ، زاعمين أن الآحاد ظني الثبوت والدين لا يقوم على الظن . وذهب آخرون إلى أن المفروض هو أحاديث الآحاد في العقيدة وقد زعموا أن أحاديث الآحاد ظنية والعقيدة لا تقوم على الظن .

وأعاد بعض المغرضين في هذا العصر القضية جذعة ، فطعنوا في سنة الرسول ( ﷺ ) ورواها ، وأقاموا عقولهم حكماً فيما يأخذون ويدعون من سنة رسول الله ( ﷺ ) . وفريق آخر بما ليس بحجة في الدين ، ومن هؤلاء الذين يعتمدون في إثبات العقائد والأحكام على الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وبذلك يقررون عقائد وأحكاماً ليست من الدين وينسبون إلى رسول الله ( ﷺ ) ما لم يقله وقد حذرنا رسولنا من مثل هذا أشد التحذير ، ففي الحديث الصحيح : (( من حدث عني بحديث يرى أنه كذب ، فهو أحد الكاذبين )) وتوعد الرسول ( ﷺ ) الكاذب عليه بالنار ؛ فقد صح عنه ( ﷺ ) أنه قال : (( من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار )) .

ومن الفرق التشريعية الافتراق بسبب التقليد ، فكثير من المقلدة يرفضون الأخذ بنصوص الكتاب والسنة التي تخالف قول الإمام الذي يقلدونه بدعوى أن إمام المذهب أعلم منهم بالنصوص ، وقد بلغ الأمر ببعض المقلدين إلى القول بأن كل نص يخالف المذهب فإنه إما منسوخ أو مؤول .

وقد أنشأت العصبية المذهبية فرقة بين الأمة فانقسمت الأمة إلى مذاهب ، كل فريق يناصر مذهبه ، ويغلو في تقديس إمام المذهب ، ويغض من المذاهب الأخرى وأئمتها وفقهها ، ونشأ من هذا الخلاف مناظرات وصراعات وقتال في بعض الأحيان.

وكان الواجب أن يبقى الخلاف في دائرة فقه النص ، وأن يكون رائد الجميع الوصول إلى الحق من خلال النظر في النصوص ، وأن يكون فقه العلماء السابقين ثروة تساعدنا على الوصول إلى هذا الهدف.

وقد رأينا بعض التجمعات الحديثة في هذا العصر يلزم أصحابها أتباعهم بما تتبناه الجماعة. وفيما تبنته تلك الجماعة أمور مخالفة للكتاب والسنة ، فإذا استمسك أحد أتباعها بما علمه من نصوص الكتاب والسنة المخالفة لرأي تلك الجماعة طردته الجماعة من صفوفها. وقد زاد بلاء الفرقة التشريعية في هذا العصر ، عندما أقصيت الشريعة الإسلامية عن الحكم في ديار الإسلام ، واستبدلت بها القوانين الوضعية ، وحكم المسلمون في رقابهم حكم الطاغوت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثالثا : الفرقة السياسية :

الأمة الإسلامية أمة واحدة ، يجمعها إطار سياسي واحد ، ويحكمها حاكم واحد ، هكذا علمنا الإسلام.

وافترقت الأمة الإسلامية في نهاية حكم الخلفاء الراشدين ، ولكنها استردت وحدتها ، وأول فرقة سياسية وقعت واستمرت كانت بعد انهيار الدولة الأموية ، حيث حكم العباسيون في الشرق ، وحكم الأمويون في الأندلس ، ولكن لا تمض بضع مئات من السنين حتى تفرقت كلتا الدولتين إلى دول كثيرة ، وقام على كل دولة حاكم وزعيم ، إلا أن الخليفة بقي في عاصمة الخلافة رمزا للكيان السياسي الذي يحكم الأمة الإسلامية ، ولكنه لم يكن يملك من الأمر الكثير ، وكان يحكم باسمه في كثير من الأحيان ، بل كان يعزل ويولي غيره بإرادة الذين لا يريدون بالأمة خيرا.

ثم إن الرمز الذي كان يلوح في عاصمة الخلافة زال وتلاشى ، غير أن الاسم الذي يمثل الكيان السياسي للمسلمين استمر ، ولم يُقْضَ عليه إلا منذ عهد قريب عندما اجتمعت

على تركيا المسلمة جيوش الأعداء ومكر المنافقين ، ولم يرضوا منها إلا أن تتنازل عن الشريعة التي كانت تحكم بقاياها تلك الدول ، واشتروطوا عليها إلغاء الخلافة الإسلامية ، ومنصب شيخ الإسلام ، وما تركوها حتى غيروا الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية. ووضعوا القبعة فوق رؤوسهم بدل العمامة ، وسلخوا الولايات الإسلامية التي كانت تابعة لدولة الخلافة ، وتجزأ العالم الإسلامي إلى دول كثيرة ضعيفة هزيلة ، ونالت هذه الدول استقلالها ولكنها لم تنهض من كبوتها ، ولم تملك زمام الأمور في بلادها. وهذه الطريقة التي سلكها أعداؤنا معنا طريقة قديمة معروفة ، استخدمها المستعمرون منذ ألاف السنين ، فقد ذكر ابن كثير في ( البداية والنهاية ) أن الإسكندر المقدوني اليوناني عندما غلب على ملك الفرس ( دارا بن دارا ) وأذل مملكته وخرب بلاده ، واستباح بيضة قومه ، ونهب حواصله ، وفرق شمل الفرس شذر مذر ، وضع خطة تبقي الفرس ضعفاء لا تقوم لهم قائمة ، كي يبقى له السيطرة عليهم ويأمن من انتفاضتهم عليه ومحاربتهم له ، يقول ابن كثير موضحا ما فعله هذا الرجل الداهية بالفرس : ( عزم أن لا يجتمع لهم بعد ذلك شمل ، ولا يلتئم لهم أمر ، فجعل يقر كل ملك على طائفة من الناس في إقليم الأرض ما بين عربيها وعجمها ، فاستمر كل ملك منهم يحمي حوزته ، ويحفظ حصته ، ويستغل محلته ، فإذا هلك قام ولده من بعده ، أو أحد قومه ، فاستمر الأمر كذلك قريبا من خمسمائة سنة ، حتى كان أردشير بن بابك من بني ساسان بن بهمن ، فأعاد ملكهم إلى ما كان عليه ، ورجعت الممالك برمتها إليه ، وأزال ممالك الطوائف ، ولم يبق منهم تالد ولا طارف.... ( البداية والنهاية ٢ / ١٨٣ .

قارن بين ما فعله الإسكندر في الماضي البعيد بما فعله الكفار بدولتنا الإسلامية تجدد التخطيط واحدا والنتائج واحدة ، بل إن الحال معنا أشد وأقسي ، فإننا لم نعط الاستقلال إلا بعد أن أخذت علينا العهود والمواثيق بأن لا نعود إلى تحكيم الشريعة الإسلامية ، ولا نقيم الكيان السياسي الإسلامي ، كتب اللورد كرومر في الفصل الأخير من كتابه ( مصر الحديثة ) الصادر في سنة ١٩٠٨م ( إن إنجلترا كانت مستعدة لتمنح الحرية السياسية النهائية لكل ممتلكاتها المستعمرة حالما يكون جيل من المفكرين والسياسيين المشحونين بمثل

الثقافة الإنجليزية عن طريق التربية الإنجليزية مستعدا للاضطلاع بالأمور ، ولكن الحكومة الإنجليزية لن تسمح بحال من الأحوال بقيام دولة إسلامية مستقلة ، ولو للحظة واحدة ).  
أثر إثارة النعرات والعصبية

في الفرقة السياسية

ولا يفوتني -قبل أن أنهي الحديث عن الفرقة والاختلاف- أن أتعرض إلى مرض خطير كان ولا يزال يعمل على تفتيت وحدة المسلمين السياسية ، ألا وهو العصبية التي تشور بين الفينة والفينة في المجتمعات الإسلامية.

إن الإسلام جعل الرابطة التي تجمع المسلمين وتوحدتهم هي الإسلام. وقد قامت دولة الإسلام على أساس الجامعة الإسلامية ، وانصهرت في بوتقة هذه الجامعة العصبية للجنس واللون والوطن والنسب ، وأصبح التنادي بين المسلمين للتجمع على أساس غير أساس الرابطة الإسلامية يعد دعوة جاهلية مقبلة ، فقد قال الرسول ( ﷺ ) لأبي ذر عندما عبر رجلا بسواد أمه : (( إنك امرؤ فيك جاهلية )) وقد حذر الرسول ( ﷺ ) من هذه العصبية المقبلة ، ففي حديث جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله ( ﷺ ) : (( من قتل تحت راية عمية يدعو لعصبية ، أو ينصر عصبية فقتله جاهلية )) . أخرج مسلم والنسائي .

وفي سنن أبي داود عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- أن رسول الله ( ﷺ ) قال : (( ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية )) .

وعندما اختلف رجلان من المهاجرين والأنصار فتناديا يا للمهاجرين ، يا للأنصار ، وهب كل فريق لنصرة صاحبه ، قال رسول الله ( ﷺ ) : (( ما هذا ؟ أدعوى أهل الجاهلية ؟ )) رواه مسلم في صحيحه. وفي رواية أخرى عند مسلم : (( دعوها فإنها منتنة )) .

إن الإسلام لا يلغي الانتماءات للأوطان والقبائل والشعوب ، ولكنه لا يسمح أن تجعل لغير ما أراد الله له ، إن حكمة الله اقتضت تقسيم البشر إلى شعوب وقبائل للتعارف لا



للتفاضل : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا }  
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ { . (الحجرات : ( ١٣ ) )

إن الآصرة التي تجمع المسلمين هي الإسلام ، وفي ظل هذه الآصرة تتجمع القبائل والشعوب ، وسعي المرء في شأن قومه وأهله من الفضائل التي يحمد الإسلام أصحابها ، ولكن الإسلام لا يرضي أن ينصر المرء قومه أو بني عشيرته/ أو الذين يشاركونه في اللون محقين أو ظالمين ، إن الإسلام قبل مقولة أهل الجاهلية ( انصر أخاك ظالما أو مظلوما ) ولكنه رفض التفسير الجاهلي لهذه المقولة ، وأعطى تفسيرا مضادا لتفسير الجاهلية ، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ( ﷺ ) قال : (( لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ، إن كان ظالما فلينصره ، فإن له نصر وإن كان مظلوما فلينصره )) .

إن نصرة المرء قومه عصبية لهم جريمة كبرى في المجتمع الإسلامي ، في سنن أبي داود بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ( ﷺ ) : (( من نصر قومه على غير حق ، فهو كالبعير الذي ردي في مهواة ، فهو يتزع بذنبه )) والمهواة : الحفرة من الأرض ، وكل مهلكة مهواة ، والتردي الوقوع من علو .

وقد ثارت العصبية في القرن الأخير ، وحطمت الرابطة الإسلامية والدولة الإسلامية ، فدعا الأتراك إلى التركية ، والأكراد تنادوا إلى الكردية ، وفعل مثل ذلك البربر والعرب ، ثم جاءت الدعوة إلى الأوطان ، فكل قوم يعيشون على بقعة من الأرض أقاموا عصبية منتمية إلى تلك البقعة ، وقامت دعوات تدعو إلى الاعتزاز بالفرعونية والآشورية والفارسية ، وقطع الترك كثيرا من الحبال التي كانت تربطهم بالإسلام ، وأصبح العالم الإسلامي على الصورة الكئيبة التي نراها عليه اليوم .

طريق الارتقاء بالأمة الإسلامية

إذا كانت الفرقة هي طريق الانحطاط ، فإن الوحدة هي سبيل الارتقاء وتبوء المكانة الفاضلة من جديد .

والوحدة الإسلامية على أساس من الإسلام أمل القلوب المسلمة الصادقة في كل مكان ، ذلك أن الإسلام ، يغذي أتباعه دائما وأبدا بأنهم إخوة في دين الله { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

{ . (الحجرات ( ١٠ )) ، ويجعل الأمة الإسلامية أمة مترابطة ترابط الجسد الواحد ، ففي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير عن رسول الله ( ﷺ ) قال : (( مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى )) وفي رواية أخرى عند مسلم : (( المسلمون كرجل واحد ، إن اشتكى عينه ، اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه ، اشتكى كله )) .

وشبههم في حديث آخر بالبنيان المرصوص ، ففي صحيح مسلم عن أبي موسى عن رسول الله ( ﷺ ) قال : (( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا )) . فالأحاديث تصور المجتمع الإسلامي بالجسد الواحد الذي يخفق فيه قلب واحد ، وتسري فيه روح واحدة ، ويتأثر كل عضو فيه بما يصيب بقية الأعضاء ، أو هو كالجدار الذي تجتمع لبناته لتشكّل فيما بينها واحدة متماسكة مترابطة .

أصول الوحدة الإسلامية :

ونحن إذ ننادي بالوحدة الإسلامية لا نريدها وحدة على غير أصول ، لا نريدها وحدة تجمع شتاتاً مختلفاً متناقضاً ، إنما نريدها وحدة صادقة تقوم على أصول قوية ثابتة ، ويلخص هذه الأصول قوله تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } . ( آل عمران : ( ١٠٣ ) )

وسنحاول أن نبرز أهم الأصول التي تقوم عليها وحدة الأمة .

الأصل الأول : الانتماء للإسلام دون سواه :

العالم اليوم بحر محيط بموج بالدعوات والأفكار ، وتقوم هذه الدعوات على مناهج ونظريات أتعب أصحابها أنفسهم في تزيينها وتزويقها ، ويجب أن يجهد دعاة الإسلام أنفسهم في الدعوة إلى نبد جميع المذاهب والمبادئ التي غزت ديار المسلمين وعقولهم وعلي الدعاة أن يحصنوا المسلمين ضد هذه السموم التي تبثها مختلف وسائل الإعلام صباح مساء .

لقد فقد كثير من أبناء المسلمين اليوم هويتهم ، ومسخت شخصيتهم بفعل التضليل المستمر الذي يمارسه شياطين الجن والإنس بمختلف الوسائل ، وسبيلنا للوحدة الصادقة هو الدعوة إلى الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، والاعتزاز بالانتساب إلى هذا الدين ، ونبذ كل ما يخالفه ويضاده ، وهذا النهج هو نهج أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، الذي حرص على إقراره في بنيه وذريته ، وهو المنهج الحق الذي أمرنا الله بالتزامه ، وحكم على من أعرض عنه بالسفه والضلال ، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } . ( البقرة : ( ١٣٠-١٣٣ ) )

هذه هي ملة إبراهيم ، وهي توحيد الخالق جل وعلا بعبادته وحده لا شريك له ، وإقامة الحياة وفق منهج الله ، والاعتزاز بهذا المنهج وإقراره في واقع الحياة ، ورفض المبادئ المنحرفة الضالة التي اخترعها البشر وجعلوها أديانا يقيمون حياتهم وفقها ، ويعتزون بالانتماء إليها.

إن الإسلام منهج حياة ، والعبودية لله معلم كبير في حياة المسلم ، والمسلمون وفق هذا المنهج والفهم يشكلون أمة واحدة في مقابلة التجمعات البشرية. والمسلم الصادق يعتز بالانتساب إلى الإسلام { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } . ( فصلت : ( ٣٣ ) ) فقد نص على أن أفضل الناس هم الذين يعلنون انتسابهم إلى الإسلام.

وكثير من المسلمين اليوم فقدوا انتماءهم ، فأخذوا يبحثون عن عقائد ومذاهب وأقوام ينتسبون إليها ، وآن لنا أن نرفع الراية التي كان أسلافنا ينتسبون إليها ، ألا وهي الإسلام ، لا راية الأوطان ، أو الأقوام أو الأحزاب أو التجمعات الضالة.

التوحيد والانتساب إلى الإسلام ملة إبراهيم ، وقد أمر الله رسوله باتباع ملة إبراهيم : {  
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ } . (النحل : ( ١٢٣ )) . ونحن أولى الناس بإبراهيم  
بعد أتباعه { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ  
الْمُؤْمِنِينَ } ( آل عمران : ( ٦٨ ))

الأصل الثاني : توحيد مصدر الهداية :

والأصل الثاني توحيد مصدر الهداية ، وهذا لازم للأصل الأول ، فما دمننا قد آمننا بأن هذا  
الدين من عند الله ، أنزله لهداية البشر للتي هي أقوم ، فيجب أن نخل هذا الدين في المرتبة  
التي يستحقها في هذا المجال.

إن جميع الدعوات والمذاهب والأديان التي يموج بها عالم اليوم يدعى أصحابها أنهم يملكون  
إكسير السعادة ، وهداية البشر للتي هي أقوم ، ونحن نقول كما علمنا الله أن نقول : {  
إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ } . ( آل عمران : ( ٧٣ ))

إن مصدر الهداية الوحيد كتاب الله وسنة رسوله ، واتباع أهل الكتاب ، وأصحاب  
الدعوات الباطلة يقود إلى الردة والكفر : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ  
أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ  
آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } . ( آل عمران  
: ( ١٠٠-١٠١ )) ومتي فقهنا هذه الحقيقة التي قررها قوله تعالى : { إِنَّ الْهُدَى هُدَى  
اللَّهِ } . ( آل عمران : ( ٧٣ )) وفرنا على أنفسنا جهودا كثيرة في تلمس الهداية في  
الكتب السماوية المخرفة ، وفي نظريات البشر وأفكارهم المتضاربة المتعارضة ، وسرنا في  
الطريق المرسوم ، ندعو البشر إلى طريقنا ، ونحاكم أفكارهم وعقائدهم ومبادئهم إلى  
موازين الإسلام ، وإذا ما جاؤوا يعرضون بضاعتهم علينا رفضناها ، لأننا نعلم أن في  
بضاعتهم دخنا ، وهم لا يرضون عنا حتى ننسلخ من ديننا ونأخذ دينهم { وَلَنْ تَرْضَى  
عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِيبَعْتَ  
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } . ( البقرة : ( ١٢٠ ))  
وقد وقف الرسول ( ﷺ ) في وجه تلمس الهداية من الأديان المخرفة بقوة ، وشدد

التنكير على من ذهب هذا المذهب ، ففي مسند أحمد عن عبد الله بن جابر قال : (( جاء عمر إلى النبي ( ﷺ ) فقال : يا رسول الله ، إني مررت بأخ لي يهودي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ( ﷺ ) . قال عبد الله بن ثابت : قلت له : ألا ترى وجه رسول الله ؟ فقال عمر : رضيت بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولا .

قال : فسري عن النبي ( ﷺ ) وقال : والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين )) ولذلك فإننا ننظر -اليوم- بكثير من الريبة والحذر إلى ما يسمى بمؤتمرات التقريب بين الأديان والتي تعقد في شتى أنحاء العالم ويحضرها علماء مسلمون وغير مسلمين يبحثون في الالتقاء والتقارب بين الإسلام والنصرانية ، ويبحثون في إزالة سوء التفاهم بينهما . إننا نرفض هذه المؤتمرات ، لأنها تضع الإسلام الدين الحق والنصرانية الدين المحرف الباطل في مرتبة سواء ، ونرفضها لأن الإسلام جاء مهيمناً على النصرانية وغيرها من الأديان ، وليس هناك مجال للتقريب بين دين محرف مغير مبدل والدين الحق .

إننا نقف في مجامع النصارى لا لنقرب بين دينهم الباطل وديننا ، وإنما لنقول لهم : دعوا هذا الدين ، ودعوا الشرك بالله والكفر به ، وتعالوا إلى الدين الذي بشر به موسى وعيسى ، دين الله الخاتم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

إننا نعد قبول العلماء المسلمين بحضور هذه المؤتمرات انحرافاً يضر بهم وبدينهم وعقيدتهم ، ولا ينفع إلا الذين قالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لأنهم بذلك يجرءوننا إلى باطلهم ، ويوقعوننا في شباكهم .

ففي شهر أبريل سنة ١٩٧٤ عقد مؤتمراً من هذا النوع في باريس التقى فيه علماء مسلمون ورجال فكر أورييون للبحث في التقارب بين الإسلام والمسيحية ، وزار الوفد الإسلامي الفاتيكان وألقي هناك محاضرتين ، وقد مهد لهذا المؤتمر منذ عام ١٩٧٢ ، وقد وصفت الصحف هذا المؤتمر بأنه مهم .

وفي شهر سبتمبر من العام نفسه ١٩٧٤ انعقد المؤتمر الإسلامي المسيحي في مدينة ( قرطبة ) وقد كانت مهمة المؤتمر تقريب وجهات النظر بين العالمين المسيحي والإسلام ، ودراسة تزايد موجة السعي من أجل إزالة الخلافات وسوء الفهم الذي قد يكون قائما بين الدينين بالنسبة للمعنيين بالأمر والرأي العام.

وفي شهر نوفمبر من ذلك العام كان المؤتمر المسيحي الثالث في مدينة ( تونس ) . وقد عقد مؤتمر إسلامي في مدينة لاهور في باكستان في ذلك العام في شهر فبراير ١٩٧٤ ومع كونه إسلاميا في الظاهر إلا أنه قد حضره ممثلون من نصارى لبنان ، وقد أشاد المؤتمر بالتعاون الإسلامي المسيحي.

وهذه المؤتمرات لم تكن الأولى ولا الأخيرة فقد عقد قبلها مؤتمرات وبعدها مؤتمرات على النمط نفسه.

وقد تحدث عن شيء من بلايا هذه المؤتمرات الكاتب العلامة الباحث الدكتور محمد محمد حسين في كتابه ( حصوننا مهددة من داخلها ) ص ( ٣٢١ ) عندما كشف عن زيف ودجل المؤتمر الإسلامي المسيحي الذي دعت إليه جامعة برنستون ومكتبة الكونغرس الأمريكي في صيف عام ١٩٥٣ ونشرت قسما من بحوثه مؤسسة فرانكلين الأمريكية كما كشف الدكتور الأهداف الخبيثة لذلك المؤتمر.

إن الذين يؤمنون تلك المؤتمرات لا يدركون الدسيسة والمكيدة التي أوقعهم أعداؤهم فيها ، وآخرون يعلمون ذلك ولكنهم يريدون بالإسلام والمسلمين شرا ، وعندما يوجه إليهم اللوم لا تكون إجابتهم إلا كإجابة إخوانهم من قبل : { إِنَّ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } . ( النساء : ( ٦٢ ) ) ، وذلك بالتقارب بين الإسلام والمبادئ البشرية ، وقد فضح القرآن هذا الصنف من الناس ، وبين هؤلاء أتباع الطواغيت همهم إفساد البلاد والعباد وصد الناس عن دين الله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ

جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا { .(النساء : ( ٦٠-٦٣ ))  
إننا نعلن لبني قومنا أن الهداية من الضلال لن تكون في غير الكتاب والسنة ، وهذا ليس تقولا من أنفسنا ، ولكنه صريح كلام الرسول ( ﷺ ) ، ففي الموطأ عن أنس بن مالك وفي المستدرک للحاكم عن ابن عباس أن رسول الله ( ﷺ ) قال : (( تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله ، وسنة رسوله )) .

الأولى : لا يجوز طلب الهداية من الأديان المحرفة والمذاهب الباطلة وقد أسلفنا القول في هذا الموضوع.

الثانية : وهذا لا يعني أنه لا يجب علينا دراسة هذه المذاهب والأديان لبيان عوارها والرد عليها ، وبدلنا على صحة هذا مناقشة القرآن لأهل هذه المذاهب والأديان ، وقد ألف علماءنا مؤلفات كثيرة في هذا المجال.

الثالثة : أن العلوم الدنيوية في المجالات المختلفة كالطب والهندسة يجب علينا دراستها والاستفادة من جهود البشر فيها ، ولا تدخل دراستها في المحذور.

الأصل الثالث : وحدة العقيدة :

لا يمكن أن تقوم وحدة المسلمين ما لم تجمعهم عقيدة واحدة ، والعقيدة تشكل في البناء الفردي والاجتماعي القاعدة التي تقوم عليها الأعمال والعلاقات والأخلاق ، فإذا كانت العقيدة مشوهة أو مزورة فإن البناء لا يستقيم ، ولا يكاد البناء يواجه الأعاصير والفتن حتى ينهار ، بل إن البناء قد لا يقوم من أساسه ، وقد شهد عالمنا العربي والإسلامي مزيدا من الفرقة والانقسام ، والعقائد الموروثة والحادثة كثيرة ، وقد انتشرت في الأمة الإسلامية انتشارا كبيرا ، وانقسمت الأمة بناء على ذلك في التقديم والحديث إلى فرق وجماعات ، وقام بينها العداء والخصام والحروب.

قد يقال : من أين تأتي العقيدة الإسلامية التي تصلح للم شتات المسلمين ؟

الجواب : أن العقيدة الإسلامية الصافية منصوص عليها في الكتاب والسنة ، ويمكن التدليل على كل أصل من أصولها ، أو جزئية من جزئياتها ، ثم إن السلف الصالح الذين استقاموا

على عقيدة الإسلام الحق دونوا هذه العقيدة تدوينا يميزها عن عقائد أهل الفرق والضلال ، ومن هؤلاء العلامة الطحاوي دون عقيدة عرفت باسمه ، شرحها محمد بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي ، ولم يقف الأمر عند هذا ، فقد دون العقيدة الصحيحة كثير من العلماء من قبله وبعده ، منهم الإمام أحمد وابن تيمية ، والشوكاني ، والإسفرائي وغيرهم.

وأحب أن أنبه إلى أن هذه العقائد قواعد تعصم من الخطأ في مجال الاعتقاد وهناك لون آخر من العقيدة ، يبعث العباد إلى العمل بما جاءهم من عند الله ، مخلصين دينهم لله ، وهذا اللون هو الذي يجعل المسلم قوة حية متحركة عاملة ، وهذا اللون من العقيدة حتى يعطي ثماره لا بد من دراسته من خلال النصوص.

الأصل الرابع : جعل الكتاب والسنة محور الدراسة ومصدر التشريع :  
لا بد أن تعود المكانة الكبيرة للكتاب والسنة ، فقد كانا محور الدراسة والتعليم والتشريع ، ولا يجوز استبدالها بآراء الرجال ، ولا يجوز إلغاؤهما بحجة أن الفقه الذي دونه الأئمة يكفي في هذا الجانب.

ليس معني ذلك أننا نلغي فقه الأئمة فذلك وهم ، بل نري أن فقه الأئمة هو محاولة دائبة لفقه الكتاب والسنة ، فنحن ندرس الكتاب والسنة ، وندرس كيف فقه علماءنا النصوص ، واستنبطوا منها الأحكام ، أما الفقه المجرد الذي لا يصطبغ بالكتاب والسنة ، فإنه يبعدنا عن النبع الأصيل. ولا يجوز إقصاء الكتاب والسنة عن دائرة الدراسة والفقه ، بحجة أن ذلك مهمة المجتهد وحده ، ولا شك أن هذا مزلق خطر ، فإن الذي يدرس الكتاب والسنة لن يكون عالما بهما ، ولكن ليس كل من درس آيات وبضع أحاديث أصبح عالما يحق له الإفتاء.

إن مثل العالم وطالب العلم مثل الطبيب ودارس الطب ، فطالب الطب يعطي العلم الذي يؤهله لعلاج الناس وإجراء العمليات الجراحية لهم ولكنه لا يؤذن له في العلاج وإجراء العمليات في السنة الأولى التي يدرس فيها الطب ، غير أنه يترقى في ذلك حتى يحصل قدرا صالحا من العلوم الطبية ، ثم يتدرب على أيدي المتخصصين من الأطباء الكبار ، ثم يمارس



مهنة الطب ، وقد يواصل دراسته وتنمو خبرته بعد ذلك حتى يستقل في بعض القضايا وتصبح له نظرة اجتهادية يستقل بها عن غيره ، ولو منعنا طلاب الطب بعد تخرجهم عن العلاج والممارسة لما كان هناك أطباء كبار.

وعالم الشريعة عليه أن يدرس الشريعة من مصادرها ، وأن يتفقه في هذا الدين ، ويدرس العلوم الخادمة لعلم الشريعة ومن ذلك علم اللغة العربية ، ثم لا يزال يترقى في هذا المجال حتى يبلغ مبلغ العلماء المؤهلين. وهذا الطريق ليس بالطريق الصعب المستحيل ، ولذلك لا يجوز صد الناس عن السير في طريق العلم الشرعي ، كما لا يجوز لمن كان في البدايات أن يُنصَّب نفسه عالما ومفتيا.

#### الفصل الخامس : إقامة دولة الإسلام وإرجاع الخلافة الراشدة :

لا يمكن أن تنتهي فرقة المسلمين السياسية إلا بإقامة دولة إسلامية راشدة تقيم فينا دين الله وشرعه ، وتحكمنا بالإسلام ، وتقيم فينا وفي العالم موازين الإسلام وقيمه ، وتسمع العالم صوت الله ، فتقيم بذلك الحجة على العالمين ، وتقوم بواجب البلاغ الذي كلفنا به ، وتحمي حمى الإسلام وتحرس هذا الدين ، كما تحمي ديار الإسلام ، وتحفظ حرمان المسلمين ، وترد كيد الكائدين ، وترفع الظلم عن المظلومين ، وترد هذا البلاء الذي رمانا به أعداء الإسلام ، هذا البلاء الذي جعلنا في ديار المسلمين أذلة ، نخشى إن قلنا كلمة الحق أن تقطع منا الرؤوس ، وتسلب منا الأموال ، ويؤذى أهلنا وأحبابنا ، إن دولة الإسلام هي المؤهلة لرد هذا البلاء الذي جعل ديار الإسلام مرتعا لأعداء الإسلام ، فصالوا وجالوا من غير رقيب وحسيب. لقد قسموا ديارنا فجعلوها دولا ، وجزؤوا أمتنا فجعلوها أمما ، بعد أن كنا دولة واحدة وأمة واحدة ، إننا نريد دولة الإسلام كي نتوحد في ظلها ، لنعود مرة أخرى دولة واحدة وأمة واحدة ، تختفي في ظلها النعرات الجاهلية ، والعصبيات المقيتة التي فرقت شملنا ، وأذهبت قوتنا ، وملكت منا الأعداء.

أنا أدرك أن إقامة الدولة الإسلامية لا يتحقق بمجرد الأمان ، وأن الطريق إليه ليس مفروشة بالورود والرياحين ، وأن الطريق إلى تحقيق ذلك تعترضها عقبات جسام ، أنا أعلم أن قيام الدولة الإسلامية يقتضي من المسلمين أن يبذلوا في سبيل تحقيقها أوقاتهم

وأموالهم وأنفسهم ، وأن يرضوا بالتشريد حيناً من الدهر ، كما يرضوا بالعذاب والسجون ، فإن لإقامة الدولة ضريبة وأية ضريبة ، ذلك أن دولة الإسلام تبطل مخططات خصوم الإسلام ، التي عملوا على تحقيقها دهراً طويلاً ، بحيث جعلت لهم السيطرة على بلادنا وشعوبنا ومقدراتنا ، وتبطل امتيازات المسلمين في ديارنا ، كما تبطل مصالح الطبقة التي تأخذ ما تأخذ بالباطل ، فإذا جاء الإسلام وأعمل حكم الله أوقف نهب ثروات الشعوب وسوى بين المسلمين وحكم بالعدل ، وجعل العزة لله ، ومن هنا يحرص أعداؤنا والظلمة المسلمون علينا أن يخنقوا صوت الإسلام. الذي ينادي بالعودة إلى إقامة خلافة راشدة تحكّم شرع الله ، وتقيم دين الله.

أنا أعلم أن الصعوبات هائلة والعقبات كثيرة ، واقتحامها لا يكون بمؤتمر يعقد ، ولا اجتماع يتبادل فيه الرأي ، ولا بمحاضرة تلقى ، ولكننا مع ذلك كله ننادي بإقامة هذه الدولة ، ونوقن أن أبناء الإسلام الذين رضوا بالله ربا وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً سيقدمون الثمن ، ثم إقامة الدولة الإسلامية ، وهذا الذي سيقدمونه ليس أمراً مندوباً إليه ، يمكن أن يقوم به المسلمون كما يمكن أن يعضوا الطرف عنه ، فالعقيدة الراسخة في أعماق قلوبنا ، والتي تشكل فينا قاعدة الدين الذي رضينا به ، كما تعتبر بحق أساس الإسلام والإيمان لا ترضى أن نعيش هكذا من غير راع يرضى المسلمين ، ولا دولة تنتظم أمورهم ، وتحرسهم ، وترفع صوت الله لتسمعه العالم أجمع ، إن عقيدتنا تقول لنا : إن الله هو حاكم هذا الكون ، الكون كله : أرضه وسمائه ، بره وبحره ، حيوانه ونباته ، نجومه وشمسه وقمره ، وكذلك هو الحاكم للتجمعات البشرية فوق ظهر الكرة الأرضية ، والفرق بين البشر وغيرهم أن البشر يتحاكمون إلى شرع الله باختيارهم ، أما بقية الكائنات فإنها لا تستطيع أن ترفض أمر الله ، فالله يريدنا أن نتخذه إلهاً ورباً وحاكماً ونرضى بذلك ، ونخضع لعظمته ونرضى بشريعته ، لأنه خالقنا ورازقنا ومحينا ومميتنا ، وإليه مآبنا ، فهو المستحق لأن يجعل حاكماً ، والله لا يرضى منا حتى نقيم دولة الإسلام التي تسلم مقاليد الحكم إلى الذين يجعلون التشريع لله تعالى ، وتنبذ الطواغيت والظلمة الذين اعتدوا على سلطان الله ونازعوه في حكمه وقضائه ، وقد قرر الإسلام بصورة

واضحة هذه القضية { إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } .  
(يوسف : ( ٤٠ )) .

فالحكم لله والعبادة لله ، ولا تجوز منازعة الله في حكمه ، ولا يجوز صرف شيء من ذلك لغير الله ، فالإيمان بالله يقتضي تحكيم شرع الله ، ونبد حكم الطواغيت والكفر بها { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا } . ( البقرة : ٢٥٦ ) .

فكل من ادعى الإيمان بالله فعليه أن يكفر بالطاغوت ، فإن ادعى أنه مؤمن وهو يرضى بحكم الطاغوت فقد تناقض في دعواه ، ووقف موقفاً يتعجب منه ، { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } . (النساء : ( ٦٠ ))  
إن المسلم لا يقف عند حد الكفر بالطاغوت ، بل يتعدى ذلك إلى مصارعة الطاغوت ومغالبتها وإقصائه عن مشاركة الله في حكمه { الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } . (النساء : ( ٧٦ )) .

والطواغيت هم الذين نصبهم الناس ، أو نصبوا أنفسهم آلهة ينازعون الله في حكمه ، فالقول قولهم والأمر أمرهم ، وكلمتهم هي العليا ، وشرعهم هو المتبع ، وقد يصل الحال إلى السجود لهم وعبادتهم ، والله لا يرضى أن يشاركه أحد في حكمه { وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا } . ( الكهف : ( ٢٦ )) ، أي لا يرضى أن يشاركه أحد في حكمه ، وفي القراءة الأخرى : { وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا } . ( الكهف : ( ٢٦ )) ، أي لا تشرك أيها المؤمن مع الله غيره في حكمه ، والقراءتان معناهما متلازم ، وقد جعل الإسلام التحاكم إلى غير شرع الله تحاكماً إلى الجاهلية { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } . (المائدة : ( ٥٠ )) . وحكم على الذين لا يحكمون شرعه المتزل ودينه العظيم بالكفر والظلم والفسق { وَوَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْكَافِرُونَ.... فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.... فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ { . ( المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ )

هذه القضية ( الحكم لله ) عقيدة عند المسلمين ، ولا يمكن تحقيق هذه العقيدة إذا بقيت مقاليد الحكم في عالم البشر بأيدي الطواغيت : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } . ( النساء : ( ٦٥ ) ) .

إننا لا نستطيع تحقيق الإيمان إلا بإقامة دولة الإسلام التي تقيم شرع الله في كل شئون الحياة.

وعقيدتنا تجعل الإيمان بالرسالات السماوية وخاتمها الإسلام دافعا إلى إقامة الدولة الإسلامية ، ذلك أن طبيعة هذا الدين توجب إقامة الدولة الإسلامية ، لأن هذا الدين منزل من عند الله العلي القدير ، والله لا يرضى أن تسود مناهج البشر وشرائع البشر عالم البشر ويقضى دينه وشريعته ، لقد أنزل الله دينه من أول يوم ليكون هو الأعلى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ } . ( التوبة : ( ٣٣ ) ) . وقد قرر الحق أن طبيعة هذا الدين تأبى أن يخفت صوته ، وتطمس معالمه ، وتعلوه كلمة البشر { وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا } . ( التوبة : ( ٤٠ ) ) . وأوجب على المسلمين الجهاد والقتال حتى ترتفع كلمة الله ، وتكون الدينونة لله الواحد الأحد { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } . ( البقرة : ( ١٩٣ ) ) .

ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا قامت دولة الإسلام ، فجعلت الهيمنة في عالم البشر لهذا الدين ، وهذه هي المهمة الكبرى المناطة بالدولة الإسلامية ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ( جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، فإن الله تعالى إنما خلق الخلق لذلك ، وبه أنزل الكتب ، وبه أرسل الرسل ، وعليه جاهد الرسول ( ﷺ ) والمؤمنون ، قال تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } ) . ( الذاريات : ( ٥٦ ) ) .

وعقيدتنا تلزمننا بإقامة الدولة الإسلامية ، لأن إقامة الدولة أحد أحكام الشريعة الإسلامية ، والشريعة الإسلامية هي التي تحقق العقيدة في واقع الحياة ، فالدين ليس مجرد عقيدة تبقى حبيسة في صدور أصحابها ولكنها حياة دافعة تتحرك في الصدور وتنبعث بها النفوس ، ثم تتشكل في إطار يحكم الواقع وحياة البشر ، وبذلك فإن الشريعة التطبيق الواقعي للعقيدة ، ولا تزال تلح العقيدة على صاحبها كيما يجاهد ، ويناضل لإيجاد الصورة العملية التي تقتضيها تلك العقيدة.

#### مرحلة المخاض

تحدثنا فيما سبق عن المكانة الفضلى التي رفع الله إليها هذه الأمة بدينه المثل ورسوله المبعوث رحمة للعالمين ، ثم بينا كيف انحطت هذه الأمة عن مكانتها بسبب فرقتها ، وعقبنا على ذلك بالحديث عن الوحدة التي يمكن أن تعيد للأمة الإسلامية عزها من جديد. ولكن يبقى أمر في غاية الأهمية ، وهو الحديث عن الطريق التي تؤدي إلى بناء الأمة الإسلامية من جديد.

وأول ما يتبادر إلى الذهن في هذا هو الطريقة التي سلكها الرسول ( ﷺ ) في بناء الأمة الإسلامية ، والعالم بسيرة الرسول ( ﷺ ) يجد أنه عليه السلام كان يعنى بالدعوة إلى الله في وسط الكفار ، فمن استجاب منهم لاحقه بالتربية والتقويم حتى يصبح لبنة صالحة ، وكان هؤلاء يشكلون فيما بينهم وحدة مترابطة متعاونة ، تعلم أن مهمتها هي تغيير مجرى الحياة الإنسانية ، ولقد أوديت هذه الفئة أذى شديدا وعذبت في دين الله ، وهجرت الأوطان للبحث عن مكان آمن يقيهم الطغيان. وفي هذا الوقت أخذ الرسول ( ﷺ ) يبحث عن مكان صالح لإقامة دولة الإسلام ، فكان يعرض دعوته على القبائل مطالباً إياهم بنصره وحمايته حتى يبلغ دعوة الله ، وكانت المهمة شاقة وصعبة ، ولكن الله هدى بعض أهل يثرب إلى الإيمان بدعوة الإسلام ، وانتشر فيهم الإسلام وهاجر الرسول ( ﷺ ) وصحبه إلى المدينة ، وكانت هذه الهجرة إيذاناً بميلاد الأمة الإسلامية ، وقيام دولة الإسلام الأولى ، وهنا تحول المضطهدون الصابرون على الظلم والأذى إلى مقاتلين ، يدفعون الشرك والمشركين بالكلمة كما يدفعونهم بالسيف والرمح ، ولم يزل شأن الدولة

الإسلامية يعلو حتى هيمن الإسلام على العالم كله ، وأطاح بعرش كسرى ، وأسقط تاج قيصر ، وكان الدين لله .

واستمر الوجود السياسي الممثل في الخلافة الإسلامية قائما ، كلما سقطت رايته في جانب من جوانب العالم قام في جانب آخر ، وكان العلماء والدعاة يسددون الحكام ويقومونهم ، وكان الحكام يقتربون من الإسلام ويتعدون عنه بنسب متفاوتة ولكن الإسلام بقي باستمرار هو الدين الوحيد المهيمن على حياة المسلمين ، والشريعة الإسلامية هي القانون الذي يتحاكم المسلمون إليه .

وآخر كيان سياسي جامع للمسلمين هو الدولة العثمانية التي اُثارت على أيدي اليهود والصليبيين في الربع الأول من القرن العشرين ، وكان انهيارها نتيجة محتمة في سنة الله ، ذلك أنها أصيبت بأمراض وعلل كثيرة جعلتها ضعيفة في مواجهة أعدائها ، ولو بقيت قوية قوة الجبال الرواسي لما عصفت بها الفتن ، ودمرتها الرياح .

لا يكفي في تقويم الدولة العثمانية أن يدلل الباحثون على أن حكامها كانوا صالحين ، وأن آخرهم وهو السلطان عبد الحميد كان مخلصا للإسلام ، فهناك علل في الأمة كلها وفي السلطان نفسه تجعل استمرار تلك الدولة في الوجود مخالفا لسنة الله التي سنّها في عبادته .

لقد كانت تلك الدولة تمثل الإسلام ، ولكن في الإسلام الذي كانت تمثله دخنا كثيرا في العقائد والسلوك والعلاقات ، ودخل الترف حياة الحكام وأغرقوا فيه ، وتزلزلت أركان العدل في كثير من ولايات الدولة الإسلامية وانتشرت الفرق الصوفية التي جعلت الإسلام عبارة عن أذكار ورقص وأكل وقعود عن الجهاد ، وكان القائمون على الدولة لا يجاهدون لإعادة الأمة الإسلامية إلى المستوى الراقي الذي يحققه الالتزام بالإسلام ، بل كان الحكام في كثير من الأحيان يعاقبون المصلحين الذين يحاولون إصلاح الفساد الذي غرقت فيه الأمة الإسلامية .

فكانت سنة الله تقضي بأن تنهار هذه الدولة ، وعلى الرغم من المأساة الكبرى التي حلت بالمسلمين بسبب انهيارها ، إلا أن هذا الانهيار كان ضروريا لا بد منه ، واليوم وقد مر على انهيار الخلافة نصف قرن تقريبا ننظر إلى ما أصاب المسلمين في هذا النصف من

المآسي والبلايا فنألم ، ولكننا نرى من خلال الآلام والمآسي روحا بدأت تسري في الأمة الإسلامية تهدف إلى إعادة مجد الإسلام وعزه من جديد. وشكلت هذه الروح تيارا إسلاميا ناميا ، وقد أصبح هذا التيار واضحا ظاهرا ، وسر هذا التيار الإسلامي نفوس الموحدين ، وأقر أعينهم وساء هذا التيار أعداء الإسلام فارتفعت عقيدتهم محذرة من الخطر الداهم ، والمارد الذي بدأ يتململ في قيوده ، وهو يوشك أن يخرج من محبسه ويفك أغلاله. ولكن هذا التيار لم يبلغ مبلغا يعيد فيه عزة الإسلام ، وينهض بالأمة إلى المستوى الذي كانت تتبوؤه ، ولا يزال العلماء والمفكرون المسلمون منذ سقوط الخلافة وإلى اليوم مختلفين في الطريقة التي نعيد بها عز الإسلام ومجده.

عندما زالت الخلافة في تركيا ، ظن بعض الأخيار أنه يكفي أن ينصب حاكم من حكام المسلمين خليفة كي تعود المياه إلى مجاريها ، ويأخذ القوس باريها والسهم نابله ، وغفل هؤلاء عن أن الذين أسقطوا الخلافة كانوا لا يزالون يسيطرون على مقاليد الأمور وهم لا يسمحون بإعادة الخلافة مرة أخرى بعد أن بذلوا جهودا هائلة غير مشكورة في هذا السبيل.

وبعض دعاة الإسلام ظن أنه يمكن أن يخدم الإسلام ويقيم بناءه إذا انضوى تحت لواء القيادات التي تهمين على مقاليد الحكم في دياره ، وفي سبيل تحقيق هذا تنازل عن شيء من الإسلام ، فقصر دعوته على الصلاة والصوم والزكاة والحج وبعضا من أخلاق الإسلام ، وأعرض عما لا يوافق أهواء أولي الأمر ، وهذا ركون للظالمين ، وتضييع للإسلام وقد حاول الكفار جاهدين أن يحرفوا الرسول ( ﷺ ) عن المنهج الذي دعا إليه ، بحيث يتفقون معه على حل وسط ، فجاءه الوحي من السماء محذرا : { وَلَوْ أَن تَبَتَّنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ } . (الإسراء : ( ٧٤ - ٧٥ )) . وفي هذا أنزل الله { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ } . (هود : ( ١١٣ )) .

وقام في الأمة علماء ومصلحون ، وظن هؤلاء أن نشر العلم والتفقيه في الإسلام وبيان المشكلات التي تحيط بالأمة الإسلامية كاف في إعادة مجد الإسلام وعزه ، وغفل هؤلاء

عن أن الذين يفقهون ويتعلمون ويعرفون من المسلمين يبقون أوزاعا متفرقين لا يشكلون تيارا يصارع الباطل والطغيان.

وقام آخرون بإنشاء الصحف الإسلامية والمجلات الإسلامية ، ويحاول آخرون إنشاء إذاعات إسلامية ، ومهما انتفع الناس بما تكتبه الصحف والمجلات ، وما تبثه الإذاعات ، فإن الفائدة محدودة ؛ لأن الذين لا يريدون للمسلمين أن يفقهوا هم أصحاب الكلمة في الديار التي أنشئت فيها هذه الصحف والمجلات والإذاعات ، وهؤلاء يحبون كلمة الحق ، ويمسخونها ، ثم إن الذين يتأثرون بذلك كله لا يشكلون وحدة فيما بينهم ، وبذلك تبقى قوتهم مشتتة متفرقة ، لا تستطيع أن تخدم بناء معارضا للإسلام ، كما لا تستطيع إقامة بناء الإسلام. وأفضل الرواد هم الذين تنبهوا إلى أن الخطوة الأولى في إقامة صرح الأمة الإسلامية من جديد تتحقق بإقامة تجمع يؤمن بهذه القضية ، يسعى في سبيل تحقيقها باذلا في ذلك النفس والمال.

وفعلا قامت تجمعات كثيرة في العالم الإسلامي تنادي بالعودة إلى الإسلام وانضوى تحت لواء كل منها ألوف وعشرات الألوف ، واستطاعت هذه التجمعات أن تؤثر في حياة المسلمين ، لكن واحدا منها لم ينجح في إعادة الأمة إلى مكائنها من جديد. ولا شك أن بناء الجماعة التي تأهل إلى استلام الراية يحتاج إلى بناء مبدع ، لأن الخلل في البناء يؤخر النجاح ، بل قد يفشله.

هناك تجمعات لا تعنى بتربية أفرادها ، وتظن أن كل مهتمها هو إقامة الخلافة فإذا قامت الخلافة ، فإن الخليفة سيقضي على الباطل بجرة قلم وسيقيم صرح الحق بمنشور أو بيان.<sup>٢٢٤</sup>



<sup>٢٢٤</sup> - مجلة مجمع الفقه الإسلامي - (٢ / ٨٢٨٥) - مجالات الوحدة الإسلامية وسبل الاستفادة منها - إعداد فضيلة

الدكتور عمر سليمان الأشقر



## هل أمرنا باعتزال الجماعات الإسلامية ؟

الذي يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليس من الفرق الضالة ، بل هو من الفرق الناجية المذكورة في قوله ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . قيل : ومن هي يا رسول الله؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » (سنن ابن ماجه الفتن (٣٩٩٢) . وفي لفظ : " هي الجماعة " .

والمعنى : أن الفرقة الناجية : هي الجماعة المستقيمة على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ؛ من توحيد الله ، وطاعة أوامره وترك نواهيه ، والاستقامة على ذلك قولاً وعملاً وعقيدة ، هم أهل الحق وهم دعاة الهدى ولو تفرقوا في البلاد ، يكون منهم في الجزيرة العربية ، ويكون منهم في الشام ، ويكون منهم في أمريكا ، ويكون منهم في مصر ، ويكون منهم في دول أفريقيا ، ويكون منهم في آسيا ، فهم جماعات كثيرة يعرفون بعقيدتهم وأعمالهم ، فإذا كانوا على طريقة التوحيد والإيمان بالله ورسوله ، والاستقامة على دين الله الذي جاء به الكتاب وسنة رسوله ﷺ فهم أهل السنة والجماعة ، وإن كانوا في جهات كثيرة ، ولكن في آخر الزمان يقلون جدا .

فالحاصل : أن الضابط هو استقامتهم على الحق ، فإذا وجد إنسان أو جماعة تدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وتدعو إلى توحيد الله واتباع شريعته فهؤلاء هم الجماعة ، وهم من الفرقة الناجية ، وأما من دعا إلى غير كتاب الله ، أو إلى غير سنة الرسول ﷺ فهذا ليس من الجماعة ، بل من الفرق الضالة الهالكة ، وإنما الفرقة الناجية : دعاة الكتاب والسنة ، وإن كانت منهم جماعة هنا وجماعة هناك ما دام الهدف والعقيدة واحدة ، فلا يضر كون هذه تسمى : أنصار السنة ، وهذه تسمى : الإخوان المسلمين ، وهذه تسمى : كذا ، المهم عقيدتهم وعملهم ، فإذا استقاموا على الحق وعلى توحيد الله والإخلاص له واتباع رسول الله ﷺ قولاً وعملاً وعقيدة فالأسماء لا تضرهم ، لكن عليهم أن يتقوا الله ، وأن يصدقوا في ذلك ، وإذا تسمى بعضهم بـ : أنصار السنة ، وتسمى

بعضهم بـ : السلفيين ، أو بالإخوان المسلمين ، أو تسمى بعضهم بـ : جماعة كذا ، لا يضر إذا جاء الصديق ، واستقاموا على الحق باتباع كتاب الله والسنة وتحكيمهما والاستقامة عليهما عقيدة وقولا وعملا ، وإذا أخطأت الجماعة في شيء فالواجب على أهل العلم تنبيهها وإرشادها إلى الحق إذا اتضح دليله .

والمقصود : أنه لا بد أن نتعاون على البر والتقوى ، وأن نعالج مشاكلنا بالعلم والحكمة والأسلوب الحسن ، فمن أخطأ في شيء من هذه الجماعات أو غيرهم مما يتعلق بالعقيدة ، أو بما أوجب الله ، أو ما حرم الله ، نبهوا بالأدلة الشرعية بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن ، حتى ينصاعوا إلى الحق ، وحتى يقبلوه ، وحتى لا ينفروا منه ، هذا هو الواجب على أهل الإسلام أن يتعاونوا على البر والتقوى ، وأن يتناصحوا فيما بينهم ، وأن لا يتخاذلوا فيطمع فيهم العدو .<sup>٢٢٥</sup>



---

<sup>٢٢٥</sup> - مجموع فتاوى ابن باز - ( ٨ / ١٨١ ) - الذي يقول بأن الجماعات الإسلامية من الفرق التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم باعتزالها هل فهمه غير صحيح؟

## في الدين الحق

أيها الناس اتقوا الله تعالى واشكروه إذ هداكم للإسلام أكبر نعمة أسداها للبشرية، قال تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، [المائدة: ٣]. وقال تعالى: واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً [آل عمران: ١٠٣]. وقال تعالى: واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون [الأنفال: ٢٦].

انظروا إلى الناس من حولكم تجدونهم ما بين ملاحظة تنكروا للأديان وأنكروا الخالق وتجربوا على الخلق وتسموا بأسماء مختلفة ما بين شيوعية، وبعثية، وقومية، واشتراكية، وقد استدرجهم الله فأعطاهم من السلطة والقوة والاختراع والتكتل ما اربوا به العالم، واغتروا به في أنفسهم، ثم إن الله سبحانه دمرهم بسهولة فأضعف قوتهم وشتت شملهم ومزق وحدتهم وسلط عليهم الفقر والفاقة حتى أصبحوا عبرة للمعتبرين. ما أغنت عنهم أهواؤهم ولا نفعتهم جموعهم وجنودهم ولا حميتهم أسلحتهم الفتاكة.

لقد امارت الشيوعية لأن أصحابها لم يبنوها على دين ولم يقيموها على أساس. بل بنوها على شفا جرف هار فاهار بهم في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين. ومن الناس من يتمسك بدين وضعه لنفسه أو وضعه له شياطين الجن والإنس يعبد صنما أو قبراً أو شجرة أو حجراً لا ينفع ولا يضر، ولا يسمع ولا يبصر، بل هو أضعف ممن عبده كما قال تعالى : والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ، [فاطر: ١٣- ١٤].

وذلك هو دين الوثنيين على اختلاف أجناسهم وتنوع معبوداتهم قديماً وحديثاً. ومن الناس من يتمسك بدين مبدل محرف أو منسوخ، قد انتهى العمل به، وأولئك هم اليهود

والنصارى وهم المغضوب عليهم والضالون، والذين نسأل الله أن ينجبنا طريقهم، في آخر سورة الفاتحة في كل ركعة من صلاتنا.

ومن الناس من ينتسب إلى الدين الصحيح وهو الإسلام انتسابا في الظاهر وهو يكفر به في الباطن وإنما انتسب إليه ليعيش مع المسلمين ويخادعهم أولئك هم المنافقون الذين أخبر الله أنهم في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا.

ومن الناس الآن من ينتسب إلى الإسلام بأقواله لكنه يخالفه بأفعاله وتعبداته فيدعو غير الله ويدبح لغير الله ويستغيث بالأموات ويعبد القبور. أو يتقرب إلى الله بدين لم يشرعه فيتقرب إليه بالبدع والمحدثات. يفنى عمره ويتعب جسمه وينفق ماله في إحياء البدع والخرافات باسم الإسلام والدين. وهو يعد عن رب العالمين وأولئك هم عباد الأولياء والصالحين الذين يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى [الزمر: ٣] ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله [يونس: ١٨]. أولئك هم الذين قال الله تعالى فيهم: قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، [الكهف: ١٠٣-١٠٤]. وقال تعالى فيهم: وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع [الغاشية: ٢-٧].

ومن تمام عقوبتهم وابتلائهم أنهم يحسبون أنهم على حق فلا يقبلون النصيحة ولا يفيد فيهم التوجيه. بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون

ومن الناس من ينتسب إلى الإسلام الآن لكنه لا يقيم أركانه فلا يصلي ولا يزكي ولا يصوم ولا يحج ولا يحكم بشرع الله ولا يحرم ما حرم الله ورسوله من الربا والمكاسب الخبيثة.

ومن الناس يكتفي بمجرد التسمي وما يكتب في جواز السفر وحفيظة النفوس قد اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم. ومن الناس اليوم خلق كثير ينتسبون إلى الإسلام لكنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا. فانقسموا إلى جماعات وأحزاب وفرق، لكل فرقة وجماعة منهج مختلف عن منهج الأخرى في الاعتقاد والتعبد والدعوة ولم يبق على الحق من هذه الفرق

إلا من تمسك بالكتاب والسنة وسار على منهج السلف الصالح كما قال النبي - - : (( وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة: قيل من هي يا رسول الله؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي )) ، ولقد أخبر الله سبحانه عن براءة النبي - - من هذه الفرق المخالفة للفرقة الناجية قال تعالى : إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون [الأنعام : ١٥٩].

وبين سبحانه طريق النجاة من هذا الاختلاف بقوله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا [آل عمران : ١٠٣].

إنه لا صلاح ولا فرج ولا نجاة من عذاب الله إلا بالتمسك بالإسلام علماً وعملاً واعتقاداً قولاً وفعلًا وحكماً به بين الناس : إن الدين عند الله الإسلام [آل عمران: ١٩]. ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين [آل عمران : ٨٥]. أغير دين الله يبغون ، [آل عمران : ٨٣]. أغير الله أبتغي حكماً [الأنعام: ١١٤]. أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون [المائدة : ٥٠].

وهناك من يتحمسون للدين اليوم ويقومون بالدعوة إليه بزعمهم - وهم جهال - بأحكامه آنية مغرضون يريدون الدس فيه وإثارة الفتنة بين المسلمين فيروجون الشبه ويزهدون في علم السلف ويصفون العلماء بأنهم قاصرو النظر لا يفهمون فقه الواقع. وهم يريدون بذلك أن يفصلوا المسلمين عن علمائهم حتى يدخلوا عليهم مبادئهم وأفكارهم المنحرفة. وقد يستخدمون لذلك بعض أنبائنا المغرورين فتنبهوا لذلك واحذروا فتنتهم ولا تروجوا أقوالهم بينكم فإنها سبب فتنة وشر راعانا الله وإياكم وجميع المسلمين من الفتنة. إن الذي لا يفهم فقه الواقع في الحقيقة هو الذي لا يتنبه للدعوات المدسوسة باسم الإسلام من أجل إثارة الفتنة وشق عصا الطاعة وتفريق الكلمة فاحذروا هذا الصنف واحذروا من دعاة السوء - واتقوا الله لعلكم ترحمون.

أيها الناس اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه لا يتحقق للإنسان التمسك بدين الإسلام حتى يتبرأ مما سواه من سائر الأديان. لأنه لم يبق بعد بعثة محمد - - دين صحيح إلا دين

الإسلام الذي جاء به. قال : (( والله لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي )) ، وقال : (( لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار )) وقال تعالى : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين [سورة الكافرون].

بعض الجهال يقول إن الإسلام جاء بحرية الأديان والتعايش بين أصحابها وهذا خطأ واضح. وجهل فاضح فالإسلام لا يقر الأديان الباطنية ولذلك شرع عند القدرة قتال أهلها لإزالتها قال تعالى: وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله [الأنفال ٣٩].

والإسلام أمر بترك اليهود والنصارى على دينهم إذا بذلوا الجزية وخضعوا لدين الإسلام وهم صاغرون وذلك لأنهم أهل دين سماوي منسوخ فاعطوا الفرصة من اجل أن ينتقلوا منه إلى دين الإسلام بعد تأمله بخلاف الوثنيين والديهرية فهؤلاء لا يجوز تركهم على كفرهم فالواجب على المسلم ألا يتكلم في هذه المسائل الخطيرة إلا عن علم وبصيرة. عباد الله : إن دين الإسلام دين العزة فهو يعلو ولا يعلى عليه فما بال بعض المسلمين يذلون للكفرة والله تعالى يقول: ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين [آل عمران: ١٣٩].

ويقول تعالى : والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون [المنافقون: ٨]. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - - : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا أردنا العزة بغيره أذلنا الله فالواجب على المسلم أن يعتز بدينه ولا يذل ولا يهون. الواجب على المسلم أن يترفع بدينه عن الدنيا والرزائل والأخلاق الفاسدة والصفات الهابطة. ولكن بعض المنتسبين إلى الإسلام إذا سافروا إلى بلاد الكفار صاروا عارا على الإسلام بأخلاقهم وتصرفاتهم القبيحة يمارسون أقبح الفحش والإجرام، ولا يتورعون عن الحرام، يعاقرون الخمر، ويغشون مجالس اللهو والفجور، ويظهرون نساءهم بأقبح مظاهر العري والسفور، فيشوهون الإسلام عند من لا يعرف الإسلام وهم في الحقيقة إنما يمثلون ويظهرون ما تكنه قلوبهم من مرض ونفاق. والإسلام بريء منهم ومن تصرفاتهم.

فاتقوا الله - عباد الله -، واحمدوا الله على دين الإسلام واعتزوا به وأظهروه على حقيقته  
في أي مكان يعزكم الله وينصركم. واعلموا أن خير الحديث كتاب الله...<sup>٢٢٦</sup>



---

<sup>٢٢٦</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ١٥٦) - في الدين الحق - صالح بن فوزان الفوزان

## دور الصحابة في إبلاغ الرسالة

إن الطريق المستقيم هو الطريق الذي به سيد المرسلين وخاتم النبيين عبد الله ورسوله محمد لا سبيل إلى الوصول إلى رضوان الله وإلى جناته إلا بواسطة اتباع رسول الله محمدًا ، فمن اتبع ما جاء به هذا الرسول فقد نجا وظفر بالدين وفاز برضوان رب العالمين ومن انحرف عما جاء به هذا الرسول فقد هلك وخسر الخسران المبين.

لأن سيدنا محمد هو المبلغ عن ربه، المبين عن الله مراده قال تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك [المائدة: ٦٧]. وقال تعالى: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم [النحل: ٤٤].

وهو المعلم لأئمة الكتاب والحكمة قال تعالى ممتنًا عليهم بذلك: لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة [آل عمران: ١٦٤]. ووصف الرسول الذي يبين لهم الحلال والحرام قال تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث [الأعراف: ١٥٧].

وقد بُعث في هذه الأمة قاضياً لهم في شئون حياتهم وحكمًا فيمن شجر بينهم قال تعالى: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم [الأحزاب: ٣٦].

فلا يصح إيمان أحد حتى يحكم نبي الله ويحكم سنته ثم لا يجد في نفسه حرجاً ولا ضيقاً من ذلك ثم يسلم بحكمه قال تعالى: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في صدورهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً [النساء: ٦٥].

ولقد بعث الله بالشرعية السمحة والدين الخاتم ليحكم بذلك بين الناس قال تعالى: إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله [النساء: ١٠٥].

ولذلك فقد اختاره الله سبحانه وتعالى نموذجاً وأسوة حسنة للمؤمنين قال تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً [الأحزاب: ٢١] ولذلك أمرنا سبحانه وتعالى بأن نتبع هذا النبي الكريم فقال تعالى: آمنوا



بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وسد كل الطرق فلا طريق إلى الله سبحانه وتعالى ولا سبيل إليه إلا طريق اتباع هذا النبي قال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله [آل عمران: ٣١].

ولذلك قرن سبحانه طاعته وطاعة رسوله وشد وثاق بعضهما ببعض فقال تعالى: وأطيعوا الله ورسوله [الأنفال: ٤٧]. وقال سبحانه: من يطع الرسول فقد أطاع الله [النساء: ٨٠]. فكيف يتخيل مسلم بعد ذلك أن هناك طريقاً يمكن أن يوصل إلى الله غير طريق محمد وكيف يتوهم عاقل بعد ذلك أنه لا يحتاج إلى الشريعة التي جاء بها سيدنا محمد وكيف يتخيل مؤمن بعد ذلك أنه يبقى مؤمناً أو مسلماً ثم يظن أنه لا حاجة به إلى سنة النبي إن الله عز وجل قد بين لنا أنه لا سبيل ولا طريق إليه ولا إلى رضوانه إلا باتباع هذا النبي الكريم. فمن انحرف عما جاء به سيدنا محمد فقد هلك وأخطأ الطريق وقد حذر الله تعالى هؤلاء المارقين الذين انحرفوا عن سنته فقال: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم [النور: ٦٣].

وكما أن النبي هو الوسطة بيننا وبين ربنا عز وجل فهو المبلغ عن الله سبحانه وتعالى فإن هناك واسطة بيننا وبين رسول الله وهم أصحابه الكرام رضي الله عنهم فإن الله سبحانه كما اصطفى نبيه من بين سائر البشر ليبليغ عن الله رسالاته فقد اصطفى للنبي أصحاباً هم أفضل الناس بعد الأنبياء عقولاً وأصفاهم نفوساً وأتقاهم قلوباً فحفظوا ما بلغهم به الصادق الأمين من كلام رب العالمين وحفظوا سنته أقوالاً وأفعالاً وسائر أعماله الخاصة منها والعامة، ثم بلغوها إلى الأمة وكانوا أمناء على ذلك وكانوا علماء فقهاء في دين الله فحفظ الله بهم ما أنزل على رسوله من القرآن وما أوحى إليه من سنة رضي الله عنهم وأرضاهم وجزاها عن الأمة خير الجزاء.

كيف يتخيل مسلم بعد ذلك أنه يمكن أن يستغني عن هذه الوسطة الكريمة، أن يستغني عن واسطة الصحابة الكرام ويصل إلى الدين بدونها. لا سبيل إلى الوصول إلى دين الله وإلى شرعه وإلى قرآنه الذي أنزله على الرسول الكريم إلا بواسطة الصحابة الكرام.

لم يخطر على باب مسلم أبداً أنه يمكن الاستغناء عن واسطة الصحابة الكرام ولم يخطر على بال مؤمن أبداً أن ينقص من قدر الصحابة وحقهم ومكانتهم إنما خطر ذلك على بال اليهود والمجوس وذنوبهم الذين اندسوا في صفوف الأمة الإسلامية منذ وقت مبكر بهدف الهدم والتخريب، أما المؤمنون المسلمون فإنهم يعلمون ويوقنون أنهم لا سبيل للوصول إلى شرع الله ولا دينه وقرآنه الذي أنزله على نبيه إلا بواسطة هؤلاء الصحابة الكرام لأنهم هم الذين نقلوا إلينا كلام الله القرآن الكريم الذي نقل عن سيدنا محمد وهم الذين نقلوا إلينا السنة النبوية وعلى هذين الركنتين قام بناء الدين كله، فكيف يستغني أحد عن واسطة الصحابة الكرام إذن ينهدم الدين كله.

كما بلغ الرسول عن ربه فأتم البلاغ وأدى الرسالة فهو واسطة بين هذه الأمة وبين ربها عز وجل، فقد بلغ الصحابة الكرام عن رسول الله فأتوا البلاغ وأحسنوا الأداء فرضي الله عنهم وأرضاهم وجزاهم عن الأمة خير الجزاء. لذلك كله فإننا نعلنها صريحة واضحة كالشمس كما قال : ((ما أنا عليه وأصحابي)) فرسول الله يخبر أن سبيل الله المستقيم ويعول أن سبيل الله المستقيم بهذه العبارة الواضحة ((ما أنا عليه وأصحابي)) وذلك في ذلك الحديث المشهور الذي رواه الأئمة في كتبهم بأسانيد أكثر من أن تُحصى أن رسول الله أخبر عن افتراق أمته من بعد إلى فرق، وعن تكاثر هذه الفرق ثم دهم على الفرقة الناجية وهو الرؤوف بأمته الرحيم بهم قال : ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ففي الجنة قالوا : ومن هي الناجية يا رسول الله ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)) [١].

ثم سمي النبي هذه الفرقة بالجماعة فقال: ((وهي الجماعة فمن أراد بحجة الجنة فليزم الجماعة)) [٢] أي ليلزم ما كان عليه رسول الله وما كان عليه أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد  
إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين  
سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا واغفر لنا إنك رؤوف رحيم.

- 
- [١] أخرجه ابن ماجه (١٣٢٢/٢) برقم (٣٩٩٢) وابن أبي عاصم في السنة (٣٢/١)  
برقم (٦٣) من حديث عوف بن مالك.  
[٢] مسند أحمد ١٨/١. ٢٢٧



---

<sup>٢٢٧</sup> -موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٢١٢) - دور الصحابة في إبلاغ الرسالة - عبد العزيز بن عبد  
الفتاح قاري

## التوسط والتطرف

إن الله - جلت قدرته وتعالى أسماؤه - أكرمنا أمة محمد بأن جعلنا خير أمة أخرجت للناس شهداء على الناس أكرمنا بأن جعلنا وسطاً أي عدلاً خياراً لا إفراط فيها ولا تفريط ولا جفاء ولا جحود ولا جمود ولا جهل ولا انحراف ولا ضلال.

أكرمنا سبحانه بأن جعلنا وسطاً بين الأمم السابقة وأنبيائها، وسطاً بين نحل هذه الأمة، أعني أمة الدعوة، التي أخبر عنها رسول الله - - بقوله: ((ستفترق أمتي على اثنين وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة وهي الجماعة)) وفي رواية قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)).

فالأمة الوسط الممدوحة الناجية هي الأمة المستقيمة على شرع الله السالكة الصراط المستقيم الذي أمرنا أن نسأله أن يهدينا له في كل ركعة من ركعات صلواتنا الهدى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وهذا الصراط المستقيم هو دين الإسلام المحض، وهو ما عليه الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة الفرقة الوسط الخيار الملتزمة لدين الله المتوسطة في جميع أمورها في باب الإيمان بالأنبياء، فلم تَعْلُ كما غلت النصراني في نبيها وعلمائها باتخاذهم أرباباً من دون الله، ولم تَجْفُ كما جفت اليهود الذين يقتلون النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس، وإنما آمنوا بهم وعزروهم واتبعواهم فيما أمروا أن يتبعوهم فيه، المتوسطة في باب صفات الله وأسمائه بين أهل التعطيل الذين يلحدون في صفات الله وأسمائه ويعطلون حقائق ما وصف الله سبحانه به نفسه وما وصفه به رسوله حتى شبهوه بالعدم والأموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. فهم - أي الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء يصفون الله سبحانه ويسمونه بما وصف وسمى به نفسه وبما وصفه وسماه به رسوله - - من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل على حد قوله سبحانه: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ،

وقوله: قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وقوله: فلا تضربوا الله الأمثال.

المتوسطة في باب الوعد والوعيد بين الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلصين في النار ويخرجونهم بها من الإسلام كالخوارج والمعتزلة وبين المرتبة ومنهم كثير من متمسكة اليوم الذين يقولون: إن الإيمان مجرد التصديق فيجعلون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء ومثل إيمان أبي بكر وعمر وغيرهما من السابقين من المهاجرين والأنصار، فهم - أي الفرقة الناجية - يعتقدون أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويرجون للمحسنين من أمة محمد ويخافون على المسيئين.

المتوسطة في باب القدر فهم يعتقدون أن الله علم كل شيء وكتب كل شيء وقدره. وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن للعبد قدرة وإرادة ومشئته لكنها تابعة لقدرة الله وإرادته ومشئته يقول الله سبحانه: وما تشاؤون إلا إن يشاء الله ، ويقول الرسول: ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له)).

وفي أصحاب رسول الله - - بين الغلاة فيهم والجفاة في حقهم، فلا يغفلون فيهم كما غلت الروافض في أهل البيت، ولا يحفون كما حفت الروافض كذلك في حق أصحاب رسول الله، بل يحبون الكل ويوالونهم ويترضون عليهم ويكفون عما شجر بينهم ويصلون على آل في صلواتهم وغيرها: ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد)). وفي باب التحليل والتحريم والتحاكم فيحرمون بطواعية ما حرمه الله ورسوله ويحلون ما أحله الله ورسوله، ولا يجوزون لكبارهم وحكامهم أن يحلوا ما حرم الله أو يحرموا ما أحله الله أو أن يحكموا بغير ما أنزل الله كما تفعله النصارى ومن شابههم في ذلك قال تعالى: اتخذوا أحمبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله... الآية. عن عدي بن حاتم - - ((أنه سمع رسول الله - - يقرأ هذه الآية قال: فقلت: يا رسول الله: لسنا نعبدهم. قال أليس يحلون ما حرم الله فتحلونهم ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه قال: قلت: بلى. قال: فتلک عبادتهم)).

ويشهد لهذا الحديث الآية السابقة، وقوله سبحانه في سورة الأنعام في سياق تحريم وتحليل: وإن أطعتموهم إنكم لمشركون وفي باب العبادات فلا يتجاوزون بذلك الحد الذي شرعه

رسول الله - - ولا يجفون فيما شرعه فيعلمون جانباً، فأمرهم أمر اتباع لا ابتداء، أمر اقتداء لا غلو فيه ولا جفاء.

في مجال الاقتصاد جبياً وانفاقاً فلا إسراف ولا تقتير: والذين إذا نفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً.

فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم يروى أن عبد الملك بن مروان - رحمه الله - لما زوج عمر بن عبد العزيز - - ابنته فاطمة قال له: ما نفقتك قال: الحسنة بين السيتين.

ومما سلف ونحوه أيها الإخوة - يعلم أن الخير كل الخير في إلتزام طريقة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة الطريقة الوسط المحفوظة المصونة من الأخطار فكلما كان الأمر أو الإنسان وسطاً كان محمياً محصناً من الأخطار، وكلما كان متطرفاً خارجاً عن التوسط غير ملتزم لما يجعله وسطاً حقاً كان مهدداً معرضاً لتتخطفه شياطين الإنس والجن دعاء الزيغ والضلال وصدق رسول الله - - في قوله: ((وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)) رواه ابو داود.

فاتقوا الله - عباد الله - وحصنوا نفوسكم بلزوم هذه الطريقة المثلى الوسط والمتمثلة صفاتهم فيما سلف من قوله عليه الصلاة والسلام: ((من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)) ، وقوله: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوراً لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله)) وفي رواية: ((لا تزال هذه الأمة)). قال الإمام أحمد - رحمه الله -: إذا لم يكونوا أهل الحديث فمن هم؟<sup>٢٢٨</sup>



<sup>٢٢٨</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٢٤٧) - التوسط والتطرف - عبد الله بن حسن القعود

## معايير الحق والتحذير من البدع

أيها المسلمون: كان نبيكم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم. ويقول: ((بعثت وأنا والساعة كهاتين)) [١] ، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: ((أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)). وفي رواية للنسائي رحمه الله زيادة: ((وكل ضلالة في النار)) [٢].

ولقد حدث الصحابي الجليل العرياض بن سارية فقال: وعظنا رسول الله موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة)) [٣].

أيها المسلمون: هذا بيان نبيكم محمد ووصيته إياكم وتبليغه لكم؛ فهل بعد هذا البيان بيان؟ وهل وراء هذه الوصية وصية؟ وهل فوق هذا التبليغ تبليغ؟ لقد تضمن هذان الحديثان الجليلان فيما تضمناه من الوصايا الكريمة والنصائح المهمة: التأكيد على أصول اعتقادية عظيمة، وقواعد منهجية راسخة، وموازن سلوكية مستقيمة يقوم عليها الإيمان، ويحفظ بها للعقيدة الأساس والبنیان، وتوزن بها المقاصد والأعمال والأقوال، وتعرف بها أحوال الرجال، وتعرض عليها الحوادث المستجدة، ويُقوَّم بموجبها سلوك الفرد والأمة، ويضمن المستمسك بها ممن خلف السير في كل الأمور على هدي خير السلف.

أيها المسلمون: فأصل تلك الأصول التي أمر الرسول بالتمسك بها كتاب الله خير الحديث، وأصدق القول، وأشرف الذكر، وأعظم الذخر، فإنه جبل الله المستين، ونوره المبين، وصراطه المستقيم، الهادي لكل أمر قويم، وهدي مستقيم، من تمسك به رفعه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، ومن تركه من جبار قصمه الله، نعته الله بأجمل نعت، ووصفه بأكرم، وصف بأنه ذكر للعالمين، ورحمة للمؤمنين، وهدي للمتقين، وبشرى

للمحسنين، ما فرط الله فيه من شيء؛ بل جعله تبياناً لكل شيء، يهدي للتي هي أقوم، ويرشد إلى الخلق الأعظم، فهو ذكر وذكرى، ونور وهدى، وموعظة وبشرى، قال فيه المتكلم به سبحانه: فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى [سورة طه: ١٢٣-١٢٤].

وجاء في الصحيح السنة المطهرة: أن القرآن يأتي شفيحاً لأهله يوم القيامة، وأن من كان القرآن خصمه فإنه يحرم الشفاعة، ويخلد في النار وبئس القرار.

فاتلوا القرآن - عباد الله - وتدبروه، واعملوا به ولا تهجروه، وتحاكموا إليه وارضوه، وما أشكل عليكم منه فالتمسوا بيانه في السنة الصحيحة تجدوه، فإنكم عنه مسؤولون: وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون [سورة الزخرف: ٤٤].

أيها المسلمون: وأما ثاني تلك الأصول التي نص عليها الرسول فهي السنة الغراء المبينة للهدى، فإنها تفسر القرآن وتبينه أبلغ البيان، تفسر مجمله، وتوضح مشكله، وتفتح مغلقه، وتقيد مطلقه، وتخصص منه العام، وتستقل عنه ببعض الأحكام، فقد وكل الله إلى نبيه تبين ما نزل إليه، كما جاء في القرآن النص عليه: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون [سورة النحل: ٤٤]. فالرسول هو الداعي إلى الله والمبين لدينه وهداه، والدال لجميع الناس على كل ما يحبه ويرضاه، والمنذر للعصاة من هول يوم لقاءه، فأسلم الناس من الفتن من تمسك بمأثور السنن، وأسعد الناس بشفاعته من أخلص لله في عبادته، وتمسك في سائر أحواله بهديه وسنته، وأولياء الله حقاً هم السائرون على منهجه صدقاً، فإنه أسوة المؤمنين، قال تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر كثيراً [سورة الأحزاب: ٢١].

فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليتأس بنبيه في الباطن والظاهر، ومن ادّعى محبة الله فليأت ببينة على ما ادعاه باتباع حبيبه محمد ومصطفاه، ومن تولى عن دينه وهداه ولاه الله ما تولاها، وما ظلمه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين [سورة آل عمران: ٣١-٣٢].



ولهذا شهد الله بالإيمان والفلاح لمتبعيه، وتوعد بالفتنة والعذاب مخالفيه، قال تعالى: فالذين ءامنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون [سورة الأعراف: ١٥٧]. وقال تعالى: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم [سورة النور: ٦٣].

ومن خالف أمره فقد رغب عن سنته، ومن رغب عن سنته خشي عليه أن لا يكون من أهل ملته، وأن يحال بينه وبين رحمة الله وجنته، قال: ((فمن رغب عن سنتي فليس مني)) [٤]. وقال: ((كل أمي يدخل إلا من أبي)) قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: ((من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)) [٥]. فمن تمسك بالكتاب والسنة فقد أخذ بأسباب الرحمة، وفاز بالعصمة، وأمن من الضلالة والفتنة، فالتمسك بهما محفوظ، وليبشر من الله تعالى في الدنيا والآخرة بالخير وأعظم الحفظ.

أيها المسلمون: وأما سنة الخلفاء الراشدين والصحابة المهددين، فإنها طريق الاستقامة، ومنهاج الكرامة، وهي على توفيق متبعهم فيها علامة، فإنهم رضي الله عنهم هم خيار أصحاب النبيين، وأشرف الحوارين، كيف لا وهم قوم اختارهم الله لصحبه نبيه، وائتمنهم بعده على دينه ووحيه، فهم خلفاء الرسول في أمته، السائرون على هداية وطريقته، والقائمون بعده بتبليغ رسالته، أبر هذه الأمة قلوبا، وأصدقها ألسنا، وأعظمها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، فهم أئمة الأئمة، وهداة جميع الأمة، أثنى الله عليهم بالمسارعة إلى الخيرات، وشهد لهم بالسبق إلى أعلى الدرجات، وأخبر أنهم خير أمة أخرجت للناس، وجعلهم في الدنيا ويوم القيامة الشهداء على الناس، من سلك سبيلهم فهو على الهدى، ومن ترك طريقهم فقد اتبع الهوى فهو، وسيؤليه الله يوم القيامة ما تولى، قال تعالى: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً [سورة النساء: ١١٥].

فعليكم عباد الله بما كان عليه الصحابة؛ فإنهم أهل الجنة والفلاح والإصابة، أخبر النبي أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فسئل عنها فقال: ((هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)). فاتباعهم هم الفرقة المبرورة المشكورة،

والطائفة الظاهرة بالحق والمنصورة، التي لا يضرها من خذلها ولا من خالفها، حتى يأتي الله بأمره، جعلنا الله وإياكم بهم مقتدين، ولهم في كل شيء متبعين، ومهديهم ظاهرين، وجمعنا بهم في دار كرامته يوم الدين.

أيها المسلمون: فالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة وأتباعهم من سلف الأمة، هي براهين الحق، وموازين الاستقامة، ومعالم التوفيق، وهي القسطاس المستقيم التي ينبغي أن يوزن بها كل جديد، وأن تحكم في القريب والبعيد، وأن يخضع لها الدقيق والجليل، والكثير والقليل، فهي والله قاصمة لظهور المنافقين، وقاضية على بدع المبتدعين، وكاشفة لشبهات المشتهين، ومبينة لزيغ الضالين المبطلين في الحق والصدق: بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق [سورة الأنبياء: ١٨]. فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين [سورة العنكبوت: ٣].

أيها المسلمون: وأما الأمور التي حذر منها النبي في خطبته، وزجر عنها في بليغ موعظته، فهي محدثات الأمور التي يخترعها ويرتكبها متبعو الأهواء في سائر العصور، وكم فيها من أنواع الفتن في الأرض والفساد والكبير، فإن المبتدع يتقرب إلى الله بعمل يخترعه من عند نفسه أو يتبع فيه غيره، ويعدده من دين الله، ويدعو إليه من استطاع من عباد الله، مع أنه ليس له أصل في القرآن، ولم يقوم عليه من سنة النبي برهان، ولم يكن من هدي الصحابة الكرام، ولا التابعين وأتباعهم من أئمة الإسلام.

فالبدع كلها شر وضلال، وشقاء عظيم في الحال والمآل، فإنها تبديل للدين، وتضليل للمسلمين، واتباع لسنن الجاهلين والمغضوب عليهم والضالين، وهي استدراك على الله في شرعه، أو اتهام للنبي في تبليغه وبيانه، أو وصف للصحابة رضي الله عنهم - وحاشاهم - بالسذاجة وعدم الفقه، أو سوء القصد، أو قلة الرغبة في الخير، وهي تفريق للدين وتشتيت للمسلمين، وفتح لباب يدخل منه الكافرون والمشركون في حربهم للدين وأهله المؤمنين، قال تعالى: ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون [سورة الروم: ٣١-٣٢].

وأي ضلال أعظم من الاستدراك على الله في شرعه أو القول عليه بلا علم؟! وأي نفاق أخطر من اتهام النبي في تبليغه ما أنزل إليه من ربه؟! وأي غرور أشد من ازدراء الصحابة بنسبتهم إلى التقصير فيما يكمل الإيمان، أو نقص شكرهم لنعم الله مولى الفضل والإحسان، فقبح الله المبتدعة ما أنقص عقولهم وسفه أحلامهم، وتبّا لهم ما أقبح بضاعتهم وأخسر صفقتهم: أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين [سورة البقرة: ١٦]. كيف يتقربون إلى الله بما اخترعوا من البدع ويعدونها أفضل وأحسن مما شرع؟! قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا [سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الهدى والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم أنه هو الغفور الرحيم.

- 
- [١] صحيح مسلم (١٤٣٥).
- [٢] سنن النسائي (١٥٦٠).
- [٣] مسند أحمد (١٢٦/٤)، سنن أبي داود (٣٩٩١)، سنن الترمذي (٢٦٠٠)، سنن ابن ماجه (٤٢).
- [٤] صحيح البخاري (٤٦٧٥)، صحيح مسلم (٢٤٨٧).
- [٥] صحيح البخاري (٦٧٣٧).<sup>٢٢٩</sup>



<sup>٢٢٩</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٢٩٠) - معايير الحق والتحذير من البدع - عبد الله بن صالح القصير

## التحذير من الفرقة

قال تعالى: وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون [الأنعام: ١٥٣]. خط رسول الله خطأ ورسم على جوانبه خطوطاً وقال: ((هذا هو طريق الله وهذه السبل على رأس كل واحد منها شيطان يدعو إليها ثم قرأ الآية)) ( [١] ) ، فطريق الله واحد لا تعدد فيه وطرق الضلالة متعددة لا حصر لها والفرقة ثمرة لاتباع السبل المعوجة.

فما الفرقة وأسبابها؟ ومن الفرقة الناجية وسماؤها؟ وما هو موقف المسلم من ذلك كله؟ أما الفرقة: فهي ضد الوحدة والتجمع، وهلاك الأمة بتمزيقها للحديث: ((سألت ربي ثلاث فأعطاني اثنتين ومنعني الثالثة سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنين فأعطانيها وسألت ربي ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)) ( [٢] ) وأهم أسباب الفرقة:

بعدنا عن إسلامنا: جرت سنة الله تعالى أن أمم الكفر قد تجتمع على باطلها وتتعاون وتتفق عليه قال تعالى: والذين كفروا بعضهم أولياء بعض [الأنفال: ٧٣]. وأن أمة الحق لا تستقيم إلا بالإسلام يقول ابن خلدون رحمه الله: (العرب أمة همجية ولا يسوسها ولا يهذبها إلا الدين) وهذا واضح جلي في استحالة اجتماع الأمة على أمر أبداً. الاعتزاز بغير الله من عشيرة أو أرض أو دم أو طين وليت هذا الاعتزاز يظهره على أعداء الله ولكننا أقوياء على بعضنا أذلاء على أعدائنا، إسلامنا يدعونا بآياته فيقول: إنما المؤمنون إخوة [الحجرات: ١٠]. إن أكرمكم عند الله أتقاكم [الحجرات: ١٣]. وبأحاديث يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: ((إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل: يا بني آدم وضعت نسباً ووضعت نسباً وضعت نسباً: فقلتم فلان بن فلان ووضعت نسباً فقلت: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي)) ( [٣] ).

أمراض القلوب: فليس إسلامنا مجرد مظهر إسلامي من مسواك ولحي بل لا بد لذلك من باطن نظيف طاهر من الظلم والحسد والبغضاء والضغينة: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)) ( [٤] ).

الركون إلى الدنيا، قطع أواصر المحبة والمودة فأمة الحق كانت تعيش كلها بمشاعر واحدة وهم واحد وفرحة واحدة فهي: ((كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) ( [٥] ) ، ولكن حب الدنيا أفقدها معاني سامية كثيرة كالرحمة والرفقة والإيثار فعاشت في مادية قاتلة أذهبت بجمالها وأحالتها قبيحة منفرة.

أن نكيف دين الله لأنفسنا ولا نكيف أنفسنا لمنهج الله تعالى فنأخذ من إسلامنا ما يوافق أمزجتنا وندع ما لا يوافقها، فجرت علينا سنة الله تعالى كما جرت على الأمم من قبلنا قال تعالى: ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم لقيامة [المائدة: ١٤].

فالعداوة والبغضاء ثمرة لذلك الترك الجزئي لمنهج الله وميثاقه.

الخلاف حول الفرعيات: ومن سماحة إسلامنا أن في الكثير من أحكامه سعة ورحمة ومراعاة لأحوال الناس وتفاوتهم وينبغي أن يراعي في بحث أي مسألة قراءتها في أكثر من كتاب، وأن تكون المراجع من الكتب المعتمدة التي خطها سلف الأمة بأيدي متوضئة ونفوس معظمة لله تعالى، وعقول جمعت إلى العلم التزاهة والتجرد من الأهواء، وينبغي أن يراعي أيضاً وضع الفعل في موضعه فلا يجوز رفع السنة إلى درجة الفرض أو الهبوط بالفرض إلى درجة المستحبات، وينبغي أن يراعي أيضاً ألا نبني محبتنا وبغضنا على اتفاق أو اختلاف في الأخذ بأي وجه ثبت عن رسول الله أو زكاه سلف الأمة فذاك دليل قصور في العقل وفساد في القلب.

وأما سمات الفرقة الناجية: فإن فرقة الأمة أمر قديم وقد أراد الله تعالى أن يقيم الحجة على عبادته بعباد له متجربين في كل زمان ومكان سمتهم:

أهم قليل من الناس قال تعالى: قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث [المائدة: ١٠٠]. وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله [الأنعام: ١١٦].

وللحديث: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى أن يأتي أمر الله)) ( [٦] ).

وإن منهجهم فيه الشمول الكامل للدين الذي جاء به محمد بن عبد الله فليسوا مجزئين ولا مؤمنين ببعض وكافرين ببعض للحديث: ((افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافتترقت النصارى على إثني وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، ما أنا عليه وأصحابي)) ( [٧] ).

وإنهم مصلحون فلا يحبسون الخير في أنفسهم، وإنما لهم ولغيرهم والصبر في تبليغ شرع الله تعالى للحديث: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي)) ( [٨] ).

وإنهم مجاهدون فرجل القول غير رجل الجهاد، فالقول صنعة يتقنها الكاذب كما يتقنها الصادق والمحك هو الجهاد حيث ينفي خبث الصف ويصقل القلوب والعقول حتى تتجرد لحاقلها سبحانه، للحديث: ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة حتى يقاتل آخرهم الدجال)) ( [٩] ).

وإنهم مستعلون عن كل منعطف أو ركون يشدهم إلى الأرض، عارفون بحديث المصطفى : ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)) ( [١٠] ).

وأما موقفنا من ذلك كله :

فعلينا أن نسأل الله دائماً الثبات والصبر على دينه مرددين قوله تعالى وهو يعلمنا: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب [آل عمران: ٨]. ومرددين دعاء المصطفى : ((اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا)).

وعلينا أن نكون جامعين لا مفرقين لأمة محمد ، ناصحين لا فاضحين دعاة لا قضاة، والذين يتسببون في هذه الفرقة مهما كان دافعهم فإنه لن يخرج عن دائرة، الإثم والحساب، إلا من رحم ربي وشاء، حيث داء الأنا الذي ورثوه عن الذي قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين [الأعراف: ١٢]. والجهل بالعدو المشترك، وعدم استكمال جوانب التربية، وقصور الفهم وضيق الأفق، والنظر إلى الأمور من خرم إبرة، والأهواء

وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وانقلاب الموازين وعدم التثبيت وسد الفتن، والاعتزاز بغير الله من نسب الأرض والطين والدم واللون والطبقة، وتضخيم جوانب على حساب أخرى من منهج الله، وسوء التقدير بين الأصول والفروع، كلها أسباب ثمرتها المرة هي الفارقة والاختلاف فاسدة لاصطدامها بالأصول المنصوص عنها في الكتاب والسنة، ولا اجتهد في موضع النص فتأمل.

-----  
( [١] ) رواه أحمد.

( [٢] ) أخرجه المسلم.

( [٣] ) الطبراني في الأوسط والبيهقي.

( [٤] ) مسلم.

( [٥] ) متفق عليه.

( [٦] ) رواه مسلم والترمذي.

( [٧] ) أبو داود والترمذي.

( [٨] ) رواه الترمذي.

( [٩] ) رواه الحاكم.

( [١٠] ) متفق عليه. ٢٣٠



---

٢٣٠ - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - ( ١ / ٤٢٦ ) - الفرقة - هاشم محمد علي المشهداني - الدوحة

## الاختلاف

قال تعالى : ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم [آل عمران: ١٠٣].

الاختلاف داء، إذا أصاب الجماعة دمرها من داخلها، وصرفها الله تعالى عن حمل رسالته ودعوته فحملة دعوة الله لا ينبغي أن يكونوا مختلفين.

فما الاختلاف؟ ولماذا؟ وما أثره؟ وما أنواعه؟ وما أدب الإسلام عند الاختلاف؟  
الاختلاف لغة: عدم الاتفاق على الشيء.

واصطلاحاً: أن ينفرد كل واحد بطريق غير طريق الآخرين في رأي أو فعل أو حال.  
وينبغي أن تعلم:

أن اختلاف الأقوال وارد، ولكن اختلاف القلوب هو الاختلاف المنهي عنه في الكتاب والسنة والإجماع، في الكتاب: ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم [آل عمران: ١٠٣].

وفي السنة: ((لا تقاطعوا ولا تدبروا ولا تباعدوا وكونوا عباد الله إخواناً)) ( [١] ).

والإجماع: جاء في العقيدة الطحاوية: ونرى الجماعة حقاً وصواباً والفرقة زيغاً وعذاباً.  
والعلم إذا تجرد عن الإخلاص لله عز وجل كان سبباً للشقاء إذا غلب صاحبه حب الغلبة والرياسة والثراء.

وعلماء السوء هم الذين يحلون ما حرم الله كالذي أباح الربا عندما دعا الناس إلى شراء شهادات استثمارية بنية مساعدة الدولة ثم تلاعب بالألفاظ فسمى الفائدة أو الربا بالعائد الاستثماري، والربا هو الربا وهو حرام على جميع أنواع القروض سواء كان قرضاً إنتاجياً أو استهلاكياً، وأمثال هؤلاء يوقعون الأمة في اختلاف وعندما يرى البسطاء اختلاف العلماء فيما بينهم، وليس هناك من اختلاف إنما هي التبعية وأكل الفضلات التي يلقيها أصحاب المال والجاه وقد ضرب الله هؤلاء مثلاً بالكلب فقال: واتل عليهم نبأ الذي آتيناه



آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثل الكلب [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].  
وأما أسباب الاختلاف:

فإن الناس ليسوا سواء في مداركهم وعقولهم وطبائعهم فمنهم الحليم ومنهم العجول، ومنهم السطحي ومنهم الواعي لبواطن الأمور، ومنهم من يفسر الأمور تفسيراً آخذاً فيه بقول عمر: التمس لأخيك بضعا وسبعين عذرا ومنهم من يأخذ بالمثل القائل: سوء الظن من حسن الفطن.

طمع وحرص: والدنيا سبب للاختلاف كبير: يقول عليه الصلاة والسلام: ((فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم)) ( [٢] ).

التنافس على الدنيا هو الذي أفسد فيما بين الرجل وزوجته والوالد وولده، والإخوة الأشقاء بل يصل الأمر إلى القتل والانتقام بالانتقام الكاذب في العرض والعياذ بالله تعالى.

حظ الشيطان من هذه الأمة: للحديث: ((إن الشيطان يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)) ( [٣] ). فالشيطان حريص على أن يفسد فيما بين المسلم وأخيه، والقلب إذا لم يكن عامرا بتقوى الله ومخافته فإن الشيطان يعشعش في أمثال هذه القلوب ويسوسها بيده حيث يريد، قال تعالى: الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا [الكهف: ١٠٤]. من إيذاء الإخوة لإخوانهم، وتضييع لحقوقهم، ونصرة لشخص، وإحياء لنعرات جاهلية وإقليمية بغیضة.

وأما أثر الاختلاف:

ضعف وهوان: قال تعالى: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (أي قوتكم) واصبروا إن الله مع الصابرين [الأنفال: ٤٦].

صراع ونزاع: للحديث: ((لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)) ( [٤] )

فرقة وتمزق: للحديث: ((افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، ما أنا عليه وأصحابي)) ( [٥] ).

وأما أنواع الاختلاف:

اختلاف في الخلق والتكوين: اختلاف في الألوان، والألسنة، والملامح آية من آيات الله سبحانه تدل على عظيم قدرته عز وجل قال تعالى: ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم [الروم: ٢٢]. كما أن اختلاف الألوان والألسنة والملامح سبب إلى التعارف فيما بين الناس فلو كان الناس على لون واحد واسم واحد لما تمّ التعارف فيما بينهم قال تعالى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم [الحجرات: ١٣].

أ- فلا سخرية في إسلامنا: قال تعالى: لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم [الحجرات: ١١].

ب- ولا انتقاص. عيّر أبو ذر بلالا بأمه وقال له: يا ابن السوداء، فقال النبي: ((ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل وإنك امرئ فيك جاهلية)) ( [٦] ).

ج- ولا طبقية في إسلامنا: أن يقسم البشر إلى طبقات ودرجات: وقد زوج النبي بنت عمته زينب بنت جحش من زيد بن حارثة العبد الذي يباع ويشترى وتقول عائشة رضي الله عنها: ما بعث رسول الله سرية فيها زيد إلا أمره عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه.

اختلاف الأئمة رضوان الله عليهم: كتب ابن تيمية كتابا سماه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) وذكر أسباب اختلاف الأئمة فيما بينهم في وصول الحديث إلى أحدهم وعدم وصوله إلى الآخر وكذا اللفظ المحتمل لمعنيين، وكذا عدم معرفة الناسخ للحديث السابق وهكذا، فلا يجوز أبدا أن يكون اختلاف الأئمة سببا إلى الصراع والتناحر كما جرى من قبل كما ذكر صاحب كتاب (ما لا يجوز الخلاف فيه بين بعض المسلمين) فذكر صورا من التعصب المقيت الذي مر على الأمة المسلمة في بعض فتراتها كأن يكتب على باب المسجد: ممنوع دخول الكلاب والحنابلة. وإن الحنفية لا تتزوج الشافعي، والمسلم يسعى

للولصول إلى الدليل الأقوى فيأخذه وإن كان على غير قول إمامه، فإن لم يستطع فلا بأس بأن يكون متبعا لأحد الأئمة رضوان الله عليهم من غير تعصب مقيت.

الاختلاف في وجهات النظر في الصف المسلم: ولا بد من الأخذ بالقواعد التالية لتفادي تفاقم الخلاف إلى اختلاف القلوب والمعاداة والكيد والمكر بعد ذلك:

أ- إبداء وجهة النظر حق لكل مسلم يقول عمر : (رحم الله من أهدى إلي عيوبي).

ب- وجوب الاستماع للرأي الآخر: يقول عمر عندما قال له رجل: اتق الله، فاعترض الناس على الرجل: كيف تقول لأمر المؤمنين: اتق الله؟ فقال عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها منكم، والكلمة إن لم تسمع في السر، ثمردت وانفجرت وسمعت علانية رغم الأنوف.

ج- وجوب التنازل عن الخطأ إذا تبين وجه الحق: ورسول الله : عندما اختار مكانا لغزوة بدر جاءه الحباب بن المنذر يقول: أهو منزل أنزلكه الله أم هي الحرب والمشورة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ((بل هي الحرب والمشورة)) فقال الحباب بن المنذر: فليني أعلم مكان كذا وهو خير من المكان الذي أنت فيه. ويأخذ رسول الله بقوله)) ( [٧] ).

د- استحضار إخلاص المخالفين في الرأي: من الغباء بمكان أن يفسر الرأي الآخر أنه الرغبة في التدمير وشق عصا الطاعة، وحب الظهور وهذا لحن ملّت قلوب المخلصين سماعه لسماحته وسطحيته وظلمه. وإذا دام الأمر كذلك فلا يبقى في الصف إلا الإمعات ممن لا يحسنون إلا الموافقة حفاظا على المناصب الوهمية من الضياع، وأي ضياع أعظم من خلو الصف من الرجال.

الاختلاف بين الزوجين: ولا بد لاختلاف الزوجين من ضوابط:

أ- لا يكون أمام الأبناء حتى لا يزرع الشر في قلوبهم، ويحملون بذور العداوة منذ الصغر.

ب- المعرفة بطبيعة المرأة: للحديث: ((استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج وأعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوجا فاستوصوا بالنساء خيرا)) ( [٨] ). فالعيب الذي تريد إصلاحه يحتاج منك إلى سنين حتى يستقيم، فلا تتعجل الأمور قبل أوانها، والزمن جزء من العلاج.

ج- أن تستحضر جوانب الخير فيها، للحديث: ((لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا أحب منها آخر)) ( [٩] ) ، جوانب الخير من عفة وتقوى لله عز وجل، وقيام ببعض واجبات الأسرة.

د- التدرج في التأديب: فأخر الدواء الكي، فلا يجوز التعجل في استخدامه قبل إقامة الحجّة وتقويم العوج بالوسائل المتاحة والتي نص عليها القرآن: قال تعالى: واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن [النساء: ٣٤].  
وأما أدب الاختلاف في إسلامنا:

١- جواز تعدد الصواب: رجلان على عهد النبي افتقدا الماء فتيما فصليا، ثم وجدا الماء فاكتفى أحدهما بالصلاة التي تيمم لها، وأما الآخر فلم يطمئن قلبه إلا أن يتوضأ فيعيد الصلاة فلما ذكرا ذلك لرسول الله : قال للأول: ((أصببت السنة)) وقال للثاني: ((لك الأجر مرتين)) ( [١٠] ).

احترام عقول وعواطف الآخرين: تأمل معي: رب العزة سبحانه يخاطب أعداءه المخالفين لمنهجه فيقول: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين [سبأ: ٢٤].

٢- ثم احترام عواطف الآخرين: لما انتصر المسلمون في غزوة (حنين) أعطى الرسول الطلقاء (حديثي العهد بالإسلام) ممن أسلموا في فتح مكة الغنائم، ومنع منها الأنصار وهم الذين نصروا الله ورسوله من أول الإسلام، وهم أهل التضحيات.

انظر كيف عالج رسول الله الأمر: خرج إليهم رسول الله (إلى الأنصار) ثم قال: ((ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، قال رسول الله: ألا تجيئون يا معشر الأنصار؟ قالوا: وبماذا نجيب يا رسول الله قال: والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتهم: جئتنا طريدا فأويناك، وعائلا فأسيناك وخائفا فأمنّاك ومخذولا فنصرناك، قالوا: المنُّ لله ورسوله، فقال: أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا، تألفت بها قوما أسلموا ووكلتم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس في رحالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفسي بيده، لو أن الناس سلكوا شعبا وسلكت الأنصار شعبا

لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءً من الأنصار اللهم ارحم الأنصار، وابناء الأنصار، وابناء ابناء الأنصار، فبكى القوم حتى أحضلوا لحاهم وقالوا: رضينا بالله ربنا ورسوله قسما ثم انصرف وتفرقوا)) ( [١١] ).

بأبي هو وأمي رسول الله : كيف عالج الأمر وهو النبي وطاعته عبادة، ورأيه وقوله وحي من الله تعالى، ومخالفته عذاب في الدنيا والآخرة، تأمل كيف تناول الأمر فذكرهم بنعم الله عليهم، ثم أثنى عليهم بذكر مواقفهم الكريمة فلا ينبغي أن تداس بالأقدام مواقف المخلصين عند الاختلاف بالرأي كما هو الحال في واقعنا. ثم زهدهم بالدنيا ورغبهم فيما عند الله والدار الآخرة، ثم جعل من نفسه واحدا منهم ودعا لهم بالدعاء المستجاب الذي لا يرد ففاضت الدموع ورضيت القلوب وقنعت.

٣- مداراة الناس وحملهم على الحق شيئا فشيئا: فيقول النبي لعائشة: ((لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأمرت بهدم الكعبة ولبنيتها على قواعد إبراهيم)) ( [١٢] ). فتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

وجود الرجل الحكيم الرحيم بمن معه الذي تجتمع عنده القلوب: ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر [آل عمران: ١٥٩].

يقول النبي : ((إنما أنا لكم مثل الوالد لولده)) ( [١٣] ).

( [١] ) متفق عليه.

( [٢] ) متفق عليه.

( [٣] ) رواه مسلم.

( [٤] ) متفق عليه.

( [٥] ) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

( [٦] ) رواه أحمد.

( [٧] ) تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٥٦.

( [٨] ) رواه البخاري ومسلم.

( [٩] ) رواه مسلم.

( [١٠] ) رواه أبو داود والنسائي.

( [١١] ) حديث صحيح رواه أحمد من فقه السيرة ص ٤٢١ للغزالي.

( [١٢] ) رواه مسلم.

( [١٣] ) رواه أبو داود والنسائي.<sup>٢٣١</sup>



---

<sup>٢٣١</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - ( ١ / ٤٤٥ ) - الاختلاف - هاشم محمد علي المشهداني

## أهل السنة وأئمتهم

إن السبيل المستقيم هو الذي جاء به سيد المرسلين وخاتم النبيين عبد الله ورسوله محمد ، لا سبيل إلى الوصول إلى رضوان الله وإلى جناته إلا بواسطة اتباع رسول الله محمد فمن اتبع ما جاء به هذا الرسول فقد نجا وظفر وفاز برضوان رب العالمين.

وإن انحرف عما جاء به هذا الرسول فقد هلك وخسر الخسران المبين لأن سيدنا محمداً هو المبلغ عن ربه المبين عن الله مراده قال تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك [المائدة: ٦٧]. وقال تعالى وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم [النحل: ٤٤].

وهو المعلم لأئمة الكتاب والحكمة قال تعالى ممتناً عليهم بذلك: لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة [آل عمران: ١٦٤].

وهو الذي يبين لهم الحلال والحرام قال تعالى: ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث [الأعراف: ١٥٧].

وقد بُعث لهذه الأمة قاضياً بينهم في شئون حياتهم وحكاماً فيما شجر بينهم قال تعالى: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم [الأحزاب: ٣٦].

فلا يصح إيمان أحد حتى يُحكّم نبي الله ويُحكّم سنته ثم لا يجد في نفسه ضيقاً ولا حرجاً من ذلك بل يسلم لحكمه.

قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في صدورهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً [النساء: ٦٥].

ولقد بعثه الله بالشرعية السمحة والدين الخاتم ليحكم بذلك بين الناس قال تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله [النساء: ١٠٥].

ولذلك لقد اختاره الله سبحانه وتعالى غودجاً عملياً وأسوة حسنة للمؤمنين قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً [الأحزاب: ٢١].

ولذلك أمرنا سبحانه وتعالى بأن نتبع هذا النبي الكريم فقال تعالى: فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون [الأعراف: ١٥٨]. فسد كل الطرق فلا طريق إلى الله سبحانه ولا إلى محبته إلا طريق اتباع هذا النبي الكريم قال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله [آل عمران: ٣١]. ولذلك قرن سبحانه بين طاعته وطاعة رسوله وشد وثاق بعضهما إلى بعض فقال تعالى: وأطيعوا الله ورسوله [الأنفال: ٤٦] وقال سبحانه: من يطع الرسول فقد أطاع الله [النساء: ٨٠].

فكيف يتخيل مسلم بعد ذلك أن هناك طريقاً يمكن أن يوصل إلى الله غير طريق محمد. وكيف يتوهم عاقل بعد ذلك أنه لا يحتاج إلى الشريعة التي جاء بها سيدنا محمد وكيف يتخيل مؤمن بعد ذلك أنه يبقى مؤمناً أو مسلماً وهو يظن أنه لا حاجة به إلى سنة محمد. إن الله عز وجل قد بين لنا أنه لا سبيل ولا طريق إليه ولا إلى جواره إلا باتباع هذا النبي الكريم.

فمن انحرف عما جاء به سيدنا محمد فقد هلك وأخطأ الطريق، وقد حذر الله سبحانه وتعالى هؤلاء المارقين الذين انحرفوا عن أمره فقال: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم [النور: ٦٣].

وكما أن النبي هو الواسطة بيننا وبين ربنا عز وجل فهو المبلغ عن الله سبحانه وتعالى فإن هناك واسطة بيننا وبين رسول الله وهي أصحابه الكرام رضوان الله عليهم، فكما أن الله تعالى اصطفى نبيه من بين سائر البشر ليبلغ عن الله رسالاته فقد اصطفى لنبيه أصحاباً هم أفضل الناس بعد الأنبياء عقولاً وأصفاهم نفوساً وأنقاهم قلوباً فحفظوا ما بلغهم به الصادق الأمين من كلام رب العالمين.



وحفظوا سنته أقوالاً وأفعالاً وسائر أحواله الخاصة منها والعامة ثم بلغوها إلى الأمة وكانوا أمناء على ذلك وكانوا علماء فقهاء في دين الله فحفظ الله بهم ما أنزل على رسوله من قرآن وما أوحى إليه من سنة فرضي الله عنهم وأرضاهم وجزاهم عن الأمة خير الجزاء. كيف يتخيل عاقل أو مسلم بعد ذلك أنه يمكن أن يستغني عن هذه الوسطة الكريمة أن يستغني عن واسطة الصحابة الكرام ويصل إلى الدين بدونهما لا سبيل إلى الوصول إلى دين الله وإلى شرعه وإلى قرآنه الذي أنزله على رسوله إلا بواسطة الصحابة الكرام. لم يخطر على بال مسلم أبداً أنه يمكن الاستغناء عن واسطة الصحابة الكرام ولم يخطر على بال مؤمن أبداً التنقص من حق هؤلاء الصحابة ومكانتهم وقدرهم إنما خطر ذلك على بال اليهود والمجوس وفروخهم الذين اندسوا في صفوف الأمة الإسلامية منذ وقت مبكر بهدف الهدم والتخريب.

أما المؤمنون المسلمون فإنهم يعلمون ويؤمنون أنه لا سبيل إلى الوصول إلى شرع الله ولا إلى وحيه وقرآنه الذي أنزله إلى نبيه إلا بواسطة هؤلاء الصحابة الكرام لأنهم هم الذين نقلوا إلينا كلام الله القرآن الكريم الذي نزل على سيدنا محمد.

وهم الذين نقلوا إلينا السنة النبوية وعلى هذين الركنين قام بناء الدين كله فكيف يستغني أحد عن واسطة الصحابة الكرام إذن ينهدم الدين كله. كما بلغ الرسول عن ربه فأتم البلاغ وأدى الرسالة فهو الوسطة بين الأمة وبين ربها عز وجل فقد بلغ الصحابة الكرام عن رسول الله فأتموا الأداء وأحسنوا البلاغ فرضي الله عنهم وأرضاهم وجزاهم عن هذه الأمة خير الجزاء.

فلهذا كله فإننا نعلنها صريحة واضحة ونعلنون بالسبيل المستقيم بذلك العنوان الساطع كما قال رسول الله : ((ما أنا عليه وأصحابي)) فرسول الله يخبر بأن سبيل الله المستقيم ويعول على أن سبيل الله المستقيم بهذه العبارة الواضحة ((ما أنا عليه وأصحابي)).

وذلك في الحديث الصحيح المشهور الذي رواه الأئمة في كتبهم بأسانيد أكثر من أن تُحصي أن رسول الله أخبر عن افتراق أمته من بعده إلى فرق وعن تكاثر هذه الفرق ثم دلهم على الفرقة الناجية هو الرءوف بأمته الرحيم بهم فقال : ((افتترقت اليهود على إحدى

وسبعين فرقة وافترقت النصارى على ثنيتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ففي الجنة)) قالوا: وما هي الناجية يا رسول الله؟ قال: ((ما أنا عليه وأصحابي)) ثم سمى رسول الله هذه الفرقة بالجماعة فقال: ((وهي الجماعة فمن أراد بمحبحة الجنة فليزِم الجماعة)).

أي ليلزم ما كان عليه رسول الله وما كان عليه أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم. الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ربنا اغفر لنا وللذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا واغفر لنا إنك رؤوف رحيم.<sup>٢٣٢</sup>



---

<sup>٢٣٢</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٨٤٠) - أهل السنة وأئمتهم - عبد العزيز بن عبد الفتاح قاري

## أثر الذنوب والبدع على الفرد والمجتمع

إن الله بعث إلينا نبينا محمدًا ﷺ لينقذنا من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الأحد. لينقلنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة فله العزة ولرسوله وللمؤمنين.. ليخرجنا من ظلمات الأهواء والابتداع إلى نور الحق المبين الذي جاء به سيد المرسلين وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال تعالى: ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين.

أيها الإخوة: كلنا خطاءون، وخير الخطائين التوابون، والله يحب من عبده أن يتذلل له ويستغفره ويتوب إليه مما وقع فيه من شهوة أو شبهة خالف فيها أمر الله وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم.

هذه الشهوات والشبهات التي انتشرت في أيامنا هذه على جميع المستويات دون خوف أو وجل إلى حد المجاهرة بها والعياذ بالله.. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((كل أمي معافي إلا المجاهرين)) أي أن كل مذهب يرجي له التوبة والمغفرة إلا المجاهر الذي يعلن بالمعصية والمنكر، أو البدعة والإحداث في الدين.

فالمعاصي والشهوات والبدع والشبهات لها آثار على الفرد والمجتمع سأتكلم عنها باختصار.

أيها الإخوة: إن للمعاصي آثاراً على الفرد والمجتمع، فمرتكب المعاصي والمنكرات محروم من نور العلم الشرعي فإن العلم نور ونور الله لا يؤتى لعاصي ومحروم من الطمأنينة والراحة النفسية، وإن كثر ماله وزاد سلطانه، فهو في وحشة يجدها في قلبه ويعيش في قلق نفسي وفي اضطراب مستمر وفي جو مشحون بالانفعالات مع أقاربه ومع أهل الخير.

أيها الإخوة: إن كل معصية من المعاصي ميراث عن أمة من الأمم السابقة، ففعل الفاحشة والمجاهرة بها ميراث قوم لوط، والتسلط والتجبر على الناس والفساد في الأرض ميراث فرعون، وأكل أموال الناس بالباطل ونحسهم في أموالهم ميراث أصحاب الأيكة قوم شعيب

عليه السلام.. والإسراف والتبذير في الأموال وإنفاقه في غير وجهه الشرعي والبطش والظلم ميراث عاد وثمود.. فمن وقع في شيء من هذه الذنوب فإنه سيناله شيء من العذاب مما جاء الأمم السابقة عاجلاً أم آجلاً في الدنيا وفي الآخرة إلا أن يشاء الله أو أن يتوب ويعود إلى الله، وإن لم يتب فإنه سيناله الإهانة ومن يهن الله فما له من مكرم. أيها الإخوة: وإن من آثار الذنوب على الفرد أنها تورث الذل فإن العز كل العز في طاعة الله من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً أي فليطلبها بطاعة الله. قال الحسن البصري رحمه الله: "إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه".

وإن الذنوب أيها الإخوة إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. هذا من ناحية آثار المعاصي على الفرد ذكرنا بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر. أما آثارها على المجتمع أو على الأمة كلها.

فأقول أيها الإخوة: إن انتشار المعاصي والذنوب له أضرار على المجتمعات الإنسانية، بل يتعدى الضرر إلى البهائم والزرورع والجمادات. قال النبي ﷺ عن الحجر الأسود: ((إنه من حجار الجنة كان أبيض من الثلج حتى سودته خطايا بني آدم)). فلا يظن ظان أن المعصية ضررها على نفسه فقط أو على من حوله فقط، بل تتعدى أضرارها إلى الأمة كلها صالحهم وفاسقهم، فهؤلاء بعض أفراد من الصحابة رضي الله عن الجميع خالفوا أمر النبي ﷺ الصريح بعدم مغادرة الجبل في غزوة أحد، فترلوا من الجبل مخالفين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، فماذا كانت العاقبة؟ لحق النبي ﷺ أذى، وجرح وجهه الشريف وسال دمه الطاهر وقتل من الصحابة سيد الشهداء ومعه أكثر من ستين صحابياً.

لذلك، يا أيها الإخوة علينا أن لا نرضى بالمعاصي والمنكرات وننكرها بالقلب واللسان، واليد إذا كان لنا سلطة، ونبغضها ونبغض أهلها ومن يدعو إليها ويسكت عنها، فالسكوت والرضا بالمعصية كفعلها.... وما هذا الذي تعيشه الأمة من الجور والقحط والذل والهوان إلا بسبب المعاصي... فحينما انتشرت الفواحش ابتلينا بالأمراض التي لم

تكن في أسلافنا، وحينما ظهر الغش في البيع والنقص في المكيال والأوزان، ابتلينا بالقحط وجور السلطان، وحينما تحايلت الأمة على الزكاة وإخراجها قلّ المطر، ولولا البهائم لم تمطر السماء.. وحينما ركنّا إلى الدنيا ورضينا بالزرع وتبايعنا بالعينة سلط الله علينا ذلاً فأصبحنا شذر مذر بين الأمم، تداعوا علينا وقطعوا أوصالنا ونهبوا ثرواتنا، وأصبحت سفينتنا على شفا جرف هار.. فإن لم نأخذ على يد السفينة ونعيده إلى الحق ونعيد الأمة كلها إلى الجادة ونغرس في أنفسهم الإيمان والعمل الصالح والاستعداد للجهاد، فإن النكبات ستتوالى وستغرق السفينة إن لم يتداركها الله برحمته منه وفضل، وعندها نعص على الأنامل ولا ساعة ندم يوم يعص الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً.

وبعد أن عرفنا أيها الإخوة بعضاً من أضرار المعاصي على الفرد والمجتمع وأثر الشهوات على الأمة نلقي شيئاً من الضوء على أثر الشبهات والأهواء على الأمة الإسلامية. وهذه الشبهات والبدع أخطر على الأمة من الشهوات والمعاصي.. لأن صاحب المعصية حتى وإن جاهر بها مكابراً فهو في قرارة نفسه يشعر بأنه مرتكب لذنوب وأنه مقصر، أما صاحب البدعة فإنه يرى نفسه بأنه عابد يتقرب إلى الله بالطاعة التي قصر عنها غيره من العاجزين والمتكاسلين حسب زعمه.

فما هو أثر هذه البدع والأهواء؟ ما هو أثر هذه الشبهات بين الأمة؟ إن أثر ذلك أيها الإخوة هو التفرق والتناحر والتباغض.. وقد حذر النبي ﷺ من هذا التفرق، وبين أن كل فرقة هي في النار إلا فرقة واحدة، هي التي سارت على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، حيث جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: ((ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)) قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ((ما أنا عليه اليوم وأصحابي)).

فلماذا هذه الدعوات والاحتفالات والابتداعات التي ليست مما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه؟ ألا يكفيننا من العبادات والقربات ما فعله النبي ﷺ وأصحابه؟ هل قمنا بكل العبادات التي قام بها النبي ﷺ وأصحابه من طلب للعلم وذكر في كل الأوقات وصلاة وتسبيح وصدقة وجهاد في سبيله وصلة للأرحام وتواد وتراحم وتناصر وفعل للخيرات وترك للمنكرات؟ هل هؤلاء المبتدعون أهدى سبيلاً من النبي ﷺ وأصحابه حتى يخترعوا قربات وعبادات لم يفعلها النبي ﷺ وأصحابه؟ ألا يريد الناس أن يكونوا من الفرقة الناجية التي شهد لها النبي ﷺ بأنها في الجنة من بين الفرق الأخرى فيسلكوا طريق النبي ﷺ وأصحابه.. ويسلكوا طريق الأئمة الأربعة وغيرهم من التابعين والعلماء كالإمام البخاري والترمذي وأبي داود والإمام مسلم والنسائي وابن ماجه وغيرهم وغيرهم ممن عاشوا في القرون الثلاثة المفضلة.

لماذا يتعصب بعض الناس لإمام من الأئمة كالشافعي أو أبي حنيفة أو مالك أو أحمد بن حنبل رحمهم الله جميعاً.. في مسألة فرعية؟ ولا يتبعوهم في الأصول ومسائل الإتياع وعدم الابتداع؟ هل هؤلاء المبتدعة يرون أنهم أحسن من الأئمة في هذه المسائل؟ أيها الإخوة: لقد أمر الأنبياء باتباع ما أنزل عليهم وحذروا من اتباع أهل الأهواء، والأمر للجميع والتحذير للجميع. قال الله تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير [الشورى: ١٣-١٥].

وقال سبحانه وتعالى: لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين

وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقاه فأولئك هم الفائزون.<sup>٢٣٣</sup>



---

<sup>٢٣٣</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - ( ١ / ١٥١٦ ) - أثر الذنوب والبدع على الفرد والمجتمع - مرزوق بن سالم الغامدي

## حول الفرق الضالة

أخبر النبي صلى وسلم عليه وهو الصادق المصدوق أن هذه الأمة ستتبع الأمم السابقة وأنها ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، إلا فرقة واحدة. هي الفرقة الناجية هي التي تسير على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

ولقد بدأت الأمة في الافتراق والتحزب والتشتت منذ صدر الإسلام بعد أن دخل في الدين الإسلامي من جميع الأمم شرقاً وغرباً، حيث أظهر بعضهم الإسلام وهو يخفي في صدره غلاً دفيناً على الإسلام... أظهر الإسلام نفاقاً وتقية، ثم أخذ يكيّد للإسلام والمسلمين ليخرجهم من النور إلى الظلمات. وقد جاء القرآن بالتحذير من التفرق والتشيع قال الله تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال سبحانه: ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم. وقال تعالى: إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون.

وقد نجح أعداء الله في تحقيق غرضهم فظهرت الفرق التي أخبر عنها النبي صلى وسلم عليه وسلم، ومن هذه الفرق الضالة نتعرف اليوم على فرقتين هما: الشيعة وغلاة الصوفية فرقتان باطنيتان تظهران الإسلام والغيرة عليه، وتبطنان الكفر والزندقة، فهم أشد على الإسلام من اليهود والنصارى لما يظهرونه للعوام والناس، ما يجعل الناس يغترون بهم وبأقوالهم المعسولة بينما هم ييطنون السم الزعاف، إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً.

إن الصوفية فرقة ضالة يدخل تحتها عدة مسميات يبلغ العشرات مثل الشاذلية والرفاعية والقادرية والخلوتية والنقشبندية والشرطية والمولوية والبكطاشية والتيجانية وغيرها كثير، ولو سألت عن هذه الفرق الصوفية عن معنى الصوفية وأصلها لاختلّفوا في تعريفها لأنهم لا



يقولون الحقيقة، فمنهم من يدعي أنها مأخوذة من لبس الصوف ويقصدون به لزهد في الحياة الدنيا وهم أبعد الناس عن الزهد، ومنهم من يقول نسبة إلى الصفة ولو صح ذلك لقال صفي، ومنهم من يقول أنها بمعنى النقاء والصفاء، وهناك تعريفات تصل إلى مائتين كل واحد منها له معنى مغاير عن الآخر والسبب أنهم يخفون حقيقة الصوفية التي ألف فيها كثير من الكتاب من المسلمين وغير المسلمين وكشف في مؤلفاتهم عن أصل هذه الطريقة، فالصوفية مأخوذة من كلمة صوفيا اليونانية بمعنى كلمة الإشراق وهي طريقة قديمة معروفة من قبل الإسلام تعتمد على الفلسفة، وتعتمد طقوسهم على أسطورة غامضة، فكان المريدون يرددون عبارات مبهمه ويرقصون ويصيحون فنقلت هذه الطريقة إلى المسلمين.

وعقيدة غلاة هذه الجماعة منذ القدم هي عقيدة وحدة الوجود أو عقيدة الحلول حيث يرون، والعياذ بالله وتعالى الله عما يقولون علواً عظيماً، يقولون: إن الله في كل ما نرى وأنه يحل في كل شيء... فقد يسجد أحدهم للكلب أو للبهيمة، أو يسبح نفسه كما قال البسطامي عليه من الله ما يستحق: (سبحاني. سبحاني ما أعظم شأنني)، ومنهم من يقول: لم يكن هناك موحد مثل إبليس وفرعون، وقد صرح بعضهم مثل الحلاج في القرن الخامس الهجري بهذا وذكر في ديوانه المعروف بديوان الحلاج من الشعر - ولولا مكانة هذا المقام لذكرت شيئاً من أقوالهم وأشعارهم والذي يثبتون فيها أن كل معبود هو الله سواء عبدت الأرض أو الحجر أو الشمس أو القمر أو النبات أو الشجر أو حتى عبدت نفسك فإنما تعبد الله والعياذ بالله من ذلك - وقد أقيم حد الردة على هؤلاء الذين أظهروا هذه العقيدة في مؤلفاتهم وكتبهم فعاتبهم الآخرون من أقرانهم وقالوا لهم: لقد أظهروا أمراً ما كان يجب أن تظهروه لأن الناس لم يبلغوا من العلم والفهم ما تقولونه لهم - حسب زعمهم - وهم يعلمون أنهم لو أظهروا هذه العقيدة في أقوالهم وكتبهم لقتلهم الناس ولضربوهم بالحجارة، ولكنهم يخفونها ويكتفون بالإشارة والرمز واللغز والتعمية على الناس وحتى على من تبعهم في ما يظهرون لهم.

وكذلك هم ينظرون إلى الرسالة النبوية أنها في الحقيقة ما هي إلا أمر مكتسب وأن النبي ﷺ ببصيرته ولأنه الإنسان الكامل قام بهذه الدعوة بل إنهم يقولون أن من عبد محمداً فإنما

هو يعبد الله، ولأن الله قال: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. يقول الحلاج في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: (طس سراج من نور الغيب بدا، وعاد وجاوز السراج وساد، ما أخبر الأعلى عن بصيرته ولا أمر بسنته إلا عن حق سيرته حضر فأحضر وأبصر فخبّر...)، ثم يقول في آخر كلامه: (الحق ما أسلمه إلى خلقه لأنه هو وإني هو وهو هو). فهو ينكر الرسالة ويرى أن الله هو محمد وأن الحلاج هو أيضاً الله فحسب عقيدته أن الله يحل في كل مخلوق والعياذ بالله.

والصلوات التي كتبها الصوفية تشير إلى هذه العقيدة سواء صلاة الفاتح أو الصلاة التيجانية أو الصلاة النارية أو جوهرة الإسرائ أو صلاة الدسوقي أو الشاذلي أو الصلوات البكرية أو السقافية أو غيرها من الصلوات المنشورة في كتبهم تثبت الألوهية للنبي صلى الله عليه وسلم، وإن الأسماء الحسنى هي أيضاً أسماء للنبي ﷺ نعوذ بالله من الضلال.

إن عقيدة غلاة الصوفية التقية، وهو النفاق، حيث يظهرون غير ما يعتقدون، وفي بعض المجتمعات يصلون مع الناس أما في مجتمعات أخرى فإنهم لا يصلون ولا يقومون بالواجبات لأنهم يرون إنما هذه الأمور لعامة الناس الذين لم تبصر أبصارهم الحقيقة التي هم يصورونها. أما هم فقد تعدوا التكاليف.

يقول الدكتور عبد الحليم محمود في وصفهم: (فإن الصوفية جميعاً وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورث وأفلاطون إلى يومنا هذا يعلنون منهجاً محدداً يقرونه جميعاً ويثقون فيه ثقة تامة). نسأل الله العافية.

أما الشيعة الرافضة فهذه الفرقة ترى أن القرآن ناقص وأن الصحابة رضي الله عنهم أخفوا كثيراً من السور وخاصة سورة الولاية كما يزعمون، ويكفرون أبا بكر وعمر ويصفونهما بالجب والطاغوت ويصرون على أن عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق الطاهرة النقية يرون أنها فعلت الفاحشة ويكذبون بذلك القرآن الذي نزل ببراءتهما من السماء. ويرون أن الأئمة عندهم معصومون كعصمة الأنبياء، وأن الأولياء عندهم في منزلة أعلى من النبوة، نعوذ بالله من الضلال ومن هذه الأقوال. ومن معتقداتهم: الرجعة والبداء والغيبة.

فالرجعة اعتقاد بأن كثيراً من الأموات سيعودون إلى الحياة وهم صنفان مؤمنون وفاسقون، وأن المؤمنين سينتقمون من الفاسقين ويقام حد الردة على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وحد الزنا على عائشة رضي الله عنها، فنعوذ بالله من هذا القول.

وأما البداء فهي عقيدة يهودية قديمة وهو نسبة النسيان لله عز وجل حيث يقولون، بدا الله فعل كذا بعد ما أمر بكذا - تعالى الله عن ذلك، وهذا موجود في كتبهم الكافي في كتاب التوحيد عندهم.

وأما الغيبة فإنهم يرون أنه لا تصلح الأرض إلا بإمام، ونظراً لموت أئمتهم الإثني عشر، نشروا عقيدة الغيبة، التي تجعل من المجتهد نائباً عن الإمام الغائب، يقوم مقامه ويباع حتى يعود ويخرج الإمام المنتظر. أسأل الله العافية.

فبعد الاستعراض السريع لأصول هاتين الفرقتين الضاليتين نجد أنهما تلتقيان وتتفقان في عدة أمور ظاهرة وباطنة فأول ما يتفقان فيه أن أصولهما متشابهة. فالصوفية أصلها وثنى إغريقي تعتمد على الفلسفة وتؤمن بعقيدة وحدة الوجود.

والشيعة الرافضة أصلها يهودي محرف بدأت بإدعاء أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة ثم بعقيدة البداء ونسبه النسيان إلى الله كما يعتقد اليهود عليهم لعنة الله، وكلا الفرقتين تبطن غير ما تظهر، فأسلوبهما أسلوب المنافقين وهذه عندهم دين يدينون به وهو ما يسمى بالتقية، ولا يكشفون سرهم إلا لمن وثقوا فيه وبلغ عندهم مبلغاً عالياً في مراتبهم الكفرية. ولو حاول بعضهم كشف سر عقيدتهم لقتلوه اغتيالاً حتى لا يظهر حقيقتهم كذلك تتفق الفرقتان على الاعتماد على قول مشايخهم وأئمتهم فقط فلا يعترفون بالقرآن والسنة الصحيحة إنما يأخذون من القرآن منه ما يجادلون به ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة.

وأما التفسير فلا يرجعون إلى قول النبي ﷺ ولا قول الصحابة إنما يتبعون أقوال مشايخهم فقط. ولا يرضون بالسؤال ولا بالنقاش من أتباعهم، إنما على المريد أن يتبع شيخه ويسلم له نفسه وعقله، فالاعتماد فقط عند الفرقتين على كتبهم ومشايخهم ولا يقولون بشيء من القرآن والسنة إلا فيما يرون أنه في صالحهم وليحتجوا به على الآخرين في معتقداهم وبدعهم.

وتتفق الفرقتان في عدم إنكار المنكرات والسكوت والرضى بما يفعل الناس، بل إن أتباع الفرقتين غلاة الصوفية والشيعية يفعلون المنكرات ويمارسونها علناً، فالشيعية يجيزون الزنا باسم زواج المتعة، الذي هو عقد بين رجل وامرأة لمدة ساعة أو ساعتين أو يوم أو يومين على مبلغ معين، فيستمتع بها، وبمجرد انتهاء العقد تذهب المرأة إلى رجل آخر. وهذا زنا يفعلونه ويعتبرونه زواجا.

وأما الصوفية الغلاة فيتغزلون بالمردان والصبيان وبالصور الجميلة، ولذلك هم يقربون المردان في اجتماعهم، وأصحاب الأصوات الجميلة، لينشدوا لهم، ويفعلون فعلة قوم لوط بينهم ولا يجدون في ذلك حرجاً، والعياذ بالله.

وإن عبادتهم يصحبها الطبل والرقص والتزمير وهذه من المنكرات، وفيها مشاهمة للمشركين الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاءً وتصدية، أي صفيراً أو تصفيقاً.

كما أنهما يتفقان في موالة أعداء الله من اليهود والنصارى فيحضرون احتفالات عيد رأس السنة لدى النصارى، وقبل عامين كان زعيم شيوعي يخطب يوم الجمعة ويهنئ النصارى والكنيسة بعيد رأس السنة الميلادية من فوق المنبر. كما أن الصوفية يفعلون ذلك.

وأيضاً واليهود والنصارى يحضرون الاحتفالات البدعية لدى الفرقتين كالموالد وحضور المشاهد والطواف على القبور، وقد رأيت في إحدى الدول العربية قبراً يطوف عليه الصوفيون والنصارى جنباً إلى جنب وتحظى الفرقتين بالتأييد من مجلس الكنائس العالمي وبتأييد دول الكفر في كل مكان.

والفرقتان أيضاً تتشابهان في الظهور أمام الناس بأنهم حريصون على الإسلام وعلى المسلمين وعلى جمع كلمتهم وبث روح المحبة والإخاء والتعاون بينهم وتهتمان بالقبور والأضرحة، والاستعانة بالأموات والذبح عندهم وإعطاء النذور، وبالأناشيد والاحتفالات والاجتماعات المخصصة والأذكار البدعية والشركية وبالمدائح التي فيها غلو بالنبي

ﷺ وآله، وبالتغزل فيه بشكل مشين ويندى له الجبين، حيث يذكرون فم النبي ﷺ ووجنتيه ووجهه ويديه ورجليه بأسلوب لا يكون إلا من ماجن فاسق لعشيقته والعياذ بالله، لذلك هم يذكرون كلمة العشق والتي هي أصلاً تكون بين الزوجين لأن العشق علاقة حب

تنتهي بالجماع، فهم يذكرون العشق في شعرهم وفي مدحهم وفي غلوهم في النبي ﷺ وغلوهم في آل البيت، وكثيراً ما يكون في هذا خداع للناس حيث يظنون أن هؤلاء الشيعة أو الصوفية إنما يفعلون ذلك لحبهم للنبي ﷺ ولآل بيته، والواقع أن هذا ستار لما وراءه من عقائد فاسدة وأصول باطلة وصفات رذيلة.

وليس معنى هذا أن كل من تابع الصوفية أو الشيعة الرافضة يكون بنفس المعتقد أو بنفس الفهم لأصولهم، كلا، بل كثير من الناس التابعين للصوفية أو للرافضة لا يعرفون منها إلا هذه المظاهر، مظاهر حب النبي ﷺ وحب آل البيت، بل إن فيهم العباد، وكم رأينا من هؤلاء أناساً تابوا ورجعوا إلى الصراط المستقيم بعد أن انكشفت لهم الأمور.

لذلك يا أيها الإخوة: ليست المسألة بالبساطة هذه، إنما وراء الأكمة ما وراءها. وأنا أطلب من كل من يتابع زعماء هاتين الفرقتين سواء هنا في هذه البلاد أو في خارجها أن يطلب من مشايخهم والزعماء أو الأقطاب في هذه البلاد أو في خارجها إنكار المعتقد الأساسي المدون في كتبهم وحرقها وإبطالها، مثل كتاب الكافي بالنسبة للشيعة أو طبقات الشعرائي بالنسبة للصوفية، وما شابههما من كتب لهم، أن يعلنوا البراءة منها واعتقاد أن أعيادهم باطلة وكذلك أعياد النصارى ولا يجوز مشاركتهم فيها، ويعلنون العودة إلى القرآن وتفسيره والصحيح من السنة والسيرة الصحيحة، ويمتنعون عن الاحتفالات البدعية والشركية ويعودوا للسير على منهج الصحابة رضي الله عنهم. إن كانوا حقيقة يحبون النبي ﷺ وآل بيته.. فهل يستجيبون لذلك؟ أم يجيدون عن الإجابة ويلبسون على الناس بأقوال ظاهرها حق ويراد بها الباطل.

ومن التلبس على الناس ادعاء هاتين الفرقتين أن المسائل المختلف عليها مسألة عادية مثل الاختلاف في المذاهب الأربعة، فهذا مذهب صوفي والآخر مذهب شيعي، وهذه مسائل الاختلاف نتركها جانباً ونتفق على المسائل الأخرى حسب زعمهم، وهذا تضليل وكذب وافتراء لأن هذه المسائل في المعتقد وليست في المسائل التي يسوغ فيها الخلاف... المسألة توحيد أو شرك، هدى أو ضلال، صراط مستقيم أو سبل للشيطان.

كذلك مما يلبسون به على الناس أنك إذا أنكرت على أحدهم في مسألة من المسائل أو في بدعة من بدعهم التي يفعلونها قال أحدهم: أنا شافعي أو حنبلي أو مالكي أو حنفي مما يشعر المستمع أن هذا الأمر مما يقول به ذلك الإمام، وهذا بهتان عظيم بأن يرمي الأئمة بأنهم من أهل البدع، فكلهم من أهل السنة، وأما الاختلافات الفقهية التي اجتهدوا فيها فهي في المسائل الفرعية وليست في الاعتقاد أو في اتباع السنة فكلهم يعلن أنه من أهل السنة وأنه متبع للنبي ﷺ ولكن أبي هؤلاء المنافقون إلا أن يضللوا الناس ويتهموا الأئمة بالتهم الباطلة، وهم بريئون من ذلك.<sup>٢٣٤</sup>



---

<sup>٢٣٤</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ١٥٥٤) - حول الفرق الضالة-مرزوق بن سالم الغامدي

## صفات الفرقة الناجية

إِنَّ رَبَّكُمْ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ بَعَثَ صَفِيَّهُ مُحَمَّدًا عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَدَعَا إِلَى رَبِّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، فَعَلِمَ النَّاسُ مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، وَفَقَهُوا فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى تَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى الْمُنْهَاجِ الْوَاضِحِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، قَالَ تَعَالَى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام: ١٥٣]، وَقَالَ : ((تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْحِجَّةِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كُنْهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ)) [١].

فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَصُولَ الْإِيمَانِ وَصِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُؤَلُّوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ [البقرة: ١٧٧].

وَبَيَّنَ الرَّسُولُ مَرَاتِبَ الدِّينِ فِي الْحَدِيثِ لَمَّا سَأَلَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهِيَ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ [٢] ، وَسَنَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ السُّنَنَ، وَشَرَعَ الْأَحْكَامَ، وَفَصَّلَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَبَيَّنَ مَسَائِلَ الْعَقِيدَةِ أَكْمَلَ بَيَانٍ، وَحَقَّقَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ مَقَامَاتِ الْعِبَادَةِ لِرَبِّهِ، وَكَفَى نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا شَرَفًا وَقَدْرًا ثَنَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم: ٤].

وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تَرْبِيَةً رَسُولُ اللَّهِ وَنَقْلَةً الشَّرِيعَةِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَوَصَفَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْإِيمَانِ الْكَامِلِ وَالسَّبْقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَفِعْلِ الصَّالِحَاتِ فَقَالَ تَعَالَى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [الأنفال: ٧٤]، وَقَالَ تَعَالَى: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

[التوبة: ١٠٠]، وأثنى عليهم في قوله: ((خيركم قربي، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم)) [٣].

فالسلف الصالح حققوا الحياة العملية للإسلام، وعملوا بالدين في حياتهم الخاصة والعامة، وطبقوه التطبيق الكامل، وهم القدوة في العمل بتعاليم الإسلام لمن أتى بعدهم، فكانت سيرتهم مناراً للأجيال بعدهم في العلم والعمل، فمن اتبع طريقهم اهتدى وفاز بجنت النعيم، ومن خالفهم ضلَّ وغوى وكان من الخاسرين.

ولما كان السلف رضي الله عنهم أكمل الناس علماً وعملاً وأشدَّ الناس اقتداءً بالنبي رغب عليه الصلاة والسلام في لزوم ما كان عليه هو وصحابته، وأمر بالتمسك بما كانوا عليه من الهدى، وأحبر أن الفرقة الناجية عند اختلاف الأمة هي ما كان عليه الرسول وأصحابه، فقال: ((افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتقرت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلا واحدة))، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)) [٤]. وقوله: ((كلُّها في النار)) هذا من الوعيد المعلوم تفسيره عند السلف، وهذه الزيادة وهي قوله: ((من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)) رواها الآجري من طرق [٥]، ومعناها لا شك في صحته.

وقد وقع ما أخبر به النبي من الاختلاف والفرقة، ولكننا كلَّفنا بالاعتصام بالكتاب والسنة وبذِ الخلاف والفرقة، وأمرنا أن نكون من الفرقة الناجية التي علمت الحق وعملت به، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: ١١٩].

وكل فرقة من الفرق الإسلامية تزعم أنها على الحق وغيرها على الباطل، ولكن ليس للدعاوى وزن عند الله ما لم يكن لها بينات من العلم النافع والعمل الصالح، وقد بيَّن الله تعالى في كتابه صفات هذه الفرقة الناجية، وجلَّى أمرها رسول الله ؛ ليكون المسلم على بصيرة من دينه وعلى نور من ربه، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ [النور: ٤٠].

فمن صفات هذه الفرقة الناجية الاتباع بإحسان لسلف الأمة السابقين رضي الله عنهم، قال الله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ



اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: ١٠٠].

والاتباع هو الاقتداء بهم في توحيد العبادة لله تعالى بإفراد الدعاء لله وحده وإفراد الاستعانة والاستغاثة بالله وحده والاستعاذة، فلا يُدعى مع الله غيره، ولا يُستعان بغير الله، ولا يُشرك مع الله عز وجل في أي نوع من أنواع العبادة، وإثبات صفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله إثبات معنى، لا إثبات كيفية، وتزيه الرب تبارك وتعالى عن كل ما لا يليق به، فإن السلف رضي الله عنهم كانت معاني صفات الله تعالى أظهر عندهم من معاني الأحكام العملية، ولذلك لم يسألوا عن معانيها كما سألوا في الأحكام، والوقوف حيث انتهوا إليه في أمور العبادة وأحكام الدين.

ومن صفات فرقة الحق الناجية الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ورد التنازع والاختلاف إلى ذلك، قال الله تعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا [آل عمران: ١٠٣]، وقال عز وجل: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ [النساء: ٥٩]، وتأويل القرآن وتفسيره بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين، فإن الله تعالى ذم من أتبع المتشابه وأول بالرأي، ومدح الراسخين في العلم المتبعين غير المبتدعين.

ومن صفات فرقة الحق الناجية التمسك بما أجمع عليه السلف وما أجمع عليه علماء الأمة وعدم المشاققة لله ولرسوله، قال الله تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [النساء: ١١٥].

ومن صفات هذه الفرقة الناجية تعظيم قول رسول الله وسنته والعناية بآثاره بحفظها والذب عنها والرضا بتحكيماها، قال الله تعالى: إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [النور: ٥١]، وقال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء: ٦٥]، وروى الآجري بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال لرجل يقول: لا أعمل إلا بما في كتاب الله تعالى: (إنك

أَحْمَقُ، أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الظَّهْرَ أَرْبَعًا لَا يُجْهَرُ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ؟! ثُمَّ عَدَّدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَنَحْوَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: (أَتَجِدُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَفْسَرًا؟! إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ جَلٌّ وَعِلًّا أَحْكَمَ ذَلِكَ، وَإِنَّ السَّنَةَ تَفْسِّرُ ذَلِكَ) [٦] ، وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ فِي الْوَاشِمَةِ وَالْمُسْتَوْشِمَةِ وَالْمُتَنَمِّصَةِ: (مَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر: ٧]؟! [٧]).

وَمِنْ صِفَاتِ فِرْقَةِ الْحَقِّ النَّاجِيَةِ بِذَلِكَ الْجُهْدِ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَدَلَائِلِهِ وَعَدَمِ الرِّضَا بِأَقْوَالِ الرَّجُلِ فِي دِينِ اللَّهِ تَمَّا لَا يُؤَيِّدُهُ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ وَلَا أَصْلٌ أَصَلَّهُ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ [الزمر: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ [الأعراف: ٣].

وَمِنْ صِفَاتِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مَحَبَّةُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ الْمُسْلِمِينَ وَنُصْحُهُمْ وَكُفُّ الْأَذَى وَالشَّرَّ عَنْهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ [المائدة: ٥٤].

وَمِنْ صِفَاتِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِسُلْفِ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَحَبَّتِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [الحشر: ١٠]. وَهَذَا بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ طَوَائِفُ مِنَ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ سَبِّهِمْ وَلَعْنِهِمْ

لِلصَّحَابَةِ وَسَبِّهِمْ لِحَيَارِ الْأُمَّةِ وَسَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَمِنْ صِفَاتِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْقِيَامُ بِالدِّينِ عَمَلًا بِهِ وَدَعْوَةٌ إِلَيْهِ وَإِقَامَةٌ لِلْحِجَّةِ عَلَى الْمُخَالِفِينَ وَجِهَادًا فِي سَبِيلِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ [المائدة: ٥٤]، وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مِنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ)) [٨].

ومن صفات هذه الفرقة الناجية النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وطاعة ولاية الأمر وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالحكمة والصواب، وطاعتهم في المعروف وعدم الخروج عليهم ما لم يكن كفرًا بواح فيه من الله برهان، بخلاف بدعة الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم، ويرون الخروج على الأئمة ويستحلون قتل النفوس المعصومة.

ثم إن أهل البدع قسمان: أئمة وأتباع، والأئمة من أهل البدع منهم من انتحل مذهبهم بسوء قصد وكيد للإسلام، ومنهم من انتحل بحسن نية، وكل هالك إلا أن يتوبوا ويكونوا مع المؤمنين، قال الله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا [آل عمران: ٧].

أيها المسلم، تمسك بما كان عليه سلف الأمة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ووعدهم الجنة، وشهد لهم بالإيمان الكامل، وعُضَّ على ذلك بالنواجذ، ولا تغتر بكثرة الهالكين، ولا تستوحش من قلة السالكين.

ومن صفات هذه الفرقة الناجية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتبليغ الحق للناس، قال الله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [آل عمران: ١١٠]، ويقول: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)) رواه مسلم [٩]، والتغيير باليد للسلطان ونوابه. ويقول تبارك وتعالى: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [يوسف: ١٠٨].

هذه صفات الفرقة الناجية من الفرق الإسلامية التي تسير على نهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، فكونوا على نهجهم وسبيلهم تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.

يا معشر المسلمين، وقد حذر رسولُ الله من مخالفة هديِهِ وهدي أصحابه الأخيار، فقال عليه الصلاة والسلام: ((وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة)) [١٠] ، قال الله تعالى: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [هود: ١٢].

باركُ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيد المرسلين وبقولهِ القويم، أقول قولِي هذا، وأستغفر الله العظيمَ الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

لقد حذر الله تعالى من الفتن، ونهى عن الفرقة والخلاف، وأمر بالاجتماع والتعاون على الخير والائتلاف، فقال تعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [آل عمران: ١٠٣].

وتحذير القرآن والسنة من الفتن ومن الفرقة لأنها تذهب بالدين أو تُضعفه أو تُنتهك فيها الحرمات والأعراض أو تذهب بالأموال وتفسد الحياة الدنيا، وفي الحديث: ((إياكم والفتن)) [١١].

ومن الفتن في هذا الزمان القنوات التي تهدم الدين والأخلاق وتدعو إلى الانحراف، وكذلك المواقع الضارة في شبكة المعلومات وما أكثرها، فإنها تدعو إلى كلِّ شرٍّ وتصدُّ عن كلِّ خير، وتحسِّن محاكاة الأمم غير الإسلامية في كلِّ شيء، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: ((لتبغُنَّ سنن من كان قبلكم حذو القعدة بالقعدة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه)) رواه البخاري ومسلم [١٢] ، وإخباره بذلك لتحذير أمته من التشبه بالكفار.

وإنَّ من القنوات المفسدة التي يجب على المسلم الحذر منها ومقاطعتها لها هي وأمثالها قناة الإصلاح وفتيتها التي تبث السموم بين المسلمين وتدعو بين وقتٍ وآخر إلى المظاهرات والتخريب، كما تحذر كلَّ مسلمٍ ممن ينتهج هذا النهج الذي يدعو إلى الفوضى والإفساد في الأرض، فإنَّ هذه المظاهرات عملٌ غوغائيٌّ فوضويٌّ ممقوت، لا تجوز المشاركة فيها

شرعاً، ولا الذهابُ إلى مكائِها للمشاهدةِ والتَّسليّةِ؛ لأنَّه تكثير لسوادِ أهلِها، ولأنَّ فيه نوعاً من تأييدها، ولأنَّها تعرّض المسلمين للخطر في الأنفسِ والأموال، قال الله تعالى: وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ [الأعراف: ١٤٢]. وإنَّها لا مكانَ لها في بلادنا ولله الحمد، ويجب أن لا يكونَ لها مكانٌ في بلاد المسلمين، وكلٌّ من ينتهج نهجَ التخريب والإفساد والعُدوان والظلم لا يمتُّ عمله هذا إلى الإسلام بأيِّ صِلَةٍ وإن سَمَّى عمله جهاداً وإصلاحاً، فالعبرة بالمعاني والمسمّيات، وليست العبرة بالأسماء.

-----

[١] أخرجه أحمد (١٢٦/٤)، وابن ماجه في مقدمة السنن (٤٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨)، والطبراني في الكبير (٢٥٧/١٨) عن العرياض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الحاكم (٣٣١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب (٤٧/١)، وهو في السلسلة الصحيحة (٩٣٧).

[٢] حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبي عن الإسلام والإيمان والإحسان أخرجه البخاري في الإيمان (٥٠)، ومسلم في الإيمان (٩، ١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مسلم أيضاً في الإيمان (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

[٣] أخرجه البخاري في الشهادات (٢٦٥١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

[٤] أخرجه الترمذي في الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما نحوه، وقال: "هذا حديث حسن غريب"، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٢٩). وفي الباب عن عدد من الصحابة.

[٥] الشريعة (٢٣، ٢٤، ٢٥).

[٦] الشريعة (١٠٤).

[٧] مسند أحمد (٤٣٣/١).

[٨] صحيح مسلم: كتاب الإمارة (١٩٢٠) عن ثوبان رضي الله عنه.

[٩] صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٤٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

[١٠] جزء من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه المشهور، أخرجه أحمد (١٢٦/٤-١٢٧)، وأبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة (٤٦)، والدارمي في مقدمة سننه (٩٥) وغيرهم، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه ابن حبان (١٧٩/١)، والحاكم (٩٥/١-٩٦)، ووافقه الذهبي، ونقل ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١٠٩/٢) عن أبي نعيم أنه قال: "هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٧).

[١١] رواه ابن ماجه في الفتن (٣٩٦٨)، وابن عدي في الكامل (١٧٧/٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وإسناده مسلسل بالضعفاء، ولذا قال الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (٨٦٠): "ضعيف جدا".

[١٢] صحيح البخاري: كتاب الاعتصام (٧٣٢٠)، صحيح مسلم: كتاب العلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه نحوه.<sup>٢٣٥</sup>



<sup>٢٣٥</sup> -موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٣٦٠٩) - صفات الفرقة الناجية -علي بن عبد الرحمن الحذيفي

## الفرقة الناجية وعلاماتها

قال الله تعالى: **وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: **وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** [الروم: ٣١، ٣٢]، وقال النبي: ((ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة))، وفي رواية: ((كلهم في النار إلا ملة واحدة))، قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: ((من كان على ما أنا عليه وأصحابي)).

عباد الله، إن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نعتصم جميعاً بدين الإسلام، وأن لا نكون من المشركين المتفرقين في دينهم شيعاً وأحزاباً، وأخبرنا معلمنا ومرشدنا الرسول الكريم أن اليهود والنصارى تفرقوا كثيراً، وأن المسلمين سيفترقون أكثر منهم، وأن هذه الفرق ستكون كلها عرضة لدخول النار بسبب انحرافها وبعدها عن كتاب ربها وسنة نبيها واتخاذها منهجاً غير منهج الله تعالى، وأن فرقة واحدة استثنائها رسول الله ستكون ناجية وستدخل الجنة، وهذه الفرقة الناجية هي التي تلتزم منهج الرسول في حياته ومنهجه ومنهجا أصحابه من بعده، ((هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي)).

هذه الفرق الناجية هي التي تعود إلى كلام الله ورسوله عند التنازع والاختلاف، وتحاكم إلى كتاب الله عز وجل وإلى سنة رسوله في كل كبيرة وصغيرة عملاً بقوله تعالى: **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** [النساء: ٥٩].

هذه الفرقة الناجية هي التي لا تقدم كلام أحد مهما كان وكائناً من كان على كلام الله ورسوله، ولا تقبله، بل ولا ترضى عنه بأي حال من الأحوال عملاً بقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** [الحجرات: ١]، كما أنها لا تتعبد إلا لكلام الله ورسوله المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ولا تخضع وترضخ إلا له، أما غيره من البشر مهما علت رتبته وعظم منصبه

وقويت سلطته فهو عرضة للخطأ كما قال الإمام مالك رحمه الله: "ليس أحد بعد النبي إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي"، كما أنها تحترم الأئمة المجتهدين رحمهم الله، وتأخذ من أقوالهم جميعاً ما وافق الحق عملاً بوصاياهم جميعاً بالأخذ بالحديث الصحيح وترك كل ما يخالفه.

الفرقة الناجية هي التي تدعو المسلمين لتوحيد الصف والكلمة على ضوء العقيدة الصحيحة السليمة من كل شائبة والمتمثلة بسنة رسول الله وأصحابه من بعده والمستقاة من الكتاب والسنة، وتنكر كل الطرق المبتدعة والأحزاب الهدامة التي فرقت الأمة الإسلامية وابتدعت في الدين ما لم يأت به الله ورسوله، وابتعدت عن التمسك بكتاب الله عز وجل والسنة الصحيحة وعمل أصحاب الرسول.

الفرقة الناجية هي التي تحيي سنة رسول الله في عبادتها وسلوكها وحياتها وفعلها ومنهجها وتصرفاتها حتى أصبح أفرادها هم الغرباء بين أقوامهم كما أخبر عنهم رسول الله بقوله: ((إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء))، وفي رواية: ((فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس)).

عباد الله، إن الفرقة الناجية من الثلاث وسبعين هي الطائفة التي عناها النبي بقوله: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرة، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى)).

لقد صح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: خطب لنا رسول الله خطباً بيده ثم قال: ((هذا سبيل الله مستقيماً))، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال: ((هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه))، ثم قرأ قوله تعالى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام: ١٥٣].

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن صراط الله المستقيم هو دين الله جل وعلا الذي ارتضاه لنا كما قال الله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ



الإسلام دينًا [المائدة: ٣]، والمتمثل بكتاب الله وسنة رسول الله ، وأيّ سبيل آخر غير هذا السبيل ضلال وانحراف، دُعاته من شياطين الإنس والجن.

فالزموا — عباد الله — منهج أهل السنة والجماعة، فهم الفرقة الناجية المنصورة مهما عاداها الناس وأسأؤوا لها، ولكم أسوة حسنة بالأنبياء والصالحين وما كان من قصصهم مع أقوامهم مما في سور القرآن الكريم، فهي توضح وتبين وتقصّ علينا ما فيه الكفاية التامة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

عباد الله، سئل بن ابن المبارك رحمه الله عن الطائفة المنصورة: من هي؟ فقال: "هم عندي أصحاب الحديث"، وقال البخاري رحمه الله تعالى: قال علي بن المديني: "هم أصحاب الحديث"، وقال الإمام أحمد رحمه الله: "إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم".

وما ذلك — أيها الناس — إلا لأن أهل الحديث هم بحكم اختصاصهم في دراسة السنّة ومعرفتهم بها وقيامهم بالذود عن حياضها والالتزام بها وشكر الله تبارك وتعالى على نعمة الالتزام والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يتعلق بها أعلم الناس قاطبة بسنة نبيهم وهديه وأخلاقه وغزواته وما يتصل بها.

اللهم اجعلنا من أهل السنة والجماعة لنكون من الناجين في صحبة الرسول وصحابته وكل من سار على هديهم إلى يوم الدين.<sup>٢٣٦</sup>



<sup>٢٣٦</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٣٩٥٧) - الفرقة الناجية وعلاماتها - داود بن أحمد العلواني

## المخرج من الفتن

أيها المسلمون، اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ [الحشر: ١٨-٢٠]، وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران: ١٣٣]، إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْهَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

واعلموا أن حياة المؤمن حياة متميزة، تميزت بأنها حياة ابتلاء واختبار، عاقبتها الجنة دار القرار، محفوفة بالمكافأة والمخاطر، يمر فيها المؤمن بعدة عقبات: العقبة الأولى: دار الدنيا التي فيها العمل والزرع الشاق، وفيها اغتنام الأعمال قبل حلول الآجال.

والعقبة الثانية: دار البرزخ التي هي إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، إما أن يقول ساكنها: رب أقم الساعة لأرجع لأهلي، وإما أن يقول: رب لا تقم الساعة. والعقبة الثالثة: دار الحشر والجزاء والحساب، وفيها تبيض الوجوه أو تسود، وفيها تخف الموازين أو تثقل، وفيها تؤخذ الكتب بالإيمان أو بالشك. والعقبة الرابعة: الصراط المنصوب على قمة جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعرة، يمر الناس عليه بقدر أعمالهم، فإذا ناج أو مكدوس في نار جهنم، قال عبد الله ابن الإمام الأحمد لأبيه: متى نستريح؟ قال: نستريح إذا وضعت أول قدم في الجنة، وخلفت النار وراءك.

وكانت حياة المؤمن محفوفة بالمخاطر؛ لأنها حياة جهاد دائم وعمل صالح مستمر، يبذل فيها المؤمن جهده في الطاعة، فيسكت من فضول الكلام، ومن فضول النظر، ومن فضول السمع، ومن فضول الصحبة، ومن فضول الأكل، ومن فضول النوم، ويجاهد أعداءه الذين ضيعوا عمله وعمره.

وأول أعدائه النفس الأمارة بالسوء، يجاهدها بأربعة أمور:

بالعلم الشرعي الذي أرسل الله به رسوله ورفع درجات أهله وجعله الميراث الذي ورثه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وجعله الطريق الذي يوصل إلى الجنة، وأهله لا يشبعون منه كما في قول ابن عباس: (منهومان لا يشبعان: طالب دنيا وطالب علم)، وجعله مانعاً لأهله من اللعنة، يقول: ((الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً)). والعلم نور لأهله وحجة لهم، لا يناله إلا الأخيار الأتقياء، ويقول: ((من يرد الله به خيراً يفقه في الدين)) ويقول: ((خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)).

ويجاهدها بالعمل الصالح، فإنه أمر الله لرسوله عليهم السلام ولأئمتهم، وهو وظيفة الدنيا وحسنة الآخرة، وهو خير زاد يتزود به العبد، وخير لباس يتزين به، وهو الصديق عند الضيق، وهو الذي يضاعف الله به الحسنات، ويغفر به السيئات، ويرفع به الدرجات، وتحفظ به الأوقات، وهو الربح من الدنيا والآخرة، وهو الذي يحفظ القلوب من أمراضها والألسن من آفاتهما، يفتح الله به أبواب الخير، ويغلق أبواب الشر.

ويجاهدها بالدعوة إلى الله تعالى، فإنها أمر الله لرسوله وأمره لأوليائه، وهي أحسن القول، وأهلها هم أهل الجمال، وأكثر الناس أجراً، وأكثر المخلوقات محبة للخالق والخلق، وبذلها أولى من بذل المال، يقول: ((إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)).

ويجاهدها بالصبر؛ لأنه النصر على النفس وعلى الأعداء، وهو خير لجام لها وهو صفة أهل الجنة، يقول الله تعالى: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ [سورة العصر].

وثاني أعدائه الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، والذي وقف للإنسان بكل طريق، وأتاه من كل جهة، وأقسم أن يغويه، وطلب الإنظار إلى يوم الدين ليواصل الحرب للإنسان، وليضله عن سواء السبيل، عداوته ظاهرة بينة، يدعو إلى المعصية، ويحذر من الطاعة، لا يزال مع الإنسان حتى الموت، فإذا أن يسلسل الإنسان، وإما أن يسلسله

الإنسان، إما أن ينتصر على الإنسان، وإما أن ينتصر عليه الإنسان، ويجاهد بشيئين: باليقين لتدفع الشبهات والوساوس عن الإنسان، وبالصبر لتدفع الشهوات، وبهذين السلاحين تنال الإمامة في الدين، قال تعالى: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة: ٢٤].

وثالث الأعداء أهل الفسق والعصيان الذين كثرت سيئاتهم وقلت حسناتهم، وزادت منكراتهم وقلت مراقبتهم لربهم، غلبوا الرجاء على الخوف، فأمنوا مكر الله، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الفاسقون، ومن أمن في الدنيا أخافه الله يوم القيامة خوفاً لا ينقطع، واعتمدوا على نصوص الترغيب وأعرضوا عن نصوص التهيب، فاستحوذ عليهم الشيطان حتى أنساهم ذكر الله، أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ [المجادلة: ١٩].

ويجاهد هؤلاء بثلاثة أمور: باليد لإنكار منكرهم ورد باطلهم، وهذه المرتبة لأهل الولاية العامة من الولاة والحكام، ولأهل الولاية الخاصة كالآباء والأمهات والإخوة والأخوات والأعمام والعمات ونحوهم والأسياذ والمعلمين ونحوهم، ويجاهدون باللسان، وهذه المرتبة للعلماء والدعاة الذين يبلغون رسالة الله ويرثون رسل الله، فإن المواعظ للقلوب كالسياط للأبدان، وإن القلوب لا تفتح إلا بالمواعظ، ولا توصل إلا بها، ولا تذرف العيون إلا بها، ولا تشعر الأبدان إلا بها، ويجاهدون بالقلوب ببغضهم وعدم محبتهم وعدم الرضا بفعالهم وعدم القعود معهم، فهذا الحب في الله والبغض في الله، يقول: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)).

والعدو الرابع هم الكفار من يهود ونصارى ومشركين ومنافقين وغيرهم، ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا، ومن أفسدوا في الأرض ولم يصلحوا، ومن نشروا الرذائل وحاربوا الفضائل، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، وجهادهم بأربعة أشياء: بالقلب، نبغضهم ولا نحبهم، ونتقرب إلى الله بكرههم، وباللسان نحذر منهم ونبين عداوتهم، وندعو عليهم، وبالمال نبذله في حربهم، وبالنفوس في قتلهم وتشيدهم.

وكانت حياة المسلم محفوفة بالمكاره والمخاطر؛ لأن الحياة مليئة بالفتن، وبسد هذه الأبواب الأربعة يسلم الإنسان من الفتن التي تفسد على الإنسان دينه ودنياه، وما نراه من كثرة الفتن في القلوب، حتى أظلمت وانتكست، ومن الألسن حتى استحكمت غضب الله واستوجبت النار وبئس القرار، وفي الأبصار حتى أفسدت الأعمال الصالحة، وفي الأسماع حتى طمست الفطرة السليمة، وفي الجوارح كلها بترك أوامر الله والوقوع في نهيه، وفتن في الأموال بكسبها من الحرام وإمساكها عن حقوقها، وفتن في الأولاد بانحرافهم وضلالهم واتباعهم لخطوات الشيطان، وفتن في المجتمع كله بانتشار المنكرات وكثرة الاعتداءات وتسابقهم في المنكرات، ويوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده، وفتن في البيوت بجلب وسائل الدمار التي دمرت الرجال والصبيان والنساء، ودمرت الأخلاق والحياء والآداب، وخرّب الناس بها بيوتهم بأيديهم، وفتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي.

وإن أشد الفتن أن يقوم الأعداء بتشكيك المسلم في دينه، ويهدونه فيه، ويصفونه بأوصاف لا تليق، ولا يزالون به حتى يردوه عن دينه إن استطاعوا، ويدعونهم إلى نقض عرى الإسلام عروة عروة، وإلى خلع الإسلام من عنقه، قال تعالى عن فتنة هؤلاء الأعداء: **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا [البقرة: ٢١٧]**، ويقول: **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [الصف: ٨]**.

وفتنة الإنسان في دينه هي أشد الفتن؛ لأنها تضيع الدنيا والآخرة، وتجعل الإنسان كالحَيوان، لا همّ له إلا بطنه وفرجه، وتخرج الإنسان من النور إلى الظلام، ومن الهداية إلى الضلالة، ومن الحياة إلى الموت، ومن النعيم إلى الحميم، ومن السعادة إلى الشقاء، ومن عبادة رب العباد إلى عبادة العباد، ومن عدل الإسلام إلى جور الأديان، ومن سعة الدنيا إلى ضيقها، والسعيد من سلم من الفتن، يقول: ((إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن)).

والفتن تعرض على القلوب؛ لأن افتتاحها افتتاحان للجسد كله، وسلامتها سلامة للبدن كله، يقول : ((تعرض الفتن على القلوب كالخصير عودًا عودًا، فأى قلب أشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مُربادًا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه)).

ولنعلم — عباد الله — أن المخرج من هذه الفتن عدة أمور:

الأمر الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بهما، فإنهما حفظ لمن تمسك بهما، والتمسك بهما يقتضي قراءتهما والعمل بهما والتحاكم إليهما وتقديمهما على كل كتاب وعلى كل قراءة وإشغال المجالس بهما وتذكير الناس بهما، فإنهما مصدرا الشريعة، وهما حبل الله القويم وصراطه المستقيم، من تمسك بهما رشد، ومن تركهما ضل، يقول تعالى: **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى [طه: ١٢٣]**، ويقول: **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [الإسراء: ٩]**، ويقول : ((تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي)).

والأمر الثاني: كثرة العبادة لله الواحد القهار، فإنها اتصال دائم بالله، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وهي وظيفة الإنسان في الدنيا، قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ٥٦]**، وهي حق الله على العبيد، قال لمعاذ: ((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)).

والعبادة دوام للتوبة، ودوام للطاعة، وحفظ من الشيطان، ومضاعفة للحسنات، ومغفرة للسيئات، ورفع في الدرجات، وحفظ للأوقات، يقول تعالى: **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنِيءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ [يس: ٦٠-٦٢]**، ويقول : ((العبادة في الهرج كهجرة إلي))، والمراد بالهرج الفتنة واشتغال الناس بها، فالعبادة تشغل عن الفتنة وتسد أبوابها.

الأمر الثالث: الاستعاذة بالله تعالى والالتجاء إليه والتحصن به وتفويض الأمور إليه والتوكل عليه؛ لأنه الذي يفعل ما يريد، وهو الذي يقول للشيء: كن فيكون، وهو الذي له الأمر من قبل ومن بعد، وهو الذي له مقاليد السماوات والأرض، وهو الذي كل شيء بأمره، وقد وعد تعالى أوليائه بإعازتهم إذا استعاذوه، يقول تعالى في الحديث القدسي: ((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)). وقد كان يتعوذ بالله من الفتن فيقول: ((تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن))، وكان يقول: ((وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات))، ويقول: ((وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون)).

الأمر الرابع: الصبر على طاعة الله والمداومة عليها وعدم الملل، فإن الله لا يعمل حتى تملوا، وإن الطاعة باب حصين يتحصن بها العبد من الفتن، وهي رضوان الله الذي يكتب به رضوانه إلى يوم القيامة، وهي حفظه الذي يحفظ بها عبده، وهي النور في القلب والبياض في الوجه والصبر عن المعصية؛ لأنها طريق إلى النار، وخطوة من خطوات الشيطان، ونافذة من نوافذ الهلاك، والصبر عن المعصية أهون من الصبر على النار، والصبر على أقدار الله التي قدرها على العبد من قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، يقول تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ تُبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [الحديد: ٢٢]، ويقول: ((واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك)).

وقد أمرنا الله بالاستعانة بالصبر يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة: ١٥٣]، ومن حديث خباب بن الأرت قال له لما شكا فتنة الأذى: ((لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه)) رواه البخاري.

الأمر الخامس: الثبات على دين الله، وذلك بالاستقامة على التوحيد وعلى الأمر وعلى الإخلاص وعلى العمل الصالح وعلى الدعاء الدائم: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وأمر الاستقامة عظيم، لكثرة الفتن وضعف الإيمان، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، والرجل يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، وقد أمر الله رسوله بالاستقامة فقال: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ [هود: ١١٢]، وأمر بما عباده المؤمنين فقال: فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ [فصلت: ٦]، وقد قال عليه الصلاة والسلام لسفيان الثقفى: ((قل: آمنت بالله ثم استقم)).

الأمر السادس: الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من السلف الصالح، فإنهم خير القرون، وهم أسلم الناس من الأهواء، وأبعدهم عن الشهوات والشبهات، وهم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، يقول: ((فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة))، وقال: ((وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة))، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ((ما أنا عليه وأصحابي)).

وقد ورد أن ابن حذافة أسر عند الروم، وأرادوا فتنته عن دينه فأبى، وأرادوا حرقه فأبى إلا الإسلام، فأطلق هو ومن معه، وآخر أسر عند الروم فقبل له: إما أن تتنصر وإما سُحِلَتْ عيناك، قال: تُسحل عيناى ولا أضيع ديني.

الأمر السابع: الفرار من الفتن بسلامة القلب منها، وسلامة الأبصار منها، وسلامة الأسماع منها، وسلامة الجوارح منها، وسلامة البيوت منها، وسلامة الأولاد منها، وترحيل الفتن من الجوارح، وترحيلها من البيوت، ومن المجتمع، وتطهير الجوارح لتبقى على الفطرة، وتطهير البيوت لتشتغل بالقرآن والسنة والمواظ على كل خير، وتطهير المجتمع ليبقى كالبنين المرصوص وكالجسد الواحد، وفي الحديث أن رجلاً قتل مائة نفس، فأرشد إلى الفرار من



بلد الفتنة، فصلحت أحواله وتاب الله عليه، فهلا هرب الصادقون من الفتنة، وهلا طهروا  
منها الأنفس والأولاد والبيوت والمجتمعات...<sup>٢٣٧</sup>



---

<sup>٢٣٧</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - ( ١ / ٣٨٢٣ ) - المخرج من الفتنة - سعد بن سعيد الحجري

## الألفة والاتحاد ونبذ الاختلاف

إن من أهم ما يدعو إليه الدين بعد التوحيد هو جمع الكلمة وائتلاف القلوب والمشاعر واتحاد الغايات وتوحيد الهدف والاعتصام بحبل الله المتين؛ لأنه بتوحيد الصفوف واجتماع الكلمة الضمان ببقاء تماسك الأمة بتوكلها على الله تعالى ونجاح رسالتها، ومن أجل هذا فقد اعتبر الشرع جميع المسلمين إخوة في الدين فقال الله تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** [الحجرات: ١٠]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **((المسلم أخو المسلم))**، وقال أيضاً: **((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))** (١) [١]، وفي حديث آخر وصف رسول الله المجتمع الإسلامي بالجسد الواحد المترابط الأجزاء فقال: **((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))** (٢) [٢]، إنه لمثل رائع عظيم.

وإلى جانب هذا فقد شرع لنا ديننا الإسلامي الحنيف كل ما يقوي عوامل الألفة والاتحاد، ويزيل عوامل البغضاء والكراهة والاختلاف والفرقة، فأمرنا بالسلام وربط بينه وبين الإيمان وبين دخول الجنة، فقال عليه الصلاة والسلام: **((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))** (٣) [٣]، إنه السلام، أعظم تحية تقدير واحترام.

ونحن أيضاً عليه الصلاة والسلام عن المهجران؛ لأنه يسبب الكراهة والبغضاء والبعد والحقد والتناحر والتدابير والتنازع والتفرق، فقال: **((لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام))** (٤) [٤]. فلتحرص — أخي المسلم — على الخيرية بيدك بالسلام؛ لتنال من الله المثوبة والأجر والإكرام.

ولما كان الاختلاف — يا عباد الله — مفسداً لدين الله ودنيا الناس فقد اعتبره الإسلام انفصلاً عنه وكفراً، فقال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** [الأنعام: ١٥٩]. إن الفرقة شطط كبير

وجرم عظيم يبئد المجتمع ويمزق المجتمع، عاقبته وخيمة: خيبة في الدنيا وخسارة في الآخرة، وماله شر مآل، ويجر إلى أسوأ الأحوال.

وحذر الله المسلمين من الخلاف في الدين والتفرق في فهمه شيئاً متناحرة وأحزاباً متلاعنة كما فعل الأولون، فقال الله تعالى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [آل عمران: ١٠٥]، وكما قال الله تعالى: فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [المؤمنون: ٥٣].

فيا عباد الله، اتقوا الله، واعلموا أن الشقاق يضعف الأمم، ويوهن المجتمعات القويّة، ويميت الأمم الضعيفة، ولذلك جعل الله أول عظة للمسلمين بعد انتصارهم في معركة بدر أن يوحّدوا صفوفهم ويلبّوا شملهم ويجمعوا أمرهم، وذلك عندما تطلّعت بعض النفوس لحظها من الغنائم، فقال تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [الأنفال: ١]، آمنا بالله ربّا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً ورسولاً.

ثم أفهمهم أن الاتحاد في العمل لله هو طريق النصر الأكيد واتجاه الهدف وتوحيد الكلمة، كما أن الفرقة والتنازع هي طريق الهزيمة والخسران، فقال الله تبارك وتعالى: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيكُكُمْ [الأنفال: ٤٦].

ولقد كان للمسلمين درس عظيم وعظة كبيرة على مر الأجيال في يوم أحد والضرية الموجهة التي أفقدت المسلمين من رجالهم سبعين بطلاً، وقلبت النصر إلى هزيمة على الرغم من الإيمان والتضحية النادرة في الدفاع عن الحق والاستبسال للموت أو حرز النصر، وما ذلك إلا لأن بعض من كان بالجليل من الرماة وهم عدد قليل — رحمهم الله تعالى — كانوا على اجتهد في رأيهم، فتنازعوا وانقسموا وخالفوا بعضهم اجتهداً منه وظناً أن المعركة انتهت، فنسوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما صور لنا ذلك القرآن الكريم: وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ [آل عمران: ١٥٢].

ولو اعتبر المسلمون بذلك وعقلوا أحوالهم في هذه المرحلة الراهنة العصبية من تاريخهم لأدركوا أن سبب ما نزل بهم من نكبات ولحقهم من العار والتقهر والتراجع وانحسار ديار الإسلام هو نتيجة التفرق والتزاع الحاصل بين أفراد الأمة الإسلامية بفعل الهجمات الصليبية والصهيونية التي مهدت الطريق بالخفاء لتقسيم المسلمين أحزاباً وشيعاً منحلّة واهية ودويلات متدبرة ممزقة، مستغلين القاعدة المفسدة التي تقول: (فرق تسد)، قاتل الله الكفار أنى يؤفكون، وجمع الله كلمة المسلمين على الحق والهدى.

فيا عباد الله رحمكم الله، يجب عليكم تلافي ذلك، كما يجب عليكم تصحيح أوضاعكم ورأب الصدع وتوحيد الصفوف، وأن تنهضوا لترميم ما وهى من بنيانكم واسترداد ما سلب من مقدساتكم وما تحطم من كياناتكم وما تردى من معنوياتكم وانقسام بينكم واختلاف في الاتجاهات وتباين في الأهداف وتشاحن، فانبذوا ذلك كله، ولا يتمّ كل ذلك — أيها المسلمون — إلا بالرجوع إلى مصدر عزّتكم كتاب الله وسنة رسول الله والالتفاف وتوحيد الكلمة ووحدة الصفوف والغايات والإخلاص الأكيد لدين الله جل وعلا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [النساء: ١١٥].

لقد صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله : ((افتترقت اليهود على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمّي على ثلاث وسبعين فرقة، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة)) [١].

ففي هذا الحديث — أيها الناس — إخبار من الرسول بأن الافتراق واقع في هذه الأمة الإسلامية، كما بين لنا أن الناجي من هذه الفرق فرقة واحدة وهي الجماعة، وفي رواية أخرى لما سئل رسول الله عن هذه الفرق الواحدة الناجية قال: ((من كانت على مثل ما أنا عليه وأصحابي)).

ومن أجل هذا فقد تنبه السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين إلى ذلك حين وقع التفرق والاختلاف في الأمة وحصل الانشقاق ونشأت الفرق التي ابتدعت في دين الله ما لم يأذن به الله بتعاً لأهوائهم وتعاضماً عن نقصٍ في داخل نفوسهم ولتجميع الناس السذج حولهم.

فالجؤوا — عباد الله — إلى الكتاب والسنة، واعتصموا بهما، وادعوا الناس إلى التمسك بهما، واعرفوا طريق السلف الصالح وهم أهل السنة والجماعة أو أهل الحديث، فهم لا ينتسبون إلا إلى المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب اتباعه وتصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر، وهذا بخلاف كل أحد من الناس، فإنه يؤخذ من قوله ويترك، وهذا ما عليه أهل البدع والضلال الذين يلتفتون حول أفراد من الناس ينتمون إليهم ويوالونهم ويعظمونهم ويقيمون حفلات المولد ويحدثون فيه ما لم يأذن به الله، هداهم الله إلى طريق الحق.

فعليكم — عباد الله — بالتمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ، وهو ما كان عليه أهل السنة والجماعة، وهم السلف الصالح الذين عضوا على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنواخذ ومن كان على منهجهم على الطريق المستقيم كما قال الله تبارك وتعالى: وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام: ١٥٣]، وسبيل الله طريقه المستقيم وحبله المتين كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال الله جل وعلا عنه: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَٰلَمُهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ [النجم: ٣-٥]، وقال بعض أهل العلم: يجب علينا الأخذ بالوجيهين الكتاب والسنة أي: كل ما جاء عن الله جل وعلا وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الإيمان بالله وما جاء عن الله على مراد الله وكل ما جاء عن رسول الله واعتقاد بأن ذلك هو الحق، وليس للمسلم الخيرة في ذلك، كما قال الله تبارك وتعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ [الأحزاب: ٣٦].

اللهم ارزقنا حلاوة الإيمان، ووفقنا للانتقياد لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم  
والاعتصام بالكتاب والسنة، اللهم اجعلنا من الفرقة الناجية يا أرحم الراحمين...

- 
- (١) رواه البخاري في المظالم، باب: نصر المظلوم (٩٨/٣).
- (٢) رواه البخاري في الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم (٩٢/٧)، ومسلم في البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم (٢٥٨٦).
- (٣) رواه مسلم في الإيمان، باب: أن لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان (٥٤).
- (٤) رواه البخاري في الأدب، باب: الهجرة (٩٠/٧)، ومسلم في البر والصلة، باب: تحريم الحجر فوق ثلاث (٢٥٦٠).
- (٥) رواه أحمد (٢٣٢/٢)، وأبو داود في السنة، باب: شرح السنة (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤٢)، وصححه الترمذي والحاكم (٦/١)، ووافقه الذهبي، وله روايات وطرق متعددة.<sup>٢٣٨</sup>



---

<sup>٢٣٨</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٣٩٥٠) - الألفية والاتحاد ونبذ الاختلاف - داود بن أحمد العلواني

## اجتماع الكلمة

أيها الإخوة المؤمنون، اجتماع الكلمة ووحدة الصف من الأمور المهمة التي حث عليها الدين، وأمرت بها الأدلة من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه ، يقول تبارك وتعالى آمرا عباده المسلمين: **وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** [آل عمران: ١٠٣].

هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، قبيلتان من القبائل التي أسلمت في عهد النبي ، وكان بينهم حروب طاحنة، لما أسلموا صاروا كما قال الله تعالى: **بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**. حاول يهودي — كعادة اليهود — أن يفرق بينهم، لما رآهم متفقين متآلفين ساءه ذلك، فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم بما كان بينهم من حروب، وهذا شأن اليهود، يحاولون دائما التفريق بين المسلمين، ويعملون جاهدين على تمزيق وحدتهم. فانظروا ماذا فعل هذا الخبيث، أرسل رجلا — واليوم اليهود قد يفعلون ذلك، يفعلونه من خلال قنواتهم، أو من خلال وسائل إعلامهم، أو حتى عن طريق أذنانهم من بني جلدتنا الذين يتكلمون بالسنتنا، الذين يلجؤون إليهم ويتلقونهم بالأحضان، ليستعملوهم من أجل تفريق المسلمين — فأثر ذلك الخبيث حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، فثاروا وحملوا السلاح، وتواعدوا الحرة، فعلم النبي ، فأخذ يسكنهم ويقول: ((أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!)) وتلا عليهم الآية، فندموا واصطلحوا وتعانقوا رضي الله عنهم وأرضاهم.

أيها الإخوة المؤمنون، وأما اجتماع الكلمة في السنة ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة أنه قال: ((إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا. يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويسخط لكم ثلاثا قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)).

فاجتماع الكلمة — أيها الإخوة — من الأمور المهمة التي يجب وينبغي أن تكون بين المسلمين، ولهذا حرم الله عز وجل كل أمر من شأنه التفريق.

الله عز وجل — أيها الإخوة — يجب أن يكون المسلمون إخوة ليس بينهم فرقة، يجب جل جلاله أن يكون المؤمنون على مستوى من المحبة وعلى درجة عالية من الألفة والترابط، ولهذا يقول جل جلاله: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** [الحجرات: ١٠]، ويقول النبي: ((لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)) متفق عليه.

أيها الإخوة المؤمنون، ولكي ندرك اهتمام الدين بوحدة الكلمة والحرص على عدم الفرقة والتحذير من الاختلاف نتأمل هذا الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي قال: ((تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا)). فمغفرة الله عز وجل للعبد السالم من الشرك لا تكون إلا لمن اصطاح مع إخوانه، وقضى على ما بينه وبينهم من شحناء وبغضاء.

فلنتق الله يا عباد الله، ولنحذر الفرقة، ولنعمل على توحيد الكلمة ووحدة الصف؛ لأن التفرق يشل حركة المجتمع ويوهن البناء ويضعف الشوكة. ولنحذر — أيها الإخوة — الأهواء، ولنحرص على الحب والإخاء؛ لأن اتباع الأهواء يفرق، والحب والإخاء يجمع. اعلّموا — رحماني الله وإياكم — بأن الله عز وجل حذرنا وحرم علينا أموراً تسبب الفرقة، وتورث النزاع والاختلاف، هذه الأمور يجب على المسلم أن يحذرهما وأن يعمل على اجتنابها والبعد عنها، وهي كثيرة، ولكن يجمعها البعد عن تعاليم القرآن والسنة، ولهذا قال الله عز وجل: **وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** [آل عمران: ١٠٣]، ويقول النبي: ((كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض)). ولا يؤلف — أيها الإخوة — بين القلوب فيجعلها متآلفة متآخية متحاببة إلا التمسك بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه.

والله الذي لا إله غيره، لا يجتمع الناس ولا تتآلف قلوبهم إلا إذا عملوا بكتاب الله عز وجل وتمسكوا بسنة نبيه، يقول تبارك وتعالى: **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ**



جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال: ٦٣]، وخطب النبي الأنصار فقال: ((يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضالالا فهداكم الله بي، وعالمة فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟!)).

فالاستقامة على أمر الله وعلى أمر رسوله بها ومن خلالها نكون إخوة متحابين متآلفين، أما إذا كان الناس على خلاف ذلك فليبشروا بالفرقة والتشتت في هذه الدنيا وبالنار يوم القيامة، يقول النبي: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي — يعني نحن — على ثلاث وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار)) والحديث في السلسلة الصحيحة.

فحري بالمسلم أن يحرص على أن يكون من الفرقة الناجية، أن يكون من الفرقة السالمة من جهنم، وقد سأل النبي عن هذه الفرقة فقال: ((هم الذين على ما أنا عليه اليوم وأصحابي))، أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم منهم.<sup>٢٣٩</sup>



<sup>٢٣٩</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٤٠٥٦) - اجتماع الكلمة - عبيد بن عساف الطوياوي

## الاستقامة على الطاعة

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّخَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: ((قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ)).  
الاستقامةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، تُأْخِذُ بِمَجَامِعِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَتَتَحَقَّقُ بِهَا مَعَالِي الْأُمُورِ وَأَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَالْأَجُورِ، وَبِهَا يَكْمُلُ الْإِيمَانُ، وَيُضْمَنُ الْأَمْنُ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَتَعْمُ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، وَيَسْعُدُ الْأَفْرَادُ وَالْمُجْتَمَعَاتُ، إِنَّهَا خَصْلَةٌ مِنْ أَعْظَمِ خِصَالِ السَّائِرِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَجَلٌ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ بَيْنَ مَنَازِلِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، يَنَالُ الْمَرْءُ بِهَا الْكَرَامَاتِ، وَيَصِلُ إِلَى أَعْلَى الْمَقَامَاتِ، وَيَعِيشُ بَرْدَ الْيَقِينِ، وَيَحُوزُ عَلَى مَرْضَاةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

إِنَّهَا اتَّبَاعُ الدِّينِ الْقَوِيمِ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَلُزُومِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِرِعَايَةِ حَدِّ الْوَسْطِ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ، وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ بِمَا أَمَرَ، وَالِاتِّزَامِ بِالصِّدْقِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالْوَفَاءِ بِكُلِّ الْمَوَاقِفِ وَالْعُهُودِ، فَالْإِسْلَامُ إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ دُونَ سِوَاهُ، ثُمَّ اسْتِقَامَةٌ عَلَى مَنْهَجِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ أَوْ تَبْدِيلٍ أَوْ تَقْصِيرٍ؛ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأحقاف: ١٣-١٤]. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: (لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى إِلَهٍ غَيْرِهِ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا عَلَى أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُمْ)، وَيَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "اسْتَقَامُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ وَاجْتَنَبُوا مَعْصِيَتَهُ"، وَيَقُولُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: (الاستقامةُ أَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَلَا تَرُوغَ رَوَغَانَ الثُّعْلَبِ). يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ الْمُسْتَقِيمِينَ يَلْتَزِمُونَ بِالْإِسْتِقَامَةِ دَائِمًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ وَأَوْقَاتِهِمْ وَلَيْسَ وَقْتًُا دُونَ وَقْتٍ؛ وَلِذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَعْظَمُ الْكَرَامَةِ لُزُومُ الْإِسْتِقَامَةِ".

وَأَصْحَابُ الْإِسْتِقَامَةِ — عِبَادُ اللَّهِ — جَمَعُوا بَيْنَ أَصْلَيِ الْكَمَالِ فِي الْإِسْلَامِ: الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى ذَلِكَ؛ فَالْإِيمَانُ كَمَالٌ فِي الْقَلْبِ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالسَّيْرِ عَلَيْهِ؛ مَعْرِفَةٌ

بِمَقَامِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، مَعْرِفَةً بِاللَّهِ تَعَالَى رَبًّا حَكِيمًا وَإِلَهًا مُدَبِّرًا، مُعَظَّمًا فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، قَدْ عُمِرَتْ قُلُوبُهُمْ بِخَوْفِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ، وَامْتَلَأَتْ نُفُوسُهُمْ خَشْيَةً وَإِحْلَالًا وَمَهَابَةً وَمَحَبَّةً وَتَوَكُّلاً وَرَحَاءً وَإِنَابَةً وَدُعَاءً، أَخْلَصُوا لِلَّهِ فِي الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ، وَبَذَلُوا الشَّرْكَ كُلَّهُ، وَبَرَّوْا مِنْ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ رَبِّهِمْ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ، دُونَ تَفْرِيطٍ أَوْ إِفْرَاطٍ، فَإِذَا تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنَ الْعَبْدِ ظَهَرَ فِي سُلُوكِهِ طُمَأْنِينَةٌ فِي النَّفْسِ وَرِقَّةٌ فِي الْقَلْبِ وَقُرْبٌ مِنَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

سُئِلَ الصَّدِيقُ عَنِ الاسْتِقَامَةِ فَقَالَ: (أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا)، يُرِيدُ الاسْتِقَامَةَ عَلَى مَحْضِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ. وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَمْرٍ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزَعَتَانِ: إِمَّا إِلَى تَفْرِيطٍ، وَإِمَّا إِلَى مُجَاوَزَةٍ وَهِيَ الْإِفْرَاطُ، وَلَا يُيَالِي بَأْيَهُمَا ظَفَرَ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ".  
أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، بِالْإِسْتِقَامَةِ يَجِدُ الْمُسْلِمُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَطُمَأْنِينَةَ الْقَلْبِ وَرَاحَةَ النَّفْسِ وَالْبَالِ؛ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [الزمر: ٢٢]، أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأنعام: ١٢٢].

وَمَا أَحْمَلُ الاسْتِقَامَةَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالْإِزْدِيَادِ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، وَمَا أَعْظَمَهَا حِينَ تَكُونُ بَعْدَ الطَّاعَةِ؛ فَهَذِهِ حَالُ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ فِي إِيْمَانِهِ، الَّذِي لَا يَغْتَرُّ بِمَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ، وَلَا يَرُكِنُ إِلَّا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ عَمَلَهُ فِي حَنْبِ مَعَاصِيهِ وَغَفْلَتِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ، وَأَنَّهُ مَهْمَا عَمِلَ فِي حَنْبِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَسِتْرِهِ فَلَنْ يُوفِّيَ ذَلِكَ كُلَّهُ بَعْضَ حَقِّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ؛ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْثُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ)) ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: ((وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ،

فَسَدُّوْا وَقَارِبُوْا، وَاغْدُوْا وَرُوْحُوْا، وَشَيْءٌ مِّنَ الدَّلْحَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوْا)) ؛ وَلَاجَلِ هَذَا فَقَدْ أَرْشَدَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ أُمَّتَهُ بِقَوْلِهِ: ((اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا)) رواه مسلم، وبِقَوْلِهِ: ((سَدُّوْا وَقَارِبُوْا)) متفق عليه. وَالسَّدَادُ هُوَ حَقِيقَةُ الاسْتِقَامَةِ، وَهُوَ الْإِصَابَةُ فِي جَمِيعِ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْمَقَاصِدِ. وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَحْلُ قَوْلُ الْحَقِّ تَعَالَى: فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ [فصلت: ٦]. وَهُوَ تَوْجِيهٌ إِلَهِيٌّ كَرِيمٌ لِّجَبْرِ مَا قَدْ يَحْصُلُ مِنْ ضَعْفِ بَشَرِيٍّ وَقُصُورِ إِنْسَانِيٍّ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ وَأَصْحَابَهُ الْكَرَامَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالاسْتِقَامَةِ، وَهُوَ صِفَةُ الْخَلْقِ وَهُمْ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ [هود: ١١٢، ١١٣]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (مَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ آيَةٌ كَانَتْ أَشَدَّ وَلَا أَشَقَّ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ)، وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: "لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ شَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ لِلْعِبَادَةِ، فَمَا رُئِيَ ضَاحِكًا، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ حِينَ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الشَّيْبُ: ((شَيْئَنِي هُوَ وَأَخَوَاتُهَا))، يَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى: فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ".

وَلَقَدْ كَانَ الْمُصْطَفَى قُرْآنًا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ؛ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِهِ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [الْقلم: ٤]؟! رواه أحمد. وَكَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)) رواه أحمد والترمذي وحسنه.

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: ((هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ))، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((هَذِهِ سُبُلٌ — مُتَفَرِّقَةٌ — عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ))، ثُمَّ قَرَأَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام: ١٥٣]. رواه أحمد والدارمي والحاكم بإسناد صحيح.

وَهَذِهِ السُّبُلُ الَّتِي وَصَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَمَا أَكْثَرُهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ لَا كَثَرَهُمُ اللَّهُ، الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى مُخَالَفَةِ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، وَيُزَيِّنُونَ الْإِتْعَادَ عَنْهُ بِكُلِّ طَرِيقَةٍ، يَدْعُونَ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُنْحَرِفَةِ وَالسُّبُلِ الْمَلْتَوِيَةِ؛ وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ قَذَفُوهُ فِيهَا، وَالنَّارُ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ مِنْ ضِعَافِ الْإِيمَانِ.

لَكِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسْتَقِيمَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَأْبَهُ بِهِمْ، وَلَا يَرْكُنُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ، بَلْ يَتَّبِعُ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَحْكُمُهُمَا فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَيَتَمَسَّكُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَيَعِضُّ عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِدِ فِي زَمَنِ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، فَيُصْلِحُ حِينَ يَفْسُدُ النَّاسُ، وَيُصْلِحُ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ، وَيَقْبِضُ عَلَى الْجَمْرِ حِينَ يَنْدَرُعُ النَّاسُ بِالشَّهَوَاتِ وَالْمُعْرِياتِ؛ حِينَهَا تَعْظُمُ الْإِسْتِقَامَةُ أَجْرًا وَتَسْمُو قَدْرًا. وَقَدْ صَحَّ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: ((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْحِمْرِ))، وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ))، وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: ((لَيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعِزَّ عَزِيزٍ أَوْ بَذْلُ ذَلِيلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ)) رَوَاهُ أَحْمَدُ.

إِنَّ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى ثَبَاتٌ وَرُجُوعَةٌ، وَانْتِصَارٌ وَفَوْزٌ فِي مَعْرَكَةِ الطَّاعَاتِ وَالْأَهْوَاءِ وَالرَّغَبَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ الَّذِينَ اسْتَقَامُوا أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِتَطْرُدَ عَنْهُمْ الْخُوفَ وَالْحَزْنَ، وَتُبَشِّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَيُعْلِنُوا وَقُوفَهُمْ إِلَى جَانِبِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ [فصلت: ٣٠ -

[٣٢

ثُمَّ اَعْلَمُوا — رَحِمَكُمُ اللَّهُ — أَنَّ الاسْتِقَامَةَ مَنْزِلَةٌ شَاقَّةٌ تَحْتَاجُ النَّفْسُ مَعَهَا إِلَى الْمُرَاقَبَةِ وَالْمُلاحَظَةِ وَالْأَطْرَ عَلَى الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْهَوَىِّ وَالْمَجَاوِزَةِ وَالطُّغْيَانِ، فَالْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ.

وَمَدَارُ الاسْتِقَامَةِ فِي الدِّينِ — عِبَادَ اللَّهِ — عَلَى أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ هُمَا: حِفْظُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، فَمَتَى اسْتَقَامَا اسْتَقَامَتِ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ، وَصَلَحَ الْإِنْسَانُ فِي سُلُوكِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ، وَمَتَى اعْوَجَّا وَفَسَدَا فَسَدَ الْإِنْسَانُ وَضَلَّتْ أَعْضَاؤُهُ جَمِيعًا، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: ((أَلَا وَإِنْ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))، وَعِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: ((لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)).

إِنَّ الاسْتِقَامَةَ عَلَى مَنَهِجِ اللَّهِ لَيْسَتْ أَمْرًا مُحَالًا وَلَا أُمْنِيَّةً وَادِّعَاءًا وَلَا رَهْبَانِيَّةً مُبَدَّعَةً كَمَا يَتَوَهَّمُهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَلَكِنَّهَا اسْتِقَامَةٌ عَلَى الْأَمْرِ بِالْأَمْتِثَالِ وَعَلَى النَّهْيِ بِالْاجْتِنَابِ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: ((تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ))، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا)).

إِنَّ الاسْتِقَامَةَ الْحَقَّةَ — عِبَادَ اللَّهِ — هِيَ سُلُوكُ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، طَرِيقِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ وَالْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، أَهْلِ الْعَقِيدَةِ الصَّافِيَةِ وَالْمَنَهِجِ السَّلِيمِ، أَتْبَاعِ السُّنَّةِ وَالِدَّلِيلِ، وَالتَّمْيِيزِ عَنِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَمُفَارَقَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَمُجَانِبَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ وَالشَّهَوَاتِ. رَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً))، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)).<sup>٢٤٠</sup>



<sup>٢٤٠</sup> - موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٤٨٦١) - الاستقامة على الطاعة - ناصر بن محمد الغامدي

## الفتن وأسباب السقوط فيها

وقوع الفتن سنة ربانية لا تتبدل، كما في قوله - تعالى - : ((أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)) [العنكبوت: ٢]

وقد كتبها الله - عز وجل - على عباده لحكمٍ عظيمة: منها تمييز المؤمنين من غيرهم، ومنها تكفير السيئات ورفع الدرجات، ومنها غير ذلك مما لا نعلم.

فعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: (( تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأبى قلبٌ أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين: أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر مر بাদاً، كالكوز مجحياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه )) [١].

والحديث عن الفتن وأسبابها يتطلب إفراد كلمة (الفتن) بالتعريف، والشرح، وتوضيح الفرق بين مدلولاتها.

فالفتن: وهي بكسر الفاء وفتح التاء، جمع فتنة، قال الأزهري: (جامع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذ من قولك: [فتنت الفضة والذهب] أذبتهما بالنار ليميز الردي من الجيد،

ومن هذا قول الله جل وعز: ((يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ)) [الذاريات: ١٣]، أي يُحرقون بالنار، وقال ابن الأنباري: [فتنت فلانة فلاناً، قال بعضهم: أمالته]. قال تعالى: ((وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ)) [الإسراء: ٧٣].

أي يميلونك، فتنت الرجل عن رأيه أي أزله عما كان عليه، والفتنة: الإثم في قوله تعالى: ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ)) [التوبة: ٤٩].  
وأما قول النبي - ﷺ - : ((إني أرى الفتن خلال بيوتكم)) [٢].

فإنه يكون القتل والحروب والاختلاف، الذي يكون بين فرق المسلمين إذا تحزبوا. ويكون ما يبلون به من زينة الدنيا وشهواتها؛ فيفتنون بذلك عن الآخرة والعمل لها، والفتنة الإضلال في قوله تعالى : (( مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ )) [الصافات: ١٦٢] .

يقول: ما أنتم بمضلين إلا من أضله الله، والفتنة العذاب نحو تعذيب الكفار ضعفي المؤمنين في أول الإسلام ليصدوهم عن الإيمان. وأخبرني المنذري عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه قال: الفتنة الاختبار، والفتنة المحنة، والفتنة المال، والفتنة الأولاد، والفتنة الكفر، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والفتنة الإحراق، وقيل الفتنة: الغلو في التأويل المظلم، يقال: فلان مفتونٌ بطلب الدنيا، أي قد غلا في طلبها. وجماع الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان) [٣] ١.هـ.

مما سبق بيانه يتحصل لدينا أنَّ الفتنة تطلقُ ويرادُّ منها معانٍ كثيرةٌ يدلُّ على كل معنى منها، ويعرف حسبما ورد بالسياق والقرائن،

ومن هذه المعاني :

١- الابتلاء والامتحان.

٢- الميل عن الحق.

٣- الإثم.

٤- القتل والحرب.

٥- الاختلاف والفرقة.

٦- الإضلال.

٧- الكفر.

٨- العذاب.

٩- الغلو. وغير ذلك من المعاني المذمومة.

والآن وبعد أن تبين لنا معنى الفتنة وما يتفرع عنها من المعاني، وبعد

أن تبين لنا خطرهما وذم الشرع لها، وجب الحذر منها، والهرب والفرار والفرز إلى الله - عز وجل - من شرورها.



ومما يساعد على البعد عنها، أو النجاة منها إذا وقعت، معرفة أسبابها والطرق المؤدية إليها؛ لأن معرفة أسباب السقوط فيها تعين على الوقاية منها قبل وقوعها، أو النجاة منها بعد وقوعها بإذن الله عز وجل.

أسباب السقوط في الفتن أعادنا الله منها :

الأسباب المؤدية إلى ملبسة الفتن والسقوط فيها كثيرة، لكنها لا تخرج في مجموعها عن سببين هامين، يرجع إليهما جميع الأسباب.

وقد ذكر هذين السببين الإمامان الجليلان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله تعالى - وعبرا عن ذلك بأسلوبين مختلفين لفظاً لكنهما متفقان في المعنى.

وأبدأ بما ذكره الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - عن هذين السببين، ثم أثني بما ذكره الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -. وأحتم هذا المبحث إن شاء الله تعالى بما تلخص من كلام الإمامين حول هذه الأسباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -:

ولا تقع فتنة إلا من ترك ما أمر الله به، فإنه سبحانه أمر بالحق وأمر بالصبر. فالفتنة : إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر.

فالْمُظْلُومُ الحق الذي لا يقصر في عمله يؤمر بالصبر، فإذا لم يصبر فقد ترك المأمور.

وإن كان مجتهداً في معرفة الحق ولم يصبر، فليس هذا بوجه الحق مطلقاً، لكن هذا وجه نوع حق فيما أصابه، فينبغي أن يصبر عليه. وإن كان مقصراً في معرفة الحق، فصارت ثلاثة ذنوب: أنه لم يجتهد في معرفة الحق، وأنه لم يصبر، وأنه لم يصبر.

وقد يكون مصيباً فيما عرفه من الحق فيما يتعلق بنفسه، ولم يكن مصيباً في معرفة حكم الله في غيره؛ وذلك بأن يكون قد علم الحق في أصل يختلف فيه بسماع وخبر، أو بقياس ونظر، أو بمعرفة وبصر، ويظن مع ذلك أن ذلك الغير التارك للإقرار بذلك الحق عاصٍ أو فاسق أو كافر. ولا يكون الأمر كذلك، لأن ذلك الغير يكون مجتهداً، قد استفرغ وسعته، ولا يقدر على معرفة الأول؛ لعدم المقتضى، ووجود المانع.

وأمر القلوب لها أسباب كثيرة، ولا يعرف كل أحد حال غيره من إيداء له بقول أو فعل، قد يحسب المؤذى - إذا كان مظلوماً لا ريب فيه - أن ذلك المؤذى محض باغ عليه، ويحسب أنه يدفع ظلمه بكل ممكن. ويكون مخطئاً في هذين الأصلين، إذ قد يكون المؤذى متأولاً مخطئاً، وإن كان ظالماً لا تأويل له فلا يحل دفع ظلمه بما فيه فتنة بين الأمة، وبما فيه شر أعظم من ظلمه. بل يؤمر المظلوم ها هنا بالصبر، فإن ذلك في حقه محنة وفتنة. وإنما يقع المظلوم في هذا لجزعه وضعف صبره، أو لقلته علمه وضعف رأيه. فإنه قد يحسب أن القتل ونحوه من الفتن يدفع الظلم عنه، ولا يعلم أنه يضاعف الشر كما هو الواقع، وقد يكون جزعه يمنعه من الصبر.

والله سبحانه وصف الأئمة بالصبر واليقين، فقال: (( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ )) [السجدة: ٢٤] .

وقال: (( وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ )) [العصر: ٣] [٤] . هـ.

وهذا الكلام من شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - وإن كان متوجهاً إلى فتنة البغي والاختلاف بين المسلمين، لكننا نجد أنه يعمم ذلك على كل فتنة، حيث يقول فيما سبق: (فالفتن: إمّا من ترك الحق، وإما من ترك الصبر).

أمّا الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - فيحيل أسباب الفتن إلى الشبهات أو الشهوات، وهما نفس ما ذكره شيخ الإسلام من الأسباب. فالشبهة إنما تنشأ من ترك الحق والجهل به، بينما تنشأ الشهوة من ترك الصبر وضعفه.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

[ والفتنة نوعان : فتنة الشبهات. وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات.

وقد يجتمعان للعبد. وقد ينفرد بإحدهما.

ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى؛ فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به

رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ((إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ)). [النجم: ٢٣]

وقد أخبر الله سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله، فقال: ((يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)) [ص: ٢٦].

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال.

ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه في دق الدين وجله، ظاهرة وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، وما يشتهه الله من الصفات والأفعال، والأسماء، وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها، ومقادير نصب الزكاة ومستحقيها، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وصوم رمضان، فلا يجعله رسولاً في شيء دون شيء من أمور الدين، بل هو رسول في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يتلقى إلا عنه، ولا يؤخذ إلا منه، فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال. فإذا عقد قلبه على ذلك وأعرض عما سواه، ووزنه بما جاء به الرسول - ﷺ -، فإن وافقه قبله، لا لكون ذلك القائل قاله، بل لموافقته للرسالة، وإن خالفه رده، ولو قاله من قاله، فهذا الذي ينجي من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه.

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة، وفساد في الإرادة.

وأما النوع الثاني من الفتنة: ففتنة الشهوات.

وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنين في قوله: (( كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخِلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخِلَاقِكُمْ )) [التوبة: ٦٩].

أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدر،

ثم قال: (( وخضتم كالذي خاضوا )) فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات.

فأشار - سبحانه - في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان، من الاستمتاع بالخلاف، والخوض بالباطل؛ لأن فساد الدين: إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح.

فالأول: هو البدع وما والاها، والثاني: فسق الأعمال.

فالأول: فساد من جهة الشبهات، والثاني: من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون: [ احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه ].

وكانوا يقولون: [ احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ].

وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل.

فالأول: أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصل فتنة الشهوة.

ففتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطةً بهذين الأمرين، فقال: (( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ )) [السجدة: ٢٤].

فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وجمع بينهما أيضاً في قوله: (( وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ )) [العصر: ٣] فتواصوا

بالحق الذي يدفع الشبهات، وبالصبر الذي يكف عن الشهوات، وجمع بينهما في قوله: ((

وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ )) [ص: ٤٥].

فالأيدي: القوى والعزائم في ذات الله، والأبصار: البصائر في أمر الله. وعبارات السلف تدور على ذلك.

قال ابن عباس: [أولي القوة في طاعة الله، والمعرفة بالله].

وقال الكلبي: [أولي القوة في العبادة، والبصر فيها].

وقال مجاهد: [الأيدي: القوة في طاعة الله، والأبصار: البصر في الحق].

وقال سعيد بن جبير: [الأيدي: القوة في العمل، والأبصار: بصرهم بما هم فيه من دينهم].  
وقد جاء في حديث مرسل: ((إن الله يحبُّ البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويجب العقل الكامل عند حلول الشهوات)) [٥].

فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة - والله المستعان " [٦] ١. هـ.

وبعد هذا الكلام النفيس من هذين الإمامين الجليلين، والذي لا مزيدَ عليه في ذكر أسباب الفتن، نجد التطابق التام في كلاميهما من ناحية المعنى والمضمون، بل في بعض الألفاظ أحياناً.

ويمكن تلخيص هذه الأسباب فيما يلي :

١ - ترك الحق وعدم السعي للعلم به، أو عدم إصابته بسبب شبهة

أو تأول فاسد؛ ومن هنا تنشأ الفتنة بسبب الجهل أو الفهم الفاسد.

وهذا ما عبر عنه شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - بقوله : (ترك الحق)، وعبر عنه الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - بقوله: (فتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم) وقوله في موطن آخر من النقل السابق: (وهذه الفتنة تنشأ تارةً من فهمٍ فاسد، وتارةً من نقلٍ كاذب، وتارةً من حقٍ ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به) ويقول أيضاً عن هذه الفتنة: (وأصل كل فتنة إنما هو تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل. فالأول: أصل فتنة الشبهة، والثاني : أصل فتنة الشهوة).

٢ - ترك الصبر: وهذا هو السبب الثاني من أسباب الفتن، ولكن أصل الفتنة هنا لم يأت من الجهل بالحق، أو تقديم الرأي على الشرع، أو الشبهة المشوشة على الحق، وإنما أصل الفتنة في هذا السبب هو عدمُ الصبر على الحق. فصاحب هذه الفتنة لا ينقصه العلم بالحق، بل يعلمه ولا يجهره، ولكنه تركه ضعفاً وشهوة وهو يعلم من نفسه أنه تاركٌ للحق، وهذا

ما عبر عنه شيخ الإسلام بقوله: (المظلوم المحق الذي لا يقصر في علمه يؤمر بالصبر، فإذا لم يصبر فقد ترك المأمور) .

أما الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - فعبر عن هذا السبب بقوله: (وأما النوع الثاني من الفتنة: ففتنة الشهوات) وقال عن هذه الفتنة أنها تدفع بالصبر، وقال عن أصل هذه الفتنة بأنه تقدم الهوى على العقل. ثم استدل كلا الإمامين على هذين الأصلين، وكيف يدفعان بقوله تعالى: (( وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ )) [العصر: ٣] أي تواصلوا بالحق الذي يدفع الشبهات، وبالصبر الذي يكف عن الشهوات.

كما أنهما استدلا بقوله تعالى: (( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ )) [السجدة: ٢٤] .

فبالصبر تدفع الشهوة والهوى، وباليقين تدفع الشبهة والجهل بالحق. وبالتأمل في الفتن صغيرها وكبيرها، ما كان منها على مستوى الأفراد وما كان فيها على مستوى الطوائف، نجد أنها لا تخرج أبداً عن هذين السببين، بل لو تأمل الإنسان نفسه، وما يقع فيه من الآثام، فإن ما وقع فيه لا يخرج في سببه عن شبهة أو شهوة، أو مزج بين شبهة وشهوة، أعاذنا الله من ذلك كله بمنه وكرمه، والشيطان لا يدخل على العبد إلا من باب الشبهة أو الشهوة، ولا يُبالي من أيهما دخل.

---

[١] مسلم . ك . الإيمان (١٤٤) .

[٢] البخاري كتاب المناقب (٣٩٥٧) .

[٣] تهذيب اللغة ١٤ / ٢٩٧ - ٢٩٩ (باختصار) .

[٤] الاستقامة ١ / ٣٩ ، ٤٠ .

[٥] ضعفه العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٣٨٥٨) .

[٦] إغاثة اللهفان (١ / ١٦٥ - ١٦٧) .



## معالم في التعامل مع الفتن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فلا ريب أن الأمة تعيش أحوالاً عصيبة، قد تكون أخرج أيام مرت بها عبر التاريخ؛ فالمصائب متنوعة، والجراحات عميقة، والمؤامرات تحاك تلو المؤامرات. يضاف إلى ذلك ما تعانيه الأمة من الضعف، والهوان، والفرقة، وتسلط الأعداء. وما هذا الذي يجري في كثير من بلاد المسلمين \_ إلا سلسلة من المكر الكبار، والكيده العظيم، والقتال الذي لا يزال مستمراً.

"وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا" [البقرة: ٢١٧].  
"وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ..." [البقرة: ١٠٩].

وفي مثل هذه الأحوال يكثر السؤال، ويلح خصوصاً من فئة الشباب الحبين لدينهم، الراغبين في نصرته؛ فتراهم، وترى كل غيور على دينه يقول: ما دوري في هذه الأحداث؟ وماذا أفعل؟ وكيف أتعامل مع هذا الخضم الموار من الشرور والفتن والأخطار؟ وقد يخالط بعض النفوس من جراء ذلك شيء من اليأس، والإحباط، وقد يعتريها الشك في إصلاح الأحوال، ورجوع الأمة إلى عزها وسالف مجدها. ومهما يك من شيء فإن هذه الأمة أمة مباركة موعودة بالنصر والتمكين متى توكلت على الله، وأخذت بالأسباب.

وهذا الدين أنزله الله \_ عز وجل \_ وبعث به الرسول - ﷺ - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما التعامل مع هذه النوازل والمصائب والفتن فهو مبين في كتاب الله \_ عز وجل \_ وسنة نبيه - ﷺ - موضح في كتب أهل العلم التي تكلمت في هذا الباب.

ومما تجدر الإشارة إليه، ويحسن الطَّرْقُ عليه في هذا الصدد مما هو معين \_ بإذن الله \_ على حسن التعامل مع الفتن، والمصائب، والخروج منها بأمان \_ أمور كثيرة، وفيما يلي ذكر

لشيء منها، مع ملاحظة أن بعضها داخل في بعض؛ فإلى تلك الأمور، والله المستعان وعليه التكلان.

#### أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة:

وهذا المعلم جماع هذا الباب كله؛ إذ جميع المعالم الآتية داخلة فيه، متفرعة عنه، قال الله عز وجل: "وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [آل عمران ١٠١]. وقال النبي: "تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض" (١).

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث العرباض بن سارية- رضي الله عنه -: "وإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة" (٢) فالتمسك بالوحيين عصمة من الزلل، وأمان بإذن الله من الضلال.

وليس الاعتصام بهما كلمة تتممض بها الأفواه من غير أن يكون لها رصيد في الواقع. وإنما هي عمل، واتباع في جميع ما يأتيه الإنسان ويذره. ويعظم هذا الأمر حال الفتن؛ إذ يجب الرجوع فيها إلى هداية الوحيين؛ لكي نجد المخرج والسلامة منها.

وهذا ما سيتبين في الفقرات التالية إن شاء الله.

#### ثانياً: التوبة النصوح:

فهي واجبة في كل وقت، وهي في هذه الأوقات أوجب "فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا" [الأنعام: ٤٣].

ولنا في قصة قوم يونس - عليه السلام - عبرة وموعظة؛ فهم لما رأوا نُذِرَ العذاب قد بدأت تلوح لجأوا إلى الله، وتضرعوا إليه، فرفع الله عنهم العذاب ومتعهم بالحياة إلى حين مماتهم، وانقضاء آجالهم.



فعلى الأمة أن تتوب، وأن تدرك أن ما أصابها إنما هو جارٍ على مقتضى سنن الله التي لا تحابي أحداً كائناً من كان؛ فتتوب من المنكرات التي أشاعتها من شرك، وحكم بغير ما أنزل الله، وتقصير في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتتوب من المظالم، والربا، والفسق، والمجون، والإسراف، والترف وما إلى ذلك مما هو مؤذن باللعنة، وحلول العقوبة.

وعلى كل فرد منا أن ينظر في حاله مع ربه، وفي جميع شؤونهم؛ لأن "مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ" [الشورى: ٣٠].

### ثالثاً: النظر في التاريخ:

خصوصاً تاريخ الحروب الصليبية، وذلك لأخذ العبرة، وطرد شبح اليأس، والبحث عن سبل النجاة والنصر.

فلو نظرنا — على سبيل المثال — إلى كتب التاريخ كتاريخ ابن الأثير أو البداية والنهاية لابن كثير لرأينا العجب من تسلط الصليبيين، ولرأينا أن بغداد وبيت المقدس — على سبيل المثال — يتكرر ذكرهما كثيراً؛ فلقد لاقت تلك البلاد من البلاء ما الله به عليم، ومع ذلك ظلت صامدة، محافظة — إلى حد كبير — على إسلامها وعراقتها.

والتاريخ يعيد نفسه في هذه الأيام، وتلك البلاد وغيرها من بلاد المسلمين — بإذن الله — ستصمد في وجوه اليهود والنصارى المعتدين.

ولو نظرنا في كتب التاريخ التي تحدثت عن غزو التتار لبلاد المسلمين، وكيف كانت شراسة تلك الهجمة، وكيف خالط النفوس من الرعب والأوجال ما خالطها، وكيف بلغ ببعضها اليأس من أن تقوم للإسلام قائمة بعد ذلك.

وما هي إلا أن كشف الله الغمة، وأعاد العز والمجد للأمة، بل إن التتار أنفسهم دخلوا في الإسلام.

ومن النظر في التاريخ النظر في سير أبطال الإسلام وقواده إبان الحروب الصليبية، وخصوصاً نور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي — عليهما رحمة الله — فسيرتهما تحمل

في طياتها عبراً عظيمة تفيد في هذا الشأن كثيراً؛ حيث حرصا على توحيد الأمة، ولم شعنها، ورفع الذلة والإحباط للذين خالطوا كثيراً من النفوس. كما أنهما حرصا على الإعداد المتكامل للجهاد في سبيل الله؛ فنالت الأمة بذلك سؤددًا، ومجدًا، ورفعًا.

#### رابعاً: الإفادة من التجارب:

فذلك من جميل ما ينبغي؛ فالحياة كلها تجارب، واستفادة من التجارب، وميزة إنسان على إنسان، وأمة على أمة هي القدرة على الاستفادة من التجارب وعدمها؛ فالحوادث تمر أمام جمع من الناس؛ فيستفيد منها أناس بمقدار مائة، وآخرون بمقدار خمسين وهكذا، وآخرون تمر منهم الحوادث على عين بلهاء، وقلب معرض؛ فلا يفيدون منها شيئاً، ولا تحسُّ له وجبة، ولا تسمع لهم ركزاً.

والفرق بين من يستفيد من التجربة ومن لا يستفيد أن الأول يستطيع انتهاز الفرص في حينها، وأن يتجنب الخطر قبل وقوعه.

على حين أن الثاني لا ينتهز فرصة، ولا يشعر بالخطر إلا بعد وقوعه؛ فلا يليق — إذاً — أن تمر بنا وبأمتنا التجارب؛ فنكرر الخطأ، ولا نفيد من عبر الماضي.

ولا يحسن بنا أن نُعْفِلَ تعامل أسلافنا مع ما مر بهم من البلايا، وكيف تجاوزوا تلك المحن والفتن، بل علينا أن نقبس من هداهم، ونستلهم العبر من صنيعهم.

#### خامساً: التذكير بعاقبة الظلم:

فمهما طال البلاء، ومهما استبد الألم فإن عاقبة الظلم وخيمة، وإن العاقبة الحميدة إنما هي للتقوى وللمتقين، كما بين ذلك ربنا في محكم التنزيل؛ فماذا كانت عاقبة النمرود، وفرعون، وهامان وقارون، وغيرهم ممن طغى وتجبر وظلم؟

إنها الدمار، والبوار، وجهنم وبئس القرار، وماذا كانت عاقبة الأنبياء والمصلحين المقسطين من عباد الله المؤمنين؟

إنها الفلاح والنصر، والتمكين، والجنة ونعم عقبى الدار.

وكما يحسن التحذير من الظلم العام على مستوى الأمة يحسن كذلك التحذير من الظلم  
أيّاً كان نوعه، سواء في الحكم على الناس، أو الأقوال، أو الأشخاص.

#### سادساً: الثقة بالله، واليقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين:

فإن من أهم ما يجب على المؤمن \_ في هذا الصدد \_ أن يقوي ثقته بربه، وأن ينأى بنفسه  
عن قلة اليقين بأن العاقبة للمتقين؛ فهناك من إذا شاهد ما عليه المسلمون من الضعف  
والتمزق، والتشتت، والتفرق، ورأى تسلط أعدائهم عليهم، ونكايتهم بهم \_ أيس من  
نصر الله، وقنط من عز الإسلام، واستبعد أن تقوم للمسلمين قائمة، وظن أن الباطل  
سيدال على الحق إدالة دائمة مستمرة يضمحل معها الحق.

فهذا الأمر جد خطير، وهو مما يعتري النفوس الضعيفة، التي قل إيمانها، وضعف يقينها.  
فهذا الشعور مما ينافي الإيمان الحق، وهو دليل على قلة اليقين بوعد الله الصادق، والتفات  
إلى الأمور المحسوسة دون نظر إلى عواقب الأمور وحقائقها.

وإلا كيف يُظنُّ هذا الظن والله \_ عز وجل \_ قد كتب النصر في الأزل، وسبقت كلمته  
بأن العاقبة للتقوى وللمتقين، وأن جنده هم الغالبون، وهم المنصورون، وأن الأرض يرثها  
عباده الصالحون؟

فمن ظن تلك الظنون السيئة فقد ظن بربه السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بجلاله،  
وكماله، وصفاته، ونعوته؛ فإن حمده، وعزته، وحكمته، وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يُذل  
حزبه وجنده، وأن تكون النصر والغلبة لأعدائه.

فمن ظن ذلك فما عرفه، ولا عرف ربوبيته، وملكه، وعظمته؛ فلا يجوز في حقه \_ عز  
وجل \_ لا عقلاً ولا شرعاً أن يُظهر الباطل على الحق، بل إنه يقذف بالحق على الباطل  
فإذا هو زاهق (٣) أما ما يشاهد من تسلط الكفار واستعلائهم \_ فإنما هو استعلاء  
استثنائي، وذلك استدراجاً وإملاءً من الله لهم، وعقوبة للأمة المسلمة على بعدها عن  
دينها.

ثم إن سنة الله ماضية فـ "مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ" [النساء: ١٢٣]، وهذه الأمة تذنّب، فتعاقب بذنوبها عقوبات متنوعة منها ما مضى ذِكرُه؛ كي تعود إلى رشدها، وتؤوب إلى ربها، فتأخذ حينئذ مكانها اللائق بها.

ثم إن هذه الأمة أمة مرحومة تعاقب في هذه الدنيا، حتى يخف العذاب عنها في الآخرة، أو يغفر لها بسبب ما أصابها من بلاء.

#### سابعاً: الوقوف مع الشعوب الإسلامية المظلومة:

وخصوصاً تلك الشعوب التي توالى عليها المصائب، وتتابع عليها الخطوب؛ فنقف معها بالدعاء، والتثبيت، والتصبير، وبذل المستطاع.

كما ينبغي ألا تنسينا أي مصيبة من المصائب مصائبنا الأخرى؛ فوضع الأمور في نصابها يجدي كثيراً، ويصد شراً مستطيئاً.

#### ثامناً: لزوم الاعتدال في جميع الأحوال:

فينبغي في ذلك الخضم من الفتن والمصائب ألا يفارقنا هدوؤنا، وسكينتنا، ومروأتنا؛ فذلك دأب المؤمن الحق، الذي لا تبطره النعمة، ولا تقنطه المصيبة، ولا يفقد صوابه عند النوازل، ولا يتعدى حدود الشرع في أي شأن من الشؤون.

ويتأكد هذا الأدب في حق من كان رأساً مطاعاً في العلم، أو القدر؛ لأن لسان حال من تحت يده يقول:

اصبر نكن بك صابرين فإنما \*\*\* صبر الرعية عند صبر الراس

قال كعب بن زهير - رضي الله عنه - : في قصيدته المشهورة \_البردة\_:

لا يفرحون إذا نالت رماحهم \*\*\* قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

فهو يمدح الصحابة \_رضي الله عنهم\_ بأنهم لا يفرحون من نيلهم عدواً؛ فتلك عادتهم، ولا يجزنون إذا نالهم العدو؛ لأن عادتهم الصبر والثبات.

وقال عبدالعزيز بن زرارة الكلابي - رضي الله عنه - وهو من خيار المجاهدين من التابعين:

قد عشت في الدهر أطواراً على طرق \*\*\* شتى فصادفت منها اللين والبشعا

كُلاًّ بلوتُ فلا النعماء تبطريني \*\*\* ولا تَخَشَعْتُ من لأوائها جزعا

لا يملأُ الهولُ قلبي قبل وقعته \*\*\* ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعاً

هذه الخصال يمثلها عظماء الرجال؛ فلم يكونوا يتخلون عن مرواتهم، وعاداتهم النبيلة حتى في أحلك المواقف.

وها هو سيد العظماء، وسيد ولد آدم نبينا محمد \_ عليه الصلاة والسلام \_ يضرب لنا أروع الأمثلة في ذلك؛ فهو يقوم بصغار الأمور وكبارها؛ فلم يمنعه قيامه بأمر الدين، وحرصه على نشره، وقيادته للأمة، وتقدمه في ساحات الوغى \_ لم يمنعه ذلك كله من ملاحظة ذلك الطفل الصغير الذي مات طائره، وقوله له: "يا أبا عمير ما فعل النغير!" (٤)

ولم يكن أحد يلهيه عن أحد \*\*\* كأنه والد والناس أطفال

فإذا لزم المرء هذه الطريقة؛ فلم يخف عند السراء، ولم يتضعض حال الضراء \_ فأحر به أن يعلو قدره، ويتناهى سؤدده، وأن تنال الأمة من خيره.

تذكر كتب السير التي تناولت سيرة عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - أنه لما دفن ولده عبدالملك \_ وهو أبر أولاده، وأكثرهم ديناً وعقلاً \_ مرَّ بقوم يرمون؛ فلما رأوه أمسكوا، فقال: ارموا، ووقف، فرمى أحد الراميين فأخرج \_ يعني أبعد عن الهدف \_ فقال له عمر: أخرجت فقصر، وقال للآخر: ارم، فرمى فقصر \_ أي لم يبلغ الهدف \_ فقال له عمر: قصرت فبلغ.

فقال له مسلمة بن عبدالملك: يا أمير المؤمنين! أئفرغ قلبك إلى ما تفرغت له، وإنما نفضت يدك الآن من تراب قبر ابنك، ولم تصل إلى منزلك؟ فقال له عمر: يا مسلمة! إنما الجزع قبل المصيبة، فإذا وقعت المصيبة فاله عما نزل بك" (٥) فالأخذ بهذه السيرة \_ أعني الاعتدال حال نزول الفتن \_ ينفع كثيراً، ويدفع الله به شراً مستطيراً؛ لأن الناس حال الفتن يموجون، ويضطربون، وربما غاب عنهم كثير من العلم؛ فلذلك يحتاجون \_ وخصوصاً من كان عالماً، أو رأساً مطاعاً \_ إلى لزوم السكينة، والاعتدال؛ حتى يُثبتوا الناس، ويعيدوا الطمأنينة إلى النفوس، ولا تقطعهم تلك النوازل عما هم بصدد عمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (ولهذا لما مات النبي "ونزلت بالمسلمين أعظم نازلة نزلت بهم؛ حتى أوهنت العقول، وطيشت الأبواب، واضطربوا اضطراب الأرضية في

الطوي (٦) البعيدة القعر؛ فهذا ينكر موته، وهذا قد أقعد، وهذا قد دهش فلا يعرف من يمر عليه، ومن يسلم عليه، وهؤلاء يضجون بالبكاء، وقد وقعوا في نسخة القيامة، وكأنها قيامة صغرى مأخوذة من القيامة الكبرى، وأكثر البوادي قد ارتدوا عن الدين، وذلت كماتهم؛ فقام الصديق - رضي الله عنه - بقلب ثابت، وفؤاد شجاع فلم يجزع، ولم ينكل قد جُمع له بين الصبر واليقين فأخبرهم بموت النبي "وأن الله اختار له ما عنده، وقال لهم: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" [آل عمران: ١٤٤]. فكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَسْمَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا الصَّدِيقُ فَلَا تَجِدُ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَتْلُوهَا، ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَثَبَّتَهُمْ وَشَجَّعَهُمْ.

قال أنس- رضي الله عنه: "خطبنا أبو بكر- رضي الله عنه - وكنا كالشعالب فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود".

وأخذ في تجهيز أسامة مع إشارتهم عليه، وأخذ في قتال المرتدين مع إشارتهم عليه بالتمهل والتربص، وأخذ يقاتل حتى مانعي الزكاة فهو مع الصحابة يعلمهم إذا جهلوا، ويقويهم إذا ضعفوا، ويحثهم إذا فتروا؛ فقوى الله به علمهم ودينهم وقوتهم؛ حتى كان عمر- مع كمال قوته وشجاعته- يقول له: يا خليفة رسول الله تألف الناس، فيقول: علام أتألفهم؟ أعلى دين مفترى؟ أم على شعرٍ مفتعل؟ وهذا باب واسع يطول وصفه" (٧).

#### تاسعاً: لزوم الرفق، ومجانبة الغلظة والعنف:

سواء في الدعوة، أو الرد، أو النقد، أو الإصلاح، أو المحاورة؛ فإن استعمال الرفق، ولين الخطاب ومجانبة العنف - يتألف النفوس الناشزة، ويدنيها من الرشد، ويرغبها في الإصغاء للحجة.

ويتأكد هذا الأدب في مثل هذه الأحوال العصيبة التي نحتاج فيها إلى تلك المعاني التي تنهض بالأمة، وتشد من أزر الدعوة.

ولقد كان ذلك دأب الأنبياء، قال \_ تعالى \_ في خطاب هارون وموسى \_ عليهما السلام \_ "اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ " [طه: ٤٣-٤٤].  
ولقن موسى \_ عليه السلام \_ من القول اللين أحسن ما يخاطب به جبار يقول لقومه: أنا ربكم الأعلى، فقال \_ تعالى \_: "فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَٰهٌ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيكَ إِلَٰهِي رَبُّكَ فَتَخْشَىٰ " [النازعات: ١٨-١٩].

قال ابن القيم - رحمه الله -: "وتأمل امتثال موسى لما أُمر به كيف قال لفرعون: "هَلْ لَّكَ إِلَٰهٌ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيكَ إِلَٰهِي رَبُّكَ فَتَخْشَىٰ " [النازعات: ١٨-١٩].  
فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض، لا مخرج الأمر، وقال: "إِلَٰهِي أَن تَزَكَّىٰ" ولم يقل: (إلى أن أزكيك).

فنسب الفعل إليه هو، وذكر لفظ التزكي دون غيره؛ لما فيه من البركة، والخير، والنماء.  
ثم قال: "وَأَهْدِيكَ إِلَٰهِي رَبُّكَ" أكون كالدليل بين يديك الذي يسير أمامك.  
وقال: "إِلَٰهِي رَبُّكَ" استدعاءً لإيمانه بربه الذي خلقه، ورزقه، ورباه بنعمه صغيراً وكبيراً (٨) ولهذا فإن الكلمة التي تُلقى أو تحرر في أدب، وسعة صدر، تسيغها القلوب، وتَهش لها النفوس، وترتاح لها الأسماع.

ولقد امتن ربنا \_ جل وعلا \_ على نبينا محمد - ﷺ - بأن جبله على الرفق ومحبة الرفق، وأن جنبه الغلظة، والفظاظة، فقال \_ عز وجل \_: "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ " [آل عمران: ١٥٩].  
ولقد كانت سيرته \_ عليه الصلاة والسلام \_ حافلة بهذا الخلق الكريم الذي من ملكه بسط سلطانه على القلوب.

وكما كان \_ عليه الصلاة والسلام \_ متمثلاً هذا الخلق فقد كان يأمر به، ويبين فضله.  
قال "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على غيره" (٩) وقال \_ عليه الصلاة والسلام \_: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع من شيء إلا شانه" (١٠) ولما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذاً إلى اليمن قال لهما: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا" (١١)

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: "يأمر بالرفق والخضوع، فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب؛ فيكون يريد ينتصر لنفسه" (١٢) ولقد أحسن من قال:

لو سار ألفٌ مدججٌ في حاجة \*\*\* لم يقضِها إلا الذي يترفق (١٣)

وكان يقال: "من لانت كلمته وجبت محبته" (١٤)

وخلاصة القول أن الرفق هو الأصل، وهو الأجدى، والأُنفع، وأن الشدة لا تصلح من كل أحد، ولا تليق مع كل أحد، فقد تلائم إذا صدرت من ذي قدر كبير في سن، أو علم وكانت في حدود الحكمة، واللباقة، واللياقة.

أما إذا صدرت ممن ليس له قدر في سن، أو علم، أو كانت في غير موضعها، وتوجهت إلى ذي قدر أو جاه - فإنها - أعني الشدة - تضر أكثر مما تنفع، وتفسد أكثر من أن تصلح.

**عاشراً: الإقبال على الله - عز وجل -:**

وذلك بسائر أنواع العبادات.

قال النبي - ﷺ - فيما رواه مسلم - رضي الله عنه - العباداة في المهرج كهجرة إلي" (١٥) والمهرج: الفتن والقتل.

فحري بنا في مثل هذه الأيام أن نزداد إقبالاً على الله ذكراً وإنابة، وصلاة، ونفقة، وبراً بالوالدين، وصلة للأرحام، وإحساناً إلى الجيران، وحرصاً على تربية الأولاد، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة.

وجدير بنا أن نكثر من الاستغفار؛ فهو من أعظم أسباب دفع العذاب "وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون" [الأنفال: ٣٣] وأن نُقِيلَ على أعمال القلوب من خوف، ورجاء، ومحبة، وغيرها.

وحقيق علينا أن نُقِيلَ - كذلك - على النفع المتعدي من أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، ودعوة إلى الله، وإصلاح بين الناس، وإحسان إليهم، وما جرى مجرى ذلك.

**حادي عشر: الحرص على جمع الكلمة ورأب الصدع:**

فالأمة مثخنة بالجراح، وليست بحاجة إلى مزيد من ذلك.

بل هي بحاجة إلى إشاعة روح المودة، والرحمة، ونيل رضا الله بترك التفرق ونبذ الخلاف.



وذلك يتحقق بسلامة الصدر، ومحبة الخير للمسلمين، والصفح عنهم؛ التجاوز عن زلاتهم والتماس المعاذير لهم، وإحسان الظن بهم، ومراعاة حقوقهم، ومناصحتهم بالتي هي أرفق وأحسن.

وتكون بالتغاضي، والبعد عن إيغار الصدور، ونكأ الجراح.

قال ربنا - تبارك وتعالى -: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا" [آل عمران: ١٠٣]

وقال: "لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً" [النساء: ١١٤].

وقال النبي - ﷺ - في المتفق عليه: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والسهر".

### ثاني عشر: قيام روح الشورى:

خصوصاً بين أهل العلم، والفضل، والحل والعقد، وذلك بأن ينظروا في مصلحة الأمة، وأن يقدموا المصالح العليا قال الله - تعالى - في وصف المؤمنين: "وأمرهم شورى بينهم" [الشورى: ٣٨].

وقال - عز وجل - لنبيه -: "وشاورهم في الأمر" [آل عمران: ١٥٩].

فقد أذن الله له "بالاستشارة وهو غني عنها بما يأتيه من وحي السماء؛ تطيباً لنفوس أصحابه، وتقريراً لسنة المشاورة للأمة من بعده.

وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - من العلم بالشرعية، والخبرة بوجوه السياسة في منزلة لا تطاولها سماء، ومع هذا لا يبرم حكماً في حادثة إلا بعد أن تتداولها آراء جماعة من الصحابة (١٦)

وهكذا كان عمر - رضي الله عنه - في الشورى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "فكان عمر يشاور في الأمور لعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي موسى ولغيرهم، حتى كان يدخل ابن عباس معهم مع صغر سنه.

وهذا مما أمر الله به المؤمنين ومدحهم عليه بقوله: "وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ" [الشورى: ٣٨].

ولهذا كان رأي عمر، وحكمه، وسياسته من أسد الأمور، فما رؤي بعده مثله قط، ولا ظهر الإسلام وانتشر، وعزّ كظهوره، وانتشاره، وعزه في زمنه.

وهو الذي كسر كسرى، وقصر قيصر الروم والفرس، وكان أميره الكبير على الجيش الشامي أبا عبيدة، وعلى الجيش العراقي سعد بن أبي وقاص، ولم يكن لأحد - بعد أبي بكر - مثل خلفاء ونوابه وعماله وجنده وأهل شوراه (١٧).

وكما كانت هذه هي سيرة الخلفاء الراشدين في الشورى فكذا كانت سيرة من جاء بعدهم فهذا معاوية - رضي الله عنه - الذي كان مضرب المثل في الدهاء والحلم وكياسة الرأي كان يأخذ بسنة الشورى.

جاء في الثمار للثعالبي ص ٦٨ ما يلي: "دهاء معاوية - رضي الله عنه - ذلك ما اشتهر أمره، وسار ذكره، وكثرت الروايات والحكايات فيه، ووقع الإجماع على أن الدهاء أربعة: معاوية، وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزيد بن أبيه - رضي الله عنهم - فلما كان معاوية - رضي الله عنه - بحيث هو من الدهاء وبعد الغور وانضم إليه الدهاء الثلاثة الذين يرون بأول آرائهم أواخر الأمور - فكان لا يقطع أمراً حتى يشهده، ولا يستضيء في ظلم الخطوب إلا بمصاييح آرائهم - سلم له أمر الملك، وألقت إليه الدنيا أزمته، وصار دهاؤه ودهاء أصحابه الثلاثة مثلاً".

ثم إن للشورى فوائد عظيمة منها تقريب القلوب، وتخليص الحق من احتمالات الآراء، واستطلاع أفكار الرجال، ومعرفة مقاديرها؛ فإن الرأي يمثل لك عقل صاحبه كما تمثل لك المرأة صورة شخصه إذا استقبلها.

وقد ذهب الحكماء من الأدباء في تصوير هذا المغزى مذاهب شتى، قال بعضهم:

إذا عن أمر فاستشر فيه صاحباً \*\*\* وإن كنت ذا رأي تشير على الصحب

فإني رأيت العين تجهل نفسها \*\*\* وتدرك ما قد حل في موضع الشهب

وقال آخر:

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر \*\*\* فالحق لا يخفى على الاثنين  
والمرء مرأة تريحه وجهه \*\*\* ويرى قفاه بجمع مرأتين

وقال آخر:

الرأي كالليل مسوداً جوانبه \*\*\* والليل لا ينجلي إلا بإصباح  
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى \*\*\* مصباح ضوئك تزدد ضوء مصباح  
وإذا كان العالم التحرير، والحكيم الداهية، والقائد الحضيف لا يستغنون عن  
الشورى فكيف بمن دونهم، بل كيف بمن كان شاباً في مقتبل عمره، ولم تصلب بعد قناته،  
ولم تُحَكِّه التجارب؟!.

ثالث عشر: الصبر:

قال ربنا \_ جل وعلا \_: "إِنْ تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ  
تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ" [آل عمران: ١٢٠].  
وقال \_ عز وجل \_ "لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ  
قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" [آل  
عمران: ١٨٦]

ومن أعظم الصبر الصبر على هداية الناس، والصبر على انتظار النتائج؛ لأن استعجال  
الثمرة قد يؤدي إلى نتائج عكسية تضر أكثر مما تنفع؛ فالصبر إذا اقترن بالأمر كان عصمة  
من الملل واليأس والانقطاع، وتفجرت بسببه ينابيع العزم والثبات.  
إنه الصبر المترع بأنواع الأمل العريض، وليس صبر اليائس الذي لم يجد بداً من الصبر  
فصبر.

وبالجملة فإن الصبر من أعظم الأخلاق، وأجل العبادات، وإن أعظم الصبر وأحمده عاقبة  
الصبر على امتثال أمر الله، والانتهاز عما نهى الله عنه؛ لأنه به تخلص الطاعة، ويصح  
الدين، ويُستحق الثواب؛ فليس لمن قل صبره على الطاعة حظ من برٍّ، ولا نصيب من  
صلاح.

ومن جميل الصبر: الصبرُ فيما يُخشَى حدوثُهُ من رهبةٍ يخافها، أو يحذرُ حلولَهُ من نكبةٍ يحشاها، فلا يتعجلُ همَّ ما لم يأتِ؛ فإن أكثرَ الهمومِ كاذبة، وإن الأغلبَ من الخوفِ مدفوع.

ومن جميل الصبرِ الصبرُ على ما نزل من مكروه، أو حلَّ من أمرٍ مخوف؛ فبالصبرِ في هذا تنفتحُ وجوهُ الآراءِ، وتُسَدَّفُ مكائدُ الأعداءِ؛ فإن قلَّ صبره عَزُبَ رأيه، واشتدَّ جزعُهُ، فصار صريعَ همومه، وفريسةَ غمومه.

وكما أن الأفرادَ بأَمْسِ الحاجةِ إلى الصبرِ فكذلك الأمة؛ فأمةُ الإسلامِ كغيرها من الأمم؛ لا تخرج عن سنن الله الكونية، فهي عرضةٌ للكوارث، والحن.

وهي في الوقت نفسه مكلفةٌ بمقتضى حكم الله الشرعي بحمل الرسالة الخالدة، ونشر الدعوة المباركة، وتحملُ جميع ما تلاقيه في سبيلها برحابة صدر، وقوة ثبات، ويقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين.

وهي كذلك مطالبة بالجهاد في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله، ونشر دين الله، وإزاحة ما يقف في وجه الدعوة من عقبات؛ فلا بد لها من الجهاد الداخلي الذي لا يتحقق إلا بمجاهدة النفس والهوى.

وهذا الجهاد لا يتحقق إلا بخلق الصبر، ومغالبة النفس والشيطان والشهوات؛ فذلك هو الجهاد الداخلي الذي يؤهل للجهاد الخارجي؛ لأن الناس إذا تُركوا وطباعهم وما أُودِعَ فيها من حبٍّ للراحة، وإيثارٍ للدعة، ولم يُشدَّ أزرُهُم بإرشاد إلهي تطمئن إليه نفوسهم، ويثقون بحسن نتائجه عجزت كواهلهم عن حمل أعباء الحياة، وخارت قواهم أمام مغرياتهما، وذاب احتمالهم إزاء ملذاتهما وشهواتهما؛ فيفقدون كلَّ استعدادٍ لتحصيل السمو، والعزة، والمترلة اللائقة.

فلهذا اختار الله لهم من شرائع دينه ما يصقل أرواحهم، ويزكي نفوسهم، ويمحص قلوبهم، ويربي ملكات الخير فيهم من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وغيرها من الشرائع..

رابع عشر: إشاعة روح التفاؤل:

فإن ذلك مما يبعث الهممة، ويدعو إلى اطراح الخور والكسل، ويقود إلى الإقبال على الجهد والعمل؛ فلنثق بالله \_ عز وجل \_ ونصره وتأييده، ولنحذر من كثرة التلاوم، وإلقاء التبعات على الآخرين، ولنحذر من القنوط واليأس، والتشاؤم؛ فالإسلام لا يرضى هذا المسلك بل يحذر منه أشد التحذير.

ثم لنثق بأن في طي هذه المحن منحة عظيمة.

كم نعمة لا تستقل بشكرها \*\*\* لله في طي المكاره كامن

ولو لم يأت من ذلك إلا أن الأمة تصحو من رقدتها، وتعود إلى ربها ودينها.  
ولو لم يأت من ذلك إلا أن هذا الجيل الجديد بدأ يعرف أعداءه، ويطرق سمعه مسائل الولاء والبراء، ويدرك ما يحاك حوله من مؤامرات، ويشعر بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ولو لم يأت من ذلك إلا أن المسلمين \_ صاروا يشعرون بروح الجسد الواحد، ويتعاطفون مع إخوانهم في كل مكان، ويحرصون على تتبع أخبارهم، وتقديم المستطاع لهم، كل ذلك مع ما يواجهونه من التضليل الإعلامي، وما يحاربون به من سيل الشهوات العارم.  
أين حال المسلمين الآن من حالهم قبل تسعين سنة؟ أين هم لما سيطر الشيوعيون على روسيا، وانقلبوا على الحكم القيصري؟ ماذا فعل زعماء الشيوعية؟ يكفي أن تمثل بواحد منهم فحسب، إنه المحرم ستالين الذي قتل إبان فترة حكمه ثلاثين مليوناً من البشر، جلهم من المسلمين.

إن أكثر المسلمين في ذلك الوقت لم يكونوا ليعلموا عن إخوانهم آنذاك شيئاً، بل إن كثيراً منهم لم يعلموا أن الجمهوريات الإسلامية التي استولى عليها الشيوعيون \_ كانت بلاداً إسلامية إلا بعد أن انهارت الشيوعية قريباً.

أما الآن فإن المسلمين على درجة من الوعي والإدراك، والسعي في مصالح إخوانهم، والمؤمل أكثر من ذلك، وإنما المقصود أن يُبين أن الخير موجود، وأنه يحتاج إلى مزيد.  
وبالجملة فإن التفاؤل دأب المؤمن، وهو سبيل التأسى بالنبي - ﷺ - "خصوصاً في وقت اشتداد المحن؛ وليس أدل على ذلك مما كان في غزوة الأحزاب بالمدينة، وبلغت القلوب

الحناجر، ومع ذلك كان \_ عليه الصلاة والسلام \_ يبشر أصحابه بمفاتيح الشام، وفارس، واليمن (١٨).

وإذا تُحدثن عن الفأل، والحث على نشره \_ فإن ذلك لا يعني القعود، والخمود، والهمود؛ كحال من يؤملون الآمال العراض، ويفرطون في الأمانى بحجة أن ذلك من الفأل، وهم كسالى قاعدون، لا يتقدمون خطوة، ولا ينهضون من كبوة.

لا ليس الأمر كذلك؛ بل إن الفأل المجدي هو ذلك الذي يحرك صاحبه، ويبعثه على الجد، ويشعره بالنجح، ويقوده إلى إحسان الظن، ويبشر بحسن العواقب.

خامس عشر: التثبت مما يقال، والنظر في جدوى نشره، والحرص على رد الأمور إلى أهلها:

فالعاقل اللبيب لا يتكلم في شيء إلا إذا تثبت من صحته؛ فإذا ثبت لديه ذلك نظَرَ في جدوى نشره؛ فإن كان في نشره حفز للخير، واجتماعٌ عليه \_ نشره، وأظهره، وإن كان خلاف ذلك أعرض عنه، وطواه.

ولقد جاء النهي الصريح عن أن يحدث المرء بكل ما سمع. قال - ﷺ - : "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع" (١٩).

وقد عقد الإمام مسلم في مقدمة صحيحه باباً سماه (باب النهي عن الحديث بكل ما سمع) وساق تحته جملة من الآثار منها الحديث السابق، ومنها مارواه بسنده عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: "بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع" (٢٠).

وقال مسلم: "حدثنا محمد بن المثنى قال: سمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول: "لا يكون الرجل إماماً يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع" (٢١).

ويتعين هذا الأدب في وقت الفتن والملومات، فيجب على المسلم أن يتحرى هذا الأدب؛ حتى يقرب من السلامة، وينأى عن العطب.

قال الله - تعالى -: "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا" [النساء: ٨٣].

قال الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللاتق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة مما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم - أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم: أهل الرأي، والعلم، والنصح، والعقل، والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدها.

فإذا رأوا في إضاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين، وسروراً لهم، وتحزناً من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا ما ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة، ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه.

ولهذا قال: "لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ". أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يُتقدم بين أيديهم؛ فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ.

وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام، والنظر فيه هل هو مصلحة فيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه؟" (٢٢)

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر حاثاً على الثبوت، والتدبر، والتأمل قال: "وفي قوله - تعالى -: "وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" [طه: ١١٤] أدب طالب العلم، وأنه ينبغي له أن يتأنى في تدبره للعلم، ولا يستعجل بالحكم على الأشياء، ولا يعجب بنفسه، ويسأل ربه العلم النافع والتسهيل" (٢٣) وقال: قوله - تعالى -: "لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ" [النور: ١٢] هذا إرشاد منه لعباده إذا سمعوا الأقوال القادحة في إخوانهم المؤمنين رجعوا إلى ما علموا من إيمانهم، وإلى ظاهر أحوالهم، ولم يلتفتوا إلى أقوال القادحين، بل رجعوا إلى الأصل، وأنكروا ما ينافيه. (٢٤).

قال ابن حبان - رحمه الله - : "أنشدني منصور بن محمد الكريزي"  
الرفقُ أَيْمَنُ شَيْءٍ أَنْتَ تَتَّبَعُهُ \*\*\* والخُرْقُ أَشْأَمُ شَيْءٍ يُقَدِّمُ الرَّجُلَا  
وذو الثَّبَتِ مِنْ حَمْدٍ إِلَى ظَفَرٍ \*\*\* مِنْ يَرْكَبِ الرَّفْقَ لَا يَسْتَحْقِبُ الزَّلَلَا (٢٥)  
هذا وسيُتضح شيء من ذلك في الفقرة التالية.

سادس عشر: ألا يحرص المسلم على إبداء رأيه في كل أمر، وألا يقول كل ما يعلم:  
فاللائق بالعقل أن ينظر في العواقب، وأن يراعي المصالح؛ فلا يحسن به أن يبدي رأيه في  
كل صغيرة وكبيرة، ولا يلزمه أن يتكلم بكل نازلة؛ لأنه ربما لم يتصور الأمر كما ينبغي،  
وربما أخطأ التقدير، وجانب الصواب، بل ليس من الحكمة أن يبدي الإنسان رأيه في كل  
ما يعلم حتى ولو كان متأنياً في حكمه، مصيباً في رأيه؛ فما كل رأي يُجهر به، ولا كل  
ما يعلم يقال، ولا كل ما يصلح للقول يصلح أن يقال عند كل أحد، أو في كل مكان أو  
مناسبة.

بل الحكمة تقتضي أن يحتفظ الإنسان بآرائه إلا إذا استدعى المقام ذلك، واقتضته الحكمة  
والمصلحة، وكان المكان ملائماً، والمخاطبون يعقلون ما يقال.  
وإذا رأى أن يبدي ما عنده فليكن بتعقل، وروية، ورصانة، وركانة.

وزن الكلام إذا نطقت فإنما \*\*\* يبدي عيوب ذوي العقول المنطقُ  
قال أحد الحكماء: "إن لا ابتداء الكلام فتنة تروق وجدة تعجب؛ فإذا سكنت القرينة،  
وعدل التأمل، وصفت النفس فليعد النظر، وليكن فرحُه بإحسانه مساوياً لغمِّه  
بإساءته". (٢٦)

وقال ابن حبان - رحمه الله - : "الرافق لا يكاد يُسبِّق كما أن العَجَل لا يكاد يُلْحَق،  
وكما أن من سكت لا يكاد يندم كذلك من نطق لا يكاد يسلم.  
والعَجَل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يُجَرَّب، ويذم بعد ما  
يحمد، ويعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم.  
والعَجَل تصحبه الندامة، وتعتزله السلامة، وكانت العرب تُكَنِّي العجلة أمَّ  
الندامات". (٢٧)



وذكر بسنده عن عمر بن حبيب قال: "كان يقال: لا يوجد العجول محموداً، ولا الغضوب مسروراً، ولا الحر حريصاً، ولا الكريم حسوداً، ولا الشرّ غنياً، ولا الملول ذا إخوان". (٢٨).

وقال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : "ما اعتمد أحدٌ أمراً إذا هم بشيء مثل التثبت؛ فإنه متى عمل بواقعة من غير تأمل للعواقب كان الغالب عليه الندم؛ ولهذا أمر بالمشاورة؛ لأن الإنسان بالتثبت يفتكر؛ فتعرض على نفسه الأحوال، وكأنه شاور. وقد قيل: خير الرأي خير من فطيره.

وأشد الناس تفریطاً من عمل بما ورده في واقعة من غير تثبت واستشارة؛ خصوصاً فيما يوجب الغضب؛ فإنه طلب الهلاك أو الندم العظيم" (٢٩).

وقال: "فألله الله! التثبت التثبت في كل الأمور، والنظر في عواقبها؛ خصوصاً الغضب المثير للخصومة" (٣٠) وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : "وقد جاء في حديث مرسل: "إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات". فبكمال العقل والصبر تُدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة، والله المستعان" (٣١).

ثم إن التثبت والتأني، والنظر في العواقب من سمات أهل العلم والعقل، ولا يستغني عنها أحد مهما كان، ولا يكفي مجرد علم الإنسان، بل لا بد له - مع العلم - من هذه الأمور وإليك هذه الكلمة الحكيمة الرائعة التي رقمتها يراعة العلامة الشيخ محمود شاكر - رحمه الله تعالى - والتي تعبر عن كثير مما مضى ذكره، قال: "رُبَّ رجلٍ واسع العلم، بحرٍ لا يزاحم، وهو على ذلك قصير العقل مضللّ الغاية، وإنما يَعْرِضُ له ذلك من قبل جرأته على ما ليس له فيه خبرة، ثم تهوره من غير روية ولا تدبر، ثم إصراره إصرار الكبرياء التي تأبى أن تعقل.

وإن أجدنا لَيَقْدِم على ما يحسن، وعلى الذي يعلم أنه به مضطلع، ثم يرى بعد التدبر أنه أسقط من حسابه أشياء، كان العقل يوجب عليه فيها أن يتثبت، فإذا هو يعود إلى ما أقدم عليه؛ فينقضه نقض الغزل.

ومن آفة العلم في فن من فنونه، أن يحمل صاحبه على أن ينظر إلى رأيه نظرة المعجب المنتزه، ثم لا يلبث أن يفسده طول التماذي في إعجابه بما يحسن من العلم، حتى يقذفه إلى احتلاب الرؤى فيما لا يحسن، ثم لا تزال تغيره عادة الإعجاب بنفسه حتى يتزل ما لا يحسن منزلة ما يحسن، ثم يصير، ثم يغالي، ثم يعنف، ثم يستكبر، ثم إذا هو عند الناس قصير الرأي والعقل على فضله وعلمه" (٣٢).

ولقد كان الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - يراعون هذا الأدب الحكيم؛ فما كانوا يتكلمون في كل شيء، بل كانوا يراعون المكان، والزمان، والحال، ويراعون العقول، والأفهام، ومرامي الكلام.

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، منها ما جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - ، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في آخر حجة حجها إذ رجع إلي عبدالرحمن - رضي الله عنه - فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر - رضي الله عنه - لقد بايعت فلاناً؛ فوالله ما كانت بيعة أبي بكر - رضي الله عنه - إلا فلتة، فتمت، فغضب عمر - رضي الله عنه - ثم قال: إني إن شاء الله - لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم

قال عبدالرحمن - رضي الله عنه - : فقلت: يا أمير المؤمنين! لا تفعل؛ فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم؛ فإنهم هم الذين يغلبون على قُربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مُطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها؛ فأْمَهْلُ حتى تَقْدُم المدينة؛ فإنها دار الهجرة والسنة فَتَخْلُصَ بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالاتك، ويضعونها على مواضعها.

فقال عمر - رضي الله عنه - : أما والله إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة" الحديث. (٣٣)

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : "حدثوا الناس بما يعرفون؛  
أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟! " (٣٤)

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا  
كان لبعضهم فتنة" (٣٥)

#### سابع عشر: التحلي بالشجاعة، والفهم الصحيح لمعناها:

فالشجاعة فضيلة عظيمة، وخصلة من خصال الخير عالية.

وهي من أعظم ما ينهض بالأفراد والأمم؛ فالشجاع ينفر من العار، ويأبى احتمال الضيم.  
والأمة لا تحوز مكانة يهابها خصومها، وتقرُّ بها عين حلفائها إلا أن تكون عزيزة الجانب،  
صلبة القناة.

وعزة الجانب، وصلابة القناة لا يترلان إلا حيث تكون قوة الجأش، والاستهانة بملاقاة  
المكاره، وذلك ما يسمى شجاعة (٣٦) والشجاعة لا تقتصر على الإقدام في ميادين  
الوغي، بل هي أعم من ذلك؛ فتشمل الشجاعة الأدبية في التعبير عن الرأي، وبالصدع  
بالحق، وبالاقرار بالخطأ، وبالرجوع إلى الصواب إذا تبين.

بل وتكون بالسكوت أحياناً، قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي - رحمه الله -: "ولأنَّ  
يسكت العاقل مختاراً في وقت يحسن السكوت فيه خيرٌ من أن ينطق مختاراً في وقت لا  
يحسن الكلام فيه، وكلُّ نطقٍ تملئها الظروف لا الضمائر تثمر سكتة عن الحق ما من ذلك  
من بد" (٣٧).

وليس من شرط الشجاعة ألا يجد الرجل في نفسه الخوف جملة من الهلاك، أو الإقدام، أو  
نحو ذلك؛ فذلك شعور يجده كل أحد من نفسه إذا هو هم بعمل كبير أو جديد.  
بل يكفي في شجاعة الرجل ألا يعظم الخوف في نفسه حتى يمنعه من الإقدام، أو يرجع به  
الانهزام.

قال هشام بن عبد الملك لأخيه مسلمة \_المسمى ليث الوغى\_:

يا أبا سعيد! هل دخلك ذعر قط في حرب أو عدو؟

قال له مسلمة: ما سلمت في ذلك من دعر ينبّه على حيلة، ولم يغشني فيها دعر سلبني رأي.

قال هشام: هذه هي البسالة.

فالشجاعة -إذا- هي مواجهة الخطر أو الألم أو نحو ذلك عند الحاجة في ثبات، وليست مرادفة لعدم الخوف كما يظن بعض الناس.

فالشجاعة لا تعتمد على الإقدام والإحجام فحسب، ولا على الخوف وعدمه.

بل ليس بالمحمود أن يتجرد الإنسان من كل خوف؛ فقد يكون الخوف فضيلة، وعدمه رذيلة؛ فالخوف عند الإقدام على أمر مهم تتعلق به مصالح الأمة، أو يحتاج إلى اتخاذ قرار حاسم فضيلة؛ وأي فضيلة؛ إذ هو يحمل على الروية، والتأني، والتؤدة؛ حتى يختمر الرأي، وينضج في الذهن؛ فلا خير في الرأي الفطير، ولا الكلام القضيبي -المرتجل-.

والعرب تقول في أمثالها: "الخطأ زاد العجول" (٣٨)

كما أنها تمدح من يترث، ويتأني، ويقلب الأمور ظهراً لبطن، وتقول فيه: "إنه لحوّل قلب".

ولهذا تتابعت نصائح الحكماء على التريث خصوصاً عند إرادة الإقدام على الأمور العظيمة المهمة، قال المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان \*\*\* هو أول وهي الحل الثاني

فإذا هما اجتماعاً لنفس مرة \*\*\* بلغت من العلياء كل مكان (٣٩).

وقال:

وكل شجاعة في المرء تغني \*\*\* ولا مثل الشجاعة في الحكيم (٤٠).

وبالجملة فالشجاعة ليس بالمتهور الطائش الذي لا يخاف مما ينبغي أن يخاف منه، ولا هو بالجبان الرعدي الذي يفرق من ظله، ويخاف مما لا يخاف منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "والشجاعة ليست هي قوة البدن؛ فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن، وصنعتة للقتال، وعلى قوة القلب، وخبرته به.

والحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة، دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين الحمود والمذموم؛ ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح.

فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد" (٤١)

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "ومما ينبغي أن يعلم أن الشجاعة إنما فضيلتها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله، وإلا فالشجاعة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله كانت إما وبالاً عليه إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان، وإما غير نافعة له إن استعملها فيما لا يقربه إلى الله - تعالى - . فشجاعة علي والزبير وخالد وأبي دجاجة والبراء بن مالك وأبي طلحة، وغيرهم من شجعان الصحابة إنما صارت من فضائلهم لاستعانتهم بها على الجهاد في سبيل الله؛ فإنهم بذلك استحقوا ما حمد الله به المجاهدين. وإذا كان كذلك فمعلوم أن الجهاد منه ما يكون بالقتال باليد، ومنه ما يكون بالحجة والبيان والدعوة" (٤٢)

فما أحوجنا وما أحوج أمتنا إلى الشجاعة المنضبطة المتعقّلة التي تجلب الخير، والمصلحة للأمة، وتنبأ بها عن الشرور والبلايا والرزايا (٤٣)

#### ثامن عشر: الدعاء:

فالدعاء من أعظم أسباب النصر والسلامة من الفتن، كيف وقد قال ربنا - عز وجل - :  
"ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" [غافر: ٦٠].

فثمرة الدعاء مضمونة - بإذن الله - إذا أتى الداعي بشرائط الإجابة؛ فحري بنا أن نكثر الدعاء لأنفسنا بالثبات، وأن ندعو لإخواننا بالنصر، وأن ندعو على أعدائنا بالخيبة والهزيمة.

وإذا اشتبه على الإنسان شيء مما اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - " كان يقول إذا قام يصلي من الليل: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض أنت تحكم بين عبادك

فيما كانوا فيه يَختلفون؛ اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهتدي من تشاء إلى صراط مستقيم" (٤٤).

فإذا انطرح العبد بين يدي ربه وسأله التوفيق والهداية والصواب والسداد \_ فإن الله لن يخيّب رجاءه، وسيهديه \_ بإذنه \_ إلى سواء السبيل؛ فقد قال \_ تعالى \_ فيما رواه مسلم في صحيحه: "يا عبادي كلّكم ضالّ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم" (٤٥).

#### تاسع عشر: البعد عن الفتن قدر المستطاع:

فالفتنة في هذه الأزمان قائمة على أشدها؛ سواء فتنة الشهوات أو الشبهات؛ فالبعد عنها نجاة وسلامة، والقرب منها مدعاة للوقوع فيها.

قال النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_: "إن السعيد لمن جُنّبَ الفتن، إن السعيد لمن جنبَ الفتن، إن السعيد لمن جنبَ الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهاً" (٤٦) قال ابن الجوزي - رحمه الله - : "من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة، ومن ادعى الصبر وكل إلى نفسه" (٤٧).

وقال: "فإياك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى مع مقاربة الفتنة؛ فإن الهوى مكائد، وكم من شجاع في الحرب اغتيل فأناه ما لم يحتسب" (٤٨).

وقال: "ما رأيت فتنة أعظم من مقاربة الفتنة، وقل أن يقاربها إلا من يقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يرتع فيه" (٤٩) وقال ابن حزم - رحمه الله - :

لا تلم من عرّض النفس لما \*\*\* ليس يرضي غيره عند المحن

لا تقرب عرفجاً من لهب \*\*\* ومتى قربته ثارت دُخَنُ (٥٠)

وقال:

لا تتبع النفس الهوى \*\*\* ودع التعرض للمحن

إبليس حيٌّ لم يمت \*\*\* والعين باب للفتن (٥١)

وقال الشيخ أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوزاني - رحمه الله تعالى - :

من قارب الفتنة ثم ادعى الـ \*\*\* عصمة قد نافق في أمره

ولا يميز الشرع أسباب ما \*\*\* يورط المسلم في حظره

فانجُ ودع عنك صداغ الهوى \*\*\* عساك أن تسلم من شره (٥٢)

ومما يدخل في ذلك البعد عن مجالس الخنا والزور، ومجالس الجدل بالباطل، ومجالس الوقعة في عباد الله خصوصاً أهل العلم والفضل خصوصاً في أوقات الفتن التي يكثر فيها القيل والقال؛ فالبعد عن الفتن سبيل للنجاة منها إلا من كان لديه علم يزُمُّه، وإيمان يردعه، وكان يأنس من نفسه نفع الناس، وتبصيرهم، وكشف الشبه، وبيان الحق؛ فأولى لمثل هذا ألا يتزوي في قعر بيته، ويدع الناس يتخبطون في دياجير الظلم.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : "هل الأفضل للسالك: العزلة أو الخلطة؟".

فأجاب بقوله: "فهذه المسألة - وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعاً كلياً وإما حالياً - فحقيقة الأمر أن الخلطة تارة تكون واجبة، أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالخلطة تارة، وبالانفراد تارة.

وجماع ذلك أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها".

إلى أن قال: "فاختيار المخالطة مطلقاً خطأ، واختيار الانفراد مطلقاً خطأ".

وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح له في كل حال فهذا يحتاج إلى نظر خاص" ١-هـ (٥٣).

#### العشرون: الحذر من أن يؤتى الإسلام من أي ثغر من الثغور:

سواء في ميدان التعليم، أو الإعلام، أو المرأة، أو الدعوة، وما جرى مجرى ذلك.

فهذه ثغور يجب على كل مسلم بحسبه أن يحافظ عليها خصوصاً في مثل هذه الأيام العصيبة، فلا يليق بنا أن نقول بأننا أمام أمور أعظم؛ فلا داعي أن نشتغل بهذه الأمور.

بل هي من صميم ما يجب علينا، وهي من أعظم ما يسعى الأعداء لتحقيقه.

وعلى أن ندرك الخطر المحدق بالأمة، وأن نستشعر ما تتطلبه تلك المرحلة من الصبر، والحكمة، والروية، والثبات، وبُعْد النظر، وصدق التوكل، وحسن الصلة بالله.

وعليها أن تسعى سعينا في إصلاح عقائد المسلمين، وأخلاقهم، وعبادتهم، وسلوكهم، وأن نبذل الجهد في الرفع من إيمانهم، وتجنبيهم ما يسخط الله؛ فإذا علم الله منا صدق التوجه، وحسن النوايا أكرمنا بالنصر، وأيدنا بروح منه.

أما إذا تخاذلنا، وتفرقنا فإنه يوشك أن نُخذل، ونُفشل، ونذهب ريحنا.

وكيف نتنصر إذا ابتعدنا عن الله؟ وهل سيدوم ذلك النصر لو كتب لنا؟

وماذا سيكون مصيرنا لو انتصرنا ونحن على تلك الحال المزرية؟

قال الله - عز وجل - "إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" [محمد: ٧]

وقال: "وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا" [النساء: ٦٦]

**الحادي والعشرون: ترسيخ الفهم الصحيح للإيمان بالقدر والتوكل على الله - عز وجل -**

فالإيمان بالقدر يحمل على التسليم لله، والرضا بحكمه، والقيام بالأسباب المشروعة، لا على القعود، والإخلاد إلى الأرض؛ فهناك من يترك الأخذ بالأسباب، بحجة أنه متوكل على الله، مؤمن بقضائه وقدره، وأنه لا يقع في ملكه شيء إلا بمشيئته.

وذلك كحال بعض الذين يرون أن ترك الأخذ بالأسباب أعلى مقامات التوكل.

فهذا الأمر مما عمت به البلوى، واشتدت به المحنة، سواء على مستوى الأفراد، أو على مستوى الأمة.

فأمة الإسلام مرت بأزمات كثيرة، وفترات عسيرة، وكانت تخرج منها بالتفكير المستنير، والنظرة الثاقبة، والتصور الصحيح، فتبحث في الأسباب والمسببات، وتنظر في العواقب والمقدمات، ثم بعد ذلك تأخذ بالأسباب، وتلج البيوت من الأبواب، فتجتاز - بأمر الله - تلك الأزمات، وتخرج من تلك النكبات، فتعود لها عزتها، ويرجع لها سالف مجدها.

هكذا كانت أمة الإسلام في عصورها الزاهية.

أما في هذه العصور المتأخرة التي غشت فيها غواشي الجهل، وعصفت فيها أعاصير الإلحاد والتغريب، وشاعت فيها البدع والضلالات - فقد اختلط هذا الأمر على كثير من المسلمين؛ فجعلوا من الإيمان بالقضاء والقدر تكأة للإخلاد إلى الأرض، ومسوغاً لترك



الحزم والجد والتفكير في معالي الأمور، وسبل العزة والفلاح، فآثروا ركوب السهل الوطيء الوبيء على ركوب الصعب الأشق المريء.

فكان المخرج لهم أن يتكل المرء على القدر، وأن الله هو الفَعَّال لما يريد، وأن ما شاءه كان، وما لم يشأه لم يكن؛ فلتَمَضِ إرادته، ولتكن مشيئته، وليجرِ قضاؤه وقدره، فلا حول لنا ولا طول، ولا يد لنا في ذلك كله.

هكذا بكل يسر وسهولة، استسلام للأقدار دون منازعة لها في فعل الأسباب المشروعة والمباحة؛ فلا أمر بالمعروف، ولا نهي عن المنكر، ولا حرص على نشر العلم ورفع الجهل، ولا محاربة للأفكار الهدامة والمبادئ المضللة، كل ذلك بحجة أن الله شاء ذلك!

والحقيقة أن هذه مصيبة كبرى، وضلالة عظمى، أدت بالامة إلى هوة سحيقة من التخلف والانحطاط، وسببت لها تسلط الأعداء، وجرّت عليها ويلات وإثر ويلات.

وإلا فالأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل إنه من تمامه؛ فالله — عز وجل — أراد بنا أشياء، وأراد منا أشياء، فما أراد بنا طواه عنا، وما أراد منا أمرنا بالقيام به، فقد أراد منا حمل الدعوة إلى الكفار وإن كان يعلم أنهم لن يؤمنوا، وأراد منا أن نكون أمة واحدة وإن كان يعلم أننا سنتفرق ونختلف، وأراد منا أن نكون أشداء على الكفار رحماء بيننا، وإن كان يعلم أن بأسنا سيكون بيننا شديداً وهكذا...

فالخلط بين ما أريد بنا، وما أريد منا، وبين الأمر الكوني القدري، والشرعي الديني هو الذي يُلبس الأمر، ويوقع في المحذور.

ثم لا ريب أن الله — عز وجل — هو الفعال لما يريد، الخالق لكل شيء، الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي له مقاليد السموات والأرض.

ولكنه — تبارك وتعالى — جعل لهذا الكون نواميس يسير عليها؛ وقوانين ينتظم بها، وإن كان هو — عز وجل — قادراً على خرق هذه النواميس وتلك القوانين، وإن كان — أيضاً — لا يخرقها لكل أحد.

فالإيمان بأن الله قادر على نصر المؤمنين على الكافرين \_ لا يعني أنه سينصر المؤمنين وهم قاعدون عن الأخذ بالأسباب؛ لأن النصر بدون الأخذ بالأسباب مستحيل، وقدرة الله لا تتعلق بالمستحيل، ولأنه منافٍ لحكمة الله، وقُدْرَتُهُ عز وجل \_ متعلقةً بحكمته. فكون الله قادراً على الشيء، لا يعني أن الفرد أو الجماعة أو الأمة قادرةٌ عليه؛ فقدرة الله صفة خاصة به، وقدرة العبد صفة خاصة به، فالخلط بين قدرة الله والإيمان بها، وقدرة العبد وقيامه بما أمره الله به \_ هو الذي يحمل على القعود، وهو الذي يخدر الأمم والشعوب (٥٤).

وهذا ما لاحظته وألمح إليه أحد المستشرقين الألمان وهو باول شمتز، فقال وهو يؤرخ لحال المسلمين في عصورهم المتأخرة: (طبيعة المسلم التسليم لإرادة الله، والرضا بقضائه وقدره، والخضوع بكل ما يملك للواحد القهار، وكان لهذه الطاعة أثران مختلفان؛ ففي العصر الإسلامي الأول لعبت دوراً كبيراً في الحروب، وحققت نصراً متواصلاً؛ لأنها دفعت في الجندي روح الفداء، وفي العصور المتأخرة كانت سبباً في الجمود الذي خيم على العالم الإسلامي، فقذف به إلى الانحدار، وعزله وطواه عن تيار الأحداث العالمية) (٥٥).

#### الثاني والعشرون: مراعاة المصالح والمفاسد:

وقد مر شيء من ذلك؛ فلا يكفي مجرد سرد النصوص، وتزليلها على أحوال معينة خصوصاً عند الفتن واشتباه الأمور بل لا بد من الرؤية، والاستنارة بأهل العلم والفقه والبصيرة، ولا بد من النظر في المصالح والمفاسد قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: قوله "فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى" [الأعلى: ٩]، مفهوم الآية أنه إذا ترتب على التذكير مضرة أرجح تُركِ التذكير؛ خوف وقوع المنكر. (٥٦).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: "فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله ييغضه، ويمقت أهله".

وقال: "ومن تأمل ما جرى في الإسلام من الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه؛ فقد كان رسول الله " يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها".

بل لما فتح الله مكة، وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت، وردّه على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك \_ مع قدرته عليه \_ خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك، لقرب عهدهم بالإسلام، وكوفهم حديثي عهد بكفر" (٥٧).  
وقال: "فإنكار المنكر أربع درجات: الأولى: أن يزول ويخلفه ضده"  
والثانية: أن يقل، وإن لم يزل بالجملة.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة محل اجتهاد، والرابعة محرمة.

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون الشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب، وسباق الخيل، ونحو ذلك.

وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على هو، أو لعب، أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم إلى طاعة الله فهو المراد.

وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تُفَرِّغَهُمْ لما هو أعظم من ذلك؛ فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك.

وكما إذا كان الرجل مشغلاً بكتب المجون ونحوها، وخِفَتَ من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدَعَهُ وكتبه الأولى، وهذا باب واسع.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية \_ قدس الله روحه ونورَ ضريحه \_ يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار يقوم منهم يشربون الخمر؛ فأنكر عليهم مَنْ كان معي؛ فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر؛ لأنها تصد عن ذكره وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسيي الذرية، وأخذ الأموال؛ فدَعَهُمْ" (٥٨).

### الثالث والعشرون: حسن التعامل مع الخلاف والردود:

فربما يحصل في وقت النوازل والفتن اختلاف في النظرة إليها من قبل بعض أهل العلم وربما يحصل خلاف حول أمر ما؛ فيحسن \_ والحالة هذه \_ أن تنشر صدورنا لما يقع من

الخلاف؛ فما من الناس أحد إلا وهو راد ومردود عليه، وكلُّ يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول".

ويجمل بنا نحسن الظن بأهل العلم والفضل إذا رد بعضهم على بعض، وألا ندخل في نياتهم، وأن نلتمس لهم العذر.

وإذا تبين لنا أن أحداً من أهل العلم والفضل أخطأ سواء كان راداً أو مردوداً عليه \_ فلا يسوغ لنا ترك ما عنده من الحق؛ بحجة أنه أخطأ.

وإذا كنا نميل إلى أحد من الطرفين أكثر من الآخر فلا يجوز لنا أن نتعصب له، أو نظن أن الحق معه على كل حال.

وإذا كان في نفس أحدٍ منا شيء على أحد الطرفين \_ فلا يكن ذلك حائلاً دون قبول الحق منه.

قال \_ ربنا جل وعلا \_ : "وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ" [الأنعام: ١٥٢].

وقال: "وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ" [المائدة: ٨].

وقال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ" [النساء: ١٣٥].

قال ابن حزم - رحمه الله - : "وجدت أفضل نعم الله \_ تعالى \_ على المرء أن يطبعه على العدل وحُبِّه، وعلى الحق وإيثاره" (٥٩).

وقال: "وأما من طبع على الجور واستسهاله، وعلى الظلم واستخفافه \_ فليأس من أن يصلح نفسه، أو يقوم طباعه أبداً، وليعلم أنه لا يفلح في دين ولا في خلق محمود" (٦٠).

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - رحمه الله - : "والعدل مما تواطأت على حسنه الشرائع الإلهية، والعقول الحكيمة، وتمدَّح بادعاء القيام به عظماء الأمم، وسجلوا تمدُّحهم على نقوش الهياكل من كلدانية، ومصرية، وهندية.

وحسن العدل بمعزل عن هوى يغلب عليها في قضية خاصة، أو في مبدأ خاص تنتفع فيه بما يخالف العدل بدافع إحدى القوتين: الشاهية والغاضبة" (٦١).

وإذا كان لدينا قدرة على رَأْب الصدع، وجمع الكلمة، وتقريب وجهات النظر فتلك قربة وأي قربة.

قال الله \_ عز وجل \_: "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا".  
وإذا لم نستطع فلنجتهد بالدعاء والضراعة إلى الله أن يقرب القلوب، ويجمع الكلمة على الحق.

ولنحذر كل الحذر من الوقوعة بأهل العلم، أو السعاية بينهم، ولنعلم بأنهم لا يرضون منا بذلك مهما كان الأمر.

وإذا سلمنا الله من هذه الردود، فاشتغل الواحد منا بما يعنيه \_ فهو خير وسلامة \_ إن شاء الله تعالى \_.

والذي يُظَنُّ بأهل الفضل سواء كان الواحد منهم رادًّا أو مردوداً عليه \_ أنهم لا يرضون منا أن نتعصَّب لهم أو عليهم تفنيداً، أو تأييداً.

بل يرضيهم كثيراً أن نشتغل بما يرضي الله، وينفع الناس.

ويؤسفهم كثيراً أن تأخذ تلك الردود أكثر من حجمها، وأن تفسر على غير وجهها.

هذا وإن العاقل المحب لدينه وإخوانه المسلمين ليتمنى من صميم قلبه أن تجتمع الكلمة، وألا يحتاج الناس أو يضطروا إلى أن يردوا على بعض، وما ذلك على الله بعزيز، ولكن:

فيا دارها بالحزن إن مزارها \*\*\* قريب ولكن دون ذلك أهوال

فمن العسير أن تتفق آراء الناس، واجتهاداتهم، ومن المتعذر أن يكونوا جميعاً على سنة واحدة في كل شيء، ومن المحال أن يُعصَم الناس فلا يخطئوا.

ثم ليكن لنا في سلفنا الكرام قدوة؛ فهم خير الناس في حال الوفاق وحال الخلاف؛ حيث كانوا مثلاً يحتذى في الرحمة، والعدل، والإنصاف حتى في حال الفتنة والقتال.

روي أنه أنشد في مجلس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قول الشاعر:

فَتَى كَانَ يَدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ \*\*\* إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيَعْدُهُ الْفَقْرُ

كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلِقَتْ بِجَبِينِهِ \*\*\* وَفِي خَدِهِ الشَّعْرَى وَفِي الْآخِرِ الْبَدْرُ

فلما سمعها علي - رضي الله عنه - قال: هذا طلحة بن عبيد الله، وكان السيف يومئذٍ ليلتد مجرداً بينهما.

فانظر إلى عظمة الإنصاف، وروح المودة، وشرف الخصومة. ولا ريب أن هذه المعاني تحتاج إلى مراوضة النفس كثيراً، وإلى تذكيرها بأدب الإنصاف، وإنذارها ما يترتب على العناد والتعصب من الإثم والفساد. وإذا استقبلنا الخلاف والردود بتلك الروح السامية، والنفس مطمئنة صارت رحمة، وإصلاحاً، وتقويماً، وارتقاءً بالعقول، وتزكية للنفوس.

وبهذا نحفظ لرجالنا، وأهل العلم منا مكانتهم في القلوب، ونضمن - بإذن الله - لأمتنا تماسكها وصلابة عودها، ونوصد الباب أمام من يسعى لتفريقها والإيضاع خلالها. والعجيب أن ترى أن اثنين من أهل العلم قد يكون بينهما خلاف حول مسألة أو مسائل، وتجد أتباعهما يتعادون، ويتمارون، وكل فريق يتعصب لصاحبه مع أن صاحبي الشأن بينهما من الود، والصلة، والرحمة الشيء الكثير!. وأخيراً لنستحضر أن ذلك امتحان لعقولنا وأدياننا؛ فلنحسن القول، ولنحسن العمل، ولنجانب الهوى.

**الرابع والعشرون: إشاعة روح التعاون على البر والتقوى والحرص على الإفادة من كل أحد:**

فهذا مما ينمي روح المودة، ويقضي على الكسل والبطالة؛ فإن من النعم الكبرى كثرة طرق الخير، وتعدّد السبل الموصلة إلى البر؛ فلا يسوغ - والحالة هذه - أن يُقلّل من أي عمل من أعمال الخير؛ فالمسلم بحاجة إلى ما يقربه إلى ربه، والأمة بحاجة إلى كل عمل من شأنه رفع راية الإسلام، وإعزاز أهله.

وإذا شاعت روح التعاون بين أفراد الأمة في شتى الميادين - أمكن الإفادة من كل شخص مهما قلت مواهبه، ومن كل فرصة ووسيلة ما دامت جارية على مقتضى الشرع. أما إذا اقتصر كل واحد منا على باب من أبواب الخير، ورأى أنه هو السبيل الوحيد للنهوض بالأمة، وقبض يده عن التعاون مع غيره ممن فتح عليهم أبواب أخرى من

الخير\_فإننا سنحرم خيراً كثيراً، وستُفتَح علينا أبواب من الشر لا يعلمها إلا الله \_عز وجل\_.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في معرض كلام له في بيان أن أفضل الأعمال يتنوع بحسب أجناس العبادة، وباختلاف الأزمنة، والأمكنة، والأشخاص، والأحوال، قال: "وهذا باب واسع يغلو فيه كثير من الناس، ويتبعون أهواءهم؛ فإن من الناس من يرى أن العمل إذا كان أفضل في حقه لمناسبته له، ولكونه أنفع لقلبه، وأطوع لربه \_ يريد أن يجعله أفضل لجميع الناس، ويأمرهم بمثل ذلك.

والله بعث محمداً بالكتاب والحكمة، وجعله رحمة للعباد، وهدياً لهم يأمر كل إنسان بما هو أصح له؛ فعلى المسلم أن يكون ناصحاً للمسلمين، يقصد لكل إنسان ما هو أصح. وبهذا تبين لك أن من الناس من يكون تطوعه بالعلم أفضل له، ومنهم من يكون تطوعه بالجهاد أفضل له، ومنهم من يكون تطوعه بالعبادات البدنية \_ كالصلاة والصيام \_ أفضل له.

والأفضل مطلقاً ما كان أشبه بحال النبي - ﷺ - باطنياً وظاهراً؛ فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ - . والله \_ سبحانه وتعالى \_ أعلم-(٦٢)

وبناءً على ما مضى فإنه لا غضاضة على من فتح عليه في باب من أبواب الخير دون أن يفتح عليه في غيره؛ ولا على من فتح عليه من أبواب الخير دون أن يفتح على غيره فيه؛ فكل ميسر لما خلق له، وقد علم كل أناس مشربهم؛ فلا غرو \_ إذا \_ أن تتنوع الأعمال ما دامت على مقتضى الشرع؛ فهذا يُكَبُّ على العلم والبحث والتأليف، وذاك يقوم بتعليم الناس عبر الدروس، وهذا يسد ثغرة الجهاد، وذاك يقوم بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يقوم على رعاية الأرامل والأيتام، ويتعاون مع جمعيات البر المعنية بهذا الشأن، وذاك يقوم بتربية الشباب في محاضن التربية والتعليم، وهذا يقوم بتعليم الناس كتاب الله، وتحفيظهم إياه، وذاك يعنى بشؤون المرأة، وما يحاك حولها، وهذا يهتم بعمارة المساجد، ودلالة المحسنين على ذلك، وذاك يسعى في تنظيم الدروس والمحاضرات والدورات العلمية، وتسهيل مهام أهل العلم في ذلك الشأن، وهذا يعنى بالجاليات التي تفد

إلى بلاد المسلمين يعلمهم أمور دينهم إن كانوا مسلمين، ويدعوهم إلى الإسلام إن كانوا غير مسلمين، وهذا مفتوح عليه في باب الشبكة العالمية \_ الإنترنت \_ حيث ينشر الخير من خلالها، ويصد الشر عن المسلمين، وذاك قد فتح عليه في الإعلام ونشر الخير عبر وسائله المتنوعة، وهذا يعنى بالمسلمين في بقاع الأرض؛ حيث يسعى في تعليمهم، وبيان قضاياهم، ويحرص على رفع الظلم عنهم، وهذا يسعى سعيه في الإصلاح بين الناس، وذاك يقوم بشؤون الموتى من تغسيلهم، ودفنهم ونحو ذلك، وهذا منقطع للعبادة، والذكر، والتلاوة، وعمارة بيوت الله، وذاك مفتوح عليه في باب الصيام، وهذا مفتوح عليه في باب الصلاة، وذاك مفتوح عليه في باب الصدقة، وذاك الفذُّ الجامع لأكثر تلك الخصال وهكذا. . .

وبهذه النظرة الشاملة نأخذ بالإسلام من جميع أطرافه، ونسد كافة الثغرات التي تحتاج إلى من يقوم بها، ويمكننا اغتنام جميع الفرص، وكافة المواهب، ونستطيع من خلال ذلك إشاعة روح العمل للإسلام، والقضاء على الكسل والبطالة.

وبذلك يقل التلاوم، ويكثر العمل، ويُنبذ الخلاف، ونسلم من القيل والقال، وننهض بأمتنا إلى أعلى مراقي السعود، وأقصى مراتب المجادة.

وبعد: فهذه إشارات مجملة، ومعالم عامة في التعامل مع الفتن والمصائب وكل واحد منها يحتاج إلى بسط وتفصيل، والمقام لا يسمح بذلك؛ فأسأل الله أن ينفع بما ذكر؛ إنه سميع قريب.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

- 
- (\*) محمد بن إبراهيم الحمد (\*) (١٤٢٥/٤/٨ - ٢٠٠٤/٥/٢٧) - المشرف العام على موقع دعوة الإسلام، وعضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- (١) - أخرجه الحاكم ٩٣/١ عن أبي هريرة، وقال الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٨): (صحيح).
- (٢) - رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وصححه ابن حبان (٥).



- (٣) انظر زاد المعاد لابن القيم ٢١٨/٣-٢٤١ ففيه كلام عظيم حول هذه المسألة، وحول الحكمة من إدالة الكفار على المسلمين.
- (٤) أخرجه البخاري (٦١٢٩ و٦٢٠٣) ومسلم (٢١٥٠) عن أنس ابن مالك قال: كان رسول الله ﷺ - أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال: أحسبه فطيماً، وكان إذا جاء قال: " يا أبا عمير ما فعل النغير " نغراً كان يلعب به. وهذا لفظ البخاري.
- (٥) الجامع لسيرة عمر بن عبدالعزيز لعمر بن محمد الخضر المعروف بالملاء، تحقيق د. محمد البورنو (٢٣٦/٢).
- (٦) جمع رشاء وهو الحبل، والطوي: البثر المطوية بالحجارة.
- (٧) منهاج السنة النبوية ٨٣/٨-٨٤.
- (٨) بدائع الفوائد لابن القيم ١٣٢/٣-١٣٣.
- (٩) رواه مسلم (٢٥٩٣).
- (١٠) رواه مسلم (٢٥٩٤).
- (١١) رواه البخاري (٦١٢٤)، ومسلم (١٧٣٣).
- (١٢) جامع العلوم والحكم ٢ / ٤٥٦.
- (١٣) روضة العقلاء ص ٢١٦.
- (١٤) البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ١٧٤.
- (١٥) مسلم (٢٩٤٨).
- (١٦) انظر الحرية في الإسلام ص ٢١.
- (١٧) منهاج السنة النبوية ٨/٥٨.
- (١٨) انظر مسند الإمام أحمد ٤/٢٠٣، وسنن النسائي الكبرى (٨٨٥٨).
- (١٩-٢٠) - رواه مسلم (٥) في مقدمة صحيحه.
- (٢١) مسلم في مقدمة صحيحه (٥).
- (٢٢) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي ص ١٥٤.

- (٢٣) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن للشيخ عبدالرحمن السعدي عناية الشيخ د. عبدالرزاق البدر ص ١٦١.
- (٢٤) فتح الرحيم الملك العلام ص ١٦٢.
- (٢٥) روضة العقلاء ص ٢١٦.
- (٢٦) زهر الآدب للحصري القيرواني ١/١٥٤.
- (٢٧) روضة العقلاء ص ٢١٦.
- (٢٨) روضة العقلاء ص ٢١٧.
- (٢٩) صيد الخاطر ص ٦٠٥.
- (٣٠) صيد الخاطر ٦٢٥.
- (٣١) إغائة اللهفان ص ٥٣٧.
- (٣٢) مجلة الرسالة عدد ٥٦٢ إبريل ١٩٤٤، وانظر جمهرة مقالات محمود شاكر ١/٢٥٨ إعداد د. عادل سليمان جمال.
- (٣٣) البخاري (٦٨٣٠).
- (٣٤) أخرجه البخاري (١٢٧).
- (٣٥) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (٥).
- (٣٦) انظر رسائل الإصلاح للشيخ محمد الخضر حسين ١ / ٧٧.
- (٣٧) عيون البصائر ص ١٧.
- (٣٨) مجمع الأمثال للميداني ١ / ٤٣٢.
- (٣٩) ديوان المتنبي بشرح العكبري ٤ / ١٧٤.
- (٤٠) ديوان المتنبي ٤ / ١٢٠.
- (٤١) الاستقامة ٢ / ٢٧٠-٢٧١.
- (٤٢) منهاج السنة ٨ / ٨٦.
- (٤٣) انظر تفاصيل الحديث عن الشجاعة في كتاب: الهمة العالية للكاتب ٢٥٦-٢٧٦.
- (٤٤) مسلم (٧٧٠).

- (٤٥) مسلم (٢٥٧٧).
- (٤٦) رواه أبو داود (٤٢٦٣) من حديث المقداد، وقال الألباني في صحيح الجامع (١٦٣٧): (صحيح).
- (٤٧) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٤١.
- (٤٨) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٤١.
- (٤٩) صيد الخاطر ص ٣٥٠.
- (٥٠) طوق الحمامة لابن حزم ص ١٢٨.
- (٥١) طوق الحمامة لابن حزم ص ١٢٧.
- (٥٢) روضة المحبين لابن القيم ص ١٥١.
- (٥٣) مجموع الفتاوى ١٠/٤٢٥-٤٢٦.
- (٥٤) تفاصيل ذلك في كتاب (الإيمان بالقضاء والقدر) للكاتب.
- (٥٥) الإسلام قوة الغد العالمية، باول شمتز ص ٩٠.
- (٥٦) فتح الرحيم الملك العلام ص ١٦٤.
- (٥٧) إعلام الموقعين لابن القيم ٣ / ٦.
- (٥٨) إعلام الموقعين ٣ / ٦-٧.
- (٥٩) الأخلاق والسير ص ٣٧.
- (٦٠) الأخلاق والسير ص ٣٧.
- (٦١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للطاهر بن عاشور ص ١٨٦.
- (٦٢) مجموع الفتاوى ١٠/٤٢٧-٤٢٩.



## أهم المصادر

١. أخبار مكة للفاكهي (٢٧٢)
٢. الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم
٣. الترغيب والترهيب للمنري
٤. السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة
٥. السنن الكبرى للبيهقي - المكثر
٦. الفوائد لتمام ٤١٤
٧. المجالسة وجواهر العلم (٣٣٣)
٨. المستدرک للحاکم مشکلا
٩. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم
١٠. المعجم الأوسط للطبراني
١١. المعجم الصغير للطبراني
١٢. المعجم الكبير للطبراني
١٣. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث
١٤. تفسير ابن أبي حاتم
١٥. تهذيب الآثار للطبري
١٦. جامع الأصول في أحاديث الرسول
١٧. دلائل النبوة للبيهقي
١٨. سنن أبي داود - المكثر
١٩. سنن ابن ماجه - المكثر
٢٠. سنن الترمذی - المكثر
٢١. سنن الدارقطني - المكثر
٢٢. سنن الدارمی - المكثر
٢٣. سنن النسائي - المكثر
٢٤. شرح مشكل الآثار (٣٢١)
٢٥. شرح معاني الآثار (٣٢١)
٢٦. شعب الإيمان (٤٥٨)

٢٧. صحيح ابن حبان  
٢٨. صحيح البخارى - المكثر  
٢٩. صحيح مسلم - المكثر  
٣٠. غاية المقصد فى زوائد المسند ١  
٣١. كشف الأستار  
٣٢. مجمع الزوائد  
٣٣. مسند أبي عوانة مشكلا  
٣٤. مسند أبي يعلى الموصلي  
٣٥. مسند أحمد (عالم الكتب)  
٣٦. مسند أحمد - المكثر  
٣٧. مسند البزار كاملا  
٣٨. مسند الحميدي - المكثر  
٣٩. مسند الشاشي ٣٣٥  
٤٠. مسند الشاميين ٣٦٠  
٤١. مسند الطيالسي  
٤٢. مسند عبد بن حميد  
٤٣. مصنف ابن أبي شيبة  
٤٤. مصنف عبد الرزاق مشكل  
٤٥. معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤٣٠)  
٤٦. موسوعة السنة النبوية  
٤٧. موطأ مالك - المكثر  
٤٨. نظم التناثر للكتاني  
٤٩. السُّنَّةُ لِلْمَرْوَزِيِّ  
٥٠. السُّنَّةُ لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ  
٥١. الإِبَانَةُ الْكُبْرَى لِابْنِ بَطَّةَ  
٥٢. الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ  
٥٣. الْأَرْبَعُونَ حَدِيثًا لِلْأَجْرِيِّ  
٥٤. الصحيحة للألباني

٥٥. صحيح الجامع للألباني
٥٦. شَرْحُ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ
٥٧. أَخْبَارُ أَصْبَهَانَ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ
٥٨. الْفَقِيهُ وَالْمُتَّفِقُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ
٥٩. الْإِعْتِقَادُ لِلْبَيْهَقِيِّ
٦٠. موسوعة كتب ابن القيم
٦١. سير أعلام النبلاء
٦٢. الباعث على إنكار البدع
٦٣. حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ
٦٤. الموسوعة الفقهية الكويتية
٦٥. تحفة الأحوذى
٦٦. عون المعبود في شرح سنن أبي داود
٦٧. كتب القرضاوى
٦٨. تفسير ابن كثير - دار طيبة -
٦٩. فتح القدير للشوكاني
٧٠. العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشايخ
٧١. مغني المحتاج
٧٢. نهاية المحتاج
٧٣. شرح الزرقاني
٧٤. مطالب أولي النهى
٧٥. الفرق بين الفرق
٧٦. حاشية ابن عابدين
٧٧. السيرة النبوية لابن كثير
٧٨. فتح الباري لابن حجر
٧٩. البداية والنهاية لابن كثير
٨٠. طبقات ابن سعد
٨١. أسد الغابة
٨٢. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

٨٣. الإبانة الكبرى لابن بطة
٨٤. فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة
٨٥. الفتاوى الكبرى لابن تيمية
٨٦. مجموع الفتاوى لابن تيمية
٨٧. البدء والتاريخ
٨٨. لسان الميزان
٨٩. عقيدة الشيعة
٩٠. تهذيب ابن عساكر
٩١. السنة لأبي بكر بن الخلال
٩٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي
٩٣. شرح سنن أبي داود — عبد المحسن العباد
٩٤. تَفْسِيرُ سُنَنِ سَعِيدِ بْنِ مَتَّصُورٍ
٩٥. تفسير الطبري — مؤسسة الرسالة
٩٦. الزهد أبي داود
٩٧. شرح النووي على مسلم
٩٨. جامع بيان العلم وفضله — مؤسسة الريان -
٩٩. مَعْرِفَةُ السُّنَنِ وَالْأَثَارِ لِلْبَيْهَقِيِّ
١٠٠. تاريخ الإسلام للإمام الذهبي - موافقة للمطبوع
١٠١. الأعلام للزركلي
١٠٢. وفيات الأعيان
١٠٣. النجوم الزاهرة
١٠٤. تاريخ بغداد
١٠٥. ميزان الاعتدال
١٠٦. لسان الميزان
١٠٧. البَدْءُ لِابْنِ وَصَّاحٍ
١٠٨. الاعتصام للشاطي
١٠٩. لسان العرب .
١١٠. المفردات للأصفهاني .

١١١.	تفسير القرطبي
١١٢.	تحفة الأحوذى
١١٣.	فتح القدير
١١٤.	فتاوى الإسلام سؤال وجواب
١١٥.	فتاوى الرملى
١١٦.	فتاوى الشيخ ابن جبرين
١١٧.	فتاوى اللجنة الدائمة
١١٨.	فتاوى موقع الألوكة
١١٩.	فتاوى نور على الدرب
١٢٠.	فتاوى واستشارات الإسلام اليوم
١٢١.	لقاءات الباب المفتوح
١٢٢.	مجلة مجمع الفقه الإسلامى
١٢٣.	مجموع فتاوى ابن باز
١٢٤.	موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثانى -
١٢٥.	المكتبة الشاملة ٣
١٢٦.	برنامج قالون



## الفهرس العام

٥	المبحث الأول
٥	تخريج الحديث مفصلاً
٢٤	المبحث الثاني
٢٤	تواتر هذا الحديث
٢٧	المبحث الثالث
٢٧	الرد على من أنكر صحة الحديث
٣٣	المبحث الرابع
٣٣	هل يلزم من الدخول في النار الخلود بها ؟
٣٥	المبحث الخامس
٣٥	أقسام الاختلاف حسب وجهة نظر ابن تيمية رحمه الله
٤٤	المبحث السادس
٤٤	رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بحديث افتراق الأمة
٤٥	المطلب الأول
٤٥	صفة الفرق المفارقة لأهل السنة والجماعة
٤٦	المطلب الثاني
٤٦	أهل السنة لا يتبعون إلا الرسول المعصوم
٤٧	المطلب الثالث
٤٧	رد ما تنازع فيه الناس من أمور الدين إلى الله ورسوله
٤٧	المطلب الرابع
٤٨	تفاوت درجات اختلاف المنتسبين إلى متبوعين في أصول الدين والكلام
٤٨	المطلب الخامس
٤٨	القول المبتدع إذا لم يوالى ويعادى على أساسه فهو خطأ مغفور
٤٨	المطلب السادس
٤٨	أول من فارق جماعة المسلمين الخوارج
٥٠	المطلب السابع

٥٠	أَصُولُ الْبِدْعِ أَرْبَعَةٌ : الرِّوَاغُفُ وَالْخَوَارِجُ وَالْقَدْرِیَّةُ وَالْمُرْجَنَةُ
٥١	المطلب الثامن
٥١	أهل السنة لا يكفرون أهل البدع
٥٤	المطلب التاسع
٥٤	الإيمان یزید وینقص عند أهل السنة
٥٧	المبحث السابع
٥٧	المبحث السابع
٥٧	قول الشاطبي في حديث اختلاف الأمة
٥٧	المطلب الأول
٥٧	العلامة التفصیلیة لكل فرقة
٥٧	المطلب الثاني
٥٧	الكلام على رواية الثنتين والسبعین
٥٩	المطلب الثالث
٥٩	زیادة فرقة في هذه الأمة على أهل الكتاب السابقین
٦٤	المطلب الرابع
٦٤	لماذا استحققت الفرق المخالفة لأهل السنة النار؟
٦٧	المطلب الخامس
٦٧	هل الحق واحد لا ی تعدد ؟
٦٩	المطلب السادس
٦٩	لماذا لم یعین الحديث من الفرق إلا الفرقة الناجية ؟
٧٥	المطلب السابع
٧٥	لَا یَعُدُّ مِنْ الْفِرَقِ إِنَّا الْمُخَالِفُ فِي أَمْرِ كُلِّیَّ وَقَاعِدَةٍ عَامَّةٍ
٧٩	المطلب الثامن
٧٩	تفسیر معنى الجماعة في الحديث
٨٧	المطلب التاسع
٨٧	الْعُلَمَاءُ هُمُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ
٨٩	المطلب العاشر

٨٩	وجود فرق تخالف الجماعة ولا تفيء للحق لانطماس البصيرة عندها
٩١	المطلب الحادي عشر
٩١	كلُّ مَنْ خرج عن الجماعة هو متبع للهوى
٩٢	المطلب الثاني عشر
٩٢	أهل الأهواء نوعان : داعية وغير داعية
٩٦	المطلب الثالث عشر
٩٦	هل الإشراب خاص ببعض البدع أم لا ؟
٩٨	المطلب الرابع عشر
٩٨	وجه الشبه بين داء الكلب والبدعة
١٠١	المطلب الخامس عشر
١٠١	لماذا لا يقبل لصاحب البدعة توبة ؟
١٠٢	المطلب السادس عشر
١٠٢	قبول توبة من لا يشرب هوى البدعة
١٠٣	المطلب السابع عشر
١٠٣	فتنة الذين يقيسون الأمور برأيهم الفاسد
١٠٦	المطلب الثامن عشر
١٠٦	تعيين وصف الفرقة الناجية دون الموصوف
١٠٧	المطلب التاسع عشر
١٠٧	معنى الصراط المستقيم الذي انحرقت عنه سبل أهل الابتداع
١١١	المبحث الثامن
١١١	الخلاصة في أحكام الفرق
١١١	١ - تعريفها :
١١١	٢ - الحكمُ الإجماليُّ :
١١٢	٣ - الفرقُ المذمومةُ :
١١٢	٤ - أهمُّ ما اختلفت فيه الفرقُ المذمومةُ :
١١٣	٥ - الأحكامُ المتعلقة بالفرق :
١١٤	المبحث التاسع

١١٤	بعض أقوال أهل العلم
١١٤	هل الجماعات الإسلامية من الفرق الضالة؟
١١٦	سينتقل إلى بلد آخر قد يختلفون عن أهل السنة
١١٧	الفرق أصحاب العقائد المختلفة في هذه الأمة كلها في النار إلا واحدة
١١٩	متحير من معرفة الحق من بين الطوائف والجماعات
١٢٢	هل الديوبانديين من أهل السنة؟
١٢٦	صمود الإسلام بالرغم من انشقاقات المبتدعة
١٢٨	يَتَرْتَّبُ الْعِقَابُ عَلَى فِرْقِ الْإِسْلَامِ غَيْرِ أَهْلِ السُّنَّةِ
١٢٩	حديث افتراق الأمة ومعناه
١٣٢	توضيح معنى حديث "افتترقت اليهود على
١٣٣	حديث افتراق الأمة يتضمن الإخبار، لا تكريس الفرقة
١٣٤	الأئمة الأربعة كلهم على هدى.. وبيان الفرقة الناجية
١٣٥	المعيار الذي تعرف فيه الفرقة الناجية
١٣٦	أقوال العلماء في تكفير الخوارج والمعتزلة
١٣٨	طريق أهل السنة والجماعة هو الذي يلزم اتباعه
١٤٠	من خصائص أهل السنة والجماعة
١٤١	الطائفة المنصورة.. ماهيتهم.. ومكان وجودهم
١٤٢	الوهابية والصوفية
١٤٤	ضوابط هادية لمعرفة الجماعات السائرة على نهج أهل السنة والجماعة
١٤٥	الإسلام بين الإفراط والتفريط
١٦٤	ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة
١٦٩	هل الفرقة الناجية كلهم في الجنة؟
١٧٠	هل الفرق الموجودة الآن تدخل في الفرق الضالة؟
١٧١	حكم تعدد الجماعات الموجودة في الساحة
١٧٢	الفرقة الناجية
١٧٥	كثرة الطوائف الزاعمة أنها الطائفة المنصورة
١٧٧	ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة

١٧٩	لماذا لم يفسر الرسول القرآن درءاً للخلاف؟
١٨٣	حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة
١٨٥	ضوابط التعامل مع المخالف
١٨٩	لا تجتمع أمتي على ضلالة
١٩١	ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة
١٩٢	فكرة ترقيع الإسلام في العقيدة والمنهج
١٩٣	المذاهب الأربعة ليست من الفرق الثلاث والسبعين
١٩٤	مجالات الوحدة الإسلامية وسبل الاستفادة منها
٢٣٢	هل أمرنا باعتزال الجماعات الإسلامية؟
٢٣٤	في الدين الحق
٢٣٩	دور الصحابة في إبلاغ الرسالة
٢٤٣	التوسط والتطرف
٢٤٦	معايير الحق والتحذير من البدع
٢٥١	التحذير من الفرقة
٢٥٥	الاختلاف
٢٦٢	أهل السنة وأنتمهم
٢٦٦	أثر الذنوب والبدع على الفرد والمجتمع
٢٧١	حول الفرق الضالة
٢٧٨	صفات الفرقة الناجية
٢٨٦	الفرقة الناجية وعلاماتها
٢٨٩	المخرج من الفتن
٢٩٧	الألفة والاتحاد ونبد الاختلاف
٣٠٢	اجتماع الكلمة
٣٠٥	الاستقامة على الطاعة
٣١٠	الفتن وأسباب السقوط فيها
٣١٨	معالم في التعامل مع الفتن

أولاً: الاعتصام بالكتاب والسنة:	٣١٩
ثانياً: التوبة النصوح:	٣١٩
ثالثاً: النظر في التاريخ:	٣٢٠
رابعاً: الإفادة من التجارب:	٣٢١
خامساً: التذكير بعاقبة الظلم:	٣٢١
سادساً: الثقة بالله، واليقين بأن العاقبة للمتقوى وللمتقين:	٣٢٢
سابعاً: الوقوف مع الشعوب الإسلامية المظلومة:	٣٢٣
ثامناً: لزوم الاعتدال في جميع الأحوال:	٣٢٣
تاسعاً: لزوم الرفق، ومجانبة الغلظة والعنف:	٣٢٥
عاشراً: الإقبال على الله _ عز وجل _:	٣٢٧
حادي عشر: الحرص على جمع الكلمة ورأب الصدع:	٣٢٧
ثاني عشر: قيام روح الشورى:	٣٢٨
ثالث عشر: الصبر:	٣٣٠
رابع عشر: إشاعة روح التفاؤل:	٣٣١
خامس عشر: التثبت مما يقال، والنظر في جدوى نشره، والحرص على رد الأمور إلى أهلها:	٣٣٣
سادس عشر: ألا يحرص المسلم على إبداء رأيه في كل أمر، وألا يقول كل ما يعلم: ...	٣٣٥
سابع عشر: التحلي بالشجاعة، والفهم الصحيح لمعناها:	٣٣٨
ثامن عشر: الدعاء:	٣٤٠
تاسع عشر: البعد عن الفتن قدر المستطاع:	٣٤١
العشرون: الحذر من أن يؤتى الإسلام من أي ثغر من الثغور:	٣٤٢
الحادي والعشرون: ترسيخ الفهم الصحيح للإيمان بالقدر والتوكل على الله _ عز وجل _:	٣٤٣
الثاني والعشرون: مراعاة المصالح والمفاسد:	٣٤٥
الثالث والعشرون: حسن التعامل مع الخلاف والردود:	٣٤٦
الرابع والعشرون: إشاعة روح التعاون على البر والتقوى والحرص على الإفادة من كل	
أحد:	٣٤٩